الغُنية

لطالبي طريق الحق

للشيخ عبد القادر الجيلاني

حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه
عصام فارس الحرستاني

الجزء الأول

الغُنْيَة

لِطالبي طريقِ الحق

للشيخ عبد القادِر الجيلاني

حققه وعلق عليه وعمل فهارسه

عِصام فارس الحرستاني

خرّج أحاديثه

حسّان عبد المنان

الجزء الأول

دار الجيل

بيروت

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفرهُ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فهو المهتدى، ومَنْ يُضْلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

الحمد لله الذي بتحميده يُستفتح كُلُّ كتاب، وبذِكْرِه يُصَدَّر كل خطاب، وبحمده يَتَنَعَّمُ أهل النعيم في دار الجزاء والثواب، وباسمه يُشْفى كلُّ داء، وبه يكشف كل غمة وبلاء؛ إليه تُرْفعُ الأيدي بالتضرع والدعاء، في الشدة والرخاء، والسَّرَّاءِ والضرَّاء، فله الحمدُ على ما أولى وأسدى، وله الشكر على ما أنعم وأعطى، وأوضح المحجة وهدى، وصلواته على صَفِيِّه ورسوله الذي به من الضلالة هدى محمد ﷺ، وبعد:

فهذا كتاب «الغنية لطالبي الحق» للشيخ عبدالقادر الجيلاني رحمه الله تعالى، وقد صَنَّفه مؤلفه كما أشار في مقدمة الكتاب بناء على إلحاح بعض الأصحاب. وقد حرص الشيخ رحمه الله على الاختصار وعدم الإطالة فجاء غُنيةً بحق، ووجدت كثيراً من عباراته قد استقاها شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وضَمَّنها في كتبه كـ«اقتضاء الصراط المستقيم» و«منهاج السنة النبوية»، وشرح كتابه «فتوح الغيب» في مئات الصفحات والتي تضمنها المجلد العاشر من الفتاوى. لذا لم يكن مستغرباً ثناؤه على الشيخ عبدالقادر وإشادته به رحمهما الله تعالى[1].

---

(١) يشير ابن تيمية رحمه الله كثيراً في كتاباته إلى الشيخ عبدالقادر كما يشير إلى الإمام أحمد بن حنبل من خلال الألقاب التي يسبغها عليه، فهو «قطب العارفين» وهو «شيخنا أبو محمد قدس الله روحه» وهو «أعظم زمانه أمراً بالتزام الشرع».

بدأ الشيخ عبدالقادر رحمه الله كتابه بذكرِ ما يجبُ على مَنْ يريد الدخولَ في الإسلام بمعرفة فرائضه وأركانه من صلاةٍ وزكاة وصيام وحج.

ثم ذكر كتاب الآداب وما تضمَّنه من آداب السلام والاستئذان وآداب الأكل والشرب والحمّام، واللباس، وآداب النوم والسفر، وبرِّ الوالدين، وآداب الدعاء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وآداب النكاح.

ثم ذكر باباً في معرفة الصانع عز وجل، وعقد فصلاً في اعتقاد أن القرآن الكريم كلام الله وأن القرآن حروف مفهومة.

ثم خصص فصلاً في بيان الفِرَق الضالة عن طريق الهدى والتحذير منها[1].

وبعد ذلك عقد الشيخ عبدالقادر باباً في الاتعاظ بمواعظ القرآن الكريم وجعله مجالس، فكان المجلسُ الأول في الاستعاذة ومعناها وما يستفيده العبد بالاستعاذة، والمجلس الثاني في فضل «بسم الله الرحمن الرحيم» والمجلس الثالث في التوبة وشروطها وكيفيتها، ومن ثَمَّ مجلسٌ في التقوى، وطريقها التخلص من مظالم العباد، وصفة الجنة وما أعدَّ الله لأهلها، وكذلك صفة النار وما أعد لأهلها.. ومن ثم مجلس في فضائل شهر رجب، وشعبان، ورمضان وليلة القدر، ومجلس في فضائل أيام العشر، وفضائل يوم عرفة، وفضائل عيد الأضحى ويوم النحر، ومجلس في فضائل يوم الجمعة وما يُسَنُّ فيه.

ثم عقد باباً في الصلوات الخمس، وبيان أوقاتها وسننها وفضائلها والأدعية التي يدعى به عقيبها.

وبعد ذلك كله ذكر كتاب آداب المريدين، وأدب الصحبة والعِشرة، والمجاهدة، والتوكل والشكر والصبر والرضا والصدق، وخِصال أهل

---

(١) عمدت بعض الجهات في إحدى الدول العربية إلى حذف فقرات منه !؟

المجاهدة والمحاسبة أولي العزم.

أخي القارئ، إذا كنت ممن ينظر إلى الشيخ وأقرانه نظرة أساسها تعصب لهم أو عليهم، فندعوك كما ندعو أنفسنا إلى الإنصاف والنظر إلى آثارهم الثابتة عنهم، فما جاء في مجال العلم ملتزماً حدود الشرع، فهو هويتهم، وما كان خيالياً بعيداً عن واقع عامة الناس فلا تقف عنده كثيراً، وزِنِ الأمر على ميزان الشرع، وهو ما أُثر عن الجيلاني والجنيد وأضرابهما رحمهم الله تعالى، ونسأل الله تعالى لهم حُسْنَ المثوبة على ما قدموه من علم داعين الله لهم أن يجعله في ميزان حسناتهم يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

عملنا في هذا الكتاب:

* ضبط النص وذلك بمراجعته على مخطوطة متقنة من خزانة مخطوطات الأستاذ زهير الشاويش حفظه الله، صاحب المكتبْ الإسلامي.

* وضع عناوين تسهِّلُ تناولَ الكتاب.

* تخريج الآيات القرآنية.

* تخريج الأحاديث النبوية وذكر درجتها من الصحة أو الضعف، وقد قام الأخ حسان عبدالمنان بذلك فجزاه الله خيراً.

* عمل مقدمة للكتاب.

* ترجمة المؤلف.

* عمل فهارس لأطراف الحديث والأثر.

والله نسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن

الحمد لله ربّ العالمين.

ترجمة المؤلف

- هو الشيخ عبدالقادر بن موسى بن عبدالله بن جنكي دوست[1] الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي: مؤسس الطريقة القادرية. من كبار الزُّهَّاد والمتصوفين.

- ولد في جيلان (وراء طبرستان) سنة (٤٧١هـ)- ١٠٧٨م.

- انتقل إلى بغداد شاباً، سنة ٤٨٨هـ، فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتَفَقَّه، وسمع الحديث، وقرأ الأدب واشتهر. وكان يأكل من عمل يده.

- كان سن الصلاح على حال، وهو حنبلي المذهب.

- تصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة ٥٢٨هـ.

- توفي في بغداد سنة ٥٦١هـ-١١٦٦م. وله مشهد يعد من المواقع المهمة التي كانت داخل سور بغداد الشرقية. وذلك من الناحية الخططية لمدينة بغداد القديمة، لأنه من الأماكن القديمة القليلة التي لا تزال قائمة في مواضعها الأصليه إلى الآن، وقد أُنشئ عند المرقد مسجدٌ جامع واسع، وعلى مصلاه قبة فخمة متقنة الهندسة مبنية بالحجر الكاشاني الملون بالأصباغ المختلفة مع النقش الجميل، تحيط بها المآذن، وحول المصلى رواقٌ واسع عقد على

---

(١) ذكر في «معجم الشيوخ» ١/ ٥٢ معنى «جنكي دوست» بأنه العظيم القدر. وشهرته إلى الحسن بن علي مشهورة وفيها خلاف.

أساطين من الرخام الأبيض.

- له كتب منها:

* «الغنية لطالبي الحق».
* «الفتح الرباني والفيض الرحماني».
* «فتوح الغيب».
* «الفيوضات الربانية».

صورة صفحة الغلاف لكتاب «الغنية» من خزانة مخطوطات الأستاذ زهير الشاويش

صورة الصفحة الأولى والثانية من كتاب «الفتية»

صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة كتاب «الغنية»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نعمائه، والصلاة والسلام على سيد أنبيائه، وعلى آله وأحبائه.

قال غوثنا الأعظم، سند العرب والعجم، نور الثقلين، قطب الخافقين، محيي السنة أبو محمد عبدالقادر الحسني الحسيني الجيلاني، قدّس الله سرّه العالي، وأفاض بركاته على من اقتدى بسرّه السامي:

الحمد لله الذي بتحميده يُسْتَفْتَحُ كل كتاب، وبذكره يصدر كل خطاب، وبحمده يتنعمُ أهلُ النعيم في دار الجزاء والثواب، وباسمه يشفى كل داء، وبه يكشف كل غمة وبلاء؛ إليه تُرْفَعُ الأيدي بالتضرّع والدعاء، في الشدة والرخاء، والسرّاء والضرّاء، وهو سامعٌ لجميع الأصوات، بفنون الخطاب على اختلاف اللغـات، والمجيب للمضطرّ الدعاء، فله الحمد على ما أولى وأسدى، وله الشكـر على ما أنعم وأعطى، وأوضح المحجة وهدى، وصلواته على صفيه ورسوله الذي به من الضلالة هدى، (محمد) وآله وأصحابه وإخوانه المرسلين، والملائكة المقرّبين وسلم تسليماً.

أما بعد:

فقـد ألـحّ عليّ بعض أصحابي وشدّد في الخطاب، في تصنيف هذا الكتـاب، لحسن ظنـه في الإصـابة والصواب، والله هو العاصم في الأقوال والأفعال والمطّلعُ على الضمائر والنيات، والمنعم المتفضل بتسهيل ما أراد، وإليه عزّ وجـلّ الالتجـاء لتطهير القلوب من الرياء والنفاق، وإبدال السيئات بالحسنات، إنه غافر الذنوب والخطيئات، وقابل التوب من العباد.

فلما رأيت صدق رغبته في معرفة الآداب الشرعية من الفرائض والأركان والسنن والهيئـات، ومعرفة الصانع عزّ وجلّ بالآيات والعلامات، ثم الاتعاظ

بمواعظ القرآن والألفاظ النبوية في مجالس نذكرها، ومعرفة أخلاق الصالحين نشير لها في أثناء الكتاب، ليكون عوناً له على سلوك طريق الله عزّ وجلّ وامتثال أوامـره وانتهاء نواهيه، ووجدت له نية صادقة قد صدرت من فتوح الغيب في إجابته إلى ذلك فسارعت مشمراً مبتغياً محتسباً للثواب، راجياً للنجاة في يوم الحساب، إلى جمع هذا الكتاب، بتوفيق رب الأرباب، الملهم للصواب، وقد سميته:

الغنية

لطالبي طريق الحق عزّ وجلّ

باب

[فيما يجب على مَنْ يريد الدخول في ديننا]

نبدأ فنقول: الذي يجب على من يريد الدخول في دين الإسلام. أولا: أن يتلفظ بالشهادتين: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. ويتبرأ من كل دين غير دين الإسلام، ويعتقد بقلبه وحدانية الله تعالى على ما سنبينه لك إن شاء الله تعالى.

إذ كان الإسلام هو الدين عند الله تعالى، قال الله عز وجل؛ ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ [آل عمران: ١٩] وقال تعالى: ﴿ومَنْ يبتغِ غيرَ الإسلامِ ديناً فلن يُقْبَلَ منه﴾ [آل عمران: ٨٥].

فإذا أتى بذلك دخل في الإسلام وحرم قتله وسبي ذراريه واستغنام أمواله، ويغفر له ما تقدّم من التفريط في حق الله عزّ وجلّ لقوله تعالى: ﴿قل للذين كفروا إنْ ينتهوا يُغْفَرْ لهم ما قد سلف﴾ [الأنفال: ٣٨] وقول النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»[1] ولقوله ﷺ: «الإسلام يَجُبُّ ما قَبْلَهُ»[2].

ثم يجب عليه الغسل للإسلام؛ لما روي أن النبيّ ﷺ أمر ثمامة بن

---

(١) لفظ النسائي ٧/٧٩-٨٠ من حديث النعمان بن بشير. وأخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢) من حديث ابن عمر.

(٢) أخرجه أحمد ٤/٢٠٥ من حديث عمرو بن العاص، وهو عند مسلم (١٢١) بلفظ: أَمَا علمتَ أنّ الإسلامَ يهدم ما كان قبلَه.

أثال[1] وقيس بن عاصم لما أسلما بالغسل[2].

وفي رواية: «ألق عنك شعر الكفر واغتسل»[3].

ثم يجب عليه الصلاة، لأن الإيمان قول وعمل، لأن القول دعوى والعمل هو البينة، والقول صورة والعمل روحها.

[شرائط الصلاة]

وللصلاة شرائط تتقدمها، وهي الطهارة بالماء الطهور، والتيمم عند

---

(١) حديث صحيح. أخرجه عبدالرزاق (٩٨٣٤)، ومن طريقه ابن الجارود (١٥)، وابن خزيمة (٢٥٣)، وابن حبان (١٢٣٨)، والبيهقي ١/١٧١ بإسناد صحيح. وأصله عند البخاري (٤٣٧٢)، ومسلم (١٧٦٤) من حديث أبي هريرة مطولاً. وانظر تمام تخريجه في «الإحسان» (١٢٣٩).

(٢) أخرجه عبدالرزاق (٩٨٣٣)، وأحمد ٥/٦١، وأبو داود (٣٥٥)، والترمذي (٦٠٥)، والنسائي ١/١٠٩، وابن خزيمة (٢٥٤) و(٢٥٥)، وابن حبان (١٢٤٠)، والطبراني ١٨/(٨٦٦)، والبيهقي ١/١٧١ من طرق عن سفيان الثوري، عن الأغر ابن الصباح، عن خليفة بن حُصين، عن قيس بن عاصم أنه أسلم، فأمره النبي ﷺ أن يغتسل بماء وسدر. وهذا الإسناد رجالُه ثقات، لكنْ أعلَّه ابنُ القطان بالإرسال، بين خليفة وجده قيس. وتوبع سفيان عند ابن الجارود (١٤).

وأخرجه أحمد ٥/٦١، من طريق وكيع، والبيهقي ١/١٧٢ من طريق قبيصة ابن عقبة، كلاهما عن سفيان، عن الأغر، عن خليفة بن حصين بن قيس، عن أبيه، أنَّ جده قيس بن عاصم أسلم... وهذه الرواية بهذه الزيادة وهم كما قال ابن أبي حاتم، ولأنها خالفت الرواية الأولى، ورواتها عن سفيان أوثق.

(٣) أخرجه الطبراني ٢٢/(١٩٩)، والحاكم ٣/٥٧٠ من حديث واثلة بن الأسقع، قال الذهبي في «المجمع» ١/٢٨٣: وفيه منصور بن عمار الواعظ، وهو ضعيف.

وأخرجه عبدالرزاق (٩٨٣٥)، ومن طريقه أبو داود (٣٥٦)، وأحمد ٣/٤١٥، عن ابن جريج، أُخبرتُ عن عُثيم بن كليب، عن أبيه، عن جده. وهذا إسنادٌ فيه ضعف وانقطاع. ولفظه: «ألقِ عنكَ شعرَ الكُفر واختتن».

عدمه، والستارة بثوب طاهر، والوقوف على بقعة طاهرة، واستقبال القبلة والنية ودخول الوقت.

أما الطهارة فلها فرائض وسنن.

والفرائض في ظاهر المذهب عشرة: النية أولاً؛ وهو أن ينوي بطهارته رفع الحدث، وإن كان تيمماً فاستباحةُ الصلاة، لأن التيمم لا يرفعُ الحدث، ومحلها القلب، فإنْ ذكر ذلك بلسانه مع اعتقاده بقلبه كان قد أتى بالأفضل، وإن اقتصر على الاعتقاد بالقلب أجزأ.

ثم التسمية وهو أن يذكر الله تعالى عند إرادته أخذ الماء.

ثم المضمضة، وهو دوران الماء في الفم ومجّهُ وإخراجه منه.

ثم الاستنشاق، وهو إدخال الماء في خرمي الأنف.

ثم غسل الوجه، وحدُّهُ من منابت شعر الرأس إلى ما انحدر من اللحيين والذقن طولاً، ومن وتد الأذن إلى وتد الأذن عرضاً.

ثم غسل اليدين إلى المرفقين.

ثم مسح الرأس؛ وصفته أن يغمس يديه في الماء ثم يرفعهما فارغتين فيضعهما على مقدم رأسه ويجرّهما إلى قفاه ويعيدهما إلى الموضع الذي بدأ منه، ويكون الإبهامان في صماخي الأذنين فيمسح بهما الجلدتين القائمتين مع الصماخين.

ثم غسل الرجلين مع الكعبين وهما العظمان الناتئان في مفصل القدم، وكل ذلك مَرَّةً مرة.

وأما التاسع: فهو ترتيب الأعضاء كلها كما نطق به القرآن في قوله عزّ وجلّ: ﴿يا أيُّها الذينَ آمنُوا إذا قُمْتُم إلى الصَّلاةِ فاغْسِلوا وجوهَكم وأيديَكم إلى المرافقِ، وامْسَحُوا برؤوسِكم وأرجلَكم إلى الكعبين﴾ [المائدة: ٦].

والعاشر: الموالاة، وهي إتباعُ العضو الثاني للأول قبل أن ينشف ماء

الأول.

وأما سننها فعشر أيضاً: غسل الكفين قبل إدخالهما الإناء، والسواك، والمبالغة في المضمضة والاستنشاق إلا أن يكون صائماً، وتخليل اللحية الكثة على اختلاف الروايتين، وغسل داخل العينين والبداءة باليمين، وأخذ ماء جديد للأذنين، ومسح العنق، وتخليل ما بين الأصابع، والغسلة الثانية والثالثة.

وأما التيمم، فأن يضرب يديه على ترابٍ طاهر له غبارٌ يعلق باليد ناوياً لاستباحةِ صلاةٍ مفروضة، مسمياً ضربة واحدة ويفرج بين أصابعه، فيمسح وجهه بباطن أصابع يديه وظهر كفيه بباطنَ راحتيه.

وأما الطهارة الكبرى فنذكرها في باب آداب الخلاء إن شاء الله تعالى.

وأما الستارة فأن تكون ثوباً طاهراً يستر عورته ومنكبيه من سائر أنواع الثياب إلا الحرير، فإن الصلاةَ فيه باطلةٌ وإنْ كان طاهراً، وكذلك المغصوب.

وأما البقعة، فأن تكون طاهرة من جميع الأنجاس، فإن كانت النجاسة التي عليها قد نشَّفتها الرياح أو الشمس فبسط عليها بساطاً طاهراً فصلى عليه صَحَّت صلاته على إحدى الروايتين وكذلك إنْ كانت غصباً على رواية ضعيفة.

وأما استقبال القبلة، فأن يتوجه إلى عين الكعبة إن كان بمكة وما قاربها من البقاع، وإلى جهتها إن كان على بُعْدٍ منها بالاجتهاد وبذلِ الطاقة بالاستدلال بالشواهد، والدلالات بالنجوم والشمس والرياح وغير ذلك.

وأما النية فمحلها القلب، وهو أن يعتقد أداء ما افترض الله تعالى عليه من فعل الصلاة بعينها وامتثال أمره الواجب من غير رياء وسمعة ثم يحضر قلبه إلى أن يفرغ منها، وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال لعائشة رضي الله عنها: «ليس لك من صلاتك إلا ما حضر فيه قلبك»[1].

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ. ولكن عَلَّقَ البخاري في «صحيحه» (الفتح ٢/١٥٩) قولَ أبي =

وأمـا دخول الوقت، فبعلمه يقيناً أو غلْبةِ الظن في يوم الغيم وهيجان الرياح والموانع.

[صفة الأذان]

ثم يؤذن فيقول: الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر، أشهدُ أنْ لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حيَّ على الصلاة حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح حيّ على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله.

[صفة الإقامة]

ثم يقيم فيقول: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حيّ على الصلاة حيّ على الفلاح، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله.

= الدرداء: من فقه المرءِ إقبالُه على حاجته حتى يُقبلَ على صلاتِه وقلبُه فارغٌ.

وأخرج المروزي في «الصلاة» عن عثمان بن أبي دهرشن مرسلاً: «لايقبلُ الله من عبـدٍ عمـلاً حتى يُشهدَ قلبَه مع بدنِه» ووصلَه الديلمي، ولا يصحُّ، والمرسلُ ضعيف. انظر «الترغيب والترهيب» ١/٣٤٨.

وأخرج ابن ماجة (١١١١) في حديث أبي بن كعب أنه قال لأبي الدرداء أو أبي ذر وقد تكلم في خطبة الجمعة: «ليس لَكَ من صلاتك اليومَ إلا ما لغوتَ» فذهبَ إلى رسولِ الله ﷺ، فذكر ذلك له، وأخبره بالذي قال أُبي، فقال رسولُ الله ﷺ: صَدَقَ أُبيٌّ». رواه عن أبي بن كعب: عطاء بن يسار، وفي اتصالِه نظرٌ، ولم يُصَرِّح بالسماع. وأبي بن كعب: قديم الموت.

(فصل: الدخول في الصلاة)

فإذا كملت هذه الشروط دخل في الصلاة بقوله: الله أكبر، لا يجزئه غيره من ألفاظ التعظيم، ولها أركان وواجبات ومسنونات وهيئات.

أما الأركان فخمسة عشر: القيام، وتكبيرة الإحرام، وقراءة الفاتحة، والركوع، والطمأنينة فيه، والاعتدال عنه والطمأنينة فيه، والسجود والطمأنينة فيه، والجلوس بين السجدتين والطمأنينة فيه، والتشهد الأخير والجلوس له، والصلاة على النبيّ ﷺ، والتسليم.

وأما الواجبات فتسعة: التكبير غير تكبيرة الإحرام، والتسميع والتحميد عند الرفع من الركوع، والتسبيح، في الركوع والسجود مرّة مرّة، وقوله: ربِّ اغفر لي في الجلسة بين السجدتين مرّة مرّة، والتشهد الأول والجلوس له، ونية الخروج من الصلاة في التسليم.

وأما المسنونات فأربعة عشر: الاستفتاح، والتعوّذ، وقراءة: بسم الله الرحمن الرحيم، وقول: آمين، وقراءة سورة، وقول ملء السموات والأرض بعد التحميد، وما زاد على التسبيحة الواحدة في الركوع والسجود، وقول ربِّ اغفر لي، والسجود على الأنف في إحدى الروايتين، وجلسة الاستراحة بعد انقضاء السجدتين، والتعوذ من أربعة أشياء بأن يقول: أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المسيح الدجال، ومن فتنة المحيا والممات، والدعاء بما ذكر في الأخبار بعد أن يصلي على النبي ﷺ في التشهد الأخير، والقنوت في الوتر، والتسليمة الثانية على رواية ضعيفة.

وأما الهيئات فخمس وعشرون هيئة: رفع اليدين عند الافتتاح، والركوع، والرفع منه وهو أن تكون كفاه مع منكبيه وإبهاماه عند شحمتي أذنيه وأطراف أصابعه مع فروع أذنيه ثم إرسالهما بعد الرفع، ووضع اليمين على الشمال

تحت السرّة، والنظر إلى موضع السجود، والجهر بالقراءة، وآمين، والإسرار بهما، ووضع اليدين على الركبتين في الركوع، ومدّ الظهر، ومجافاة عضديه عن جنبيه فيه، والبداءة بوضع الركبة ثم اليدين في السجود، ومجافاة البطن عن الفخـذين، والفخذين عن الساقين فيه، والتفريق بين الركبتين في السجود، ووضع اليدين حذاء منكبيه فيه، والافتراش في الجلوس بين السجدتين وفي التشهـد الأول، والتـورّك في الثاني، ووضع اليد اليمنى على الفخذ اليمنى مقبوضة مشيراً بالسبابة محلقة بالإبهام مع الوسطى، ووضع اليسرى على الفخذ اليسرى مبسوطة.

فإنْ أخـلَّ بشـرط من الشـرائط التي ذكـرناها أوّلاً بغير عذر لم تنعقد الصلاة، وإن ترك ركناً عامداً أو ساهياً بطلت، وإن ترك واجباً ساهياً جبره بسجود السهو، وإن تركه عامداً بطلت الصلاة، وإن ترك سنة أو هيئة لم تبطل ولم يسجد.

كتاب الزكاة

وتجب عليه الزكاة إنْ كان له مال زكويٌّ، وهو أن يملك عشرين مثقالاً من الذهب، أو مائتي درهم من الورق، أو قيمة أحدهما من عروض التجارة: أو خمساً من الإبل، أو ثلاثين من البقر أو أربعين من الغنم سائمة حولاً كاملاً، إلا أن يكون عبداً أو مكاتباً، فإنه لا تجب عليهما الزكاة.

[زكاة الذهب والفضة]

فيخرج عن الذهب والفضة ربع العشر، فيكون عن عشرين ديناراً نصف دينار، لأن عشرها ديناران وربعها نصف دينار؛ وعن مائتي درهم خمسة دراهم لأن عشرها عشرون وربعها خمسة.

[زكاة الإبل]

وعن خمسٍ من الإبل شاة، وهي الجذع من الضأن قد تمت لها ستة أشهر، والثنيّ من المعز وهو ما له سنة؛ وعن عشرٍ شاتان؛ وعن خمسة عشر ثلاث شياه؛ وعن عشرين أربع شياه؛ وعن خمس وعشرين ابنة مخاض، وهي ما لها سنة ودخلت في الثانية، فإن لم يقدر عليها فابن لبون ذكر، وهو ما له سنتان ودخل في الثالثة، وعن ستّ وثلاثين ابنة لبون، وهي في سن ابن لبون، وعن ست وأربعين حقّة، وهي ما كمل لها ثلاث سنين؛ وعن إحدى وستين جذعة، وهي ما كمل لها أربع سنين؛ وعن ست وسبعين بنتا لبون؛ وعن إحدى وتسعين حقتان إلى أن تبلغ مائة وعشرين؛ فإذا زادت واحدة كان في كل أربعين بنت لبون؛ وفي كل خمسين حقة.

[زكاة البقر]

وأما البقر فيخرج عن ثلاثين تبيعاً أو تبيعة، وهي ما كمل لها سنة؛ وعن أربعين مسنة، وهي ما كمل لها سنتان؛ وعن ستين تبيعين؛ فإذا بلغت سبعين كان فيها تبيع ومسنة؛ ثم على هذا الاعتبار يخرج عن كل ثلاثين تبيعاً؛ وعن كل أربعين مسنة.

[زكاة الغنم]

وأما الغنم ففي كل أربعين شاة، إلى أن تبلغ مائة وعشرين، فإذا زادت واحدة ففيها شاتان إلى مائتين؛ فإذا زادت واحدة ففيها ثلاث شياه إلى ثلثمائة، ثم في كل مائة شاة.

[مصارف الزكاة]

فيعطي المُخْرِجُ عن جميع ذلك للثمانية الأصناف المذكورة في القرآن للفقراء الذين لا يملكون كفايتهم؛ والمساكين؛ وهم الذين لهم معظم الكفاية ولا يملكون تمامها، والعاملين عليها وهم الجباة لها، والحافظون إياها إلى أن يؤدّوها إلى الإمام، والمؤلفة قلوبهم، وهم قوم من الكفار يُرْجَى إسلامهم إذا أُعطوا المال أو يكفُّوا شرَّهُم عن المسلمين.

وفي الرقاب، وهم المكاتَبون، وإن اشترى بزكاته رقبةً كاملة فأعتقها جاز أيضاً على رواية.

والغارمين .وهم المدينون الذين لا طاقة لهم على قضاء ديونهم.

وفي سبيل الله، وهم الغزاة الذي لا جزاء لهم في ديوان الإمام وغيره من السلاطين وإن كانوا أغنياء.

وابن السبيل، وهو المسافر المنقطع به دون الذي ينشئ السفر من بلده.

[صدقة التطوع]

فإذا أدّى ما عليه من زكاة الفرض يستحبّ له صدقة التطوع في سائر أوقاته ليلاً ونهاراً، قليلاً وكثيراً، لا سيما في الأشهر المباركة كشهر رجب وشعبان وشهر رمضان وأيام العيد وعاشوراء وأيام الجدب والضيق ليحوز بذلك العافيةَ في الجسم والمال والأهل، والخلفَ السريع في الدنيا، والثواب الجزيل في الآخرة.

(فصل زكاة الفطر ومقدارها)

ويخرج زكاة الفطر إذا فضل عن قوته وقوت عياله يوم العيد وليلته عن نفسه وزوجته ورقيقه وولده وأمه وأبيه وإخوته وأخواته وأعمامه وبني أعمامه على الترتيب الأقرب فالأقرب، بشرط أن يكونوا في مؤونته ونفقته.

وقدرها: صاعٌ وزنه خمسةُ أرطال وثلث رطل بالعراقي من التمر أو الزبيب أو البـرّ أو الشعير أو دقيقهما أو سويقهما، وكذلك الأقط على الصحيح من المذهب، فإن عدم هذه الأصناف جميعها فليخرج من قوتِ البلد من سائر أنواع الحبّ، كالأرز والذرة والدخن وغيرها.

كتاب الصيام

وإذا دخل شهر رمضان وجب عليه أن يصوم لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ منكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة ١٨٥]. فإذا ثبت عنده دخول الشهر، إما برؤيته نفسه الهلال، أو شهادة رجلٍ واحدٍ عَدْلٍ ثبت بذلك، أو إكمالِ شعبان ثلاثين يوماً، أو حدوث غيم أو قتر[1] في ليلة الثلاثين منه، نوى أيّ وقت من الليل من وقت غروب الشمس إلى قبل أن يطلع الفجر الثاني أنه صائم غداً من شهر رمضان، وهكذا كل ليلة إلى أن ينتهي الشهر.

وإن نوى في أول ليلة من الشهر أنه صائم الشهر جميعه كفاه ذلك في رواية ضعيفة، والصحيح الأول.

فإذا أصبح وجب عليه أن يمسك في جميع نهاره عن الأكل والشرب والجماع وجميع ما يصل إلى جوفه من أيّ موضع كان وعن الحجامة لنفسه، أو غيره واستدعاء القيء والمنيّ، فإن خالف في جميع ذلك بطل صومه، ووجب عليه الإمساك إلى غروب الشمس والقضاء إلا الجماع فإنه يجب عليه مع ذلك كفارة وهي عتقُ رقبةٍ مؤمنة سليمةٍ من العيوب المضرّة في العمل، فإن لم يجدْ فصيامُ شهرين متتابعين، فإنْ لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً لكل واحد منهم مُدٌّ من طعام وهو رطل وثلث بالعراقي، فيكون مائة وثلاثة وسبعين درهماً وثلث درهم، أو نصف صاع، من تمر أو شعير، فإن لم يجد ذلك فمن قوت بلده كما قلنا في الفطرة، فإن لم يجد شيئاً سقطت عنه، واستغفرَ الله عزّ وجلّ، وتابَ إليه، وأحسن العمل في الباقي.

---

(١) القتر: جمع قترة وهي الغبرة التي يعلوها سواد كالدخان.

[ما يتجنبه الصائم]

ويجتنب في نهار رمضان الخلوة بامرأةٍ شابة والقبلة لها وإن كانت ممن تَحلُّ له أو ذات محرم يعني رحماً، ويجتنب السواك بعد الزوال ومضغ العلك، وجَمْعَ ريقهِ ثم بلعه، وذوق الطعام عندَ الطبخ وغيره، والغيبة والنميمة والكذب والسبّ وغير ذلك.

[ما يستحب للصائم]

ويستحبّ له تعجيل الإفطار إلا في يوم الغيم فتأخيره أفضل، وتأخير السحور إلا أن يكون ممن يخفى عليه ذلك، أي طلوع الفجر، والأولى له أن يفطر على التمر أو على الماء، ويدعو وقت الإفطار لما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا صام أحدكم فَقُدِّمَ عشاؤهُ فليقل: بسم الله اللهم لكَ صمتُ، وعلى رزقك أفطرت، سبحانك وبحمدك، اللهم تقبل منا فإنك أنت السميع العليم»[1].

(١) أخرجه ابن السني (٤٨٠)، والدارقطني ٢/١٨٥ من حديث ابن عباس بإسنادٍ ضعيف جداً. وفي الباب عن أنس وغيره، ولا تصحُّ.

كتاب الاعتكاف

ويُستحبُّ له الاعتكاف، ولا يكون إلا في مسجد يصلى فيه بالجماعة، وأولى المساجد الجامع إذا كان اعتكافه أياماً يتخللها جمعة، ويصح بغير صوم، والأولى أن يكون بالصوم، لأنه أجمعُ لهمه، وأعونُ على كسر نفسه وأليق باشتقاقِ ماهو بصدده، لأن الاعتكاف هو حبسُ النفسِ في مكان مخصوص ولزوم الشيء والمداومة عليه، قال الله تعالى: ﴿ما هذه التماثيلُ التي أنتمْ لها عاكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢]. وهو من السنن المأثورة عن النبي (ﷺ) وأصحابه، لأن النبي (ﷺ) اعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان، ثم لم يزل على ذلك حتى توفاه الله تعالى[1]، وندب الصحابة إليه فقال «من أراد أن يعتكِفَ فَلْيعتكفِ العَشْرَ الأواخرَ»[2].

فإذا اعتكف ينبغي له أن يتشاغل بفعلِ كل ما يقرِّبهُ إلى الله تعالى من قراءة القرآن والتسبيح والتهليل والتكبير والتفكر، ويجتنب كل ما لا يعنيه من القول والفعل والعمل، ويلزم الصمت في غير ذكر الله تعالى، ويجوز له التدريس وإقراء القرآن، لأن ذلك يتعدَّى نفعهُ إلى غيره، فهو أكثر ثواباً من اشتغالهِ بخاصةِ نفسه، ويجوز له الخروج من معتكفه لما لابد له منه، كالاغتسال من الجنابة، والأكل، والشرب، وقضاء حاجة الإنسان من البول والغائط، وعند الخوف على نفسه من الفتنة والمرض الشديد وغير ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٢٦)، ومسلم (١١٧٢) من حديث عائشة.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ. ولكن أخرج البخاري (٢٠٢٧)، ومسلم (١١٦٧) من حديث أبي سعيد الخدري مطولاً وفيه: «مَنْ كان اعتكف معي فليعتكف العشرَ الأواخر». واللفظ للبخاري.

كتاب الحج

[شرائط الحج]

فإذا كملت في حقه شرائط الحج وجب عليه أداء الحج والعمرة على الفور، وهو أن يكون بعد إسلامه حراً عاقلاً بالغاً مستطيعاً بالزاد والراحلة، وتخلية الطريق من عدوٍّ يمنعه وإمكان المسير إليه وهو اتساع الوقت لأداء الحج، وصحة البدن للاستمساك على الراحلة.

والاستطاعة بالزاد والراحلة إنما يكون بعد تحصيل النفقة لعياله إلى أن يعود إليهم، والمسكن لهم وقضاء الديون إن كانت عليه، وأن يكون له كفاية بعد رجوعه من فضل مالٍ أو أجرة عقار أو بضاعة أو صناعة، فإن خالف وقَصَّرَ بعياله وامتنع من قضاء دينه وخرج إلى الحج كان مأثوماً ظالماً مسخوطاً عليه، لقول النبيّ ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أنْ يُضَيِّعَ مَنْ يقوته»[1] فإن سلم من المخالفة حتى فرغ من الحج والعمرة سقط عنه الفرض.

(فصل)

[مواقيت الحج]

فإذا بلغ الميقات الشرعي، وهو: ذاتُ عِرْق إن كان من أهل المشرق، والجُحْفَة إن كان من أهل المغرب، وذو الحليفة إن كان من أهل المدينة، ويَلَمْلَم إن كان من أهل اليمن، وقَرْن إن كان من أهل نجد.

---

(١) حديث صحيح. أخرجه أبو داود (١٦٩٢)، والنسائي في «عشرة النساء» (٢٩٥)، وانظر تمام تخريجه في «الإحسان» لابن حبان (٤٢٤٠) من حديث عبدالله بن عمرو. =

يغتسل ويتنظف أو يتيمم إن لم يجد الماء، ويتّزر بإزار ويرتدي برداء، ويكونان أبيضين نظيفين، ويتطيب ويصلي ركعتين، ثم يُحْرم وينوي الإحرام بقلبه، ويلبي بالعمرة إن كان متمتعاً وهو الأفضل، أو بالحج المفرد، أو بالحج والعمرة جميعاً.

ويشترط أن يقول: اللهمّ إني أريد العمرة أو الحج أو إياهما جميعاً، فَيَسِّرْ ذلك لي وتقبل مني، وحلّني حيث حبستني، ويلبي.

وصفة التلبية: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لك لا شريك لك ، يرفع بذلك صوته، ويقول ذلك بعد الإحرام، وعقيب الصلوات الخمس، وفي إقبال الليل والنهار، والتقاء الرفقاء، وإذا علا شَرَفاً أو هبط وادياً أو سمع ملبياً، وفي مساجد الحرم وبقاعه، ويصلي على النبيّ ﷺ، ويدعو لنفسه بما أحبّ إذا فرغ من التلبية.

(فصل)

[محظورات الإحرام]

فإذا أحرم لا يغطي رأسه، ولا يلبس المخيط ولا الخفين؛ فإذا فعل ذلك لزمه ذبحُ شاةٍ، إلا أن لا يجد الإزار والنعلين؛ ولا يتطيب في بدنه وثيابه من سائر أنواع الطيب، فإن فعل ذلك متعمداً غسله وذبح شاة؛ ولا يقلم أظفاره ولا يحلق رأسه، فإن قلم ثلاثة أظفار أو حلق ثلاث شعرات من رَأسه أو بدنه فعليه ذبح شاة، فإن كان دون ذلك ففي كل ظفر أو شعرة مدٌّ من طعام.

ولا يعقد النكاح لنفسه ولا لغيره، ويجوز له الارتجاع[1]؛ ولا يباشر الزوجة

= وله طريق أخرى عند مسلم (٩٩٦) بلفظ: «كفى بالمرء إثماً أن يحبسَ عمَّن يملكُ قوتَه».

(١) أي رد زوجته المطلقة.

والأَمَةَ في الفرج ولا دون الفرج؛ فإن فعل ذلك بطل حَجُّهُ إذا كان ذلك قبل رمي جمرة العقبة؛ ولا يستمني، ولا يكرّر النظر، فإن فعل فأمنى فعليه الكفارة وهي ذبح شاة، ولا يقتل الصيد المأكول وما تولَّدَ من مأكول وغير مأكول؛ ولا يأكل ما صِيدَ لأجله أو أشار إليه أو دلَّ عليه أو أعان على ذبحه، مثل أن يمسكه له أو يعيره سكيناً ونحو ذلك، فإن فعل ذلك فعليه الجزاء مثله من النعم.

فإن كان الصيد نعامة فعليه بدنة، وإن كان حمار وحش فعليه بقرة، وإن كان بقرة الوحش وأنواعها فعليه بقرة، وإنْ كان غزالاً أو ثعلباً فعليه عنز، وإن كان ضبعاً فكبش، وإن كان أرنباً فعناق[1]، وإن كان يربوعاً فجفرة[2]، وفي الضبّ جدي، وفي الكبير كبير وفي الصغير صغير، على مثل ما قتل في جميع الصفات، وإن كان ذلك حماماً ـ وكل مطوق حمام ـ ففي كل واحد شاة، فإن لم يكن له مثل فقيمته يُرْجَعُ في معرفة ذلك إلى قول عدلين من المسلمين؛ ويجوز له ذبح الحيوان الإنسيّ وأكله.

ويجوز له قتل كل ما فيه مضرّة كالحية والعقرب والكلب العقور والسبع والنمر والذئب والفهد والفأرة والغراب الأبقع والحدأة والبزاة وأنواعها والزنبور والبق والبراغيث والقراد والأوزاغ والذباب وجميع حشرات الأرض.

ويجوز قتل النمل عند الأذية، وكذلك القمل والصئبان في إحدى الروايتين، والأخرى عليه أن يتصدق بما أمكن ولا يقتل صيد الحرم، فإن قتله كان حكمه كما ذكرنا في صيد الإحرام؛ ولا يقطع أشجار الحرم ولا يقلعها، فإن فعل ذلك ضمن الشجرة الكبيرة ببقرة والصغيرة بشاة؛ وكذلك صيد المدينة وشجرها يحرم عليه، إلا أن جزاءهما سلب ما عليه من الثياب ويكون ذلك حلالاً لمن أخذه.

---

(١) العناق: الأنثى من ولد المعز قبل استكمالها الحول.

(٢) الجفرة: الأنثى من ولد الضأن.

(فصل)

[دخول مكة المكرمة قبل يوم عرفة وما يستحب]

فإن كان في الوقت سعة فأمكنه دخول مكة قبل يوم عرفة بأيام، فالمستحبّ له أن يغتسل غسلاً كاملاً ويدخلها من أعلاها، فإذا بلغ المسجد الحرام دخل من باب بني شيبة، ويرفع يديه عند رؤية البيت ويقول: اللهمّ إنك أنت السلام ومنك السلام، حَيِّنَا ربَّنَا بالسلام، اللهمَّ زِدْ هذا البيتَ تعظيماً وتشريفاً وتكريماً ومهابة وبرّاً، وزد من شرَّفَهُ وعَظَّمه ممن حَجَّهُ أو اعتمره تعظيماً وتشريفاً وتكريماً ومهابة وبراً، الحمد لله رب العالمين والحمد لله كثيراً كما هو أهله وكما ينبغي لكرم وجهه وعزّ جلاله، الحمد لله الذي بَلَّغني بَيْتَهُ ورآني لذلك أهلاً، والحمد لله على كل حال، اللهم إنك دعوتَ إلى حَجِّ بيتك وقد جئناك لذلك، اللهم تقبل مني واعْفُ عني وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت.

يرفع بذلك صوته ثم يطوف للقدوم ويضطبع بردائه، فيكشف كتفه الأيمن ويستر الأيسر، ثم يتقدم إلى الحجر الأسود فيستلمه بيده ويقبله إن أمكنه، وإلا استلمه وقبل يده، فإنْ زُوحِمَ أشار بيده إليه ويقول: بسم الله والله أكبر، اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك واتباعاً لسنة نبيك محمد ﷺ.

ثم يطوف على يمينه، وهو أن يرجع إلى باب البيت فيمضي إلى الحجر الذي فيه ميزابُ البيت مسرعاً، وهو السعي الشديد مع تقارب الخطا، حتى إذا بلغ الركن اليماني استلمه ولم يقبله، فإذا بلغ الحجر الأسود عدّ ذلك شوطاً واحداً، ثم يطوف كذلك ثانياً وثالثاً قائلاً في جميع ذلك: اللهمّ اجعله حجاً مبروراً وسعياً مشكوراً وذنباً مغفوراً.

ثم يخفف مشيه ويقارب خطاه فيمشي على هِينته في الأربعة الباقية

ويقول فيها: ربِّ اغفر وارحم واعفُ عما تعلم وأنت الأعزُّ الأكرم، اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. ويدعو بما أراد من خير الدنيا والآخرة، وينبغي أن يكون ناوياً لذلك طاهراً من الأحداث والأنجاس وساتراً العورة، لأن النبي ﷺ قال: «الطواف بالبيت صلاة، إلا أن الله تعالى أَبَاحَكُمُ فيه النُّطْقَ»[1].

فإذا فرغ من ذلك صلى ركعتين خفيفتين خلف مقام إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، فيقرأ في الأولى بعد الفاتحة ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ وفي الثانية ﴿قل هو الله أحد﴾ ثم يرجع إلى الحجر الأسود فيستلمه، ثم يخرج الى الصفا من بابه، ويرقى عليه إلى حيث يمكنه رؤية الكعبة ثم يكبر ثلاثاً ويقول: الحمد لله على ما هدانا، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله، ولا نعبدُ إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون. ثم ينزل ويلبي ويدعو ثانياً وثالثاً، ثم ينزل ماشياً حتى يكون بينه وبين الميل الأخضر المنتصب عند المسجد ما قدره ستةُ أذرعٍ، ثم يسرع في المشي حتى يبلغ إلى الميلين الأخضرين، ثم يخفف مشيه إلى أن يبلغ المروة فيرقى عليها، فيفعل كما فعل على الصفا، ثم ينزل ويمشي في موضع مشيهِ ويسعى في موضع سعيه إلى أن يصير إلى الصفا، ثم كذلك فيعد سبعاً يبدأ بالصفا ويختم بالمروة، وينبغي أن يكون متطهراً كما ذكرنا في الطواف بالبيت، فإذا فرغ من ذلك حلق أو قَصَّرَ إنْ كان متمتعاً ولم يكن قد ساق هدياً

---

(١) حديث صحيح إن شاء الله تعالى. أخرجه الترمذي (٩٦٠)، والدارمي ٢/٤٤، وابن الجارود (٤٦١)، وابن خزيمة (٢٧٣٩)، وابن عدي ٥/٢٠٠١، والطبراني (١٠٩٥٥)، وابن حبان (٣٨٣٦)، والحاكم ١/٤٥٩، و٢/٢٦٦ ـ ٢٦٧، والبيهقي ٥/٨٥ و٨٧، وأبو نعيم ٧/١٢٨. من حديث ابن عباس

وأخرجه أحمد ٣/٤١٤ و٤/٦٤ و٥/٣٧٧، والنسائي ٥/٢٢٢ من طريق طاووس، عن رجل أدرك النبي ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: «إنما الطوافُ صلاةٌ، فإذا طفتم فأقلوا الكلامَ».

وفعلَ ما يفعلهُ الحلال.

فإذا كان يوم التروية وهو الثامن من ذي الحجة أحرم من مكة للحج، فيأتي منى فيصلي بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء ويبيتُ بها، ثم يصلي الصبح، فإذا طلعت الشمس دفع مع الناس إلى الموقف بعرفة، فاذا زالت الشمس وخطب الإمام خطبة يُعَلِّمُ الناسَ فيها ما ينبغي أن يفعلوه من الوقوف وموضعه ووقته ودفعه من عرفات والصلاة بمزدلفة والمبيت بها، وغير ذلك من رمي الجمار والنحر والحلق والطواف بالبيت، دنا من الإمام فيعي ما يقول، ثم يصلي معه الظهر والعصر يجمع بينهما بإقامةٍ لكل صلاة، ثم يتقدم إلى جبل الرحمة والصخرات بقرب الإمام ويستقبل القبلة فيقف هناك ويجتهد في الدعاء والثناء على الله عزّ وجلّ.

وينبغي أن يكون أكثر ذكره: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حيٌّ لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، اللهمّ اجعل في قلبي نوراً وفي بصري نوراً وفي سمعي نوراً، ويَسِّرْ لي أمري.

فإن فاته الوقوف مع الإمام نهاراً أدركه بعد خروج الإمام من الموقف قبل أن يطلع الفجر الثاني من ليلة النحر، ومَنْ أدركه كذلك فقد أدرك الوقفة وإلا فقد فاته الحج؛ فإذا دفع مع الإمام إلى طريق مزدلفة يكون على التؤدة والسكون والوقار.

فإذا وصل مزدلفة صلى مع الإمام بها المغرب والعشاء جماعة، أو منفرداً إنْ فاته مع الإمام، ثم حطّ رحله فيبيت هناك، ويأخذ منها حصى الجمار أو من حيث تيسر له ذلك، وعدده سبعون حصاة، وقدره أن يكون أكبر من الحمص وأصغر من البندق، ويستحبّ أن يغسله، ثم يصلي الفجر إذا أصبح، ويجتهد أن يغلس بها، ثم يأتي المشعر الحرام فيقف عنده، فيكثر الحمد والثناء عليه والتهليل والتكبير والدعاء؛ والأولى أن يقول في دعائه: اللهم كما

أوقفتنا فيه وأريتنا إياه فوفقنا لذكْرِكَ كما هديتنا، واغفر لنا وارحمنا كما وعدتنا بقولك وقولك الحق ﴿فإذا أَفَضْتُم من عَرَفاتٍ﴾ إلى قوله تعالى ﴿غفور رحيم﴾ [البقرة: ١٩٨ ـ ١٩٩].

فإذا أضاء النهار وأسفر دفع إلى منى وأسرع في وادي محسّر.

فإذا وصل إلى وادي منى رمى جمرة العقبة بسبع حصيات مكبراً في إثر كل حصاة، رافعاً يديه، حتى يُرى بياض إبطيه، كما روي عن النبي ﷺ أنه رمى كذلك[1] وسكت عن التلبية عند أول حصاة يرميها، ويكون رميه هذا بعد طلوع الشمس وقبل الزوال، وفيما بعد من أيام التشريق بعد الزوال، فإذا رمى نحر هدياً إن كان معه، وحلق جميع رأسه أو قصر، وإن كانت امرأة تقصر من شعرها قدر الأنملة، ثم يمضي إلى مكة ويغتسل ويتوضأ، فيطوف طواف الزيارة ويعينه بالنية، ويصلي ركعتين خلف المقام فإذا فرغ سعى بين الصفا والمروة إن أراد، لأن السعي قد سقط عنه بفعله في طواف القدوم، ثم قد حلّ له كل شيء من محظورات الإحرام وصار حلالاً كما كان قبل الإحرام، ثم يتقدم إلى زمزم فيشرب من مائها فيقول عند شربه: بسم الله اللهم اجعله لنا علماً نافعاً ورزقاً واسعاً ورياً وشِبَعاً وشفاءً من كل داء واغسلْ به قلبي واملأه من خشيتك.

ثم يرجع إلى منى فيبيت بها ثلاث ليال، فيرمي الجمرات الثلاث في أيام التشريق على ما ذكرنا بعد الزوال كل يوم بإحدى وعشرين حصاة، كل جمرة سبع حصيات، فيبدأ بالجمرة الأولى وهي أبعد الجمرات من مكة مما يلي مسجد الخيف، فيجعلها عن يساره ويستقبل القبلة، فإذا رماها تقدم عنها يسيراً لئلا يصيبه حصى غيره، فيقف هناك داعياً الله عزّ وجلّ بقدر قراءة سورة البقـرة إن أمكنه ثم يرمي الجمرة الوسطى فيجعلها عن يمينه ويستقبل القبلة فيدعو كالأولى ثم يرمي الجمرة الأخيرة وهي جمرة العقبة ويجعلها عن يمينه،

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٥١) و(١٧٥٢) و(١٧٥٣) من حديث ابن عمر.

وينزل إلى الوادي ويكون مستقبلاً إلى القبلة ولا يقف هناك، ثم يفعل في اليوم الثاني والثالث كذلك.

وإن أحب أن يتعجل ولا يرمي في اليوم الثالث دفن ما بقي معه من بقية الحصى هناك ويخرج قاصداً إلى مكة، فيأتي الأبطح فيصلي هناك الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ثم ينام يسيراً ثم يدخل مكة فيقيم بها أو غيرها من المواضع كالزاهر والأبطح؛ وإذا أراد أن يدخل البيت يكون حافياً، ويصلي فيه نفلاً، ويشرب من ماء زمزم ويرتوي منه، وينوي ما أحبَّ من العلم والمغفرة والرضوان لقوله عليه الصلاة والسلام: «ماء زمزم لما شُربَ له».

ويكثر الاعتماد والنظر إلى الكعبة لما روي في بعض الأخبار أن النظر إليها عبادة[1].

ثم لا يخرج حتى يودّع البيت فيطوف به سبعاً، ثم يقف بين الركن والباب ويدعو فيقول: اللهم هذا بَيْتُكَ وأنا عبدك وابنُ عبدك وابن أمتك، حملتني على ما سخرت لي من خلقك، وسيَّرتني في بلادك حتى بلّغتني بنعمتك، وأعنتني على قضاء نسكي؛ فإن كنتَ رضيتَ عني فازْدَدْ عني رِضا، وإلا فَمُنَّ عليّ الآن قبل تباعدي عن بيتك، هذا أوان انصرافي إن أذنت لي، غير مستبدلٍ بك ولا ببيتك ولا راغبٍ عنك ولا عن بيتك؛ اللهم فاصحبني العافيةَ في بدني والصحةَ في جسمي والعصمة في ديني وأحْسِنْ منقلبي ومثواي، وارزقني طاعتك ما أبقيتني، واجمع لي خير الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير.

وما زاد على ذلك من الدعاء من خير الدنيا والآخرة كان حسناً، ثم يصلي على النبيّ ﷺ ولم يقم بعد ذلك بمكة، فإن أقام أعاد الطواف، وإلا ذبح شاة.

---

(١) حديث ضعيف. أخرجه ابن الجوزي في «العلل» (١٣٨٦) من حديث أبي هريرة بإسنادٍ منكر. ونسبه في «كشف الخفاء» إلى الديلمي من حديث عائشة.

(فصل)

فإن كان في الـوقت ضيق وخاف فَوْتَ الوقفة بعرفات، فإن أحرم من الميقات بدأ بعرفات فوقف هناك، ثم دفع منها بعد غروب الشمس فيفعل ما ذكرناه من البيتوتة بمزدلفة، ثم الرمي بمنى، ثم إذا دخل مكة طاف طوافين، ينوي بالأول منهما القدوم، وبالثاني الزيارة، ثم يسعى بين الصفا والمروة، ثم يحلّ له كل شيء، ثم يعود إلى منى للرمي في الأيام الثلاثة، ثم يتم الأفعال على ما تقدم ذكره.

(فصل)

[العمرة]

وصفة العمرة: أن يحرم بها من الميقات الشرعي الذي تقدم ذكره بعد أن يغتسل ويتطيب ويصلي ركعتين، فيطوف بالبيت سبعاً، ويسعى بين الصفا والمروة ويقصر أو يحلق، ثم يحلّ منها إن لم يكن ساق هدياً، وإن كان بمكة خرج الى التنعيم فيحرم منه فيفعل كذلك.

(فصل)

[مبطلات الحج]

ولا يبطل الحج إلا بالوطء في الفرج أو دون الفرج مع الإنزال.

[أركان الحج وواجباته ومسنوناته]

وأركان الحج أربعة: الإحرام، والوقوف، وطواف الزيارة، والسعي.

وعن الشيخ رحمه الله : إنها ركنان أحدهما: الوقوف بعرفة، والثاني: الطواف بالبيت. والصحيح الأول. فإذا ترك واحداً من هذه الأركان كان حجه ناقصاً وعليه الإتيان به، إما في سنته وإما في العام القابل يأتي به محرماً، ولا يجبره دمٌ بحال.

وأما واجباته فخمسة: وهي المبيت بمزدلفة إلى مابعد نصف الليل، والمبيت بمنى، والرمي، والحلاقة، وطواف الوداع فإن ترك واحداً منها جَبَرَهُ بدمٍ، وهو شاة كما قلنا في ترك الواجبات في صلاة يجبره بسجود السهو.

وأما مسنوناته فخمسة عشر: وهي الاغتسال للإحرام ولدخول مكة وللوقوف بعرفة وللمبيت بمزدلفة ولرمي الجمار أيام منى ولطواف الزيارة ولطواف الوداع، والثاني: طواف القدوم، والثالث: الرمل، والرابع: الاضطباع في الطواف، والسعي، واستلام الركنين، والتقبيل، والارتقاء على الصفا والمروة، والمبيت بمنى ثلاثاً، والوقوف على المشعر الحرام، والوقوف عند الجمرات الثلاث، والخطب والأذكار، وشدّة السعي في مواضعه، والمشي في مواضعه، وركعتا الطواف فإن ترك هذه الأشياء أو واحداً منها كان تاركاً للأفضل ولا شيء عليه.

(فصل)

[أركان العمرة وواجباتها وسننها]

وأما العمرة فأركانها ثلاثة: الإحرام، والطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة. وواجباتها: الحلق فحسب. وسننها الغسل عند الإحرام، والأدعية، والأذكار المشروعة في الطواف، والسعي. وقد بينا الحكم في تركها في الحجّ.

(فصل)

[دخول المدينة المنورة وما يستحب فيها]

فإذا منّ الله تعالى بالعافية وقدم المدينة فالمستحبّ له أن يأتي مسجد النبي ﷺ، فليقل عند دخول المسجد: اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، وافتح لي أبواب رحمتك وكُفَّ عني أبواب عذابك، الحمد لله رب العالمين.

ثم يأتي القبر وليكن بحذائه بينه وبين القبلة، ويجعل جدار القبلة خلف ظهره والقبر أمامه تلقاء وجهه والمنَبر عن يساره، وليقم مما يلي المنبر وليقل: السلامُ عليك أيها النبيّ ورحمة الله وبركاته، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم آت سيدنا محمداً الوسيلةَ والفضيلة والدرجةَ الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته، اللهم صلِّ على روح محمد في الأرواح وعلى جسده في الأجساد، كما بَلَّغَ رسالتكَ وتلا آياتك وصدع بأمرك، وجاهد في سبيلك وأمر بطاعتك ونهى عن معصيتك، وعادى عدوك ووالى وليك وَعَبَدَكَ حتى أتاه اليقين، اللهم إنك قلتَ في كتابك لنبيك ﴿وَلَوْ أنّهم إذْ ظَلَمُوا أنفسَهمْ جاءُوكَ فاسْتَغْفَروا الله واسْتَغْفَرَ لهمُ الرسولُ لَوَجَـدُوا الله توّابـاً رحيمـاً﴾ [النسـاء: ٦٤] وإني أتيتُ نبيَّك تائباً من ذنوبي مستغفراً، فأسألك أن تُوجِبَ لي المغفرة كما أوجبتها لِمَنْ أتاهُ في حال حياتِه، فأقرَّ عنده بذنوبه فدعا له نَبيُّهُ فغفرتَ له، اللهم إني أتوجه إليك بنبيك عليه سلامك نبيّ الرحمة، يا رسول الله إني أتوجه بك إلى ربي ليغفر لي ذنوبي، اللهم إني أسـألـك بحقـه أن تغفر لي وترحمني، اللهم اجعل محمداً أول الشافعين وأنجح السائلين وأكرم الأولين والآخرين، اللهم كما آمنا به ولم نَرَهُ، وصدقناه ولم نَلْقَهُ، فأدخلنا مدخله واحشرنا في زمرته، وأوردنا حوضه واسقنا بكأسه مشرباً روياً صافياً سائغاً هنيئاً لا نظمأ بعده أبدا، غير خزايا ولا ناكثين،

ولا مارقين ولا جاحدين، ولا مرتابين ولا مغضوبٍ عليهم ولا ضالين، واجعلنا من أهل شفاعته.

ثم يتقدم عن يمينه ثم ليقل: السلامُ عليكما ياصاحبي رسولِ الله ﷺ ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا أبا بكر الصديق، السلام عليك يا عمر الفـاروق، اللهم اجزهما عن نبيهما وعن الإسلام خيراً، واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعلْ في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم.

ثم يصلي ركعتين ويجلس.

ويستحبّ أن يصلي بين القبر والمنبر في الروضة، وإن أحبّ أن يتمسح بالمنبر تبركاً به، ويصلي بمسجد قباء، وأن يأتي قبور الشهداء والزيارة لهم فَعَلَ ذلك، وأَكْثَرَ الدعاءَ هناك، ثم إذا أراد الخروج من المدينة أتى مسجد النبيِّ ﷺ وتقدم إلى القبر وسلم على رسول الله ﷺ، وفعل كما فعل أولاً، وودعه وسلم على صاحبيه كذلك ثم قال: اللهم لا تجعل آخر العهد مني بزيارة قبر نبيك، وإذا توفيتني فتوفني على محبته وسنته آمين يا أرحم الراحمين.

كتاب الآداب

(فصل)

[السلام]

الابتداء بالسلام سنةٌ وردُّهُ آكَدُ من ابتدائه، وهو مُخَيَّرٌ في صيغته، إما أن يُدْخِلَ الألفَ واللام فيقول: السلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته، أو يحذفهما فيقول: سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته ولا يزيد على ذلك. وقد رُوي في ذلك حديث، وهو ما روي عن عمران بن الحصين رضي الله تعالى عنهما أنه قال «جاء رجل أعرابيّ إلى النبيّ ﷺ فقال: السلام عليكم، فردّ عليه ثم جلس، فقال النبيّ ﷺ: عشر؛ ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فردّ عليه فجلس، فقال النبي ﷺ:عشرون. ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ فرد عليه فجلس، فقال النبي ﷺ: ثلاثون» أي ثلاثون حسنة[1].

والسنـــة أن يسلم المــاشي على الجــالس، والـراكب على المـاشي والجالس، وسلام الواحد من الجماعة على غيرهم يجزئ، وكذلك ردُّ الواحد من الجماعة يجزئ.

ولا يجوز البداءةُ بالسلام على المشرك بحال، فإن بدأ مشرك ردّ عليه بأن يقول: وعليك. وأما ردّه على المسلم بأن يقول: وعليكُمُ السلام كما قال، وإن زاد إلى قولِهِ وبركاتهُ كان أولى.

---

(١) حديث صحيح. أخرجه أبو داود (٥١٩٥)، والترمذي (٢٦٨٩)، ويشهدُ له حديث أبي هريرة عنـد البخـاري في «الأدب المفرد» (٩٨٩)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٦٨)، وابن حبان (٤٩٣).

وإن قال مسلمٌ لمسلم: سلام، لم يُجِبْهُ ويُعَرِّفه أنه ليس بتحية الإسلام، لأنه ليس بكلام تام، ويستحبّ للنساء السلام بعضهن على بعض.

وأما سلامُ الرجل على المرأة الشابة فمكروه، وإنْ كانت برزة فلا حرج.

وأما السلام على الصبيان فمستحبٌّ، لأن فيه تعليمهم الأدبَ، وكذلك يستحبّ لمن قام من المجلس أن يسلم على أهله، وكذلك يسلم عليهم إذا عاد إليهم، وكذلك إنْ حال بينه وبينهم حائل مثل الباب والحائط، وكذلك إذا سلم على رجل ثم لقيه ثانياً سلَّم عليه.

ولا يسلم على المتلبسين بالمعاصي كمن اجتاز على قوم يلعبون بالشطرنج والنرد ويشربون الخمر ويلعبون بالجوز والقمار، وإنْ سلموا عليه ردَّ عليهم، إلا أن يغلب على ظنه انزجارهم عن معاصيهم بتركه الردّ عليهم فإنه لا يرده.

ولا يهجر المسلم أخاه فوق الثلاث إلا أن يكون من أهل البدع والضلال والمعاصي، فمستحبٌّ استدامة الهجر لهم، وبالسلام يتخلص من إثم الهجر للمسلم.

ويستحبُّ للمسلم المصافحة لأخيه، ولا ينزع يده حتى ينزع الآخر يده إذا كان هو المبتدئ، وإن تعانقا وقبَّلَ أحدهما رأسَ الآخر ويده على وجه التبرُّكِ والتدين جاز، وأما تقبيل الفم فمكروه.

(فصل)

[استحباب القيام للإمام العادل والوالدين وأهل الدين..]

ويستحبّ القيام للإمام العادل والوالدين وأهل الدين والورع وأكرم الناس، وأصل ذلك ما روي «أن رسول الله ﷺ أرسل إلى سعد رضي الله عنه في شأن أهل قريظة، فجاء على حمار أقمر، فقال رسول الله ﷺ: قوموا إلى

سيدكم»[1].

وقد روت عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل على فاطمة رضي الله تعالى عنها قامت إليه فأخذت بيده وقبلته وأجلسته في مجلسها، وإذا دخلت على النبيّ ﷺ قام إليها وأخذ بيدها وقبلها وأجلسها في موضعه[2].

وقد روي عنه ﷺ أنه قال: «إذا جاءكم كريمُ قومٍ فأكرموه»[3] ولأن ذلك يغرس المحبة والودّ في القلوب، فاستحبّ لأهل الخير والصلاح كالمهاداة لهم، ويكره لأهل المعاصي والفجور.

[آداب تشميت العاطس]

ومن الآداب أن يُخَمِّرَ العاطسُ وجهه ويخفض صوته ويحمد الله عز وجل إلى قوله ربّ العالمين رافعاً صوته، لأنه روي في بعض الأخبار عن النبيّ ﷺ أنه قال: «إن العبد إذا قال الحمد لله قال الملك: ربّ العالمين، فإذا قال ربّ العالمين بعد الحمد لله، قال الملك: يَرْحَمُكَ رَبُّكَ»[4].

ولا يلتفت يميناً ولا شمالاً، فإذا قال ذلك استحبَّ لمن سمعه أن يُشَمِّته

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٢١)، ومسلم (١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٢١٧)، والترمذي (٣٨٧٢) من حديث عائشة بإسنادٍ قوي.

(٣) حديث ضعيف. أخرجه الطبراني (٢٢٦٦) و(٢٣٥٨)، وابن عدي ٢/٨٠٤، والخطيب في «تاريخه» ١/١٨٨ من طريقين ضعيفين جدّاً من حديث جرير بن عبدالله.

وفي الباب حديث ابن عمر عند ابن ماجة (٣٧١٢) وإسناده ضعيف، وحديث جابر، وابن عباس، ومعاذ، وأبي قتادة، وأبي هريرة، وأنس، وغيرهم، ولا يصحُّ منها شيءٌ.

(٤) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٢٣) من طريق أبي عوانة، عن عطاء، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس موقوفاً. وعطاء بن السائب: فيه ضعف لاختلاطه.

بأن يقول له: يرحمك الله، ويرد عليه فيقول: يهديكمُ الله ويصلح بالكم. وإنْ قال: يغفر الله لكم جَازَ عن الأول فإنْ زاد العاطس على ثلاث مرات سقط التشميت لأن ذلك ريح وزكام كما جاء في الأثر وهو ما روي عن سلمة بن الاكوع رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال النبي ﷺ: «يُشَمَّتُ العاطسُ ثلاثاً فإن زاد على ذلك فهو مزكوم»[1].

[التثاؤب وما يفعله الإنسان]

وإذا تثاءب غطى فمه بيده أو بكُمِّه، قال ﷺ: «إذا تثاءب أحدكم فليمسك على فمه فإن الشيطان يدخل مع التثاؤب»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تعالى يحبُّ العطاس ويكره التثاؤب فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع ولا يقول هاه هاه فإن ذلك من الشيطان يضحك منه»[3]

ويجوز للرجل تشميتُ المرأة البرزة العجوز ويكره للشابة الخفرة. فأما الصبي فتشميته أن يقال له: بُورِكَ فيكَ أو جزاك الله تعالى أو خيرك الله تعالى.

(فصل)

[خصال الفطرة]

في العشر الخصال التي في الفطرة: خمس منها في الرأس، وخمس في الجسد.

فالتي في الرأس: المضمضة والاستنشاق والسواك وقَصُّ الشارب وإعفاء

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ ابن ماجة (٣٧١٤)، ولفظ الترمذي (٢٧٤٣) أنه قال له في الثالثة: أنت مزكومٌ. وهو عند مسلم (٢٩٩٣)، وأبي داود (٥٠٣٧) بلفظ: أنه سمع النبي ﷺ وعَطَسَ رجلٌ عنده، فقال له: «يرحُمكَ الله»، ثم عطسَ أُخرى، فقال له رسولُ الله ﷺ: «الرجلُ مزكومٌ». وهو حديث حسن.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٥) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٣) أخرجه البخاري (٦٢٢٣). وانظر تمام تخريجه في «الإحسان» (٢٣٥٨).

اللحية.

والتي في الجسد: حلق العانة ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، والاستنجاء بالماء، والختان.

والأصل في قصّ الشارب ما روى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «أَحْفُوا الشارب وأَعْفُوا اللحى»[1] وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: «قصوا الشارب وأعفوا اللحى» وكلا اللفظين واحد، ومعناهما: قَصُّهُ من أصول الشعر بالمقراض واستئصاله به.

وأما حلقه بالموسى فمكروه، لما روى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا مَنْ حلق»[2] ولأن في ذلك مُثْلَةً وذهاباً لماء الوجه وجماله. وفي بقاء أصول الشعر زينة وجمال، وقد روي عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يجزُّون شواربهم.

وأما إعفاء اللحية: فهو توفيرها وتكثيرها، ومنه قوله تعالى ﴿حتى عَفَوْا﴾ أي كثروا وقد روي أن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه كان يقبض على لحيته فما فضل عن قبضته جزَّهُ وكان عمر رضي الله تعالى عنه يقول: خذ ما تحت القبضة.

[فصل]

والأصل في حلق العانة ونتف الإبط وتقليم الأظافر ما روي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال: «وَقَّتَ لنا رسولُ الله ﷺ أربعين ليلة لا

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٩٢)، ومسلم (٢٥٩) واللفظ له، من حديث ابن عمر.
أخرجه أحمد ٢/٢٢٩، وهو بنحو لفظه عند مسلم (٢٦٠).

(٢) أخرج الترمذي (٢٧٦١)، والنسائي ١/١٥ من حديث زيد بن أرقم مرفوعاً: «مَنْ لم يأخُذْ شاربَهُ فليس منّا» وإسنادُه صحيح. وانظر تمام تخريجه في «الإحسان» (٥٤٧٧).

نتجاوزها في قص الشارب وقص الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة»[1].

قال بعض أصحابنا: هذا في حق المسافر، وأما المقيم فلا يستحبّ له أن يزيد ذلك على عشرين يوماً.

واختلفت الرواية عن الإمام أحمد في تصحيح هذا الحديث، فروي عنه إنكاره، وروي عنه الاحتجاج به في التوقيت بهذا المقدار.

فإذا ثبت استحباب ذلك فهو مخير بين التنوير بالنورة وبين حلقه بالموسى؛ فقد روي عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى أنه كان يتنور. وكذلك روى منصور عن حبيب بن أبي ثابت رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه حلق له أبو بكر رضي الله عنه وتولّى عانتَهُ بيدِهِ[2] وروي عن أنس رضي الله تعالى عنه بخلافه فقال: «لم يتنور رسول الله ﷺ قط، وكان إذا كثر عليه الشعر حلقه»[3]، فإذا ثبت هذا فيجوز أن يتولى ذلك غيره إذا لم يحسن هو فيما سوى العانة من الفخذ والساق، فإذا بلغ العانة تولاها هو بنفسه.

والأصل في ذلك ما روي عن أم سلمة رضي الله عنها «أن النبي ﷺ كان إذا بلغ عانته نوَّرها بنفسه»[4] وفي بعض الألفاظ: إذا بلغ مراقه. وأخذ أحمد ابن حنبل رحمه الله بهذا.

قال أبو العباس النسائي: نوّرْنا أبا عبدالله فلما بلغ عانته نوَّرها بنفسه.

فإذا ثبت هذا وأنه يجوز إزالة هذه الشعور من العانة والفخذين والساقين بالنورة، فيجوز أيضا بالموسى، لأنه أحدُّ ما يزال به الشعر من الموضع المندوب

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨) من حديث أنس.

(٢) أخرجه البيهقي ١/١٥٢ وليس فيه ذكر أبي بكر. وهو مرسل ضعيف.

(٣) أخرجه البيهقي ١/١٥٢، والبغوي (٣١٩٩). وذكره ابن حجر في «الفتح» ١٠/٣٤٤ وقال: ولكن سنده ضعيف جدّاً.

(٤) أخرجه البيهقي ١/١٥٢، وابن ماجة (٣٧٥٢) وفي إسناده انقطاعٌ، وأعلَّه البيهقي بالإرسالِ أيضاً. قال ابن حجر في «الفتح» ١٠/٣٤٤: وأنكر أحمد صحتَه.

إزالته، فجاز أن يزال به كالنورة. ويؤيد هذا القياس حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: «لم يتنوّر رسول الله ﷺ قط، وكان إذا كثر عليه الشعر حلقه»[1].

ولا يقال إن الحلق والتنوير إنما وردا في العانة خاصة لما تقدم من حديث أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: «إن النبيّ ﷺ كان إذا بلغ عانته نوّرها بنفسه»[2]. فدل على أنه كان يولي غيرِ العانة في إزالة الشعر لغيره، وليس ذلك إلا الفخذ والساق، وإنْ ذُكِرَ في ذلك حديثٌ في المنع، فهو محمولٌ على مَنْ أراد بذلك التزين لرغبةِ الرجالِ فيه من العلوق والمتشبهين بالنساء من المخانيث وغيرهم، والله تعالى أعلم بالصواب.

(فصل)

ويكره نتف الشيب لما روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله تعالى عنهم قال: «إن النبيّ ﷺ نهى عن نتف الشيب، وقال: إنه نور الإسلام»[3].

وفي لفظ آخر قال: قال رسول الله ﷺ «لاتنتفوا الشيب، ما من مسلم ألبس شيبة في الإسلام إلا كانت له نوراً يوم القيامة»[4].

وفي حديث يحيى: «إلا كتب الله تعالى له بها حسنة وحط عنه

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٢٠٢)، والترمذي (٢٨٢١)، والنسائي ١٣٦/٨، وابن ماجة (٣٧٢١)، وأحمد ١٧٩/٢ و٢٠٧ و٢١٠، والبيهقي ٣١١/٧، والبغوي (٣١٨١). وهو حديث حسن كما قال الترمذي. يشهدُ له حديث أبي هريرة عند ابن حبان (٢٩٨٥) وإسنادهُ حسن.

(٤) حسن. انظر التعليق السابق.

خطيئة»[1].

فقد روي في بعض التفاسير في قوله عز وجل: ﴿وجاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧] أنه هو الشيب، فكيف يجوز إزالةُ النذير بالموت والمُذَكِّر به، والناهي عن الشهوات واللذات والكافِّ عنها، المحثّ على التأهب والتجهيز للآخرة وعمارة دار البقاء، ومع ذلك يكون مقاوماً للقدر كارهاً لفعل الله تعالى به وغير راضٍ بقضائه عزّ وجلّ، مؤثراً للشباب والطراوة والبقاء على حداثة السنّ، زاهداً في الوقار والحرمة والتقمص بنور الإسلام وخِلْقةِ إبراهيم خليل الرحمن، لأنه روي في بعض الكتب: إن أوّل مَنْ شاب في الإسلام إبراهيم النبي ﷺ[2]. وروي عن النبيّ ﷺ أنه قال: «إن الله يستحي من ذي الشيبة»[3] يعني من عذابه.

(فصل)

ويستحب تقليم الأظفار يوم الجمعة، ويكون مخالفاً بينها في الترتيب، لما روي عن النبيّ ﷺ: «من قصّ أظفاره مخالفاً، لم ير في عينيه رمد»[4] وفي

---

(١) لفظ أبي داود (٤٢٠٢). انظر التعليق السابق.

(٢) خبر لا يصحُّ. أخرجه الحاكم ٢/ ٥٥٠ من حديث أبي أمامة موقوفاً بلفظ: «كانَ أولَ من شاب واختتن» في حديث طويل. وفي إسناده علي بن يزيد الألهاني أبو عبدالملك، وهو ضعيف جدّاً. وانظر تمام الروايات عن أبي هريرة وغيره موقوفاً عند السيوطي في «الدر المنثور» ١/ ١١٥ - ١١٦.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢٣)، والطبراني في «الأوسط» كما في «المجمع» ١٠/ ١٤٩ من حديث أنس بإسناد ضعيف.

(٤) حديث موضوع. قال صاحب «كشف الخفاء» ٢/ ٢٧١: هو في كلام غير واحد كالشيخ عبدالقادر في «غنيته»، وكابن قدامة في «مغنيته» قال في «المقاصد»: ولم أجده، لكن كان الحافظ الدمياطي ينقل ذلك عن بعض مشايخه. وانظر «الأسرار المرفوعة» ص ٣٤١.

حديث حميد بن عبدالرحمن عن أبيه: «من قص أظفاره يوم الجمعة دخل فيه شفاء وخرج منه داء»[١].

وقد روي: هذه الفضيلة والاستحباب في ذلك يوم الخميس بعد العصر.

ومعنى المخالفة أن يبدأ بالخنصر من اليمنى ثم بالوسطى ثم بالإبهام ثم بالبنصر ثم بالسبابة، ومن اليسرى أن يبدأ بالإبهام ثم الوسطى ثم الخنصر ثم السبابة ثم البنصر، هكذا فسره عبدالله بن بطة عن أصحابنا رحمه الله.

وروى وكيع عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا عائشة إذا أنت قَلَّمْتِ أظافرك فابدئي بالوسطى ثم الخنصر ثم الإبهام ثم البنصر ثم السبابة، فإن ذلك يورث الغنى»[٢].

وينبغي أن يكون التقليم بالمقص أو السكين، ويكره ذلك بالأسنان، وإذا قلم أظفاره يستحب له غسل البراجم ودفن الأظفار في التراب، وكذلك الشعور من الرأس والبدن والدم من الحجامة والفصد، لما روي عن النبيّ ﷺ: «انه أمر بدفن الدم والشعر والظفر»[٣].

---

(١) حديث ضعيف جدّاً. أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٧٨٨) من حديث ابن مسعود مرفوعاً، وفيه متروك.

وأخرجه ابن أبي شيبة ٢/١٥٩ من قول حميد بن عبدالرحمن.

(٢) قال الغزالي في «الإحياء» ١/١٨٨: ولم أرَ في الكتب خبراً مروياً في ترتيب قلم الأظفار، ولكن سمعت أنه ﷺ بدأ بمسبحته اليُمنى، وخَتَم بإبهامه اليُمنى، وابتدأ في اليُسرى بالخنصر إلى الإبهام. ولمَّا تأملتُ في هذا خَطَر لي من المعنى ما يَدُلُّ على أنَّ الرواية فيه صحيحة.

وتعقبه العراقي في تخريجه بقوله: لم أجد له أصلاً، وقد أنكره أبو عبدالله المازري في الردّ على الغزالي وشنع عليه به.

وقال صاحب «المقاصد»: لم يثبت في كيفيته ولا في تعيين يوم له عن النبي ﷺ شيءٌ، وما يُعزى من النظم في ذلك لعلي رضي الله عنه، ثم لشيخنا رحمه الله فباطل عنهما وانظر «كشف الخفاء» ٢/٩٦.

(٣) لا يصحُّ فيه شيءٌ. وانظر «مجمع الزوائد» ٥/٩٤ و١٦٨.

(فصل)

وأما حلق الرأس في غير الحجّ والعمرة والضرورة فمكروه في إحدى الروايتين عن الإمام أحمد رضي الله عنه لما روي في حديث أبي موسى وعبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس منا من حلق»[1].

وروى الدارقطني في الأفراد عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال «لاتوضع النواصي إلا في حجّ أو عمرة»[2].

ولأن النبي ﷺ ذمّ الخوارج وجعل سيماهم حلق الرؤوس[3]، ولأن عمر رضي الله عنه قال لصبيغ: لو وجدتك محلوقاً لضربت الذي فيه عيناك.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: الذي يحلق في المصر خليق بالشيطان، ولأن في ذلك تشبهاً بالأعاجم، وقد قال رسول الله ﷺ: «من تشبه بقومٍ فهو منهم»[4]، وإنْ ثبت كراهية ما ذكرنا جعل مكانه أخذ الشعر بالجلم

---

(١) أخرجه النسائي ٤/٢٠، وابن حبان (٣١٥١) من حديث أبي موسى الأشعري. وهو عند مسلم (١٠٤) بلفظ: «أنا بريءٌ ممَّن حَلَقَ». وعلَّقه البخاري (١٢٩٦) بلفظ: «من الحالقة». ووصلَه مسلم.

(٢) حديث ضعيف. أخرجه العقيلي ٤/٧٠، وابن عدي ٦/٢٢١٤ من حديث جابر. وقال الهيثمي في «المجمع» ٣/٢٦١: رواه البزار والطبراني في «الأوسط»، وفيه محمد بن سليمان بن مشمول، وهو ضعيف بهذا الحديث وغيره.

(٣) أخرجه مسلم (١٠٦٨) (١٦٠) من حديث سهل بن حُنيف.

(٤) حديث ضعيف. أخرجه أحمد ٢/٥٠ و٩٢، وابن أبي شيبة ٥/٣١٣، وأبو داود (٤٠٣١) منْ طرق عن عبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان، حدثنا حسَّان بن عطية، عن أبي منيب الجُرشي، عن ابن عمر مرفوعاً. وهذا إسناد ضعيف. عبدالرحمن بن ثابت: ضعيف. وأبو المنيب لم يوثقه غير ابن حبان والعجلي، وعنده تساهُلٌ معروف. =

وهو المقصّ كما كان يفعل أحمد بن حنبل رضي الله عنه، وإن شاء استقصى في ذلك فيقصه من أصله، وإن شاء أخذ أطراف الشعر.

والرواية الأخرى لا يكره ذلك لما روى أبو داود بإسناده عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: «إن النبيّ ﷺ أرسل إلى آل جعفر بلالاً أن يأتيهم ثم أتاهم فقال: لاتبكوا على أخي بعد اليوم، ثم قال ﷺ: ادعوا إليَّ بني أخي، فجيء بنا كأنا أفرخ، فقال ﷺ: ادعوا إليَّ الحلاق، فأمره فحلق رؤوسنا»[1].

وقد روي أن النبي ﷺ حلق رأسه في آخر عمره بعد أن كان شعره يضرب منكبيه.

وفي حديث علي رضي الله عنه: «كان شعر رسول الله ﷺ إلى شحمتي

= وأخرجه الطحاوي في «المشكل» (٢٣١) من طريق الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي، عن حسَّان بن عطية، عن أبي منيب الجُرشي، عن ابن عمر. وهذا ضعيف أيضاً، الوليدُ بن مسلم يُدلس تدليس التسوية، ولا يقوي سابقه.

وخالفَه صدقة، فقال: عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة عند الهروي كما نقل الألباني الفاضل في «الإرداء» (١٢٦٩). وصدقةُ: ضعيف، وقال أحمد: منكر ضعيف جدّاً، وقال الدارقطني: ضعيف.

وخالفهما عيسى بن يونس، فقال: عن الأوزاعي، عن سعيد، عن طاووس مرسلاً عند ابن أبي شيبة ٣٢٢/٥. وهو فوقَ إرساله، فإنَّ سعيداً ـ وهو ابن جبلة ـ ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ١٠/٤، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

وعلى ما تقدم يتبين أنَّ مدار الحديث على عبدالرحمن بن ثابت أولاً، ثم أبي المنيب، ثم اختُلف فيه على الأوزاعي. ورواية عيسى بن يونس أشبه بالصواب، وفي كل ضعف، وليس هنا مجالٌ أن نقول: طرقٌ يقوي بعضُها بعضاً، بل إنها تُعَلُّ ببعضِها، والشواهدُ المذكورة للحديث أشدُّ ضعفاً، وعليه فالحديث ضعيف.

(١) أخرجه أبو داود (٤١٩٢)، والنسائي ١٨٢/٨ من حديث عبدالله بن جعفر. وإسنادُه جَيِّد.

أذنيه»[1]: ولأن الناس عصراً بعد عصر يحلقون ولم يظهر عليهم نكير، ولأن في ذلك مشقةً وحرجاً عفي عنه، كما عفي عن سؤر الهرّة وحشرات الأرض.

(فصل)

ويكره القزع، وهو أن يحلق بعض الشعر ويترك بعضه، لما روي عن النبيّ ﷺ أنه نهى عن القزع[2].

وأما حلق القفا فمكروه إلا في الحجامة خاصة، لأن النبيّ ﷺ نهى عن حلق القفا إلا في الحجامة، لأنه من فعل المجوس[3]. وكان أبو عبدالله أحمد يحلقه في الحجامة، ولأن ذلك حال الضرورة.

وأما اتخاذ الجمة وفرق الشعر فسنة مأثورة روي أن النبي ﷺ فَرَق[4] وأمر أصحابه رضي الله عنهم بالفرق. وقد روي ذلك عن بضعة عشر من أصحاب النبيّ ﷺ منهم أبو عبيدة وعمار وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم.

(فصل)

ويكره التحذيف للرجال، وهو إرسال الشعر الذي بين العذار والنزعتين الذي هو عادة العلويين، ولا يكره ذلك للنساء لما روى أبو بكر الخلال من

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٥١)..، ومسلم (٢٣٣٧) من حديث البراء.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٢١)، ومسلم (٢١٢٠) من حديث ابن عمر.

(٣) أخرجه الطبراني في «الصغير» ١/ ٩٤ ـ ٩٥ من حديث عمر بن الخطاب، وفي إسناده سعيد بن بشير الأزدي، وهو ضعيف. وزاد في «المجمع» ٥/ ١٦٩ نسبته إلى الطبراني في «الأوسط».

(٤) في فَرْقِ النبي ﷺ رأسَه أحاديث منها حديث ابن عباس عند البخاري (٥٩١٧)، ومسلم (٢٣٣٦)

أصحابنا بإسناده عن علي كرّم الله تعالى وجهه أنه كرهه. وعن الوليد بن مسلم أنه قال: أدركت الناس وما هو من زيِّهم.

وأما أخذ الشعر من الوجه بالمنقاش فمكروه للرجال والنساء، لأن النبيّ ﷺ لعن المتنمصات[1]، وهو أخذ الشعر من الوجه بالمنقاش، ذكره أبو عبيدة.

وأما المرأة فيكره لها حفُّ جبينها بالزجاج والموسى والشعر الخارج عن وجهها لما تقدم من النهي عن ذلك.

وقيل: يجوز لها ذلك لزوجها خاصة إذا طلب منها ذلك وخافت إن لم تفعله أعرض عنها وتزوّج بغيرها فأدّى إلى الفساد والمضرّة بها، فجوَّزَ لها ذلك لما فيه من المصلحة، كما جوّز لها التزيُّن بألوان الثياب والتطيب بأنواع الطيب والتشوق له والملاعبة والممازحة معه، فعلى هذا يُحْمَلُ لعنُ النبيّ ﷺ المتنمصات على اللواتي أردن بذلك غيرَ أزواجهن للفجور بهنّ والميلِ إليهن وترويج أنفسهن للزنا. والله أعلم.

(فصل)

ويكره الخضاب بالسواد لما روى الحسن رضي الله عنه «أن النبيّ ﷺ قال في قوم يغيرون البياض بالسواد: يسوّد الله تعالى وجوههم يوم القيامة»[2].

وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال فيهم:

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٢١) (٥٩٣٩)، ومسلم (٢١٢٥) من حديث ابن مسعود. وانظر «الإحسان» (٥٥٠٥).

(٢) أخرجه ابن عدي ١٠٧٧/٣، والطبراني فيما ذكر الهيثمي في «المجمع» ١٦٣/٥ من حديث أبي الدرداء. وقال أبو حاتم كما في «علل ابنه» ٢٩٩/٢: هو حديث موضوع. وقال ابن حجر في «الفتح» ٣٥٥/١٠: وسنده لين.

«لا يريحون رائحة الجنة»[1].

وأما الأخبار التي رويت في الخضاب بالسواد من أن النبيّ ﷺ قال: «اختضبوا بالسواد فإنه آنس للزوجة ومكيدة للعدو»[2]، فمحمول لأجل الحرب، وذكر الزوجة فيه تبعاً لا قصداً.

(فصل)

فإذا ثبت كراهية السواد فالمستحبّ أن يخضب الرأس بالحناء والكتم، وقد خضب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله رأسه وله ثلاث وثلاثون سنة، فقال له عمه: عجلت، فقال له: هذه سنة رسول الله ﷺ. وروي عن أبي ذرّ رضي الله تعالى عنه أنه قال: خير ما غُيِّرَ به الشيبُ الحناءُ والكتم[3].

وأما خضاب رسول الله ﷺ فاختلف الناس في ذلك، فروي عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه قال: «إن النبيّ ﷺ ما شاب إلا يسيراً، ولكن أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما خضبا بعده بالحناء والكتم»[4].

وروي أن أمّ سلمة رضي الله تعالى عنها: «أخرجت للناس شعر رسول الله ﷺ مخضوباً بالحناء والكتم»[5] فدلّ حديثها على إثبات خضابه ﷺ بذلك.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢١٢)، والنسائي ١٣٨/٨ من حديث ابن عباس بإسناد قوي. وجَعَلَه ابن الجوزي في «موضوعاته» ٥٥/٣ ظنّاً منه أن عبدالكريم ـ في الإسناد ـ هو ابن أبي المخارق، وإنما هو الجزري، وهو ثقة.

(٢) أخرجه ابن ماجة (٣٦٢٥) من حديث صهيب الخير بإسنادٍ ضعيف.

(٣) سيأتي تخريجه مرفوعاً من حديث أبي ذر.

(٤) أخرجه البخاري (٥٨٩٤)، ومسلم (٢٣٤١) واللفظ له، من حديث أنس.

(٥) أخرجه ابن ماجة (٣٦٢٣). وهو عند البخاري (٥٨٩٦) و(٥٨٩٧) و(٥٨٩٨) دون قوله: «بالحناء والكتم».

وأمـا الخضـاب بالورس والزعفران فظاهر كلام الإمام أحمد رضي الله تعالى عنه فيه الجواز، لما روي عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه رضي الله عنه أنه قال: «كان خضابنا لرسول ﷺ بالورس والزعفران»[1] فإذا ثبت هذا في شعـر الـرأس، فمثله في اللحية لعمـوم قوله ﷺ: «غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود»[2] وقوله ﷺ في حديث أبي ذر رضي الله عنه: «خير ما غير به الشيب الحناء والكتم»[3].

وهو عام في شعر الرأس واللحية، وأيضا ما روي أن أبا بكر رضي الله عنه جاء بأبيه أبي قحافة رضي الله عنه يوم فتح مكة إلى النبيّ ﷺ فقال النبي ﷺ: «لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه تكرمة لأبي بكر، فأسلم ورأسه ولحيته كالثغامة البيضاء، فقال رسول الله ﷺ: غيروهما وجَنِّبوه عن السواد»[4] وهذا نصّ في كون اللحية كالرأس وفي المنع عن السواد. وقال أبو عبيد: الثغامة: نبت أبيض الزهر والثمر يشبه بياض الشيب به. وقال ابن الأعرابي: هي شجرة تبيض كأنها الثلج.

---

(١) أخرجه أحمد ٣/٤٧٢ بإسنادٍ صحيح.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ: أحمد ٢/٢٦١ و ٤٩٩، وابن حبان (٥٤٧٣) من حديث أبي هريرة بإسنادٍ حسن

(٣) حديث حسنٌ إن شاء الله بطرقه. أخرجه أبو داود (٤٢٠٥)، والترمذي (١٧٥٣)، والنسـائي ٨/١٣٩، وابن ماجة (٣٦٢٢)، وأحمـد ٥/١٤٧ و١٥٠ و١٥٤ و١٥٦ و١٦٩، وابن حبان (٥٤٧٤).

(٤) أخرجـه أبـو يعلى (٢٨٣١)، وابن حبـان (٥٤٧٢)، وأحمـد ٣/١٦٠، والبـزار (٢٩٨١)، والحـاكم ٣/٢٤٤ من حديث أنس وظاهرُ إسناده الصحة. ويشهَدُ له حديث جابر عند مسلم (٢١٠٢) وفي إسنادِه عنعنة أبي الزبير.

(فصل)

ويستحبّ أن يكتحل وتراً لما روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أنه كان يكتحل وترا»[1].

واختلف الناس في صفة الوتر في ذلك، فروي في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ: كان يكتحل ثلاثاً في اليمنى وميلين في اليسرى[2]، وروي في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في كل عين ثلاثاً[3].

---

(١) حديثٌ فيه ضعف. أخرجه البزار (٢٩٨٢) عن أنس، وفي إسنادِه الوضاح بن يحيى النهشلي. قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاجُ به لسوءِ حفظه.

وأخرجه أحمد ٢/٣٥١ و٣٥٦ من حديث أبي هريرة، وأحمد ٤/١٥٦ والطبراني ١٧/(٩٣٢) و(٩٣٣) و(٩٣٤) من حديث عقبة بن عامر الجهني وفي كليهما ابن لهيعة، وهو سيئ الحفظ، وإن روى عنه أحدُ العبادلة.

وأخرجه أحمد ١/٣٥٤ والترمذي (١٧٥٧)، وابن ماجة (٣٤٩٩) من حديث ابن عباس بإسنادٍ ضعيف جدّاً. ولفظه: كانت لرسولِ الله ﷺ مُكحلة يكتحل بها عند النوم ثلاثاً في كل عين.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في «أخلاق النبي» ص ١٤٧ من طريق عثمان بن عمر، حدثنا عبدالحميد بن جعفر، عن عمران بن أبي أنس، عن أنس مرفوعاً. ولكن جاء في المطبوع منه: «وفي اليُسرى ثلاثاً بالإثمد».

وهذا الإسناد لا يصحُّ.

بل الصواب ما أخرج ابن سعد في «الطبقات» ١/٤٨٤ من طريق الفضل بن دكين ومحمد بن ربيعة الكلابي قالا: أخبرنا عبدالحميد بن جعفر، عن عمران بن أبي أنس مرسلاً بلفظ: «واليُسرى مرتين». وهذا الإسناد ضعيف لإرساله. وعمران ابن أبي أنس لايُعرف بالرواية عن أنس.

وأخرج الطبراني في «الكبير» (١٣٣٥٣) من حديث ابن عمر أن رسولَ الله ﷺ كان إذا اكتحل جعلَ في العين اليُمنى ثلاثاً وفي اليُسرى مرودين، فجعلها وتراً. وفي إسناده ضعيفان: عقبة بن علي، وعبدالله بن عمر.

(٣) حديث ضعيف جدّاً. تقدم تخريجه.

(فصل)

ويدهن غباً، وهو أن يفعل ذلك يوماً ويترك يوماً، لما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ: «نهى عن أن يترجل الرجل إلا غبّاً»[1] والفضيلة في ذلك أن يكون بدهن البنفسج على سائر الأدهان لما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: «إن فضل دهن البنفسج على سائر الأدهان كفضلي على سائر الناس»[2].

(فصل)

ويستحب أن لا يخلي الإنسانُ نفسه سفراً وحضراً عن سبعة أشياء بعد تقـوى الله تعالى والثقة به، وهي التنظيف، والتزيين، والمكحلة، والمشط، والسواك، والمقص والمدراء: وهي خشبة مدورة الرأس أوفى من شبر يتخذها العرب والصوفية يدرؤون بها عن أنفسهم الأذى كالقمل وغيرها، ويحكّون بها

---

(١) أخرجه أبو داود (٤١٥٩)، والترمذي (١٧٥٦)، والنسائي ١٣٢/٨، وأحمد ٨٦/٤، وابن حبـان (٥٤٨٤) من طريق هشام بن حسان، عن الحسن، عن عبدالله بن المُغَفَّل. وهم ثقات، إلاَّ أنَّ الحسن مدلِّس وقد عنعن، ورواية هشام بن حسَّان عن الحسن فيها ضعف.

وأصحُّ منه ما أخرج النسائي ١٣٢/٨ من طريق حماد بن سلمة، عن قتادة، عن الحسن مرسلاً.

وفي الباب أحاديث عن بعض الصحابة عند أبي داود (٢٨) و(٤١٦٠)، والنسائي ١٣١/٨ و١٣٢ و١٥٨ فالحديث بها يصحُّ إن شاء الله. وانظر «الإحسان» (٥٤٨٤).

(٢) حديث موضوع. أخرجه ابن الجوزي في «موضوعاته» ٣٠٠/٢ و٦٥/٣ و٦٦ من حديث علي وأبي سعيد، وأنس. وقد نبه على وضعه أيضاً ابن القيم في «الطب النبوي» ص ٢٣٧ **بتحقيقنا**

الجسد، ويقتلون الدبيب حتى لا يباشروا كل شيء بأيديهم، والسابع قارورة الدهن، لأنه روي في حديث عائشة رضي الله عنها: «أن النبيّ ﷺ ما كان يفوته ذلك حضراً وسفراً»[1].

(فصل فيما يكره من الخصال)

يُكْره الصفيرُ والتصفيق وفرقعة الأصابع في الصلاة، ويكره تخريق الثياب في حقّ المتواجد عند السماع، ولا يعارض في ذلك الواجد، ويكره الأكل على الطريق، ومدّ الرجل بين جلسائه، والاتّكاء الذي يخرج به عن مستوى الجلوس، لأنه تَجَبُّرٌ وهوانٌ بالجلساء إلا من العذر، ويكره إطالةُ الثيابِ، ويكره مضغ العلك لأنه دناءة، ويكره التشدّق بالضحك والقهقهة ورفع الصوت في غير حاجة، وينبغي أن يكون مشيه معتدلاً لا يسارع إلى حدّ يصدم الماشي ويتعب نفسه، ولا يخطر بحيث يورثه العُجْبَ؛ ويُكره في البكاء النحيبُ والتعداد إلا أن يكون من خوف الله تعالى أو الندم على ما فات من أوقاته ببطالاته، أو انكسار قلبه عند عدم بلوغه إلى درجة لحظها فيبكي حسرة عليها.

ويكره إزالة درنه بحضرة الناس، ويكره الكلام في المواضع المستقذرة كالحمام والخلاء وما أشبه ذلك، وكذلك لا يسلم ولا يرد على مسلم، ويكره كشف رأسه بين الناس. وما ليس بعورة مما جرت العادة بستره ويحرم كشف العورة، ويكره أن يقسم بأبيه أو بغير الله في الجملة، فإن حلف حلف بالله وإلا فليصمت، كذلك جاء في الأثر عن النبيّ ﷺ[2].

---

(١) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» بإسنادٍ ضعيف. ذكره ابن حجر في «الفتح» ٣٦٧/١٠.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٤٦)، ومسلم (١٦٤٦) من حديث ابن عمر.

(فصل: في الاستئذان)

ينبغي له إذا قصد باب إنسان أن يسلم فيقول: السلام عليكم أأدخلُ؟ لما روي «أنَّ رجلاً من بني عامر استأذن على رسول الله ﷺ وهو في بيت فقال: أألِجُ؟ فقال النبيّ ﷺ لخادمه: اخرجْ إلى هذا وعلِّمه الاستئذان، فقال له قل: السلامُ عليكم أأدخل؟ فسمعه الرجل، فقال: السلام عليكم أأدخل؟ فأذِنَ له فدخل»[1].

ويدير ظهره إلى الباب ولا يبعد، لأنه يمنعه من سماع الجواب يفعل كذلك ثلاثا، فإنْ أجيبَ فَبِهَا وإلا انصرفَ، إلا أنْ يغلب على ظنه أنه لم يسمع نداءه لما بينهما من بعد أو شغل، كان له أن يزيد على الثلاث.

والأصل في ذلك ما روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: «الاستئذانُ ثلاث، فإن أذن لك فادخل وإلا فارجع»[2].

وسواء في ذلك الأجانب والأقارب المحرمات كالأم وما شاكلها، لأن النبيّ ﷺ لما سأله رجل: «هل عليّ أن استأذن على أمي؟ قال نعم، قال: إني معها في البيت، قال ﷺ: استأذن عليها، قال: إني خادمها، قال: استأذن عليها، أتحبّ أن تراها عريانة؟»[3].

فأما زوجته وأَمَته الجائز له وطؤها فليس عليه الاستئذان في حقهما، لأن أكثر ما في ذلك أنْ تُصادَفَ منكشفةً أو منبسطة وقد أُبيحَ له النظرُ إلى أبدانهن، ولكن يستحب له أن يُحرِّكَ نعله أولا إذا دخل المنزل ليعلم دخوله، نصّ على

---

(١) أخرجه أبو داود (٥١٧٧)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣١٦) بإسنادٍ صحيح من حديث رجل من بني عامر.

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٤٥)، ومسلم (٢١٥٣).

(٣) أخرجه مالك ٢/٩٦٣، ومن طريقه البيهقي ٧/٩٧ من حديث عطاء بن يسار مرسلاً.

ذلك الإمام أحمد في رواية مهنا عنه ثم إذا دخل يسلمُ على أهله لِيَكْثُرَ خيرُ بيته، كما جاء في الأثر، ونستوفي ذلك في باب دخول المنزل إن شاء الله تعالى.

ولا يطرقُ أهله ليلاً لنهي النبيّ ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً[1]، وقد فعل ذلك رجلان فوجدا عند أهلهما ما يكرهان.

فإذا أُذِنَ له في دارِ غيرهِ فدخل جلس حيثُ يأذنُ له صاحب الدار، وإن كان من أهل الذمة.

وإنْ فاجأ قوماً وهم على طعامهم فلا يأكل إلا أنْ يكون صاحبُ الطعام ممن جرت عادتهُ بالسماحة وطيب القلب بذلك.

(فصل: فيما يستحب فعله بيمينه وما يستحب فعله بشماله)

يستحبُّ له تناول الأشياء بيمينه والأكل والشرب والمصافحة والبداءة بها في الوضوء والانتعال ولبس الثياب، وكذلك يبدأ في الدخول إلى المواضع المباركة كالمساجد والمشاهد والمنازل والدور برجله اليمنى.

وأما الشمال فلفعل الأشياء المستقذرة وإزالة الدرن كالاستنثار والاستنجاء وتنقية الأنف وغسل النجاسات كلها، إلا أن يشق عليه ذلك أو يتعذّر، كالمشلول والمقطوع يساره فيفعلها بيمينه ولا يمشي في نعلٍ واحدة إلا أن يكون ذلك يسيراً بمقدارِ ما يصلح الأخرى إذا انقطع شِسْعها.

وإذا أراد أن يناول إنساناً توقيعاً أو كتاباً فليقبضه بيمينه.

وإذا مشى مع مَنْ هو أعلى منه في المنزلة والفضل **فليمش** عن يمينه يجعله كإمامه في الصلاة، وإن كان دونه في المنزلة يجعله عن يمينه ويمشي

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٤٣)، ومسلم ص ١٥٢٨ (١٨٤) و(١٨٥) من حديث جابر.

عن يساره. وقد قيل: المستحبُّ المشيُ على اليمين في الجملة لتخلي اليسار للبزاق وغيره.

(فصل: في آداب الأكل والشرب)

ويستحبّ للآكل أن يسمي الله تعالى عند أكلهِ ويحمده عند فراغه، وكذلك عند الشرب، لأن ذلك أبركُ لطعامه وأبعد لشيطانه، لما روي أنَّ أصحابَ النبيّ ﷺ قالوا: «يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع، قال رسول الله ﷺ: فلعلكم تفترقون؟ قالوا: نعم، قال ﷺ: فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله تعالى يُبَارك لكم فيه»[1].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنه سمع النبيّ ﷺ يقول: «إذا دخل الرجلُ بيته فذكر اسمَ الله عزّ وجلّ عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لأولاده: لا مبيتَ لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر اسم الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، فإذا لم يذكر اسم الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء»[2].

وعن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: «كنا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ طعاماً لم يضع أحدنا يده حتى يبدأ رسولُ الله ﷺ، وإنا حضرنا معه طعاماً فجاء أعرابيّ كأنما يدفع، فذهب ليضع يده في الطعام، فأخذ رسول الله ﷺ بيده، فجاءت جارية كأنما تدفع، فذهبت لتضع يدها في الطعام، فأخذ رسول الله ﷺ بيدها وقال: إن الشيطان يستحل الطعام الذي لم يذكر اسم الله عليه، وإنه جاء بهذا الأعرابي يستحلّ به فأخذتُ بيده، وجاء بهذه الجارية يستحلّ بها فأخذت بيدها، فوالذي نفسي بيده إن يده في يدي مع أيديهما»[3].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٧٦٤) من حديث وحشي بن حرب. وله شواهد.

(٢) أخرجه مسلم (٢٠١٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠١٧).

وإنْ نسي أن يذكر اسم الله تعالى عند أوله فليقل: بسم الله أوله وآخره، وهكذا روي في حديث عائشة رضي الله عنها عن النبيّ ﷺ[1].

ويستحب أن يبدأ بالملح ويختم به، ويتناول اللقمة بيمينه ويصغرها ويجيد مضغها ويطيل بلعها، ويأكل مما يليه إذا كان نوعاً واحداً، وإن كان أنواعاً فلا بأس أن يجيل يده في القصعة، وكذلك إذا كان ثماراً أو فاكهة، ولا يأكل من ذروة الطعام ووسطه بل يأكل من جوانبه، وإذا كان ثريداً أكل بثلاث أصابع ولعقها، ولا ينفخ في الطعام ولا الشراب ولا يتنفس في إنائه، وإذا ضاق نَفَسُه نَحّى القدح عن فِيْهِ، فإذا تنفَّسَ أعاده إليه.

ويكره الاتّكاء في الأكل والشرب، ويجوز الأكل والشرب قائماً، وقيل يكره، والجلوسُ أحبّ، وإذا دفع الإناءَ إلى أحدٍ من جلسائه بدأ بمن عن يمينه.

ولا يجوز الأكل والشرب في أواني الذهب والفضة ولا المُضَبَّب بهما إذا كان ذلك كثيراً، فإذا قدم بين يديه في شيء من ذلك طعامٌ رفعه من الإناء إلى الخبز أو إناءٍ غير ذلك الجنس ثم أكله، والإنكار على من أحضره واجب، وكذلك الحكم في البخور في مداخن الذهب والفضة، وكذلك الحكم في ماء الورد من المراش المتخذة من ذلك، فيحرم عليه الحضور في تلك البقعة ويتعين عليه الإنكار والقيام من ذلك المجلس.

ويكونُ إنكاره برفقٍ بأنْ يقول: تمامُ سروركم أن تتجملوا بما أباحته الشريعة وجعلته حلالاً، لا بما حرّمته وحظرته، ولا خيرَ في لذةٍ تؤول إلى معصية، اذكروا رحمكم الله قول النبيّ ﷺ: «مَنْ شرب في إناء ذهب أو فضة أو إناء فيه شيء من ذلك فإنما يجرجر في بطنه نار جهنم»[2].

---

(١) حديث صحيح. أخرجه أبو داود (٣٧٦٧)، والترمذي (١٨٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٣٤)، ومسلم (٢٠٦٥) من حديث أم سلمة.

وإذا حصلت اللقمة في فيه فلا يخرجها منه إلا أن يضطرّ إلى ذلك لشرقةٍ أو حرارة يتضرر بها، وإذا عطس على طعامه خمر وجهه واحتاط بستره لأجل الطعام؛ وإذا كان على رأسه إنسان قائم أذن له بالجلوس، فإن أبى عليه أو قام مملوكه أو غلامه لقضاء حاجته وسقيه الماء أخذ من أطايب الطعام فَلَقَّمه.

ويستحبّ مسح الإناء من فضلة الطعام ولقط الفتات من جوانب الإناء والطبق.

ويستحبّ أن يباسط الإخوان بالحديث الطيب والحكايات التي تليق بالحال إذا كانوا منقبضين.

وينبغي أن يأكل مع أبناء الدنيا بالأدب ومع الفقراء بالإيثار، ومع الإخوان بالانبساط، ومع العلماء بالتعلم والاتباع.

وإذا أكل مع ضرير أعلمه بما بين يديه فربما فاته أطايبُ الطعام لعماه.

ويستحبّ الإجابة إلى وليمة العرس، فإن أحبّ أن يأكل أكل، وإلا دعا وانصرف، لما روى جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ «مَنْ دُعي فليجب، فإن شاء طعم وإن شاء ترك»[1].

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ دعي فلم يجب فقد عصى الله تعالى ورسوله، ومن دخل على غير دعوة فقد دخل سارقاً وخرج مُغَيَّراً»[2].

هذا الذي ذكرنا إذا كان ذلك خالياً عن المنكر، فإن حضره منكر كالطبل والمزمار والعود والناي والشيز والشبّابة والرباب والمغاني والطنابير والجعران التي يلعب بها الترك لا يجلس هناك، لأن جميع ذلك محرم.

وأما الدف فيجوز استعماله في النكاح، وسماع القول بالقصب والرقص

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٣٠) من حديث جابر.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٤١)، وابن عدي ١/٣٨٠ ـ ٣٨١ بإسنادٍ ضعيف.

مكروه، كما فسر بعض المفسرين قوله عزّ وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ﴾ [لقمان: ٦] فقال: هو الغناء والشعر.

وجاء في بعض الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الغناء يُنْبِتُ النفاقَ في القلب كما ينبت السيلُ البقل»[1].

وسئل الشبلي رحمه الله عن الغناء فقيل: أحقّ هو؟ قال: لا، فقيل: فماذا؟ قال ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إلاّ الضَّلالُ﴾ [يونس: ٣٢] ثم يكفي في كراهته ما في ذلك من ثوران الطبع وهيجان الشهوة والميل إلى النساء وأباطيل النفوس ورعوناتها والطرب والسخف والدناءة، والاشتغالُ بذكر الله تعالى أطيبُ وأسلم لمن آمن بالله واليوم الآخر.

ودعوة الختان ليست مستحبة، ولا على مَنْ دُعي إليها أن يجيب، ويكره التقاط النثار لأنه يشبه النهبة وفيه سخف ودناءة، ويكره حضور طعام الولائم ما عدا العرس إذا كان على الصفة التي وصفها رسول الله ﷺ، يُمْنَعُ منه المحتاجُ ويَحْضُرهُ المستغني عنه[2].

ويُكره لأهل الفضل والعلم في الجملة التسرُّعُ إلى إجابة الطعام والتسامح بذلك لما فيه من الذلة والدناءة والشرة لا سيما إذا كان حاكماً وقيل: ما وضع أحد يده في قصعة أحد إلا ذلّ.

ويحرم التطفل على طعام الناس، وهو دخوله مع المدعو من غير أن

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٢٧)، والبيهقي ٢٢٣/١٠ من حديث ابن مسعود. وفيه شيخ لم يُسَمَّ.

وذكره ابن قيم الجوزية في «إغاثة اللهفان» ٢٤٨/١ من طريقين عن ابن مسعود من قوله، وكلاهما فيهما انقطاع، لم يُسمع من ابن مسعود.

ونقَلَ الحافظ ابن حجر في «التلخيص» ١٩٩/٤ قولَ ابن طاهر: أصحُّ الأسانيد في ذلك أنه من قول إبراهيم. يريد: النخعي.

(٢) أخرجه البخاري (٥١٧٧)، ومسلم (١٤٣٢) من حديث أبي هريرة.

يدعى، وهو ضرب من الوقاحة والغصب ففيه إثمان: أحدهما الأكل لِمَا لم يُدْعَ إليه، والثاني: دخوله إلى منزل الغير بغير إذنه، والنظر إلى أسراره والتضييق على من حضره.

ومن الأدب أن لا يكثر النظر إلى وجوه الآكلين، لأنه مما يحشمهم؛ ولا يتكلم على الطعام بما يستقذره الناسُ من الكلام، ولا بما يُضحكهم خوفاً عليهم من الشَرَق، ولا بما يحزنهم لئلا يُنَغِّصَ على الآكلين أكلهم.

ويستحبّ غسل اليد قبل أكل الطعام وبعده؛ وقيل يكره قبل الطعام ويستحبّ بعده.

ويكره أكل البقلة الخبيثة، وهي الثوم والبصل والكراث لكراهة ريحه.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ أكل من هذه البقلة الخبيثة فلا يَقْرَبَنَّ مُصَلّانا»[1] وكثرة الأكل بحيث يُخاف منه التخمة مكروهة. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما ملأ ابنُ آدم وعاء شراً من بطنه»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٨٥٤)، ومسلم (٥٦٤) من حديث جابر بنحوه. وفي الباب عن حذيفة، وأبي هريرة، وابن عمر، وأنس، وأبي سعيد الخدري، وعمر. انظر «الإحسان» (١٦٤٣).

(٢) أرجو أن يكون حديثاً حسناً.

أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٦٠٣)، وأحمد ١٣٢/٤، والترمذي (٢٣٨٠)، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ٥١٢/٨، وابن حبان (٦٧٤)، والطبراني في «الكبير» ٢٠/(٦٤٤) و(٦٤٥)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٣٤٠) و(١٣٤١)، والحاكم ١٢١/٤ من طريق يحيى بن جابر، عن المقدام بن معدي كرب. وهذا إسنادٌ منقطع. حديث يحيى بن جابر عن المقدام مرسل كما في «التهذيب».

وأخرجه ابن ماجة (٣٣٤٩) من طريق هشام بن عبدالملك، عن محمد بن حرب، حدثتني أمي، عن أُمِّها، أنها سمعت المقدام بن معدي كرب. وهذا إسنادٌ ضعيف لجهالة أم محمد بن حرب وجدته.

ويكره لغير صاحب الطعام من الضيف أن يلقم من حضر معه على الطبق إلا بإذن صاحب الطعام، لأنه يأكل على ملك صاحبه على وجه الإباحة، وليس ذلك بتمليك، ولهذا اختلف الناس في الوقت الذي يحصل فيه الطعام ملكاً للآكل، فقال قوم: إذا حصل في فِيهِ واستهلك؛ وقال آخرون: لا يملكه بل يأكل على ملك مالكه.

وإذا قدم الطعام فلا يحتاج بعد التقديم إلى إذن كان قد جرت العادة في ذلك البلد بالأكل كذلك فيكون العرف إذناً.

ويكره إخراجُ شيء من فيهِ وردّه إلى القصعة، ويكره التخلل على الطعام، ولا يمسح يده بالخبز ولا يستبذله، ولا يخلط طعاماً بطعامٍ، يعني ألوان الطبائخ، لأنه قد يكره ذلك طباعُ كثيرٍ من الناس، وإنْ كانت نفسه تميل إليه فيترك ذلك لأجلهم.

ولا يجوز له ذم الطعام، ولا لصاحب الطعام استحسانه ومدحه ولا تقويمه لأنه دناءة، وقد روي أن النبي ﷺ: ما مدح طعاما ولا ذمه[1].

ولا يرفع يده حتى يرفعوا أيديهم، إلا أن يعلم منهم الانبساط إليه فلا يتكلف ذلك.

ويستحبّ أن يجعل ماء الأيدي في طست واحد لما روي في الخبر: «لا تبدّدوا يبدّد شملكم»[2].

= وأخرجه النسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ٨/٥٠٩، وابن حبان (٥٢٣٦)، والبيهقي في «الآداب» (٧٠١) من طريق محمد بن حرب الأبرش، عن سليمان بن سُليم الكناني، عن صالح بن يحيى بن المقدام بن معدي كرب، عن أبيه، عن جدّه المقدام. وفي هذا الإسناد جهالة.

(١) أخرجه البخاري (٥٤٠٩)، ومسلم (٢٠٦٤) من حديث أبي هريرة قال: ما عابَ رسولُ الله ﷺ طعاماً قَطُّ إن اشتهاه أَكَلَه، وإن كَرِهَه تَرَكَهُ.

(٢) لم أرَه بهذا اللفظ. وأخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٧٠٢) من حديث أبي =

وروي أن النبيّ ﷺ نهى أن يُرْفع الطست حتى يطف،[1] يعني يمتلئ، ولا يغسل يده بما يطعم من دقيق الباقلاء والعدس والهرطمان وغير ذلك، ويجوز بالنخالة، ولا يقرن بين التمرتين لنهيه ﷺ عن ذلك[2]؛ وقيل: لا يكره ذلك إن كان وحده أو كان هو صاحب الطعام.

ولا يتخير الأطعمة على صاحب الدار بل يقنع بما قدمه، لأن ذلك يحمله على التكلف، وقد قال ﷺ: «أنا وأتقياء أمتي براء من التكلف»[3].

وإن استدعى منه صاحبُ الدار التشهي عليه كان له أن يذكر شهوته، ويكره له ردّ الهدية وإنْ قَلَّتْ إذا كانت حلالاً طيبة، واجتهد في المكافأة أو الدعاء له.

ومن سقط في طعامه أو شرابه شيء فلا يخلو إما أن يكون له نفس سائلة، ماعدا السمك فيكون الطعام نجساً، ويحرم أكله إذا كان مائعاً، وإن كان جامداً رفعه وما حوله؛ وإن كان مما لا نفس له سائلة، فإن كان من ذوات السموم لم يأكله. ويحرم الطعام لأجل الضرر به لا لعينه كالحية والعقرب، وإن كان ذباباً غمسه في الطعام حتى يغوص جناحاه ثم أخرجه، وإن مات فإن الطعام طاهر يأكله، لما روي أن النبيّ ﷺ قال: «إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه فيه، فإنَّ في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء وإنه يتقي

= هريرة مرفوعاً: «لاترفعوا الطستَ حتى يَطُفَّ، اجمعوا وُضوءَكم جَمَعَ اللهُ شَمْلَكم». وإسنادُه ضعيف.

(١) انظر التعليق السابق.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٥٥)، ومسلم (٢٠٤٥) من حديث ابن عمر.

(٣) قال في «المقاصد»: رُوِيَ معناه بسند ضعيف. ونقل الشوكاني في «الفوائد المجموعة» ص ٨٦ عن النووي قوله فيه: ليس بثابت. وانظر «كشف الخفاء» ١/ ٢٠٥ - ٢٠٦.
وأخرج البخاري (٧٢٩٣) من حديث أنس عن عمر أنه قال: نُهينا عن التكلُّف.

بالذي فيه الداء»[1].

ويستحبّ مصُّ الشراب ولا يكرعه كرعاً، ويقطعه ثلاث دفعات للنَّفَس، ولا يتنفس في الإناء، ويسمي على أوله ويحمد الله في آخره.

والاختصار في هذه الجملة أن نقول: هي اثنتا عشرة خصلة: أربع منها فريضة، وأربع سنة، وأربع آداب.

أما الفريضة: فالمعرفة بما يأكله من أين هو، والتسمية، والرضا، والشكر.

وأما السنة: فالجلوس على الرجل اليسرى، والأكل بثلاثة أصابع، ولعق الأصابع، والأكل مما يليه.

وأما الآداب: فالمضغ الشديد وتصغير اللقم، وقلة النظر إلى وجوه القوم، وأن لا يفرش المائدة بالخبز ويضع فوقه الأدم، وأن لا يأكل متكئاً ولا مضطجعاً ولا منبطحاً على بطنه.

(فصل)

فإذا أفطر عند غيره قال: أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وتنـزّلت عليكم الـرحمة، وصلّت عليكم الملائكة، الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا من المسلمين، وهدانا من الضلالة وفضّلنا على كثيرٍ من خلقه تفضيلاً، اللهم أَشْبِعْ جياعَ أمة محمد ﷺ، واكْسُ عاريها، وعافِ مرضاها، وردَّ غائبها، واجمع شمل أهل الدار، وأدِرَّ أرزاقهم، واجعلْ دخولنا بركة، وخروجنا مغفرة، وآتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار برحمتك يا أرحم الراحمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٢٠) من حديث أبي هريرة.

(فصل: في آداب الحمام)

بناء الحمام وبيعه وشراؤه وكراؤه مكروه في الجملة، لما فيه من مشاهدة عورات الناس، وقد روي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: بئس البيت الحمام، ينزع من أهله الحياء، ولا يقرأ فيه القرآن.

وأمـا دخوله فالأولى أنْ لا يدخله إذا وجد من ذلك بدًا، لما ورد عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يكره الحمام، ويعلل بأنه من رقيق العيش. وعن الحسن وابن سيرين أنهما كانا لا يدخلان الحمام. وقال عبدالله ابن الإمام أحمد رحمهما الله: ما رأيت أبي قط دخلَ الحمام، وإن كان به حاجة إلى ذلك ودعت الضرورة جاز له دخوله مستتراً بمئزرٍ غاضاً بصره عن عورات الناس، وإن أمكنه أن يخلى الحمام له فيدخله بالليل أو وقتاً يقلّ زبونه بالنهار فلا بأس.

وقد سئل الإمام أحمد رحمه الله عن ذلك فقال: إنْ كنتَ تعلمُ أن كلَّ من في الحمام عليه إزارٌ فادخله وإلا فلا تدخله.

وقد روت عائشة رضي الله عنها عن النبيّ ﷺ أنه قال: «بئس البيت الحمام بيت لا يستر، وماؤه لا يطهر»[1] قالت عائشة رضي الله عنها: «ما يسرّ عائشة أنها دخلته ولها مثل أُحد ذهباً».

وقال ﷺ، في حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: «مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر»[2].

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٥٥٥) بإسنادٍ ضعيف جدّاً.

(٢) في أسانيده ضعف. أخرجه أحمد ٣/٣٣٩، والترمذي (٢٨٠١)، والحاكم ٤/٨٨ من حديث جابر بإسنادٍ ضعيف.

وأما النساء فإنما يجوز لهن دخوله بالشرائط التي ذكرناها في حقّ الرجال، ووجود العذر والحاجة كالمرض والحيض والنفاس، لما روى ابن عمرو رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ أنه قال: «ستفتح عليكم أرض العجم، وستجدون بيوتاً يقال لها الحمام، فلا يدخلها الرجال إلا بإزار، وامنعوا منها النساء إلا مريضة أو نفساء»[1].

وإذا دخل الحمام فلا يسلم ولا يقرأ القرآن، لما تقدم من حديث علي رضي الله عنه.

(فصل: في النهي عن التعرّي في الجملة وفي حال الغسل)

روى أبو داود بإسناده عن بَهْز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: «قلت يا رسول الله: عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال ﷺ: احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ١٠ ملكتْ يَمينُكَ، قال: قلت: يا رسول الله إذا كان القوم بعضهم في بعض مجتمعين، قال: إن استطعت أن لا يرينها أحد فلا يرينها، قال: قلت يا رسول الله: إذا كان أحدنا خالياً، قال: الله أحق أن يستحيا منه من الناس»[2].

وروى أبـو داود بإسنـاده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في ثوب»[3].

= وأخرجه ابن حبان (٥٥٩٧)، والطبراني (٣٨٧٣)، والحاكم ٤/٢٨٩، والبيهقي ٧/٣٠٩ من حديث أبي أيوب الأنصاري بإسنادٍ ضعيف أيضاً. وانظر «المجمع» ١/٢٧٧ - ٢٧٩.

(١) أخرجه أبو داود (٤٠١١)، وابن ماجة (٣٧٤٨) بإسنادٍ ضعيف.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠١٧)، والترمذي (٢٧٩٤)، وابن ماجة (١٩٢٠). وحسَّن إسنادَه الترمذي.

(٣) أخرجه مسلم (٣٣٨) من حديث أبي سعيد الخدري.

وأما حالة الغسل في موضع خالٍ لا يراه أحد، فيكره له أن يغتسل بلا مئزر، لما روى أبو داود بإسناده عن عطاء عن يعلى بن أمية «أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يغتسل البراز * بلا إزار، فصعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال: إن الله حيي سِتّيرٌ يحبُّ الستر والحياء، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر»[1].

(*) البراز بالفتح: الموضع المنكشف بغير سترة/ النهاية. مادة (برز).

(١) حديث ضعيف.

أخرجه أبو داود (٤٠١٢)، والنسائي ١/٢٠٠، والبيهقي ١/١٩٨ من طريق زهير ابن معاوية عن عبدالملك بن أبي سليمان العرزمي، عن عطاء بن أبي رباح، عن يعلى بن أمية.

وخُولفَ زُهير، فقال أبو بكر بن عياش: عن عبدالملك، عن عطاء، عن صفوان ابن يعلى، عن أبيه. أخرجه أبو داود (٤٠١٣)، والنسائي ١/٢٠٠، وأحمد ٤/٢٢٤

وأبو بكر بن عياش فيه ضعف، وقد خالفَ رواية الثقة، فالرواية الأولى أصحُّ.

قال ابن أبي حاتم في «العلل» ٢/٣٢٩ - ٣٣٠:

قال أبو زرعة: لم يصنع أبو بكر بن عياش شيئاً، وكان أبو بكر في حفظه شيءٌ، والحديث حديثُ زُهير وأسباط بن محمد، عن عبدالملك، عن عطاء، عن يعلى بن أمية، عن النبي.

وتوبع عبدالملك بن أبي سليمان.

فقد رواه أحمد ٤/٢٢٤ عن وكيع، عن محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن عطاء، عن يعلى. لكن ابن أبي ليلى هذا ضعيف، وخاصة في عطاء، فإنه يقلبُ الأسانيد ويركبها، سيئ الحفظ، كثير الخطأ جداً. حتى قال أبو أحمد الحاكم: عامة أحاديثه مقلوبة.

وخُولفَ عبدالملك بن أبي سليمان.

فأخرجه عبدالرزاق في «مصنفه» (١١١١) عن ابن جُريج قال: أخبرني عطاء، قال: لما كان النبي... فذكره مرسلاً.

ورواية ابن جريج أصحُّ من رواية عبدالملك بن أبي سليمان، لأنه أوثق.

قال أحمد: هو يُخالفُ ابن جريج في أحاديث، وابن جُريج عندنا أثبتُ منه.

وقال يحيى بن سعيد: كان صفةُ حديث عبدالملك بن أبي سليمان فيها شيءٌ منقطع يُوصلُه، وموصل يقطعُه. انظر «شرح علل الترمذي» ٢/٥٦٨ - ٥٦٩. =

وأما إن دخل الماء للغسل أو لغيره فيكره أيضا بلا مئزر، لأن للماء سكاناً لما روى جابر بن عبدالله رضي عنهما عن النبيِّ ﷺ: «أنه نهى أن يدخل الرجل الماء بلا مئزر»[1].

وعن الحسن رحمه الله أنه قال: إن للماء سكاناً، وإنَّ أحقَّ مَن اسْتُتِرَ

= فإذا كانت رواية ابن جريج هي الصحيحة ـ وهو ما نرجح ـ فالحديث ضعيف لإرساله.

وإذا كانت رواية عبدالملك بن أبي سليمان أصحَّ، كانَ الحديثُ منقطعاً. لأنَّ عطاء بن أبي رباح لم يسمع من يعلى بن أمية لما يلي:

١ـ أنه لم يُصرح في طريق أو رواية أنه سمع منه مطلقاً.

٢ـ أنَّ المزي لمَّا ترجمَ عطاء بن أبي رباح في «تهذيب الكمال» قال: روى عن يعلى بن أمية إن كان محفوظاً، والصوابُ أنَّ بينهما رجلاً.

قلت: نعم، فإنه معروفٌ بالرواية عن ابنه عنه إلا هذا الحديث، فإنه رواه دونَ واسطة، ولم يتبين لنا اتصالُه.

٣ـ أنَّ عطاء بن أبي رَباح وُلِدَ سنة (٢٧ هـ)، أمَّا يعلى بن أمية فاختلفت الأقوال في وفاته، فقال بعضُهم: قُتِلَ بصفِّين، وقال آخرون: بل بعدَ ذلك، وقال الذهبي في «السير»: بقيَ إلى قريب الستين. قلت: بل أُراه قبل ذلك.

وعطاء معروفٌ بالإرسالِ عن كثير من الصحابة ممن هو في طبقة يعلى هذا، فقد حُكم على حديثه بالإرسالِ في روايته عنْ أسامة بن زيد المتوفى سنة ٥٤هـ، وجبير ابن مطعم المتوفى سنة ٥٨هـ، وأم سلمة المتوفاة سنة ٦٢هـ، وأم هانئ المتوفاة في خلافة معاوية، وزيد بن خالد المتوفى سنة ٦٨هـ، وأبي سعيد الخدري المتوفى نحو سنة (٦٣هـ) أو بعدها، وابن عمر المتوفى سنة (٧٣هـ).

فالاحتمالُ في انقطاعِ الرواية بين عطاء بن أبي رباح ويعلى كبير للسنِّ، وعدم التصريح بالسماع، ولأنَّ عطاءً معروفٌ بالإرسالِ.

وفي الباب حديث بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده عند السهمي في «تاريخ جرجان» ص ٣٧٤، ولا يصحُّ الإسنادُ إلى بهز، فإنَّ فيه سقطاً ظاهراً لم أتبينه، أو يكون معضلاً.

(١) تقدم تخريجه.

من سكانه لنحنُ.

(فصل)

وقد رخَّص الإمام أحمد، رحمه الله في ذلك في رواية أخرى: وأنه لا يُكره ذلك، لأنه سئل عن رجل كان عند نهر ليس يراه أحد، قال: أرجو؛ ومعنى ذلك أنه لا يكون به بأس. والأولى والأصحّ ما تقدم من النهي.

(فصل: في لبس الخاتم واتخاذه)

عن أبي داود رحمه الله بإسناده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أراد رسول الله ﷺ أن يكتب إلى بعض الأعاجم فقيل له: لا يقرؤون كتاباً إلا بخاتم، فاتخذ خاتماً من فضة ونقش فيه: محمد رسول الله[1].

وعن أنس رضي الله عنه أنه قال: كان خاتم رسول الله ﷺ من فضة كله فَصُّه منه[2].

وفي لفظ عن أنس رضي الله عنه قال: كان خاتم رسول الله ﷺ من وَرِقٍ فَصُّهُ حبشي[3].

وروى أبو داود بإسناده عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: اتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من ذهب وجعل فصه مما يلي بطن كفه، ونقش فيه: محمد رسول الله، فاتخذ الناس خواتم الذهب، فلما رآهم قد اتخذوها رمى به وقال: لا ألبسه أبداً، ثم اتخذ خاتماً من فضة ونقش فيه: محمد رسول الله،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٧٥)، ومسلم (٢٠٩٢) (٥٦)، وأبو داود (٤٢١٤) وغيرهم.
(٢) أخرجه البخاري (٥٨٧٠).
(٣) أخرجه مسلم (٢٠٩٤).

ثم لبس ذلك الخاتم بعده أبو بكر، ثم لبسه بعد أبي بكر عمر، ثم لبسه عثمان حتى وقع في بئر أريس[1].

(فصل)

ويكره اتخاذ الخاتم من الحديد والشبه[*]، لما روى أبو داود بإسناده عن عبدالله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: «إن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ وعليه خاتم من شَبَهٍ، فقال له: ما لي أجد منك ريح الأصنام فطرحه، ثم جاء وعليه خاتم من حديد، فقال: ما لي أرى عليك حلْيَةَ أهل النار فطرحه، فقال: يارسول الله من أيِّ شيءٍ أتخذه؟ قال ﷺ: اتخذه من وَرِق ولا تُتِمَّهُ مثقالاً»[2].

(فصل)

ويكره التختم في الوسطى والسبابة، لما روي أن النبيّ ﷺ نهى علياً رضي الله عنه عن ذلك[3].

(فصل)

والاختيار التختم في اليسرى وفي الخنصر، لما روى أبو داود رحمه الله بإسناده عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبيّ ﷺ كان يتختم في

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢١٨)، والبخاري (٥٨٦٦)، ومسلم (٢٠٩١) (٥٤).

(*) الشبه: من المعادن، ما شبه الذهب في لونه وهو أرفع الصفر (المصباح المنير).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٢٣)، والترمذي (١٧٨٥)، والنسائي ١٧٢/٨ بإسنادٍ ضعيف.

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٧٨).

يساره، وكان فصه في باطن كفه[1]. وروي ذلك عن أكثر السلف الصالح، ولأن خلاف ذلـك عادةُ وشعار المبتدعة، ولأن المستحبّ أن يكون تناول الأشياء باليمين لتوضع في الشمال، وفي ذلك صيانة للخاتم وصيانة للمكتوب عليه من الأسماء والحروف، وقد روي عن عليّ رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ كان يتختم في يمينه[2]، فعلى هذا: اليمين واليسار سواء والاختيار الأوّل.

(فصل: في آداب الخلاء والاستنجاء)

إذا أراد دخول الخلاء نَحّى عنه ما كان فيه ذِكْرُ الله عزّ وجلّ كالخاتم والتعويذ وغيرهما، ويقدِّمُ رجله اليسرى ويؤخر اليمنى. ويقول: بسم الله أعوذ بالله من الخُبْثِ والخبائث، ومن الرجس النجس الشيطان الرجيم، لما روي عن النبيّ ﷺ أنه قال: «إن هذه الحشوش مُحْتَضَرة، فاستعيذوا بالله من الشيطان، وليقل أحدكم: أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث الشيطان الرجيم»[3].

ويكون مغطى الرأس مستتراً، ولا يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض ويكون اعتماده على رجله اليسرى، لأنه أسهل لخروج الخارج، ولا يتكلم ولا يردّ على

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٢٧) من طريق عبدالعزيز بن أبي روَّاد، عن نافع، عن ابن عمر. وعبدالعزيز فيه ضعفٌ وقد خُولفَ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٢٦)، والنسائي ٨/١٧٤، والترمذي في «الشمائل» (٩٠)، وابن حبان (٥٥٠١)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» ص ١٢٦ بإسنادٍ حسن.

(٣) أخرجه الطيالسي ١/٤٥ ـ ٤٦، وابن أبي شيبة ١/١، وأحمد ٤/٣٦٩ و٣٧٣، وأبو داود (٦)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٧٥) و(٧٦) و(٧٧) و(٧٨)، وابن ماجة (٢٩٦)، وابن خزيمة (٦٩)، وابن حبان (١٤٠٦) و(١٤٠٨)، والطبراني (٥٠٩٩) =

مَنْ يسلم عليه، ولا يجيب متكلماً، ويحمد الله في قلبه عند العطاس، ولا يرفع رأسه إلى السماء، ولا يضحك مما يخرج منه ولا من غيره، ويبعد عن الناس ويهيئ موضعاً مستقلاً رخواً لبوله لئلا يترشش عليه ولا يُري عورته أحداً، فإن كان الموضع صلباً أو مهبّ الريح ألصق رأسَ ذَكَره بالأرض، وإن كان في الصحراء لم يستقبل القبلة ولم يستدبرها، بل يُشَرِّقُ أو يغرب كما جاء في الخبر[1] ولا يستقبل الشمس والقمر.

ولا يَبُلْ في جُحْرٍ ولا تحتَ شجرةٍ مثمرة ولا غير مثمرة لأنه قد يستظلّ بها الناس فتتلوّث ثيابهم، وقد يسقط من ثمرتها فيتنجس، ولا في طريق، ولا في مشرعة نهر، ولا في فناء حائط، لأنه بذلك يستحق اللعنة كما ورد في الخبر[2]، ولا يذكر الله في موضعه بالقرآن ولا بغيره تنزيهاً لاسمه عزّ وجلّ، ولا يزيد على بسم الله والتعوّذ من الشيطان على ما ذكرنا.

فإذا فرغ قال: الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني غفرانك ثم يقوم عن موضعه إلى موضع طاهر، ولا يستنجي هناك لئلا تتلوّث يده بالنجاسة أو يرش الماء على بدنه وثيابه، ثم ينظر فإن كان الخارج لم ينتشر عن المخرج إلا بمقدار ما جرت العادة به كان مخيراً بين الاستجمار بجامد وبين الاستنجاء بالماء، فإن اختار الجامد فالاختيار الحجر، وعددهُ ثلاثة أحجار إنْ كان لم يستجمر بهن أحد من قبل، طاهرة، فيأخذ حجراً منها بيمينه، فيبدأ بالقبل بعد

= و(٥١٠٠) و(٥١١٥)، والحاكم ١/١٨٧، والبيهقي ١/٩٦، والخطيب ٤/٢٨٧ و١٣/٣٠١ من حديث زيد بن أرقم بلفظ: «إنَّ هٰذه الحشوش محتضَرَة، فإذا أراد أحدُكم أن يدخُلَ فليقل: أعوذُ باللهِ من الخُبث والخبائث». وهو حديث صحيح.

(١) أخرجه البخاري (٣٩٤)، ومسلم (٢٦٤) من حديث أبي أيوب الأنصاري.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩) بإسنادٍ حسن من حديث أبي هريرة بلفظ: «اتّقُوا اللعَّانَيْن» قالوا: وما اللعّانانِ يا رسولَ الله؟ قال: الذي يتخلّى في طريقِ الناسِ أو في ظِلِّهم».

أن يمسح أصل ذكره إلى رأسه وينثره ثلاثاً بيده اليسار متنحنحاً ليتحقق استفراغ البول بذلك فهو الاستبراء، ويأخذ ذَكَرهُ بشماله ويمده على الحجر الذي في يمينه ويمسحه حتى يرى موضع المسح جافاً، يفعل كذلك ثلاثاً بثلاثة أحجار، وإن لم يقدر على الأحجار فبثلاث خرق أو خزف أو مدر، أو ثلاث حثيات من تراب، أو يمسحه على الأرض أو الحائط عند عدم هذه الأشياء حتى يرى الجفافة والنشافة عن أثر كل مسحة، فإذا فعل ذلك فقد سقط عنه حكم القبل.

وينبغي أن يحترز عن مدّ الذكر في الاستبراء من موضع الحشفة، **لأنه** قد يبقى البول في قصبة الإحليل ثم يخرج بعد فراغه من الوضوء فيبطل وضوؤه، ولهذا شرع في حقه أن يخطو خطوات قبل الاستبراء والتنحنح خوفاً من بقاء شيء من البول في الإحليل.

وأما الدبر فيأخذ الحجر بشماله ويمسحه على المسربة(*) من مقدمها إلى أن يبلغ مؤخرها ثم يرمي به، ثم يأخذ الحجر الثاني ويبدأ به من مؤخرها فيمسحها إلى أن يبلغ مقدمها ثم يرمي به، ثم يأخذ الحجر الثالث فيديره حول المسربة فيرمي به، وقد حصل بذلك الإجزاء، فإن لم يَنْقَ بذلك بأن رأى على الحجر الأخير نداوة زاد إلى خمسة، وإن لم ينق بذلك زاد إلى سبعة أو تسعة، ولا يقطعه إلا على وتر؛ وإن نقي بحجر واحد أو باثنين زاد إلى ثلاثة، لأن الشرع بذلك ورد. وقد ذكر للاستجمار صفة أخرى، وهو أن يأخذ الحجر بشماله فيضعه على مقدم صفحته اليمنى ثم يُمِرّه إلى مؤخرها، ثم يديره على اليسرى فيمرّه عليها إلى مؤخرها حتى يبلغ الموضع الذي بدأ منه، ويأخذ حجراً آخر فَيُمِرَّه من مقدم صفحته اليسرى كذلك، ثم يأخذ حجراً آخر فيمسح به الوسط، والكل جائز.

(*) المسربة: مجرى الحدث من الدبر، وكأنها من السرب: المسلك/ النهاية مادة سرب.

فقد جاء في الأثر أن رجلاً قال لبعض أصحابه من الأعراب وقد خاصمه: لا أحسبك أنك تُحْسِنُ الخرأة، فقال: بلى وأبيكَ إني بها لحاذق، قال: فَصِفْهَا لي، قال: أُبْعِدُ الأثر وأعد المدر، واستقبلُ الشيح واستدبر الريح، وأقعي إقعاءَ الظبي وأجفلُ إجفال النعام. أما الشيح فهو نبت طيب الريح يكون بالبادية. والإقعاء هاهنا: الاستيفاز(**) على صدور قدميه والإجفال: ارتفاع عجزه عن الأرض.

(فصل)

والاستنجاء بالماء: أن يمسك قضيبه بيده اليسرى ويطرح الماء باليمنى فيغسله سبعاً بعد الاستبراء والتنحنح وفضل إزعاج على ما ذكرناه، وقد شَبَّه فقهاءُ المدينة رحمهم الله الذكر بالضرع، فلا يزال يخرج منه الشيء بعد الشيء ما دام الرجل يَمُدُّه، فإذا وقع الماء على الذَّكَرِ انقطع البول.

وأما الدبر فيباشر المحلّ بيده اليسرى ويصبّ الماء باليمنى، فيتابع صبه، ويسترخي قليلاً قليلاً، ويجوِّدُ ذلك الموضع بيده، حتى يتيقن نظافته وينقى، ولا يلزمه غسلَ باطن المخرجين لأن ذلك مما عفي عنه في الشرع، ولا عليه الاستنجاء من الريح. والفضيلة في الجمع بين الاستجمار بالجامد وبين الاستنجاء بالماء، فإن اقتصر على الحجر أَجْزَأَهُ، لكن استعمال الماء أولى في الجملة، لأنه قيل: إذا لم يستنج بالماء اعتراه الوسواس، ولهذا قيل: إن قوماً من الشعراء لا يستنجون بالماء، لأن كلام الخنا والفحش يجيء بذلك فهو سببه، نعوذ بالله من كلام يثمره القذر والنتن.

(**) الاستيفاز: من استوفز الرجل في قعدته: إذا قعد قعوداً منتصباً غير مطمئن/ اللسان مادة: وفز.

(فصل)

وأما إذا انتشرت النجاسة إلى معظم حشفته في القبل والصفحتين في الدبر لم يجزه غير الماء، لأنها خرجت من محل الترخيص فصارت كالنجاسة التي على بقية البدن من الفخذ والصدر وغيرهما ولا تزول إلا بالماء.

(فصل)

وصِفةُ ما يجوزُ به الاستجمار أن يكون جامداً طاهراً منقياً غير مطعون لا حرمة له: وغير متصل بحيوان، ولا يجوزُ بالروثِ والرِّمَّة لأنهما من طعام الجن، ولا بشيء لزج يلطخ فلا ينقى كالحَمَّة والزجاجة والحصاة الملساء[*].

(فصل)

ويجب ما ذكرنا من الاستنجاء لجميع ما يخرج من السبيلين سوى الريح، وذلك كالغائط والبول والدود والحصا والدم والمذي والشعر.

وأما الذكر فالخارج منه خمسة أشياء: أحدها: البول، والثاني، المذي وهو ماء أبيض رقيق يخرج عند اللذّة وعند الملاعبة والتذكار، وحكمه حكم البول وزيادة غسل الذكر والأنثيين كما قال النبيّ ﷺ في حديث علي رضي الله عنه: «ذلك ماء الفحل ولكل فحلٍ ماء»[1] فليغسل ذكره وأنثيه وليتوضأ وضوءه للصلاة والثالث: الودي، وهو ماء أبيض خاثر يخرج بأثر البول، فحكمه حكم

(*) الرمة: العظم البالي.

(١) أخرجه أحمد ١/١٤٥ من طريق شريك، عن الركين بن ربيع، عن حصين بن قبيصة =

البول فقط. والرابع: المنيّ، وهو الماء الأبيض الدافق عند اللذّة الكبرى بالجماع أو الاحتلام، وقد يكون أصفر عند قوّة الرجل، وقد يكون أحمر عند كثرة الجماع، وقد يكون رقيقاً عند ضعف البنية والقوّة، ويعلم بالرائحة كرائحة الطلع والعجين، وهو طاهر في أشهر الروايتين، وموجبه غسل جميع البدن، وماء المرأة رقيق أصفر. والخامس: الريح يخرج من القبل نادراً كما يخرج من الدبر.

(فصل: في كيفية الطهارة الكبرى)

وهو على ضربين: كاملة، ومجزئة.

أما الكاملة فهي أن يأتي بالنية، وهو اعتقاده رفع الحدث الأكبر أو الجنابة، فإن تلفظ به مع اعتقاده بقلبه كان أفضل، ويُسَمِّي عند أخذ الماء، ويغسل يديه ثلاثاً، ويغسل ما به من الأذى، ثم يتوضأ وضوءه كاملاً، ويؤخر غسل قدميه، ويحثي على رأسه ثلاث حثيات من الماء يروي بها أصول شعره، ويفيض الماء على سائر جسده ثلاثاً، ويدلك بدنه بيديه، ويتبع المغابنَ(**) وغضون البدن، ويتحقق حصول الماء عليها لقوله ﷺ: «خللوا الشعر وانقوا البشرة، فإن تحت كل شعرة جنابة»[1] ويبدأ بشقه الأيمن، ثم ينتقل من موضع

= عن علي. وشريك ضعيف، وقد رواه غيُره عن الركين بن الربيع فلم يذكروا قوله: «ذلك ماء الفحل، ولكل فحل ماءٌ» وهو أصحّ. أخرجه الطيالسي ١/٤٤، وابن أبي شيبة ١/٩٢، وأبو داود (٢٠٦)، والطحاوي في «المعاني» ١/٤٦، وابن حبان (١١٠٢) و(١١٠٧)، والنسائي ١/١١١.

وأخرجه أبو داود (٢١١) بلفظ: ذاك المذيُ، وكل فحلٍ يمذي، فتغسلُ من ذلك فرجَك..» من حديث عبدالله بن سعد الأنصاري. وفي إسنادِه ضعف.

(**) المغابن: بواطن الأفخاذ عند الحوالب. وغضون البدن: أي تكسرُّ الجلد.

(١) حديث ضعيف. أخرجه أبو داود (٢٤٨)، والترمذي (١٠٦)، وابن ماجة (٥٩٧) من حديث أبي هريرة. وفيه الحارث بن وجيه، وهو منكر الحديث ضعيف.

غسله فيغسل قدميه، فإن سلم في خلال ذلك من نواقض الطهارة الصغرى جاز له أن يصلي بهذه الطهارة، لأنا نحكم له برفع الحدثين جميعاً، وإلا أحدث للصلاة وضوءاً.

والأصل في جميع ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد الغسل من الجنابة يغسل يديه ثلاثاً، ثم يأخذ بيمينه فيصبّ على شماله، ثم يتمضمض ويستنشق ثلاثاً، ويغسل وجهه ثلاثاً وذراعيه ثلاثاً، ثم يصبّ على رأسه الماء ثلاثاً ثم يغتسل، فإذا خرج غسل قدميه[1].

وأما المجزئ فهو أن يغسل فرجه وينوي ويسمي ويعمّ بدنه بالغسل مع المضمضة والاستنشاق، لأنهما واجبان في الكبرى، وفي الصغرى روايتان، أصحهما وجوبهما فيها أيضاً، ولا يجوز له أن يصلي بهذا الغسل إلا أن ينوي به الغسل والوضوء، ويتداخل بقية أفعال الوضوء في الغسل للعذر بالنية، وإذا عدمت النية لم يحصل له الوضوء، فلا تصحّ الصلاة، وقد قال النبيّ ﷺ: «لا صلاة لمن لا وضوء له»[2] بخلاف الأول فإنه قد أتى فيه بالوضوء الكامل.

والإسراف في استعمال الماء غير مستحبّ، والاقتصاد هو المحمود المندوب إليه، وقلة الماء مع إحكام الغسل والوضوء أولى من الإسراف، وقد روي أن النبيّ ﷺ توضأ بمُدٍ وهو رطل وثلث، واغتسل بصاع وهو أربعة أمداد[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٨) و(٢٦٢) و(٢٧٢)، ومسلم (٣١٦) بنحوه. وانظر تمام تخريجه وألفاظه في «الإحسان» (١١٩١) و(١١٩٦) و(١١٩٧).

(٢) أخرجه أبو داود (١٠١)، وابن ماجة (٣٩٨) من طريق يعقوب بن سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة. ويعقوب وأبوه مجهولان، ولا يُعرف لهما سماعٌ كما قال البخاري. فالإسنادُ ضعيف. وللحديث شواهد كلها ضعيفة، ولا أراها يصحُّ بها الحديث. انظر «العلل المتناهية» (٥٥١) و(٥٥٢)، و«تلخيص الحبير» ١/٧٢-٧٦.

(٣) أخرجه البخاري (٢٠١)، ومسلم (٣٢٥) من حديث أنس قال: كان النبي ﷺ يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد.

(فصل: في الأذكار المستحبّ ذِكْرُها عند غسل الأعضاء)

يقول إذا فرغ من الاستطابة: اللهمّ نقِّ قلبي من الشكِّ والنفاق، وحصِّنْ فرجي من الفواحش.

ويقول عند التسمية: أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك ربّ أن يحضرون.

ويقـول عند غسل يديه: اللهم إني أسألك اليمن والبركة، وأعوذ بك من الشؤم والهلكة.

ويقول عند المضمضة: اللهمّ أعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك.

ويقول عند الاستنشاق: اللهم أوجدني رائحة الجنة وأنت عني راض.

ويقول عند الاستنثار: اللهم إني أعوذ بك من روائح النار، ومن سوء الدار.

ويقول عند غسل وجهه: اللهمّ بَيِّضْ وجهي يوم تبيض وجوه أوليائك، ولا تسوِّدْ وجهي يوم تسودُّ فيه وجوه أعدائك.

وعند غسل ذراعه اليمنى: اللهم آتني كتابي بيميني وحاسبني حساباً يسيراً.

وعند غسل ذراعه اليسرى: اللهم إني أعوذ بك أن تؤتيني كتابي بشمالي أو من وراء ظهري.

ويقول عند مسح الرأس: اللهمغشني برحمتك، وأنزلْ عليّ من بركاتك، وأظلّني تحت ظلّ عرشك يوم لا ظلّ إلا ظلك.

ويقـول عنـد مسح الأذنين: اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم أسمعني منادي الجنة مع الأبرار.

ثم يمسح عنقه فيقول: اللهمّ فك رقبتي من النار، وأعوذ بك من السلاسل والأغلال.

ويقول عند غسل قدمه اليمنى: اللهم ثبت قدمي على الصراط مع أقدام المؤمنين.

ويقول عند غسل قدمه اليسرى: اللهم إني أعوذ بك أن تزلّ قدمي عن الصراط يوم تزلّ فيه أقدام المنافقين.

فإذا فرغ من وضوئه رفع رأسه إلى السماء، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي، أستغفرك وأسألك التوبة فاغفر لي وتب عليّ إنك أنت التوّاب الرحيم، اللهم اجعلني من التوّابين، واجعلني من المتطهرين، واجعلني صبوراً شكوراً، واجعلني أذكرك وأسبحك بكرة وأصيلا.

(فصل: في آداب اللباس)

وهو على خمسة أضرب: مُحَرَّمٌ على كل مكلف، ومحرّم على شخص دون شخص، ومكروه، ومباح، ومتنزّه عنه.

فأما المحرّم على كل مكلف فالمغصوب.

وأما المحرّم على شخص دون شخص فالحرير مباح للنساء، حرام على بالغي الذكور، وهل يباح أن يُلْبِسُوه البنينَ الصغار أم لا؟ على روايتين؛ وكذلك في إباحة لبسه للبالغين في قتال المشركين وجهادهم روايتان، فهذا هو الضرب المباح.

وأما المكروه: فهو إطالة الثوب إلى حدّ يخرج إلى الخيلاء والكبر، وكذلك ما فيه الحرير والقطن لا يعلم، هل هما نصفان أو أحدهما أكثر؟

وأما المتنزّه عنه: فهو كل لبسة يكون بها مشتهراً بين الناس كالخروج عن

عادة أهل بلده وعشيرته، فينبغي أن يلبس ما يلبسون ولا يباينهم فيها حتى لا يُشار إليه بالأصابع ويغتاب، فيكون ذلك سببا إلى حملهم على غيبته فيشاركهم في اثم الغيبة له.

(فصل)

ولنا قسمان آخران في اللباس: أحدهما واجب، والآخر مندوب. فأما الواجب فعلى ضربين: أحدهما: يرجع إلى حقّ الله تعالى، والثاني: إلى حقّ الإنسان خاصة، فأما الذي لحقِّ الله تعالى فهو ستر العورة عن أعين الناس على ما بيناه في فصل التعري، وأما الذي لحقِّ الإنسان فهو الذي يتوقى به من الحرّ والبرد وأنواع المضارّ فيجب عليه ذلك، ولا يجوز تركه لأن فيه عوناً على إتلاف نفسه وذلك حرام.

وأما المندوب فكذلك ينقسم على قسمين:

أحدهما في حقّ الله تعالى، وهو الرداء إذا كان في جماعة ومجمع الناس فلا يعرّي منكبيه من شيء من الثياب الجميلة كالأعياد والجمع وغير ذلك.

والقسم الثاني في حقّ المخلوقين: وهو ما يتجملون به بينهم من أنواع الثياب المباحة، ولا يزري بصاحبه، ولا ينقص مروءته بينهم، ويكره الاقتعاط: هو التعمم بغير الحنك، ويستحبّ التلحي وهو إذا كان بالحنك.

ويكره كل ما خالف زيّ العرب وشابه زي الأعاجم، وتطويل الذيل مكروه لأنه ورد في الأثر عن النبيّ ﷺ أنه قال: «إزرة المسلم إلى نصف الساق ولا حرج أو لا جناح بينه وبين الكعبين، وما كان أسفل من الكعبين فهو في النار. من جرّ إزاره بطراً لم ينظر الله تعالى إليه» ذكره أبو داود بإسناده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ[1].

---

(١) حديث صحيح. أخرجه مالك في «الموطأ» ٢/٩١٤ ـ ٩١٥، والطيالسي (٢٢٢٨)، =

واشتمال الصماء مكروه في الصلاة، وهو أن يلتحف بثوب ويجعل طرفيه على جانب، فلا يكون ليده موضع تخرج منه، ولذلك سمي الصماء.

وكذلك يكره السدل، وهو أن يترك وسط ردائه على رأسه، وباقيه مُسْدَل على ظهره وهي لبسة اليهود.

وكذلك يكره الاحتباء، وهو أن يجلس ويضمّ ركبتيه إلى نحو صدره، ويدير ثوبه من وراء ظهره إلى أن يبلغ ركبتيه ويشده، حتى يكون كالمعتمدِ عليه، والمستند إليه إذا لم يكن عليه ثوب، لأنه يؤدّي إلى انكشاف عورته، ولا بأس بذلك إذا كان تحته ثوب.

وكذلك يكره التلثم وتغطية الأنف في الصلاة.

ويكره التشبه بزيّ النساء للرجال، وكذلك يكره للنساء التشبه بزيّ الرجال، لأن النبيّ ﷺ لعن فاعله وتوعَّدَ عليه. ويكره الإقعاء في الصلاة، وهو أن يمدّ ظهر قدميه، ويجلس على عقبيه، أو يجلس على أليتيه وينصب قدميه، قال النبيّ ﷺ: «إقعاء كإقعاء الكلب» نهى عنه .

ويكره لبس ما تشفّ منه الأبدان من الثياب، وإن شفت منه العورة كان فاسقاً كما لو كشفها إذا تعمد لبسه، ولا تصحّ صلاته فيها؛ وقد مدح الشرعُ السراويلَ بقوله ﷺ: «السراويل نصف الكسوة»[1] وهي في حقّ الرجال أوكد. ويكره توسعة بوائكه وتضييقها أولى وأحبّ، لأنه أستر للعورة.

وقد روي أنه ﷺ قال: «اللهمّ اغفر للمسرولات» قال ذلك في حقّ امرأة مرّ بها عليها بائكة فسقطت، فأدار وجهه عنها، فقيل له: إنها مسرولة[2].

= وأحمد ٣/٥ و٦ و٣٠ - ٣١ و٤٤ و٥٢ و٩٧، وابن أبي شيبة ٣٩١/٨، وأبو داود (٤٠٩٣)، وابن ماجة (٣٥٧٣)، وابن حبان (٥٤٤٦) و(٥٤٤٧) و(٥٤٥٠)، والبيهقي ٢٤٤/٢، والبغوي (٣٠٨٠).

(١) لم أجده بهذا اللفظ.

(٢) حديث موضوع كذا قال ابن الجوزي في «موضوعاته» ٤٦/٣، وهو من حديث علي =

وفي بعض الأحـاديث عنه ﷺ: «أنه كره السراويل المُخَرْفَجة»[1] وهي الـواسعـة الطويلة التي تقع على ظهر القدمين؛ وأصله السعة؛ يقال: عيش مخرفج: إذا كان واسعاً. وأفضل اللباس ما كان ساتراً.

وأفضل ألوان الثياب ما كان أبيض لقوله ﷺ: «خير ثيابكم البياض»[2].

وفي لفظ آخر: «عليكم بالبياض يلبسها أحياؤكم وكَفِّنُوا بها موتاكم»[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «البسوا من ثيابكم البياض، فإنها من خير ثيابكم، وكفنـوا فيهـا موتاكم، وإن خير أكحالكم الإثمدُ، يجلو البصرَ، وينبتُ الشعر»[4].

= وفيه إبراهيم بن زكريا: قال ابن عدي: حدث عن الثقات بالبواطيل. وذكره الهيثمي في «المجمـع» ١٢٢/٥، وقـال: رواه البزار، وفيه إبراهيم بن زكريا المعلم، وهو ضعيف جدّاً.

(١) ذكره أبو عبيد في «غريب الحديث» ٢/ ٢٨٠ من حديث أبي هريرة. وقال: وهي التي تقع على ظهور القدمين.

(٢) حديث حسن. أخرجه أبو داود (٣٨٧٨)، والترمذي (٩٩٤)، وابن ماجة (١٤٧٢) و(٣٥٦٦) وغيرهم من حديث ابن عباس. وفي إسناده ضعف. وانظر «الإحسان» (٥٤٢٣).

لكن يشهَدُ له حديث سمرة بن جندب عند النسائي ٤/ ٣٤ و٨/ ٢٠٥، وأحمد ٥/ ٢٠ ـ ٢١، وابن الجارود (٥٢٣)، والحـاكم ٤/ ١٨٥. وفي إسناده فلانٌ حولَ انقطاعِه واتصالِه.

(٣) انظر التعليق السابق.

(٤) أخرجه أبو داود (٣٨٧٨)، والترمذي (٩٩٤)، وابن حبان (٥٤٢٣) و(٦٠٧٢) وانظر تمام تخريجه فيه، من حديث ابن عباس. وفي إسناده عبدالله بن عثمان بن خُثيم، وفيه ضعف.

(فصل: في آداب النوم)

يستحبّ لمن أراد أن ينام، أن يوكئ سقاءه، ويطفىء سراجه، ويغلق بابه، ويغسل فاه إن كان قد أكل ما له رائحة، لئلا يقصده الدبيبُ، ويسمي بسم الله عزّ وجلّ، ثم يقول: ما روى أبو داود بإسناده عن سعد بن عبيدة قال: حدثني البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل: اللهمّ إني أسلمت وجهي إليك وفوّضت أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنتُ بكتابك الذي أنزلتَ ونبيك الذي أرسلت، فإن متَّ متَّ على الفطرة، واجعلهن آخر ما تقول» قال البراء: فقلت أستذكرهن، فقلت: وبرسولك الذي أرسلت، قال: لا وبنبيك الذي أرسلت»[١].

ويكون نومه على ما ذُكِرَ في الخبر على جنبه الأيمن، مُسْتقبلَ القبلة كما يكون في اللحد، وإن نام على ظهره متفكراً في ملكوت السموات والأرض فلا بأس. ويكره نومه على وجهه، وإذا رأى في منامه ما يزعجه استعاذ بالله تعالى من شرّه، وتَفَلَ عن يساره ثلاثاً وقال: اللهم ارزقني خير رؤياي، واكفني شرّها، ويقرأ آية الكرسي و﴿قل هو الله أحد﴾، والمعوّذتين، إلا أن يكون جنباً، ولا يفسر منامه إلا على من يحسن، من عالم أو حكيم، ويكون محباً، ولا يفسرما رآه من الأحلام، لأن الشيطان يتمثل له.

وقد روي عن أبي قتادة رضي الله عنه أنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان، فاذا رأى أحدكم شيئا يكرهه،

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٤٦)، والبخاري (٦٣١٣)، ومسلم (٢٧١٠).

فلينفث عن يساره ثلاث مرّات، ثم ليتعوّذ من شرّها فإنها لا تضره»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «إن رسول الله ﷺ كان إذا انصرف من صلاة الغداة يقول: هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا؟ ويقول: إنه ليس يبقى بعدي من النبوّة إلا الرؤيا الصالحة»[2].

وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ أنه قال: «رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوّة»[3].

وإذا أراد الخروج من منزله ذكر الكلمات التي وردت في حديث الشعبي عن أمّ سلمة رضي الله عنها أنها قالت: «ما خرج رسول الله ﷺ من بيتي قطّ إلا رفع طرفه إلى السماء، فقال: اللهمّ إني أعوذ بك أنْ أضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أزلَّ أو أُزَلَّ، أو أظلم أو أظلم، أو أجهل أو يجهل عليّ»[4].

ويقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ مع المعوّذتين إذا أصبح وإذا أمسى، ويدعو مع ذلك بدعاء رسول الله ﷺ: «اللهم بك نصبح، وبك نمسي، وبك نحيا، وبك نموت، ويزيد في الصباح: وإليك النشور، وفي المساء وإليك المصير»[5].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٩٢) و(٥٧٤٧) و(٦٩٨٤)، ومسلم (٢٢٦١).

(٢) أخرجه مالك ٢/٩٥٦، وأحمد ٢/٣٢٥، وأبو داود (٥٠١٧)، وابن حبان (٦٠٤٨) والحاكم ٤/٣٩٠-٣٩١ بإسنادٍ فيه نظرٌ. لكنه يصحُّ لشواهدِه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٩٨٧)، ومسلم (٢٢٦٤).

(٤) أخرجه أبو داود (٥٠٩٤)، والترمذي (٣٤٢٧)، والنسائي ٨/٢٨٥، وابن ماجة (٣٨٨٤) من طرق عن منصور، عن الشعبي، عن أم سلمة. وهم ثقات، لكن قالَ علي بن المديني: الشعبي لم يلقَ أُمَّ سلمة. وقال الترمذي: هذا حديث حسنٌ صحيح!

(٥) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١١١٩)، وأبو داود (٥٠٦٨)، والترمذي (٣٣٩١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨) و(٥٦٤)، وابن ماجة (٣٨٦٨) بإسنادٍ قوي. وانظر تمام تخريجه في «الإحسان» (٩٦٤) و(٩٦٥).

ويقول مع ذلك: اللهم اجعلني من أعظم عبادك عندك نصيباً في كل خيرٍ تقسمه في هذا اليوم وفيما بعده من نور تهدي به، أو رحمةٍ تنشرها، أو رزقٍ تبسطه، أو ضُرٍّ تكشفه، أو ذنب تغفره، أو شدّة تدفعها، أو فتنة تصرفها، أو معافاة تمنُّ بها برحمتك، إنك على كلّ شيء قدير.

وإذا أراد دخول المسجد فليقدم رِجْلَهُ اليمنى ويؤخر رجله اليسرى، ويقول: بسم الله، السلام على رسول الله ﷺ، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، واغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك وليسلم على مَنْ كان في المسجد، فإن لم يكن فيه أحد قال: السلام علينا من ربنا عزّ وجلّ.

وإذا دخله لا يجلس حتى يأتي بركعتين، ثم إن شاء تَنَفَّلَ وإلا جلس مشتغلاً بذكر الله عزّ وجلّ، أو صامتاً لا يذكر شيئاً من أمور الدنيا، ولا يكثر كلامه إلا ما لابد منه، فإن كان قد دخل وقت الصلاة صلى السنة والفرض مع الجماعة.

فاذا فرغ وأراد الخروج، فليقدم رجله اليسرى ويؤخر اليمنى، وليقل: بسم الله، السلام على رسول الله ﷺ، اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، واغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك.

ويستحبّ له في دبر كل صلاة أن يسبح الله عز وجل ثلاثا وثلاثين، ويحمده ثلاثا وثلاثين، ويكبره ثلاثا وثلاثين ويختم المئة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

ويستحبّ له المداومة على الطهور، فانه روي عن النبيّ ﷺ في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «دُمْ على الطهور تَزِدْ في عمرك، وصلِّ بالليل والنهار ما استطعتَ، تُحِبُّكَ الحَفَظة، وصلِّ صلاة الضحى فإنها صلاة الأوّابين، وسلِّمْ على أهل بيتك إذا دخلت بيتك يكثر خيرُ بيتك، ووقِّر كبيرَ

المسلمين، وارحم صغيرهم ترافقني في الجنة»[1]، فقد جمع هذا الحديث آداباً جمة.

(فصل: في دخول المنزل، والكسب من الحلال والوحدة)

وإذا أراد دخول منزله فلا يدخل حتى يتنحنح ويقول: السلام علينا من ربنا، فقد جاء في بعض الأخبار: إن المؤمن إذا خرج من منزله وكّل الله تعالى ببابه مَلَكين يحفظان ماله وأهله، ويوكلُ إبليسُ سبعين شيطاناً مردة، فإذا دنا المؤمن من بابه قال الملكان: اللهم وفقه، إن كان انقلب بكسبٍ طيب، فإذا تنحنح دنا الملكان وتباعدت الشياطين، وإذا قال: السلام علينا من ربنا توارت الشياطين، وقام الملكان أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال.

وإذا فتح الباب فقال: بسم الله، ذهبت الشياطين، ودخل معه الملكان وحَسَّنا له كُلَّ شيء في منزله، وأطابا له معيشه يومه وليلته؛ فإذا جلس المؤمن قام الملكان على رأسه، فان أكل أكل طيباً، وإن شرب شرب طيباً ما دام في منزله يومه وليلته، وكان طيب النفس.

فإن لم يفعل من ذلك شيئاً ذهب عنه الملكان ودخل معه الشياطين وقَبَّحُوا كل ما في منزله في عينه وأسمعه أهله ما يسوؤه، حتى يكون بينه وبين أهله ما يفسد عليه دينه.

وإن كان أعزب ألقوا عليه النعاس والكسل، وإن نام نام جيفة، وإن جلس جلس في تمني ما لا ينفعه خبيث النفس، ويفسدون عليه طعامه وشرابه ونومه.

---

(١) بنحوه أخرجه الطبراني في «الصغير» ٢/ ٢٠ وهو خبرٌ كذب كما قال أبو حاتم الرازي فيما نقل عنه الذهبي في «الميزان» ١١٨/٣.

وأما الكسب فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من طلب الدنيا حلالاً استعفافاً عن المسألة، وسعياً على أهله، وتعطفاً على جاره، بعثه الله تعالى يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، ومن طلب الدنيا حلالاً مُكَاثراً مفاخراً مرائياً لقي الله عزّ وجلّ يوم القيامة وهو عليه غضبان»[1].

وعن ثابت البناني رحمه الله أنه قال: بلغني أن العافية في عشرة أشياء: تسعةٌ منها في طلب المعيشة، وواحدة في العبادة.

وروي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يفتح الرجل على نفسه باباً من المسألة إلا فتح الله عليه باباً من الفقر، ومَنْ يستعف يعفه الله، ومن يستغنِ يغنهِ الله، ولأنْ يأخُذَ أحدكم حبلاً ثم يعمد إلى هذا الوادي فيحتطبَ منه ثم يأتي سوقكم فيبيعه بمدٍّ تمرٍ، خيرٌ له من أن يسأل الناسَ أعطوه أو منعوه»[2].

وروي: «ما من رجلٍ يفتح على نفسه باباً من المسألة إلا فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر».

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله يحبّ كل مؤمن محترف أبا

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٧/١٦ ـ ١٧، وأبو نعيم في «الحلية» ٣/١١٠ بإسنادٍ ضعيف.

(٢) لم أجده بطوله. ولكن أُخرج متفرقاً.

فقولُه: «لا يفتح الرجلُ على نفسِه باباً من المسألة إلا فتح الله عليه باباً من الفقر» أخرجه الترمذي (٢٣٢٥) من حديث أبي كبشة الأنماري، وهو حديث حسن بشواهده وطرقِه كما حققتُه في «بدائع الفوائد». وانظر «مجمع الزوائد» ٣/١٠٥.

وقوله: «ومن يستعفف... يُغنِه الله» أخرجه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري.

وقوله: «ولأن يأخُذَ...» أخرجه البخاري (١٤٧٠)، ومسلم (١٠٤٢) من حديث أبي هريرة.

العيال، ولا يحب الفارغَ الصحيح، لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة»[1].

وروي أن داود نبي الله عزّ وجلّ سأل الله تعالى أن يجعل كسبه من يده، فألان له الحديد، فصار في يده كالشمع والعجين، يتخذ منه الدروع فيبيعها فيعيش هو وعياله بثمنها.

وقال ابنه سليمان عليهما السلام: ربِّ قد أعطيتني من المُلْكِ ما لم تُعْطِ أحداً قبلي، وسألتك أن لاتعطيه أحداً بعدي فأعطَيْتنيه، فإن قصرتُ في شكرك فدلني على عبدٍ هو أشكر لك مني، فأوحى الله تعالى إليه: يا سليمان إن عبداً يكتسبُ بيده ليسدَّ جوعه ويستر عورته ويعبدني هو أشكر لي منك، فقال: اجعلْ كسبي بيدي، فأتاه جبريل عليه السلام فعلَّمه عمل الخوص يتخذ منه القِفاف فأولُ مَنْ عمل الخوصَ سليمان عليه السلام.

وقيل عن بعض الحكماء أنه قال: لا يقوم الدين والدنيا إلا بأربعة: العلماء، والأمراء، والغزاة، وأهل الكسب.

فالأمراء هم الرعاة، يرعون الخلق. والعلماء هم ورثة الأنبياء، يدلون الخلق على الآخرة والناس يقتدون بهم. والغزاة هم جند الله تعالى في الأرض، يقلع بهم الكفار. وأما أهل الكسب فهم أمناء الله تعالى، بهم مصالح

---

(١) أوله أخرجه ابن عدي ١/٣٦٩ من حديث ابن عمر بإسنادٍ ضعيف. وبالإسناد نفسه أخرجه الطبراني فيما ذكر الهيثمي في «المجمع» ٤/٦٢.

وأخرجه ابن ماجة (٤١٢١) من حديث عمران بن حصين بإسنادٍ ضعيف جداً.

وأخرج أحمد وابن المبارك والبيهقي وابن أبي شيبة عن ابن مسعود أنه قال: إني لأمقتُ الرجلَ أراه فارغاً ليس في شيءٍ من عمل دنيا ولا آخرة، وبنحوه عند سعيد ابن منصور في «سننه».

قلت: ويفهم من كلام السخاوي في «المقاصد» أنَّ إسنادَه ضعيف، وهو كذلك عند ابن المبارك في «الزهد» (٧٤١). وانظر «الأسرار المرفوعة» ص ١٤٧، كشف الخفاء» ١/٢٥٠.

الخلق وعمارة الأرض، فالرعاة إذا صاروا ذئابا فمن يحفظ الغنم؟ والعلماء إذا تركوا العلم واشتغلوا بالدنيا فبمن يقتدي الخلق؟ والغزاة إذا ركبوا للفخر والخيلاء وخرجوا للطمع فمتى يظفر بالعدوِّ؟ وأهل الكسب إذا خانوا الناس فكيف يأمنهم الناس؟ وإذا لم يكن في التاجر ثلاث خصال افتقر في الدنيا والآخرة: أولها لسان نقيّ عن ثلاث: الكذب، واللغو والحلف، والثانية: قلبٌ صافٍ من الغشّ والحسد لجاره وقرينه. والثالثة: نفس محافظة لثلاث خصال: الجمعة، والجماعات، وطلب العلم في بعض ساعات الليل والنهار، وإيثار مرضاة الله تعالى على غيره.

وإياك والكسب الحرام فقد قيل: إذا كسب العبد خبيثاً وأراد أن يأكل منه وقال: بسم الله، قال الشيطان: كل إني كنتُ معك حين كسبته، فلا أفارقك إنما أنا شريكك، فهو شريك كلّ كاسب حرام. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وشَارِكْهُمْ في الأموالِ والأولاد﴾ [الاسراء: ٦٤] فالأموال الحرام والأولاد أولاد الزنا، كذا ذكر في التفسير.

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يكتسب العبد مالاً من الحرام ويتصدّق به فيُؤْجَر عليه، ولا ينفق منه فيبارك له فيه، ولا يترك خلف ظهره إلا كانَ زادَهُ إلى النار»[1].

وبالجملة إنه لا يمتنع من الحرام إلا مَنْ هو مشفقٌ على لحمه ودمه، فدين المرء لحمُهُ ودمه، فليجتنب الحرام، وأهله، ولا يجالسهم، ولا يأكل طعام مَنْ كَسْبُهُ حرام، ولا يدل أحداً على حرام فيكون شريكه، فالورع هو ملاك الدين وقوام العبادة واستكمال أمر الآخرة.

وأما الوحدة والعزلة فقد جاء عن النبيّ ﷺ أنه قال: «عليكم بالعزلة فإنها

---

(١) أخرجه أحمد ٣٨٧/١ بإسنادٍ ضعيف جدّاً. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٢٩٢/١٠ وقال: رواه البزار وفيه من لم أعرفهم.

عبادة»[1].

وقال النبيّ ﷺ: «المؤمنُ جليس ببيته»[2].

وقال النبي ﷺ: «أفضل الناس رجل اعتزل يكفّ الناس شرّه»[3].

وفي بعض الالفاظ عنه ﷺ أنه قال: «الغريب هو الذي يفرّ بدينه».

وعن بعض السلف أنه قال: هذا زمان السكوت ولزوم البيوت، وهو بشر الحافي.

وقيل لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لما تفرّد في قصر بالعقيق: تركت أسواق الناس ومجالس الإخوان وتخليت، فقال: رأيت أسواقهم لاغية ومجالسهم لاهية، فوجدت الاعتزال فيما هناك عافية.

قال وُهَيْب بن الورد رحمه الله: خالطتُ الناس خمسين سنة، فما وجدت رجلاً غفر لي ذلةً، ولا ستر لي عورة ولا أمنته إذا غضب، وما وجدت منهم إلا مَنْ يركبُ هواه.

وعن الشعبيّ رحمه الله أنه قال: تعاشر الناسُ بالدين زمناً طويلاً حتى ذهب الدين، ثم تعاشروا بالمروءة حتى ذهبت المروءة، ثم تعاشروا بالحياء حتى ذهب الحياء، ثم تعاشروا بالرغبة والرهبة، وأظن أنه سيجيء بعد هذا ما هو أشدّ منه.

---

(١) ذكره السيوطي في «جامعه الكبير» من قول ابن سيرين وسعيد بن المسيب، ونسبهما إلى ابن أبي الدنيا في «العزلة». انظر «الكنز» (٨٧١٢) و(٨٧٢٤).

(٢) في هذا المعنى أخرج الترمذي (٢٤٠٦) من حديث عقبة بن عامر قال: قلتُ: يا رسولَ الله ما النجاة؟ قال: أمسِكْ عليك لسانَكَ، وليسَعْكَ بيتُكَ، وابكِ على خطيئتِكَ» وإسناده ضعيف جدّاً.

وأخرجه أبو داود (٤٣٤٣) وأحمد ٢/٢١٢ من حديث عبدالله بن عمرو، وفيه: الزم بيتَكَ، واملِكْ عليك لسانَكَ» وإسنادُه حسن.

(٣) أخرجه أحمد ٣/٤٧٧ بإسنادٍ ضعيف.

وقـال الحكيم: العبـادة عشرة أجزاء. تسعة في الصمت، وواحدة في العزلة، فراودت نفسي على الصمت فلم أقدر عليه، فصرت إلى العزلة فجمعت لي التسعة.

وكان يقول: لا شيء أوعظ من القبر، ولا آنس من الكتاب، ولا أسلم من الوحدة.

وقال بشر بن الحارث رحمه الله: إنما يُطلب العلم لِيُهْرَبَ به من الدنيا لا لِتُطلبَ به الدنيا.

وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «قيل يا رسول الله: أيّ جلسائنا خير؟ قال ﷺ: مَنْ ذَكَّرَتْكُم الله تعالى رؤيتُهُ وزاد في علمكم منطقه وذكّركم الآخرةَ عمله»[1].

وكان عيسى ابن مريم عليه السلام يقول: يا معشر الحواريين تحبّبوا إلى الله عزّ وجـلّ ببغض أهل المعاصي، وتقرّبوا إلى الله تعالى بالتباعد عنهم، والتمسوا رضاه بسخطهم.

وإن كان لا بد من المخـالـطة فلتكن للعلمـاء، فإن النبيّ ﷺ قال: «مجالسة العلماء عبادة»[2].

وقال ﷺ: «ألزمْ قلبك التفكر وجسدك التصبر وعينك البكاء، ولا تهتم لرزقِ غدٍ فإن ذلك خطيئة تُكْتَب عليك، والزم المساجد فإنَّ عُمَّارَ بيتِ الله

---

(١) أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (٦٣١)، وأبو يعلى (٢٤٣٧) من حديث ابن عباس بإسنادٍ ضعيف.
وفي الباب حديث أسماء بنت يزيد الأنصارية عند أحمد ٦/٤٥٩ وإسنادُه ضعيف أيضاً.

(٢) حديث ضعيف. أخرجه الديلمي في «الفردوس» من حديث ابن عباس. كما في «الكنز» برقم (٢٨٧٥٦).

تعالى هم أهلُ الله عز وجل»[1].

قال ﷺ: «من أكثر الاختلاف إلى المساجد أصاب أخاً مستفاداً، ورحمة منتظرة وكلمة تدلُّ على هدى، وأخرى تصرفُ عن الردى، وعلماً مستطرفاً، وترك الذنوب حياء وخشية»[2].

ولو اعتزل الإنسان الناس مهما اعتزل لم يكن له متسعاً في الشرع اعتزال الجمعة والجماعات، فلا يجوز له تركها في الجملة، لأنه يكفر بمداومته على ترك الجمعة لما روي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَنْ ترك الجمعة ثلاثاً من غير عذرٍ طبع اللهُ تعالى على قلبه»[3].

وفي حديث جابر رضي الله عنه: «واعلموا أن الله عز وجل قد افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا في شهري هذا وفي عامي هذا إلى يوم القيامة، مَنْ تركها وله إمام عادل أو جائر استخفافاً بها أو جحوداً لها، فلا جَمَعَ اللهُ له شمله، ولا أتمَّ له أمره، ألا لا صلاةَ له، ألا لا زكاةَ له، ألا لا حجَّ له، ألا لا صومَ له إلا أنْ يتوبَ، فمن تابَ تابَ اللهُ عليه»[4].

---

(١) آخره بلفظ «إنَّ عُمَّار بيوت الله هم أهلُ الله» أخرجه عبد بن حميد (١٢٩١)، والطبراني في «الأوسط»، وأبو يعلى، والبزار كما في «المجمع» ٢/٢٣ من حديث أنس بن مالك بإسنادٍ ضعيف.

(٢) حديث موضوع. أخرجه الطبراني (٢٧٥٠)، وابن عدي ٣/١١٨٧ من حديث الحسن ابن علي. وذكره ابن حبان في «المجروحين» ١/٣٥٧ مما وضعه سعد بن طريف. (وهو في إسناد الحديث). وقال صاحب «المجمع» ٢/٢٣: وفيه سعد بن طريف الإسكاف، وقد أجمعوا على ضعفه.

(٣) حديث حسن. أخرجه أبو داود (١٠٥٢)، والترمذي (٥٠٠)، والنسائي ٣/٨٨، وأحمد ٣/٤٢٤، والدارمي ١/٣٦٩، وابن حبان (٢٧٨٦)، والحاكم ٣/٦٢٤، والبيهقي ٣/١٧٢ و٢٤٧، وابن خزيمة (١٨٥٧) و(١٨٥٨) من حديث أبي الجعد الضمري.

(٤) أخرجه ابن ماجة (١٠٨١)، والبيهقي ٣/١٧١ وغيرهما بإسنادٍ ضعيف جداً.

لأن في تركها استهانة بمنادي الله عزّ وجل، وهو قول الله تعالى: ﴿يا أيها الـذين آمنـوا إذا نُودي للصـلاةِ من يوم الجمعـة فاسعـوا إلى ذكـر الله﴾ [الجمعـة: ٩]. ومن استهان بالله تعالى وبمناديه يكفر، فعليه التوبة وتجديد الإسلام ويتوبُ الله على مَنْ تاب، ولا يجوز تركها إلا لعذر يبيحه الشرع، كما قيل: خذ عن النـاس جانباً غير طاعنٍ عليهم ولا تارك لجماعتهم، فليجتهد المرء في الاعتزال عن الناس ما استطاع، إلا ممن يكون عوناً له في أمر دينه، لأن الكذب إنما يجري بين اثنين، والفجور بين اثنين، وقتل النفس بين اثنين، وقطع المال بين اثنين، والسلامة من ذلك في الاعتزال والانفراد.

(فصل: في آداب السفر والصحبة فيه)

وإذا أراد سفراً أو حجاً أو غزواً أو تحوّلاً من دار إلى دار أو طلب حاجة، فليصلِّ ركعتين ثم يطلب حاجته، ويتحوّل.

وأما في السفر فليقلْ على رأس الركعتين: اللهم بلغ بلاغاً مبلغ خير ومغفـرة منـك ورضواناً، بيدك الخير وأنت على كل شيء قدير؛ اللهم أنتَ الصاحبُ في السفر والخليفة في الأهل والمال والولد؛ اللهم هوِّنْ علينا السفر واطوِ عنا البعد؛ اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والولد والمال.

ويتحرّى أن يكون ذلك بكرة خميس أو سبت أو اثنين.

وإذا استوى على راحلته قال: ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كُنَّا له مُقْرنين* وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ [الزخرف: ١٣، ١٤]. وإذا رجع من السفر صلى ركعتين، وقال: آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون، لأنه روي عن النبيّ ﷺ أنه كان يفعله[1]، وإذا خرج فلا يكن قائداً للناس إذا وجد من يقودهم،

(١) أخرجه البخاري (٦٣٨٥)، ومسلم (١٣٤٤) من حديث ابن عمر.

ولا يشير عليهم بمنازل ينزلونها إذا وجد من يكفيه ذلك، وعليه بالصمت وحُسْنِ الصحبة، وكثرة المنفعة لإخوانه، وإياه والقيل والقال، ولا ينزل على الطريق، ولا على ماء، فإنـه مأوى الحيات والسبـاع بل يتنحى عنه، ولا يعرِّس على الطريق فإنه مكروه. وينبغي أن يكون سفره على لسان المعرفة، ويخرج من أوصافه المذمومة إلى صفاته المحمودة، فيخرج من هواه إلى طلب رضا مولاه بتصحيح تقواه.

فأول ما يجب عليه إذا أراد أن يسافر من بلده، أن يرضي خصومه، وأن يرضي والديه ومن يكون في حكمهما من الأجداد والخالات، ويخلف لعياله ما يمونهم في مدة سفره، أو يستصحبهم ويحملهم معه.

وينبغي أن يكون سفره لطاعة من الطاعات كالحج أو زيارة النبيّ ﷺ أو زيارة شيخ أو موضع من هذه المواضع الشريفة، أو لمباح كالتجارة، والعلم بعد أحكـام علوم العبـادات الخمس، لأن علمهـا فريضة وما وراءها مباح، وفيه فضل، وقيل: فرض على الكفاية.

وينبغي أن يعاشر أصحابه في سفره بحسن الخلق وجميل المداراة وترك المخالفة واللجاج في جميع الأشياء، ويشتغل بخدمة أصحابه في السفر، ولا يستخدم أحداً إلا عند الضرورة، ويجتهد أبداً أن يكون في سفره على الطهارة.

ومن آداب الصحبـة أن يقف مع صاحبـه إذا عَيِيَ، ويسقيه المـاء إذا عطش، ويَرْفُق به إذا ضجر، ويداريه إذا غضبَ، ويحفظه ورَحْله إذا نام، ويؤثره إذا قَلَّ الزاد، ويواسيه بما يفتح له، ولا ينفرد به دونه، ولا يكتمه سرّاً، ولا يفشي له سرّاً، ولا يستظهره إلا بجميل، ويردّ غيبته، ويحسن ذكره عند الـرفقـة ولا يعيبه عندهم، ولا يشكو منه إليهم، ويتحمل أذاه، وينصحه إذا شاوره، ويسأله عن اسمه وبلده ونسبه وإن كان أرفع منه منزلة، ويظهر للرفقة أنه تابعٌ له، وإن كان هو المتبوع، وأوضحَ لتابعه عيوبَ نفسه على طريق النصح له لا على طريق التوبيخ والتعنيف.

وينبغي أن يتعوّذ من كل شيء يخافه عندما يحلّ بموضع أو ينزل بمنزل أو يجلس في مكان أو ينام فيه بأن يقول: «أعوذ بالله وبكلماته التامات التي لا يجاوزهن بَرٌّ ولا فاجر، وبأسماء الله الحسنى كلها، ما علمتُ منها وما لم أعلم، من شرّ ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شرٍّ ما ينزلُ من السماء وما يعرج فيها، ومن شرّ ما ذرأ في الأرض ومن شرّ ما يخرج منها، ومن فتن الليل والنهار، ومن طارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرقُ منكَ بخير يا أرحم الراحمين، ومن كلّ دابةٍ ربي آخذٌ بناصيتها، إنَّ ربي على صراطٍ مستقيم» ولا يتخذ في الركاب الأجراس، لأن النبيّ ﷺ قال: «إنه مع كل جرس شيطان»[1].

وقال ﷺ: «إن الملائكة لا تصحب رفقةً فيها جرسٌ»[2].

ويستحبّ أن يصحب في سفره عصا، ويجتهد أن لا يخلو منها، لما روى ميمون بن مهران، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إمساك العصا سنة الأنبياء وعلامة المؤمنين.

وقال الحسن البصري رحمه الله: في العصا ست خصال: سنة الأنبياء، وزيّ الصالحين، وسلاح على الأعداء ـ يعني الحية والكلب وغير ذلك ـ وعون الضعفاء، وغم المنافقين، وزيادة في الحسنات.

ويقال: إذا كان مع المؤمن العصا هرب الشيطان منه، وخشع منه المنافق والفاجر، وتكون قِبْلَتُه إذا صلى وقوته إذا أعيا، وفيها منافع كثيرة كما قال الله في قصة موسى عليه السلام: ﴿هي عصاي أتوكأ عليها وأهشُّ بها على غنمي وليَ فيها مآرب أخرى﴾ [طه: ١٨].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٣٠) من حديث عمر بإسنادٍ ضعيف.

(٢) أخرجه مسلم (٢١١٣) من حديث أبي هريرة. وأبو داود (٢٥٥٤) من حديث أم حبيبة. وانظر تمام تخريجهما في «الإحسان» (٤٧٠٠) و(٤٧٠٥) و(٤٧٠٣).

(فصل)

ولا يجوز خصاء شيء من الحيوان والعبيد، نص عليه الإمام أحمد في رواية حرب وأبي طالب، وكذلك السمة في الوجه على ما نقل أبو طالب عنه، لأن النبيّ ﷺ: «نهى أن يخصى كل ذي نسل من البهائم»[1] في حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه ﷺ: «نهى عن الوسْم في الوجه، ورخّص فيه في الأذن»[2] وإن كان لا بد من الوسم لأجل العلامة ليعرفوا البهائم حين الاختلاط جاز في غير الوجه كالأفخاذ والأسنمة.

(فصل المحظورات في المساجد)

ولا يجوز فعل شيء من المستقذرات في المساجد، ويكره العمل فيها كالخياطة والخرازة والبيع والشراء وما أشبه ذلك؛ ويكره رفع الأصوات، إلا بذكر الله تعالى. والنخامة في المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها.

ويكره زخرفة المساجد بالتزاويق والخلوق، ولا بأس بتجصيصها وتطيينها؛ ويكره اتخاذها بيتاً ومقاماً إلا للغريب أو المعتكف، لأن النبيّ ﷺ أنزل وفد بني عبد قيس وروي: ثقيف في المسجد.

---

(١) أخرجه ابن عدي ١١٦٧/٣ من حديث ابن عمر بلفظ: «نهى عن إخصاء الفحول لئلا ينقطع النسل» وبنحوه أخرجه أحمد ٢٤/٢ ،وكلا الاسنادين ضعيف. والصحيحُ أنه موقوف كما قال البيهقي في «السنن» ٢٤/١٠ . وأخرجه من غير هذا الوجه مرسلاً.

(٢) طرفُه الأول أخرجه مسلم (٢١١٦) من حديث جابر. وطرفُه الذي يُشير إلى الجواز في وسم الآذان أخرجه مسلم (٢١١٩) من حديث أنس.

ولا بأس بإنشاد الشعر والقصائد فيها الخالية من السخف والهجاء للمسلمين، والأولى صيانتها إلا أن تكون من الزهديات المرقّقات المشوّقات المبكيات، فيجوز الإكثار منها، والأولى من ذلك القرآن والتسبيح لأن المساجد وضعت لذكر الله تعالى والصلاة، فينبغي أن تخلو عما سوى ذلك.

ويكره نقل تراب المسجد، وأما ما حصل فيه من المزابل والكناسة فيستحبّ إخراج ذلك وفيه فضل كثير، وقد روي عن النبيّ ﷺ أن ذلك مهور الحور العين[1].

ويكره تمكين الصبيان والمجانين من دخوله، ولا بأس بعبور الجنب فيه وتُمنعُ الحائضُ لأنه لا يُؤمَنُ من تلويثِ المسجد، وإذا دعت الضرورة للجنب جاز له أن يتوضأ ويلبث في المسجد إلى حين يقدر على الغسل، والأولى أنْ يتيمم للجنابة مع ذلك أيضا، وكذلك إذا لم يجد الماء إلا في بئر المسجد تيمم لجوازه إلى البئر، ثم يغتسل إذا وصل إليها.

(فصل: في الأصوات)

فما كان منها من إنشاد الأشعار المتعرية من الملاهي على ضربين: مباح، ومحظور.

فالمباح: ما لا سُخْفَ فيه. والمحظور: ما كان فيه سخف. فأما ما ينضم إلى الملاهي فمحظور، سواء خلا عن السخف أو قارن السخف، إلا أنه إذا قارنه سُخْفٌ حصل الحظر لعلتين.

وتكره قراءة القرآن بالألحان المشبهة بأصوات الأغاني المطربة إعظاماً لها وتنزيهاً، لأن الغالب من ذلك إخراج الكلام عن سننه وإسقاط الإطالة والهمز

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في «موضوعاته» ٣/٢٥٣ من حديث أنس، ولا يصحُّ كما قال، فإن فيه مجاهيل ومتروكاً.

في موضعه وإطالة المقصور وقصر الممدود وإدغام الحروف، ولأن ثمرة القراءة خشية الله عزّ وجلّ، وتجديد التوبة عند سماع مواعظه والاعتبار ببراهينه وقصصه وأمثاله والتشوّق إلى وعده، وذلك يزول بطيب سماعه، قال الله عزّ وجلّ: ﴿إنّما المؤمِنُونَ الذينَ إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قلوبُهم، وإذا تُلِيَتْ عليهِمْ آياتُه زادتْهُمْ إيماناً وعلى ربِّهم يتوكّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢] وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرونَ القرآنَ﴾ [النساء: ٨٢ محمد: ٢٤] وقوله جلّ وعلا ﴿لِيَدَّبَّروا آياتِهِ﴾ [ص: ٢٩] وقوله تعالى: ﴿وَإذا سَمِعوا ما أُنزِلَ إلى الرسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهم تفيضُ مِنَ الدمعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحقِّ﴾ [المائدة: ٨٣].

والألحان المطربة تحول بين ذلك، فَكُرِهَ لأجل ذلك، ولا يسافر بالمصحف إلى أهل الحرب حتى لا ينالوا منه ويستخِفُّوا بحرمته ولا يستمع إلى أصوات الأجنبيات من شوابِّ النساء، لأن النبيّ ﷺ قال: «التسبيح للرجال والتصفيق للنساء»[1] هذا إذا ناب المصلي نائب في صلاته فكيف بالشعر والغزل والأمور المهيجة لطباع الناس من ذكر صفات العشاق والمعشوقين ودقائق صفات المحبة والميل وصفات المشتهاة التي تتوق النفس إلى سماعها، فتهيج دواعي السامع وتثير طبعه إلى المحارم، فلا يجوز لأحد سماع ذلك.

وإن قال قائل: إني أسمعها على معانٍ أسلم فيها عند الله تعالى كذّبناه، لأن الشرع لم يفرق بين ذلك، ولو جاز لأحد لجاز للأنبياء عليهم السلام، ولو كان ذلك عذراً لأجزنا سماعَ القيان لمن يدعي أنه لا يطربه، وشربَ المسكر لمن ادّعى أنه لا يُسْكِرُهُ، فلو قال: عادتي أني متى شربتُ الخمر انكففتُ عن الحرام لم نُبِحْهُ له.

ولو قال: عادتي إذا شهدت المردان والأجنبيات وخلوتُ بهن اعتبرت في حُسْنِهم لم نجز له ذلك، بل نقول: تركُ ذلك واجب، والاعتبار بغير المحرمات أكثر من ذلك، وإنما هذه طريقة من أراد تناول الحرام بطريق الله عزّ وجلّ

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٠٣)، ومسلم (٤٢٢) من حديث أبي هريرة.

فيركب هواه، فلا نسلم لأصحابها ولا نلتفت إليهم، قال الله عز وجل: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم﴾ [النور: ٣٠] فمن قال: النظر أزكى كان مُكَذِّباً للقرآن؛ ويكره الندب والنياحة، فأما البكاء على الميت فغير مكروه.

(فصل: في الإذن في قتل الحيوان، ما يباح منه وما لا يباح)

فمن رأى شيئا من الحيات في منزله فليؤذنه ثلاثاً، فإن بدا له بعد ذلك فليقتله. وأما في الصحارى فيجوز قتله من غير إيذان، وكذلك الأبتر وهو قصير الذنب، وذو الطفيتين الذي في ظهره خط أسود، وقيل له شعرتان سوداوان بين عينيه فإنه يقتله بلا إيذان.

وصفة الإيذان أن يقول: امض بسلامٍ لا تؤذنا، قد جاء في ذلك «أن النبيّ ﷺ سئل عن حيات البيوت فقال: إذا رأيتم منهن شيئاً في مساكنكم فقولوا: أنشدكم العهدَ الذي أخذه عليكم نوح، أنشدكم العهد الذي أخذه عليكم سليمان أن لا تؤذونا، فإن عدن فاقتلوهن»[1].

وما روي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقتلوا الحيات كلهن، فمن خاف ثأرهن فليس مني»[2].

وفي حديث سالم عن أبيه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: إن

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٢٦٠)، والترمذي (١٤٨٥)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٦٨) من حديث أبي ليلى الأنصاري بإسنادٍ ضعيف.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٢٤٩)، والنسائي ٦/٥١، والطبراني في «الكبير» (١٠٣٥٥) من حديث ابن مسعود وفيه ضعف. لكنه يتقوى بحديث ابن عباس عند أبي داود (٥٢٥٠)، وأحمد ١/٢٣٠. وحديث أبي هريرة عند أبي داود (٥٢٤٨)، وأحمد ٢/٤٣٢ و٥٢٠، والحميدي (١١٥٦)، وابن حبان (٥٦٤٤).

رسول الله ﷺ قال: «اقتلوا الحيات وذا الطفيتين والأبتر، فإنهما يكفان البصر ويسقطان الحبل»[1].

قال: وكان عبدالله رضي الله عنه يقتل كل حية وجدها، فأبصره أبو لبابة رضي الله عنه وهو يطارد حية فقال: إنه قد نهى عن ذوات البيوت.

والأصل في النهي عن ذوات البيوت ما روي عن أبي السائب قال: أتيت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه، فبينا أنا جالس عنده سمعت تحت سريره تحريك شيء، فنظرت فإذا حية، فقمت، فقال أبو سعيد: ما لك؟ قلت: حية هاهنا، قال: فتريد ماذا؟ قلت: أقتلها، فأشار إلى بيت في داره تلقاء بيته، فقال: إن ابن عم لي كان في هذا البيت، فلما كان يوم الأحزاب استأذن إلى أهله، وكان حديثَ عهدٍ بعرس، فأذن له رسول الله ﷺ وأمره أن يذهب بسلاحه، فأتى داره فوجد امرأته قائمة على باب البيت، فأشار إليها بالرمح، فقالت: لا تعجل حتى تنظر ما أخرجني، فدخل البيت، فإذا حية منكرة، فطعنها بالرمح ثم خرج بها في الرمح يرتكضُ، قال: فلا أدري أيهما كان أسرع موتاً الرجلُ أو الحية، فأتى قومُهُ رسولَ الله ﷺ فقالوا: ادعُ الله تعالى أن يردّ صاحبنا، فقال: استغفروا لصاحبكم، ثم قال: «إن نفراً من الجن أسلموا بالمدينة، فإذا رأيتم أحداً منهن فحذِّروه ثلاثَ مرات، ثم إن بدا لكم بَعْدُ أن تقتلوه فاقتلوه بعد الثلاث»[2].

وروي في بعض الألفاظ: «فليؤذِنْهُ ثلاثاً، فإن بدا له فليقتله فإنه شيطان»[3].

ويجوز قتل الأوزاغ لما روى عامر بن سعد عن أبيه رضي الله عنه قال:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٩٧)، ومسلم (٢٢٣٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٣٦).

(٣) مسلم (٢٢٣٦) (١٤١).

«أمر رسول الله ﷺ بقتل الوزغ، وسماه فويسقاً»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «إن في أول ضربة سبعين حسنة»[2] يعني في قتلها بأول ضربة كان له ذلك.

ويكره قتل النمل إلا من أذية شديدة، لما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ: «أن نملة قرصت نبياً من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه: أفي أنْ قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح»[3].

ويكره قتل الضفدع، لما روي عن عبدالرحمن بن عثمان: «أنه سأل النبيّ ﷺ عن ضفدع يجعلها في دواء فنهاه النبيّ ﷺ عن قتلها»[4].

ويكره قتل جميع ما يباح قتله بالنار من القمل والبق والبراغيث والنمل، لقوله ﷺ: «لا يعذِّبُ بالنار إلا ربّ النار»[5].

ويجوز قتل كل شيء يؤذي من الحيوانات، وإن لم توجد منه الأذية بعد ما كان مخلوقاً على صفة تؤذي، لأنَّ من طبعه الأذية، وذلك كالحية التي ذكرنا صفتها والعقرب والكلب العقور والفأرة وغير ذلك، وكذلك الكلب الأسود البهيم لأنه شيطان[6] وكل حيوان يجده إنسان عطشاناً أُثيبَ على إسقائه الماء، لقوله

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣٨) من حديث سعد بن أبي وقاص. وفي الباب حديث أم شريك عند البخاري (٣٣٥٩)، ومسلم (٢٢٣٧). وحديث أبي هريرة عند أبي هريرة (٢٢٤٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٤٠) (١٤٧) بإسنادٍ قوي.

(٣) أخرجه البخاري (٣٣١٩)، ومسلم (٢٢٤١).

(٤) أخرجه أحمد ٤٥٣/٣، وابن أبي شيبة ٩٢/٨ وأبو داود (٣٨٧١)، والنسائي ٢١٠/٧، والبيهقي ٣١٨/٩ وغيرهم من حديث عبدالرحمن بن عثمان التيمي. ورجالُ إسنادِه ثقات. قال البيهقي: هو أقوى ماوَرَدَ في الضفدع.

(٥) أخرجه البخاري (٣٠١٦) من حديث أبي هريرة. وانظر تمام تخريجه في «الإحسان» (٥٦١١).

(٦) أخرجه مسلم (١٥٧٢) من حديث جابر.

ﷺ: «في كلّ كبد حرّى أجر»[1]، هذا إذا لم يكن مؤذيا.

وأما المؤذي فلا يسقيه، فإن ذلك تنمية وتكثير للأذية، وذلك لا يجوز.

ولا يجوز اتخاذ الكلب وتربيته في داره إلا للحرس أو الصيد أو الماشية وإن كان عقوراً حَرُمَ تركه، قولاً واحداً، ووجب قتله ليدفع شرّه عن الناس. وقد ورد في بعض الأحاديث: «من اقتنى كلباً لغير ماشية أو صيد نقص من أجره كل يوم قيراطان»[2].

ولا يجوز تكليف الحيوان البهيم فوق طاقته في الحمل والحرث والسير، ومنعه ما يكفيه من العلف، فإنَ فعل ذلك أثم. ويكره له إطعامه فوق طاقته، وإكراهه على أكل ما اتخذه الناسُ عادةً لأجل التسمين.

ويكره الأكل من كسب الحجام، لأن في ذلك دناءة، وقد قال ﷺ: «كسب الحجام خبيث»[3].

وقد حرّم ذلك بعض أصحابنا، لأن ذلك مرويّ عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى.

(فصل)

وبرّ الوالدين واجب، قال الله عز وجل: ﴿إمّا يبلُغَنَّ عندَكَ الكِبَرَ أحدُهما أو كِلاهُما فَلاَ تَقُلْ لهما أفٍّ ولا تَنْهَرْهما وقُلْ لهما قَوْلاً كريماً﴾ [الإسراء: ٢٣] وقال تعالى: ﴿وصاحِبْهما في الدنيا مَعرُوفاً﴾ [لقمان: ١٥] وقال جل وعلا: ﴿أنِ اشْكُرْ لي ولِوالديْكَ إليَّ المصيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٦٣)، ومسلم (٢٢٤٤) من حديث أبي هريرة. ولفظ المصنف عند أحمد ٢/٢٢٢ من حديث عبدالله بن عمرو بنحو القصة المروية عند الشيخين.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٢٢) ومسلم (١٥٧٥) من حديث أبي هريرة. ولفظ القيراطين لمسلم، واشتركا بلفظ: «قيراط».

(٣) أخرجه مسلم (١٥٦٨) من حديث رافع بن خديج.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «من أصبح مُسْخِطاً لوالديه أصبح له بابان مفتوحان إلى النار، ومن أمسى مسخطاً لوالديه أمسى له بابان مفتوحان إلى النار، وإن كان واحداً فواحداً، وإنْ ظلماهُ وإن ظلماه وإن ظلماه»[1].

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «رضا الربِّ في رضا الوالدين، وسخطه في سخط الوالدين»[2].

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال: «جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: إني أريدُ الجهادَ، فقال: ألك أبوان؟ قال: نعم، قال، ﷺ: ففيهما فجاهد»[3].

وصفة البرّ أن تكفيهما ما يحتاجان إليه وتكفَّ عنهما الأذى وتداريهما مداراةَ الطفل الصغير، ولا تتضجر منهما ولا من حوائجهما وتجعل خدمتهما بدلاً من كثير نوافلك من الصلاة، والصيام وتستغفر لهما عقيب صلواتك، ولا تحوجهما إلى التعب وتتحمل أذاهما، ولا تُعْلِ صوتكَ على أصواتهما، ولا تخالفهما فيما لا يكون فيه خرقٌ للشرع.

معناه: لا يكون في ذلك ترك الفرائض كحَجَّةِ الإسلام، والصلوات الخمس والزكاة والكفارة والنذر، وأن لا يكون في ذلك ارتكاب المحرّم من أنواع المناهي من الزنا وشرب الخمر والقتل والقذف وأخذ المال كالغصب والسرقة، لقول النبيّ ﷺ: «لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصية الله تعالى»[4].

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في «العلل» ٢/٢١١ من حديث ابن عباس، وفيه انقطاع.

(٢) أخرجه الترمذي (١٨٩٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢)، وابن حبان (٤٢٩)، والحاكم ٤/١٥١ - ١٥٢، والبغوي (٣٤٢٣) و(٣٤٢٤) وإسنادُه فيه جهالة. واختُلف في رفعه ووقفه في الروايات السابقة، ورجَّحَ الترمذي أنَّ الحديث موقوف.

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٠٤)، ومسلم (٢٥٤٩).

(٤) بنحوه أخرجه البخاري (٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٠)، وانظر ابن حبان (٤٥٦٧)

وقد قال تعالى: ﴿وإنْ جاهَداك على أَنْ تُشْرِكَ بي ما لَيْسَ لكَ به عِلْمٌ فلا تُطِعْهُمَا وصاحِبْهُمَا في الدنيا مَعرُوفاً﴾ [لقمان: ١٥].

فهذا الحديث والآية عامٌ في تركِ طاعة كل مَنْ أمر بمعصية الله أو ترك طاعته، ومذكور ذلك عن الإمام أحمد في رواية أبي طالب في الرجل الذي ينهاه أبواه عن الصلاة في الجماعة، فقال: ليس لهما طاعة في ترك الفرض. وأما النوافل فيجوز تركها لطاعتهما، بل الأفضل طاعتهما.

ومن البرّ لهما أن تَصِلَ مَنْ وصلهما، وتهجر من هجرهما، وتغضب لهما كما تغضب لنفسك في الموت والحياة، وإذا ثار طبعك في الغضب عليهما فاذكر تربيتهما وسهرهما وإشفاقهما وتعبهما، وقول الله تعالى: ﴿وقُلْ لهما قولاً كريماً﴾ [الإسراء: ٢٣] فإنْ لم تردعك عن غيظك الرحمةُ لهما، فاعلم أنك محرومٌ مسخوط عليك، فَتُبْ إلى الله تعالى إذا سكن غضبك إنْ كنت خالفت أمره فيهما، ولا تسافر سفراً ليس بواجب عليك إلا بأمرهما، ولا تَغْزُ إلا أن يَتَعيَّنَ عليك إلا بإذنهما، ولا تفجعهما بنفسك، فقد نهى غيركِ أن يفجعهما بك، فقال النبيّ ﷺ: «لعن الله المُفَرِّقَ بين الوالدةِ وولدها»[1].

«وإنْ ظفـرت بطعام أو شراب فعليك بإيثارهما بأطيبه، فطالما آثراك، وجاعا وأشبعاك، وسهرا ونوَّماك، تَرْشُدْ بذلك إن شاء الله تعالى.

= و(٤٥٦٨) و(٤٥٦٩) من حديث علي.

(١) أخرجه ابن ماجة (٢٢٥٠) من حديث أبي موسى الأشعري، وفي إسناده ضعف، على اختلاف في إرساله ووصله. انظر «نصب الراية» ٤/ ٢٥.

وأخرجه الترمذي (١٢٨٣) من حديث أبي أيوب مرفوعاً: «مَنْ فَرَّقَ بينَ الوالدةِ وولدِها فَرَّقَ الله بينه وبين أحبته يوم القيامة». وفي إسناده ضعف لذا قال الترمذي: حديث حسن غريب. وقد رُوِيَ من أوجهٍ عن أبي أيوب فيها ضعف. انظرها في «نصب الراية» ٤/ ٢٣ ـ ٢٤. وفي الباب حديث عمران بن حصين عند الحاكم ٢/ ٥٥ بنحو حديث أبي موسى. وبالجملة فالحديث صحيح إن شاء الله.

(فصل: فيما يستحبّ من الكنى والأسماء وما يكره منها)

يمنع الإنسان أن يسمي ولده ويكنيه باسم النبيّ ﷺ وكنيته، ويجوز إفراد أحدهما عن الآخر. وقد روي عن الإمام أحمد رحمه الله رواية أخرى كراهيته في الجملة، يعني الجمع والإفراد، وروي عنه الجواز في الجملة.

والدليل على جواز التسمية باسم النبيّ ﷺ دون كنيته، ما روى أنس بن مالك وأبو هريرة رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ أنه قال: «سَمُّوا باسمي ولا تكنوا بكنيتي»[1].

والدليل على جواز الجمع بينهما، ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «جاءت امرأة إلى النبيّ ﷺ فقالت: يا رسولَ الله إني ولدتُ غلاماً فسميته محمداً وكنيته بأبي القاسم، فذُكِرَ لي أنكَ تكرهُ ذلك، فقال ﷺ: ما الذي أحلَّ اسمي وحرّم كنيتي، أو ما الذي حرَّمَ كنيتي وأحلّ اسمي»[2].

ويكره من الكنى أبو يحيى وأبو عيسى.

ويكره أن يسمي عبيده بأفلح ونجاح ويسار ونافع ورباح وبركة وبرة وحزن وعاصية لما روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لئن عشتُ لأنهينَّ أن يسمى العبيد يساراً أو بركة أو رباحاً أو نجاحاً أو أفلح»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٩)، ومسلم (٢١٣٤) من حديث أبي هريرة. وفي الباب غيره.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٦٨)، والطبراني في «الصغير» ١/١٤ ـ ١٥ بإسنادٍ فيه ضعف. وقال ابن حجر في «التهذيب» ٩/٣٣٩ في ترجمة محمد بن عمران الحجبي: وهو متن منكر مخالف للأحاديث الصحيحة.

(٣) أقربُ مارُوي بلفظه ما أخرجه ابن حبان (٥٨٤١)، والحاكم ٤/٢٧٤ من حديث جابر ابن عبدالله.
=

ويكره من الألقاب والأسماء ما يوازي أسماء الله تعالى، كملك الملوك وشاهنشاه وما شاكل ذلك، لأن ذلك عادة الفرس ويكره التسمي بالأسماء التي لا تليق إلا بالله سبحانه وتعالى، كَقُدُّوس وإله وخالق ومهيمن، قال الله تعالى: ﴿وجعلوا لله شركاء قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [الرعد: ٣٣] قال بعض المفسرين: قل سموهم بأسمائي، فانظروا ذلك هل تليق بهم؟

ويحرم على كل واحد أن يُلَقِّبَ أخاه أو عبده بلقبٍ يُكْرَهُ، لأن الله تعالى نهى عن ذلك، فقال عزّ وجلّ: ﴿ولا تَنابَزُوا بالأَلْقابِ﴾ [الحجرات: ١١] وسماه فسوقاً، ويستحبّ أن تدعو أخاكَ بأحبّ أسمائه إليه.

(فصل)

ويستحبّ لمن غضب إنْ كان قائماً أن يجلس، وإن كان جالساً أن يضطجع وإن مسّ الماءَ البارد سكن غضبهُ، لما روى الحسن رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال: «إن الغضب جمرة تتوقد في قلب ابن آدم، فإذا وجد أحدكم ذلك فإن كان قائماً فليقعد، وإن كان قاعداً فليتكئ»[1].

ويكره أن يجلس الرجل بين قوم وهم في سِرٍّ بغير إذنهم، لأن النبيّ ﷺ

= وبنحوه أخرجه أبو داود (٤٩٦٠) وغيره بلفظ: «إن عشتُ إن شاء الله أَنهى أمتي أن يُسموا نافعاً وأفلح وبركة».

وأصلُ الحديث بنحو هذا اللفظ عند مسلم (٢١٣٨). وصرَّح بالنهي عنده أيضاً (٢١٣٦) و(٢١٣٧) من حديث سمرةَ بن جندب.

(١) حديث ضعيف أخرجه عبدالرزاق (٢٠٢٨٩) في «جامع معمر» من حديث الحسن مرسلاً.

وأخرجه أحمد ١٩/٣ من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ: «ألا إنَّ الغضبَ جمرةٌ توقَّدُ في جوف ابن آدم، ألا ترونَ إلى حمرة عينيه، وانتفاخ أوداجه، فإذا وَجَدَ أحدُكم شيئاً من ذلك فالأرض الأرض» وإسنادُه ضعيف.

نهى عن ذلك.

ويكره الجلوس بين الظلّ والشمس. ويكره الاتكاء على يده اليسرى، والاضطجاع بين الجلوس، وإذا قام من مجلسه يُسْتَحبُّ له أن يقول كفارة المجلس: سبحانكَ اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوبُ إليك.

ويكره المشي بالنعل في المقابر، ويستحبّ لمن دخلها أن يقول: اللهم ربّ هذه الأجساد البالية والعظام النخرة، التي خرجت من دار الدنيا وهي بك مؤمنة، صلِّ على محمد وعلى آل محمد، وأنزل عليهم روحاً منك وسلاماً مني؛ ويقول: السلام عليكم دارَ قومٍ مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون. لأنه مرويٌّ أيضاً[2].

وإذا زار قبراً لا يضع يده عليه ولا يقبله فإنه عادة اليهود ولا يقعد عليه ولا يتكئ إليه ولا يدوسه إلا أن يضطر إلى ذلك كله، بل يقف عند موضع وقوفه منه أن لو كان حياً، ويحترمه كما لو كان حياً، ويقرأ إحدى عشرة مرّة: ﴿قل هو الله أحد﴾ وغيرها من القرآن، ويهدي ثواب ذلك لصاحب القبر، وهو أن يقول: اللهم إنْ كنتَ قد أَثَبْتَنِي على قراءةِ هذه السورةِ فإني قد أهديتُ ثوابها لصاحبِ هذا القبر، ثم يسأل الله حاجته.

ولا يكسر عظماً ولا يدوسه، فإنْ أُلجئَ إلى ذلك واضطرّ فليستغفر الله لصاحب القبر، وتكره الطيرة، ولا بأس بالتفاؤل، ويستحبّ التواضع لكل واحدٍ من المسلمين، ويستحبّ توقير الشيوخ ورحمة الأطفال والعفو عنهم، ولا يترك تأديبهم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٧٥٢)، وأبو داود (٤٨٤٤) و(٤٨٤٥) من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده. وهذا إسنادٌ يُحَسَّن. وأحدُ لفظي أبي داود: «لا يُجلس بين رجلين إلا بإذنهما».

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٩) من حديث أبي هريرة بإسنادٍ حسن.

(فصل)

ويجوز أن يقول الرجل لغيره: صلى الله عليكَ وصلى الله على فلان بن فلان، لما روي أن علياً رضي الله عنه قال لعمر رضي الله عنه: صلى الله عليك، والنبيّ ﷺ قال: «اللهمّ صلِّ على آل أبي أوفى»[1].

(فصل)

وتكره مصافحة أهل الذمة، لما روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول ﷺ: «لا تصافحوا أهلَ الذمة»[2].

(فصل)

والأدب في الدعاء أن يمدّ يديه، ويحمد الله تعالى، ويصلي على النبيّ ﷺ ثم يسأل حاجته، ولا ينظر إلى السماء في حال دعائه، وإذا فرغ مسح يديه على وجهه، لما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «سَلُوا اللهَ ببطونِ أكفِّكم»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٣٢) و(٦٣٥٩)، ومسلم (١٠٧٨) من حديث أبي أوفى.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» كما في «المجمع» ٤٢/٨، وقال الهيثمي: وفيه سفيان ابن وكيع، وهو ضعيف. ولفظه: «لا تصافحوا اليهود والنصارى».

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٨٥) من حديث محمد بن كعب القُرظي عن ابن عباس بإسنادٍ ضعيف. وقال أبو داود عقبه: رُوي هذا الحديث من غير وجه عن محمد بن كعب، كُلُّها واهية، وهذا الطريق أمثلُها، وهو ضعيف أيضاً.

(فصل)

والتعوّذ بالقرآن جائز لقوله عز وجل: ﴿فاسْتعِذْ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيم﴾ [النحل: ٩٨] وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١].

وما روي «أن النبيّ ﷺ كان إذا اشتكى شيئاً قرأ على نفسه المعوّذتين ونفث»[1].

وكان ﷺ يقول: «أعوذ بوجه الله الكريم وكلماته التامات من شرّ ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شرّ كل دابة، ربي آخذٌ بناصيتها»[2].

وكذلك الرقية بالقرآن وبأسماء الله الحسنى جائزة لقوله عزّ وجلّ: ﴿ونُنَزِّلُ من القرآنِ ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين﴾ [الإسراء: ٨٢] وقال تعالى: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾ [الأنعام: ٩٢].

قال النبيّ ﷺ: «استرقوا لها فإنه لو سبق القدرَ شيءٌ لسبقته العين»[3]

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠١٦)، ومسلم (٢١٩٢) من حديث عائشة.

(٢) لم أره بطوله هذا. ولكن أخرجه أبو داود (٥٠٥٢) من حديث علي مرفوعاً أنه كان يقول عند مضجعه: اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم، وكلماتك التامة، من شَرِّ ما أنتَ آخذٌ بناصيته..» وهو حسنٌ. يشهَدُ له حديث أبي هريرة عند مسلم (٢٧١٣): «أعوذ بك من شرِّ كلِّ شيءٍ أنتَ آخذٌ بناصيته» وفي رواية: «من شرِّ كل دابة أنت آخذ بناصيتها». وحديث خولة بنت حكيم السلمية عند مسلم (٢٧٠٨) بلفظ: «مَنْ نَزَلَ منزلاً ثم قال: أعوذُ بكلماتِ الله التاماتمن شَرِّما خَلَقَ لم يَضُرَّه شيءٌ حتى يرتحلَ من منزله ذلك».

وحديث عبدالرحمن بن خنبش عند أحمد ٤١٩/٣، وفيه «أعوذُ بكلمات الله التامة من شرِّ ما خَلَقَ وذرأَ وبَرَأَ ومن شَرِّ ما ينزل من السماء..» وإسنادُه جيد.

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» ٩٣٩/٢ـ ٩٤٠ مرسلاً معضلاً. وهو بشطريه عند مسلم =

ويريد به ﷺ في حق الحسن والحسين رضي الله عنهما.

(فصل)

ويكتب للمحموم ويعلق عليه ما روي عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال: حممت فكتب لي من الحمى: بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله وبالله، محمد رسول الله، ﴿يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم، وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين﴾ [الأنبياء: ٦٩، ٧٠]، اللهم ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل اشفِ صاحبَ هذا الكتاب بحولك وقوتك وجبروتك يا أرحم الراحمين.

(فصل)

وقال بعض أصحابنا: يكتب للمرأة إذا عسرت عليها الولادة في جام أو آنيةٍ نظيفة: بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله ربّ العرش العظيم. الحمد لله ربّ العالمين، ﴿كأنهم يومَ يَرَوْنَها لم يلبثوا إلا عشيةً أو ضُحَاها﴾ [النازعات: ٤٦]، ﴿كأنهم يوم يرون ما يُوعدونَ لم يلبثوا إلا ساعةً من نهارٍ بلاغٌ فهل يُهْلَكُ إلا القومُ الفاسقون﴾ [الأحقاف: ٣٥]؟ ثم يغسل وتُسقى منه وينضح ما بقي على صدرها.

وكذلك تجوز الرقية من النملة وغيرها كالعقارب والحيات والبراغيث والبق

= (٢١٩٧) و(٢١٨٨) من حديث أم سلمة وابن عباس.

وأخرج الترمذي (٢٠٥٩)، وابن ماجة (٣٥١٠) من حديث عبيد بن رفاعة الزُّرقي أنَّ أسماء بنت عميس قالت: يا رسولَ الله، إنَّ وَلَدَ جعفر تُسرعُ إليهم العينُ، أفأسترقي لهم؟ قال: «نعم، فإنه لو كان شيءٌ سابقَ القَدَرِ لسبقَتْه العينُ». وهو حديث صحيح بشاهديه. وحديث جابر عند مسلم (٢١٩٨).

لأن النبيّ ﷺ رخَّص في الرقية من كل ذي حمّة، وقال ﷺ: «مَنْ قال حين يمسي ثلاث مرات: صلى الله على نوحٍ وعلى نوحٍ السلامُ، لم تلدغه عقرب تلك الليلة»[1].

وقال ﷺ: «من قال حين يمسي ثلاث مرات: أعوذ بكلمات الله التامات من شرِّ ما خلق، لم تضرّه حمة تلك الليلة»[2].

ويجوز النفخ في الرقيات، ويكره التفل.

(فصل)

ويَغْسِلُ العائن وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخل إزاره في إناء، ثم يصبّ الماء على المريض، لما روى أبو أمامة بن سهل بن حُنَيف رضي الله عنه قال: رأى عامر بن ربيعة سهل بن حنيف وهو يغتسل فعجب منه، فقال: والله ما رأيت كاليوم ولا جلدة مخبأةٍ في خدرها، أو قال: جلد فتاة، ففلج به حتى ما كان يرفع رأسه، قال: فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: هل تتهمون أحداً؟ قالوا: لا يارسول الله إلا أن عامر بن ربيعة قال له كذا وكذا، فدعاه رسول الله ﷺ ودعا عامراً وقال: سبحان الله لِمَ يقتلُ أحدكم أخاه إذا رأى شيئاً يعجبه فَلْيَدْعُ له بالبركة، قال: ثم أمره ﷺ أن يغتسل، فغسل وجهه وظهر كفيه ومرفقيه، وغسل صدره وداخل إزاره وركبتيه وقدميه في الإناء ظاهرهما وباطنهما، ثم أمر به فصبّ على رأسه، فكفئ الإناء من خلفه، حَسِبْتُه قال: فأمره فحسا منه حَسواتٍ، فراح مع الركب[3].

---

(١) أخرجه ابن عدي ٢/٤٤٠ من حديث أبي أمامة بإسنادٍ ضعيف جداً. وانظر «تنزيه الشريعة» ٢/٣٢٤. وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» ١٦٨/٣.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٩) من حديث أبي هريرة. وانظر تمام تخريجه في «الإحسان» (١٠٢٠) و(١٠٢١) و(١٠٢٢) و(١٠٣٦).

(٣) يُشبه أن يكون حديثاً حسناً. أخرجه مالك ٢/٩٣٨ و٩٣٩، والنسائي في «عمل اليوم =

وإن اغتسل غسلاً كاملاً ثم صب الماء على المعين كان أكمل.

(فصل)

والتعالج في الأمراض جائز بالحجامة والفصد والكيّ وشرب الأدوية والأشربة وقطع العروق والبط، وقطع العضو عند وقوع الأكَلَةِ فيه وخوف التعدي إلى بقية البدن، وقطع البواسير وكل ما فيه صلاحٌ للجسد، لما روي: «أن النبيّ ﷺ احتجم وشاور الطبيب، فقال للطبيين: إنما رأيكم طبٌّ، فقالوا: يا رسول الله هل في الطبِّ خيرٌ؟ فقال ﷺ: إن الذي أنزل الداء أنزل الدواء»[1].

وسئل الإمام أحمد عن الكيِّ فقال: الأعرابُ تفعله، وقد كوى النبيّ ﷺ[2]. وقد فعله الصحابة رضي الله عنهم. وقال في موضع آخر: قطع عمران

= والليلة» (٢٠٨)، وابن حبان (٦١٠٥) و(٦١٠٦)، والطبراني (٥٥٧٤) و(٥٥٧٥) و(٥٥٧٦) و(٥٥٧٧) و(٥٥٧٩)، و(٥٥٨٠)، وغيرهم عن أبي أمامة بن سهل بن حُنيف مرسلاً.

ووُصِلَ من طرقٍ أخرى بأسانيد فيها ضعف وروي من أوجه أخرى. انظرها في «الإحسان» (٦١٠٦).

(١) آخرُه المرفوعُ من الحديث، صحيحٌ رُوِيَ من أوجهٍ كثيرة بنحوه. منها حديث أسامة ابن شريك مرفوعاً: «تداوَوْا فإنَّ الله عز وجلَّ لم يَضَعْ داءً إلا وضعَ له دواءً غير داءٍ واحدٍ: الهرمُ» أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٩١)، وأبو داود (٣٨٥٥)، والترمذي (٢٠٣٨). وانظر تمام تخريجه في «الإحسان» (٦٠٦١) و(٦٠٦٤) وهو حديث صحيح.

وأخرج مالك ٢/٩٤٣ ـ ٩٤٤، وابن أبي شيبة ٨/٣ عن زيد بن أسلم مرسلاً: أنَّ رجلاً في زمان رسولِ الله ﷺ أصابه جُرْحٌ فاحتقنَ الجرحُ الدمَ، وأنَّ الرجل دعا رجلين من بني أنمار، فنظرا إليه، فزعَما أن رسولَ الله ﷺ قال لهما: «أيُّكما أَطَبُّ؟» فقالا: أَوَ في الطب خيرٌ يا رسولَ الله؟ فزعَمَ زيدٌ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أنزلَ الدواءَ الذي أنزلَ الأدواءَ». لفظ مالك.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٥٠)، وأبو يعلى (٣٥٨٢)، والطحاوي ٤/٣٢١، وابن حبان =

ابن حصين رضي الله عنهما عرق النساء.

وعن الإمام أحمد رحمه الله رواية أخرى: كراهية ذلك.

وأما التداوي بمحرّم كالخمر والسمّ والميتة وشيء نجس فغير جائز، وكذلك بلبن الأُتْنِ الأهلية، لما روي عن النبيّ ﷺ أنه قال: «ما جُعل شفاء أمتي فيما حُرِّمَ عليها»[1].

والحقنة مكروهة إلا عند الضرورة.

ولا يجوز الفرار من الطاعون، وإن كان خارجاً من البلد لا يقدم عليه لئلا يكون عوناً على هلاك نفسه.

(فصل)

ولا يخلو بامرأةٍ ليست منه بمحرم، لأن النبيّ ﷺ نهى عن ذلك وقال:

= (٦٠٨٠)، والبيهقي ٣٤٢/٩ من طرق عن يزيد بن زريع، عن معمر، عن الزهري، عن أنس أنَّ النبي ﷺ كَوَى أسعَدَ بن زُرارة من الشوكةِ. ورجالُه ثقات.

لكن خولف يزيد، فرواه عبدالرزاق (١٩٥١٥)، وابن سعد ٦١١/٣ عن معمر، عن الزهري عن أبي أمامة بن سهل مرسلًا. وتابع معمراً هنا: يونس عند الحاكم ٢١٤/٤، وصالح بن كيسان عند ابن سعد ٦١٠/٣. ورجالُه ثقات لكنه مرسل، وهو أصحُّ من سابقه. وللحديث شواهد انظر «الإحسان» (٦٠٨٠).

(١) أخرجه أحمد في «الأشربة» (١٥٩)، وابن حبان (١٣٩١)، والطبراني ٢٣/(٧٤٩) من حديث أم سلمة.

وأخرجه الطبراني ٢٤/(٦٤٩)، والدولابي في الكنى ٣٨/٢ من حديث أم الدرداء. وفي كلا الحديثين ضعف.

لكنه صَحَّ عن ابن مسعود موقوفاً عند ابن أبي شيبة ٢٣/٧، والطبراني (٩٧١٤) و(٩٧١٦)، والحاكم ٢١٨/٤، والبيهقي ٥/١٠. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٨٦/٥ وقال ـ وقد نسبه إلى الطبراني ـ: ورجالُه رجالُ الصحيح.

«إن الشيطان ثالثهما»[1]، لأن الشيطان يُزَيِّنُ لهما المعصية. ولا ينظر إلى امرأة شابة إلا لعذر من شهادة أو علاج في المرض.

ويجوز النظر إلى المرأة البرزة العجوز لعدم الافتتان بها.

ولا يجتمع رجلان ولا امرأتان عريانين في لحافٍ واحد أو إزار، لأن النبيَّ ﷺ نهى عن ذلك[2]، ولأن ذلك يؤدي إلى أن ينظر أحدهما عورة الآخر وذلك منهيّ عنه، ولأنه لا يؤمن من ارتكاب الفجور بتزيين الشيطان ذلك.

(فصل)

فإن كان له مملوكٌ من ذكرٍ أو أنثى، وجب عليه الرفقُ به، ولا يكلفه من العمل ما لا يطيق، ويكسوه ويطعمه ويزوِّجه إن شاء، ولا يكرهه على ذلك، فإن قصر في ذلك عصى وأمر ببيعه أو عتقه إن شاء أو يُكَاتبه إنْ طلب العبدُ ذلك، وقد جاء في الحديث أن آخر وصية رسول الله ﷺ: «الصلاةَ وما ملكت أيمانكم»[3].

---

(١) حديث صحيح. أخرجه الترمذي (٢١٦٥) عن ابن عمر، وابن حبان (٥٥٨٦) عن جابر بن سمرة، كلاهما عن عمر. ورُوِيَ من غير هذين الوجهين. انظر «نصب الراية» ٤/٢٤٩ ـ ٢٥٠.

(٢) أخرجه مسلم (٣٣٨) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٣) حديث صحيح. أخرجه أحمد ٣/١١٧، وابن سعد ٢/٢٥٣، وابن ماجة (٢٦٩٧)، والطحاوي في «المشكل» ٤/٢٣٥، وابن حبان (٦٦٠٥) من طريق سليمان التيمي، عن قتادة، عن أنس، ولكن فيه عنعنة قتادة. ورُوي من أوجهٍ أُخرى بإسقاط قتادة منه فصار الإسنادُ منقطعاً كما هو عند ابن سعد ٢/٢٥٣، والطحاوي ٤/٤٣٥، والحاكم ٣/٥٧.

وخُولفَ سليمان التيمي، فقال همام: عن قتادة عن أبي الخليل، عن سفينة، عن أم سلمة عند أحمد ٦/٣١١ و٣٢١، وابن سعد ٢/٢٥٤، وابن ماجة (١٦٢٥)، =

(فصل)

وتُكْرَهُ المسافرةُ بالمصحف إلى أرض العدوّ لئلا تناله أيدي المشركين، إلا أن يكون للمسلمين قوّة ظاهرة وشوكة وغلبة، فيجوز استصحابه ليقرأ فيه لئلا ينسى القرآن.

(فصل)

ويستحبّ إذا نظر في المرآة أن يقول: الحمد لله الذي سوّى خَلْقي وأحسن صورتي وزان مني ما شان من غيري، لأن ذلك مرويٌّ عن النبيّ ﷺ[1].

= والبغوي (٢٤١٥). وتابع ابن أبي عروبة هماماً لكن لم يذكر أبا الخليل عند أحمد ٦/ ٢٩٠ و٣١٥. قال أبـو حاتم كمـا في «العلل» ١/ ١١١: وحديث همام أشبه. قلت: وأبو الخليل: هو صالح بن أبي مريم، يرسلُ عن سفينة، فالإسناد منقطع أيضاً.

ويشهد للحديث حديث علي عند أحمد ١/ ٧٨، وأبي داود (٥١٥٦)، وابن ماجة (٢٦٩٨) والبيهقي ٨/ ١١ ورجالُه ثقات.

(١) حديث ضعيف. رُوِيَ من أوجه.

أخرجه ابن السني (١٦٣) من حديث علي، وابن السني (١٦٤) وأبو الشيخ في «الاخلاق ص ١٤٩، وأبو الشيخ ص ١٤٨ من حديث عائشة، وابن السني (١٦٥)، والبيهقي في «الشعب» (٤٤٥٨) من حديث أنس، والبيهقي (٤٤٥٩) من حديث جعفر بن محمد، عن أبيه مرسلاً. وجميع هذه الطرق ضعيفة جدّاً لا تصلحُ للاستشهاد، ولا يتقوى بعضُها ببعض.

(فصل)

وإذا طنت أذنه صلى على النبيّ ﷺ وليقل: «ذَكَرَ الله مَنْ ذكرني بخيرٍ»[1] لأنه مرويّ عن النبيّ ﷺ.

(فصل)

ويقول إذا اشتكى بدنه أو أعضاءه ما روي عن النبيّ ﷺ أنه قال «مَن اشتكى منكم شيئاً أو اشتكى أخٌ له فليقل: ربنا الله الذي في السماء، تقدَّسَ اسمك، أمْرُكَ في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء والأرض، اغفر لنا حَوْبنا وخطايانا ربَّ الطيبين، أنزلْ رحمةً من رحمتك وشفاءً من شفائك على الوجع الذي به، فإنه يبرأ بإذن الله تعالى»[2].

---

(١) حديث موضوع. أخرجه ابن السني (١٦٦) وغيره. وقال الملا علي القاري في «الأسرار المرفوعة» ص ٤٢٠: فكل حديث في طنين الأذن كذبٌ. قلت: وذكره ابن الجوزي في «موضوعاته» ٣/٧٦. وذكروه في كتب الضعيفة: محمد طاهر الهندي في «التذكرة» ص ١١٦، والسيوطي في «اللآلىء» ٢/٢٨٥، وابن عراق في «تنزيه الشريعة» ٢/٢٩٣ وغيرهم.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٩٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٣٧) و(١٠٣٨)، والحاكم ١/٣٤٣ - ٣٤٤ من حديث أبي الدرداء بإسنادٍ ضعيف وله طريق أخرى مرسلة وفيها ضعف عند النسائي (١٠٣٥) و(١٠٣٦). لذا فالحديث ضعيف.

(فصل)

وإذا رأى شيئاً يتطير منه قال: «اللهم لا يأتي بالحسناتِ إلا أنتَ، ولا يذهب بالسيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[1] لأنه مروي عن النبيّ ﷺ.

(فصل)

ويستحبّ إذا رأى بيعة أو كنيسة أو سمع صوت شبور أو صوت ناقوس أو رأى جمعاً من المشركين واليهود والنصارى أن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً لا نعبد إلا إياه، فإن ذلك مرويّ عن النبيّ ﷺ وقال: «غفر الله له بعدد أهل الشرك»[2].

(فصل)

ويقول إذا سمع صوت الرعد والصواعق: «اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك. وعافنا قبل ذلك»[3].

---

(١) ضعيف أخرجه أبو داود (٣٩١٩) من طريق سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عروة بن عامر القرشي مرسلًا. وقال ابن حجر في «التهذيب» ١٦٧/٧: والظاهر أن رواية حبيب عنه منقطعة.

وأخرجه ابن السني (٢٩٣) من طريق الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عقبة بن عامر الجهني والأولُ أصحُّ.

(٢) أخرجه الطبراني (١٢٦٩١) من حديث ابن عباس. وفيه عمر بن الصبح، وهو متروك كما في «المجمع» ١٠/١٤١.

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٢٢)، والترمذي (٣٤٥٠)، وابن السني

ويقول إذا رأى الريح: «اللهم إني أسألك خيرها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرّها ومن شرّ ماأرسلت به.»[1].

(فصل)

وإذا دخل السوق قال ما كان النبيُّ ﷺ يقول: «اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرّها وشرّ ما فيها، اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها يميناً فاجرة أو صفقة خاسرة»[2] ويقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير»[3].

(فصل)

وإذا رأى الهلال قال: «اللهم أهِلَّهُ علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام، ربي وربُّكَ الله عزّ وجلّ»[4].

= (٣٠٣) من حديث ابن عمر بإسنادٍ ضعيف.

(١) أخرجه مسلم (٨٩٩) من حديث عائشة.

(٢) أخرجه الحاكم (١/٥٣٩ من حديث بريدة بإسنادٍ ضعيف جدّاً.

(٣) حديث ضعيف. أخرجه الترمذي (٣٤٢٨) و(٣٤٢٩) وابن ماجة (٢٢٣٥)، والحاكم ١/٥٣٨ من حديث سالم بن عبدالله بن عمر، عن أبيه، عن جده. وإسنادُه ضعيف، قال الترمذي: هذا حديث غريب، وقال أبو حاتم كما في «العلل» ٢/١٧١: هذا حديث منكرٌ جداً.

وأخرجه الحاكم ١/٥٣٩ من طريق عبدالله بن دينار، عن ابن عمر بإسنادين ضعيفين نبه عليهما الذهبي في «تلخيصه».

وقال ابن قيم الجوزية: هذا الحديث معلول، أعلَّه أئمةُ الحديث. انظر «الأسرار المرفوعة» ص ٣٣٠.

(٤) حديث ضعيف. أخرجه الترمذي (٣٤٥١)، وأحمد ١/١٦٢، والدارمي ٢/٤، وابن =

(فصل)

وإذا رأى مبتلى قال: «الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكَ به، وفضلني عليك وعلى كثيرٍ ممن خلق تفضيلا»[1] فإن الله عزّ وجلّ يعافيه من ذلك كائناً ما كان أبداً ما عاش.

(فصل)

يقول للحاج إذا قدم من سفره: «تقبل الله نُسُكَكَ وأعْظَمَ أجركَ وأخلفَ نفقتك» لما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول ذلك.

(فصل)

وإذا عاد مريضاً مسلماً ورآه منزولاً به موتٌ فقال ما روي عن النبيّ ﷺ أنـه قال «الموت فزع، فإذا بلغ أحدكم وفاة صاحبه فليقل: إنا لله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم اكتبه عندك في المحسنين، واجعل كتابه في عليين، واخلف على عقبه في الآخرين، ولا تحرمنا أجره، ولا تفتنا

= أبي عاصم في «السنـة» (٣٧٦)، وابن السني (٦٣٥)، وأبـو يعلى ١/١٩١ من حديث طلحة بن عبيدالله. وفي إسنادِه سليمان بن سفيان، وهو منكر الحديث.

وأخـرجـه الدارمي ٢/٣ـ٤، وابن حبان (٨٨٨)، والطبراني (١٣٣٠) بإسنادٍ ضعيف عن ابن عمر.

(١) حديث فيه ضعف. أخرجه الترمذي (٣٤٣١)، وابن السني (٣٠٨) من حديث عمر بإسنادٍ ضعيف. وهو عند ابن ماجة (٣٨٩٢) من حديث ابن عمر. ورُوِيَ من غير هذا الوجه ولا يصح له إسناد.

بعده»[1].

«ويستحبّ أيضاً أن يشير عليه بالتوبة من الذنوب، والخروج من المظالم، والوصية بثلث ماله للأقارب الفقراء منهم، الذين لا يرثونه، وإن لم يكونوا فللفقراء والمساكين والمساجد والقناطر ووجوه البرّ والخير.

(فصل)

ويقول حين يضع الميت في قبره ما روي عن النبيّ ﷺ أنه قال: «إذا وضعتم موتاكم في القبر فقولوا: «بسم الله وعلى ملة رسول الله»[2].

ويقول إذا حثا التراب على الميت: «إيماناً بك وتصديقاً برسولك وإيماناً ببعثك، هذا ما وعد الله ورسوله وصدق الله ورسوله» لأن ذلك مرويّ عن عليّ رضي الله عنه؛ وقال: «من فعل ذلك كان له بكل ذرّة من ترابه حسنة».

(فصل: في آداب النكاح)

من آداب النكاح أن يكون في نية المتزوج امتثالُ أمر الله في قوله تعالى: ﴿وأنكِحُوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾ [النور: ٣٢] وقوله

---

(١) أخرجه ابن السني (٥٦١) من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف.

(٢) هو موقوفاً أصحّ لما رواه شعبة عند النسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٨٩)، والحاكم ٣٦٦/١، والبيهقي ٥٥/٤، وما رواه هشام الدستوائي عند البيهقي ٥٥/٤، كلاهما عن قتادة، عن أبي بكر الصديق، عن ابن عمر موقوفاً ورجاله ثقات.

خالفهما همام فرفعه. أخرجه أحمد ٢٧/٢ و٤٠ و٥٩ و٦٩ و١٢٧ ـ ١٢٨، وأبو داود (٣٢١٣)، وابن حبان (٣١١٠)، والحاكم ٣٦٦/١، والبيهقي ٥٥/٤.

ورُوي مرفوعاً من أوجهٍ أخرى ضعيفة عند الترمذي (١٠٤٦)، وابن ماجة (١٥٥٠) و(١٥٥٣).

تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾ [النساء: ٣].

وقوله ﷺ: «تناكحوا تناسلوا فإني مُكاثِرٌ بكم الأمم ولو بالسقط»[1] فيعتقد وجوب النكاح بهاتين الآيتين والخبر عند عدم خوفه الزنا أو عند وجوده، ليخرج من الخلاف في الجملة؛ لأن النكاح عند داود ورواية عن الإمام أحمد واجب على الإطلاق، فيكون له ثواب الممتثل لأمر الله عز وجل، ويعتقد مع ذلك إحراز دينه وتكميله لقول النبيّ ﷺ: «مَنْ تزوج فقد أحرز نصف دينه»[2].

وقوله ﷺ: «إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف دينه»[3].

ويتخير الحسيبة الأجنبية البكر، وأن تكون من نساءٍ يُعْرفنَ بكثرةِ الولادة، لأن النبيّ ﷺ قال لجابر بن عبدالله رضي الله عنهما لما أخبره أنه تزوّج بالثيب، فقال له: «أفلا بكراً تلاعبها وتلاعبك؟»[4].

وإنما شرطنا كثرة الولادة لما تقدم من قوله ﷺ: «تناكحوا تناسلوا فإني مكاثر بكم الأمم ولو بالسقط»[5] وفي بعض الأحاديث قال ﷺ: «تزوّجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم»[6].

---

(١) ضعيف. أخرجه بهذا اللفظ البيهقي في «المعرفة» عن الشافعي أنه بلغه. كذا قال العراقي في تعليقه على «الإحياء» ٢/ ٧٢. وأخرجه ابن عدي ٢/ ٧٨٠ من حديث ابن مسعود بإسنادٍ ضعيف جداً.

(٢) أخرجه ابن الجوزي في «العلل» (١٠٠٥) من حديث أنس بإسنادٍ ضعيف جداً. ونسبه الهيثمي في «المجمع» ٤/ ٢٥٢ إلى الطبراني في «الأوسط». وانظر «كشف الخفاء» ٢/ ٢٣٩ ففيه تفصيل لألفاظه.

(٣) ضعيف. وانظر سابقه. وقد صحّحه الألباني الفاضل في «الصحيحة» (٦٢٥) لطرقِه، ولا تصح، وليست مما تقبل التقوية.

(٤) أخرجه البخاري (٥٣٦٧)، ومسلم (٥٦) ص ١٠٨٧ من حديث جابر.

(٥) تقدم تخريجه وأنه لايصحُّ.

(٦) حديث حسن. أخرجه أبو داود (٢٠٥٠)، والنسائي ٦/ ٦٥ـ ٦٦، وابن حبان (٤٠٥٦) و(٤٠٥٧) من حديث معقل بن يسار بإسنادٍ لا بأس به. ويشهَدُ له حديث =

وإنما شرطت الأجنبية ولا تكون من أقاربه لئلا يقع بينهم منافرة وعداوة، فتؤدي إلى قطع الأرحام المأمور بإيصالها، ولهذا منع الشرع الجمع بين الأختين في عقد النكاح.

ولا ينبغي أن يتزوّج سليطة اللسان ولا مختلعة ولا متواشمة، فإذا تزوّج فليحسن خلقه معها ولا يؤذيها، ولا يُكْرِهَها على مهرها فتختلعَ منه، ولا يشتمَ لها أباً ولا أماً، فإن فعل ذلك كان الله ورسوله بريئين منه. قال النبيّ ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوانٍ عندكم»[1] يعني أسراء.

وقد جاء في بعض الآثار: «من تزوج امرأة بصداقٍ ولا يريد أن يؤديه إليها جاء يوم القيامة زانياً»[2] فإن آذته امرأة بلسانها وكان في ذلك فساد دينه فليقتد هو نفسه منها، أو يلجأ إلى الله عز وجل ويبتهل إليه بالدعاء فإنه يكفيه، وإن صبر على ذلك كان كالمجاهد في سبيل الله، وإن طابت هي له بشيء من مالها من غير إكراه فليأكله هنيئاً مريئاً كما قال الله عز وجل.

= أنس عند سعيد بن منصور (٤٩٠)، وأحمد ١٥٨/٣ و٢٤٥، وابن حبان (٤٠٢٨)، والبيهقي ٨١/٧ـ٨٢. وفي الباب غيرُه.

(١) أخرجه الترمذي (١١٦٣)، وابن ماجة (١٨٥١) من حديث عمرو بن الأحوص. وفيه سليمان بن عمرو، وفيه جهالة.

وفي الباب عند أحمد ٧٢/٥ ـ ٧٣ من حديث أبي حرة الرقاشي، عن عمه. وفيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف. ويشهد لهما حديث جابر عند مسلم (١٢١٨).

(٢) حديث حسن إن شاء الله تعالى.

أخرجه ابن الجوزي في «العلل» (١٠٢٧) و(١٠٢٨)، وأحمد ٣٣٢/٤ من حديث صهيب بإسنادٍ ضعيف.

والبيهقي ٢٤١/٧، وابن الجوزي (١٠٢٩) من حديث أبي هريرة بإسنادٍ ضعيف.

لكن يشهَدُ له حديث أبي ميمون الكردي عند الطبراني في «الصغير» ٤٣/١. ورجالُه ثقات كما قال الهيثمي في «المجمع» ١٣٢/٤.

وينبغي أن يجتهد فينظر إلى وجهها ويديها من غير أن يخلو بها قبل العقد خوفاً إذا رآها بعد العقد لا تقع بقلبه، فيكرهها فيؤدي إلى طلاقها ومفارقتها من قريب، وفي ذلك وقوع في المكروه عند الله عز وجل لأن النبي ﷺ قال: «ما مِنْ مباحٍ أبغض إلى الله تعالى من الطلاق»[1].

والأصل في ذلك ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا قذف الله تعالى في قلب أحدكم خطبة امرأة فلينظر إلى وجهها وكفيها، فإنه أحرى أن يُؤْدَمَ بينهما»[2].

---

(١) حديث ضعيف. أخرجه أبو داود (٢١٧٨)، وابن ماجة (٢٠١٨) من حديث ابن عمر. ولا يستقيم له إسناد.

(٢) لم أره بهذا اللفظ.

ولكن أخرج ابن ماجة (١٨٦٥)، وابن الجارود (٦٧٦)، وابن حبان (٤٠٤٣)، والدارقطني ٣/٢٥٣، والحاكم ٢/١٦٥، والبيهقي ٧/٨٤ من طريق عبدالرزاق، عن معمر، عن ثابت، عن أنس أن المغيرة بن شعبة خطب امرأة، فقال له النبي ﷺ: «اذهب فانظر إليها فإنه أجدرُ أن يؤدَمَ بينكما». وهذا الإسناد غلط عن ثابت، ومعمر في روايته عن ثابت ضعف.

والصواب عن ثابت، عن بكر المزني كما قال الدارقطني، وتابعه عاصم الأحول.

أخرجه أحمد ٤/٢٤٤ ـ ٢٤٥ و٢٤٦، والدارمي ٢/١٣٤، وسعيد بن منصور (٥١٦) و(٥١٧) و(٥١٨)، وابن أبي شيبة ٤/٣٥٥، والترمذي(١٠٨٧)، والنسائي ٦/٦٩ ـ ٧٠، وابن ماجة (١٨٦٦) وابن الجارود (٦٧٥)، والدارقطني ٣/٣٥٢ـ٣٥٣، والطحاوي ٣/١٤، والبيهقي ٧/٨٤ ـ ٨٥، والبغوي (٢٢٤٧) من طريق ثابت، وعاصم الأحول، عن بكر بن عبدالله المزني، عن المغيرة بن شعبة.

قال ابن معين: بكر لم يسمع المغيرة. ورجَّح الدارقطني في «العلل» «السماع» انظر «تلخيص الحبير» ٣/١٤٦. وعليه يصحح الإسناد.

وأخرجه ابن ماجة (١٨٦٤)، وابن حبان (٤٠٤٢) وغيرهما من حديث محمد بن مسلمة مرفوعاً: «إذا ألقى اللهُ في قلبِ امرئ خِطبةَ امرأةٍ فلا بأسَ أن ينظُرَ إليها». وإسناده ضعيف. وانظر تمام تخريجه فيه.

وما روي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنه قال:
قال رسول الله ﷺ: «إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل»[1] فخطبت جارية فكنتُ أتخبأ لها حتى رأيتُ منها ما دعاني إلى نكاحها وتَزَوَّجها ذكره أبو داود في سننه.

وينبغي أيضا أن تكون من ذوات الدين والعقل، لما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «تُنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها، ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»[2].

وإنما نص النبيّ ﷺ على ذات الدين لأنها تعين الزوجَ على معيشته وتقنع باليسير، والباقيات يُوقِعْنَهُ في الوزر والوبال، إلا أن يسلمه الله تعالى من ذلك.

وقد فسر أكثر المفسرين قوله عز وجل ﴿فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم﴾ [البقرة: ١٨٧] المباشرة بالجماع، والابتغاء بابتغاء الولد، أي اطلبوا الولد بالمباشرة.

وكذلك ينبغي للمرأة أن تنوي بذلك تحصين فرجها والولد والثواب الجزيل عند الله بالصبر عند الزوج وعلى الحَبَلِ والولادة وتربية الولد، لما روى زياد بن ميمون عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن امرأة كان يقال لها الحولاء عَطَّارةٌ من أهل المدينة، دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت: يا أمّ المؤمنين زوجي فلان أتزينُ له كل ليلة وأتطيب كأني عروس زُفَّتْ إليه، فإذا آوى إلى فراشه دخلت عليه في لحافه وألتمس بذلك رضا الله تعالى حَوَّلَ وجهه عني أراه قد أبغضني فقالت: اجلسي حتى يدخل رسول الله ﷺ، قالت: فبينما أنا كذلك إذ دخل رسول الله ﷺ، فقال: ما هذه الريح التي أجدها،

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٨٢)، وأحمد ٣/٣٣٤ و٣٦٠، والحاكم ٢/١٦٥ من حديث جابر، وهو حديث حسن

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦).

أتتكمُ الحولاء، هل ابتعتم منها شيئاً؟ قالت عائشة رضي الله عنها: لا والله يا رسول الله، فقصَّت الحولاء قصتها، فقال لها رسول الله ﷺ: اذهبي واسمعي وأطيعي له، قالت: أفعلُ يا رسول الله فما ليَ من الأجر، قال ﷺ: ما مِن امرأةٍ رفعت من بيت زوجها شيئاً ووضعته تريدُ به الإصلاحَ إلا كتب الله تعالى لها حسنةً ومحا عنها سيئةً ورفع لها درجة، وما من امرأة حملت من زوجها حين تحمل إلا كان لها من الأجر مثل القائمِ لَيْلَهُ والصائمِ نهارَهُ والغازي في سبيل الله، وما من امرأة يأتيها طَلْقٌ إلا كان لها بكل طلقة عِتْقُ نسمة وبكل رضعة عتق رقبة، فإذا فطمت ولدها ناداها منادٍ من السماء: أيتها المرأة قد كُفِيتِ العملَ فيما مضى فاستأنفي العمل فيما بقي، قالت عائشة رضي الله عنها: قد أُعطي النساء كثيراً فما بالكم يا معشر الرجال، فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: ما من رجلٍ أخذ بيد امرأته يراودها إلا كتب الله تعالى له حسنة، فإن عانقها فعشر حسنات، فإذا أتاها كان خيراً من الدنيا وما فيها، فإذا قام ليغتسل لم يمرّ الماءُ على شعرةٍ من جسده إلا تُكْتب له بكل قطرة حسنة وتمحى عنه سيئة وترفع له درجة وما يعطى بغسله خير من الدنيا وما فيها، وإن الله عزّ وجل يباهي به الملائكة يقول: انظروا إلى عبدي قام في ليلة قرّة يغتسل من الجنابة يتيقن بأني ربه، اشهدوا بأني قد غفرت له»[1].

وعن المبارك بن فضالة عن الحسن رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان عندكم - يعني مأسورات - لا يملكن لأنفسهن شيئاً وإنما أخذتموهن بأمانة الله تبارك وتعالى، واستحللتم فروجهن بكلمة الله عز وجل»[2].

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» ٢/٢٧٠ وقال: قال الدارقطني: هذا حديث باطل. قلت: وزياد بن ميمون متهم بالكذب.

(٢) حديث مرسل. لكنه صحيح. فقد أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر دون أوله. وأوله عند الترمذي (١١٦٣)، وابن ماجة (١٨٥١) من حديث عمرو بن الأحوص الجشمي.

وعن عباد بن كثير عن عبدالله الجزري عن ميمونة زوج النبيّ ﷺ قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «خيار الرجال من أمتي خيارهم لنسائهم، وخير النساء من أمتي خيرهن لأزواجهن، يرفع لكل امرأةٍ منهن كل يوم وليلة أجرُ ألفِ شهيدٍ قتلوا في سبيل الله صابـرين محتسبين، وتفضـل إحداهن على الحور العين كفضل محمد ﷺ على أدنى رجلٍ منكم؛ وخيرُ النساء من أمتي من تأتي مسرّةً زوجها في كل شيء يهواه ما خلا معصية الله تعالى؛ وخير الرجال من أمتي مَنْ يلطف بأهله لطف الوالدة بولدها، يكتب لكل رجل منهم في كل يوم وليلة أجر مائة شهيد قُتلوا في سبيل الله صابرين محتسبين؛ فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله وكيف يكون للمرأة أجر ألف شهيد وللرجل مائة شهيد؟ قال ﷺ: أَوَ ما علمتَ أن المرأة أعظمُ أجراً من الرجل وأفضل ثواباً، فإن الله عزّ وجل ليرفع للرجل في الجنة درجاتٍ فوق درجاته برضا زوجته عنه في الدنيا ودعائها له، أَوَ ما علمت أن أعظم وزرٍ بعد الشرك بالله المرأة إذا عصت زوجها، ألا فاتقوا الله في الضعيفين، فإنّ الله سائلكم عنهما: اليتيم والمرأة، فمن أحسن إليهما فقد بلغ إلى الله عزّ وجل رضوانه، ومن أساء إليهما فقد استوجب من الله سخطه؛ وحقُّ الزوجة على الزوج كحقي عليكم، فمن ضيَّع حقي فقد ضيع حق الله، ومَنْ ضيع حق الله فقد باء بسخط من الله، ومأواه جهنم وبئس المصير»[1].

وعن أبي جعفر محمد بن علي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو في نفر من أصحابه، إذ أقبلت امرأة حتى قامت على رأسه ثم قالت: السلام عليك يا رسول الله، أنا وافدةُ النساء إليكَ، ليست امرأةٌ يبلغها مسيري إليك إلا أعجبها ذلك يا رسول الله، إن الله تعالى ربُّ الرجال وربّ النساء، وآدم أبو الرجال وأبو النساء، وحوّاء أم الرجال وأم النساء، فالرجال إذا خرجوا في سبيل الله فَقُتلُوا فأحياءٌ عند ربهم يرزقون،

(١) إسنادُه ضعيف جدّاً من أجل عباد بن كثير البصري.

وإذا خرجُوا فلهم من الأجر مثل ما علمت، ونحن نُحْبَسُ عليهم ونخدمهم فهل لنا من الأجر شيءٌ؟ قال ﷺ: أقرئي عني النساءَ السلام وقولي لهن: إن طاعة الزوج والاعتراف بحقه يعدل ما هناك، وقليل منكن يفعله»[1].

وعن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: «حين بعثتني النساء إلى رسول الله ﷺ فقلن: يا رسول الله ذهب الرجالُ بالفضل وبالجهاد في سبيل الله، فما لنا من عملٍ ندركُ به عملَ المجاهدين في سبيل الله؟ قال رسول الله ﷺ: مهنة إحداهن في بيتها تدرك بها عمل المجاهدين في سبيل الله»[2].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: «سئل رسول الله ﷺ: هل على النساء جهاد؟ فقال ﷺ: نعم جهادهن الغَيْرة، يجاهدن أنفسهن، فإنْ صبرن فهن مجاهدات، فإن رضين فهن مرابطات، ولهن أجران اثنان»[3].

فينبغي للزوجين أن يعتقدا هذا الثواب المذكور في هذا الحديث وما قبله عند العقد والجماع جميعاً، وأداء الحق الواجب على كل واحد منهما للآخر بقوله عزّ وجل: ﴿ولهن مثل الذي عليهنّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. ليكونا مطيعين لله تعالى ممتثلين أمره جلَّ ثناؤه، وتعتقد المرأة أن ذلك خير من العزوبة، لما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس شيء خيراً لامرأةٍ من زوجٍ أو قبر»[4].

---

(١) ضعيف جداً أخرجه عبدالرزاق (١٥٩١٤)، وابن حبان في «المجروحين» ١/٣٠٢ ـ ٣٠٣، وابن الجوزي في «العلل» (١٠٣٨) من حديث ابن عباس. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٤/٣٠٥ وقال: رواه البزار وفيه رشدين بن كريب، وهو ضعيف.

(٢) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٨٧٤٢). وذكره الذهبي في «الميزان» ٢/٦١، وفيه روح بن المسيب، قال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الثقات، لا تحل الرواية عنه. وانظر «المجمع» ٤/٣٠٤، ونسبه إلى أبي يعلى والبزار.

(٣) لم أره بهذا اللفظ.

(٤) حديث موضوع. أخرجه الطبراني في «الصغير» ٢/١١١، وابن عدي ٣/٨٨٧، وابن =

وقال ﷺ «مسكينٌ مسكين رجلٌ ليس له امرأة، قيل: يا رسول الله وإن كان غنياً من المال؟ قال: وإن كان غنياً من المال»[1].

وقال أيضاً: «مسكينة مسكينة مسكينة امرأة ليس لها زوج، قيل: يا رسول الله وإن كانت غنية من المال؟ قال ﷺ: وإن كانت غنية من المال»[2].

ويستحبّ أن يكون العقد يوم الجمعة أو الخميس، والمساء أولى من التبكير. ويسنّ أن تكون الخطبة قبل التواجب، فإن أخرت جاز، وهو مخير بين أن يعقد النكاح بنفسه أو يوكل فيه غيره.

فإذا انعقد العقد يستحبّ للحاضرين أن يقولوا: بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير وعافية.

ثم إن طلبت المرأة وأهلها الإمهال استحبّ له إجابتهم إلى ذلك قدر ما يعلم التهيؤ لأمورها فيه وقضاء حوائجها، من شراء الجهاز والتزيين لها.

فإذا زفت إليه اتبع ما روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وذلك أنه جاء رجل فقال: إني تزوجت بجارية بكر وقد خشيت أن تكرهني أو تفركني، فقال له: إن الإلف من الله والفرك من الشيطان؛ وإذا دخلتْ إليك فَمُرْها أن تصلي خلفك ركعتين وقل: اللهم بارك لي في أهلي وبارك لأهلي في، اللهم ارزقني منهم وارزقهم مني، اللهم اجمع بيننا إذا جمعت في خير، وفرّق بيننا إذا فرقت إلى خير[3].

= الجوزي في «الموضوعات» ٣/٢٣٧ من حديث ابن عباس.

(١) ذكره الهيثمي في «المجمع» ٤/٢٥٢، وقال: رواه الطبراني في «الأوسط»، ورجالُه ثقات إلا أبا نجيح لا صحبة له. قلت: يعني أنه مرسل.

(٢) انظره في سابقه.

(٣) ذكره الهيثمي في «المجمع» ٤/٢٩٢، وقال: رواه الطبراني (٨٩٩٣) ورجالُه رجال الصحيح.

فإذا أراد الجماع فليقل: بسم الله العليّ العظيم، اللهم اجعله ذرية طيبة إن قدَّرت أن تخرج من صلبي، اللهم جَنِّبني الشيطان وجَنِّب الشيطانَ ما رزقتني.

وإذا قضى حاجته فليقل: بسم الله الحمد لله الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً، يقول ذلك ﷺ في نفسه، ولا يحرّك به شفتيه.

والأصل في ذلك ما روى كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن أحدكم إذا أراد أنْ يأتيَ أهله قال: بسم الله اللهم جَنِّبْنا الشيطانَ وجَنِّب الشيطانَ ما رزقتنا، ثم إن قدَّر أن يكون بينهما ولد في ذلك لم يضرَّه شيطان أبداً»[1].

وإذا ظهرت أمارة حبل المرأة فليصفِّ غذاءها من الحرام والشبهة ليتخلق الولد على أساس لا يكون للشيطان عليه سبيل، والأولى أن يكون من حين الزفاف ويدوم على ذلك ليتخلص هو وأهله وولده من الشيطان في الدنيا ومن النار في العقبى قال الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾ [التحريم: ٦] ومع ذلك يخرج الولد صالحاً، باراً بوالديه طائعاً لربه عز وجل، كل ذلك ببركة تصفية الغذاء.

فإذا فرغ من الجماع تنحى عنها وغسل ما به من الأذى، وتوضأ إنْ أراد العود إليها وإلا اغتسل، ولا ينام جنباً فإنه مكروه: وكذلك روي عن النبيّ ﷺ إلا أن يشق ذلك عليه، لبردٍ أو بُعْدِ حمامٍ وماء أو خوف ونحو ذلك، فينام إلى حين زوال ذلك.

ولا يستقبل القبلة عند المجامعة، ويغطي رأسه ويستتر عن العيون وإن كان عن صبيّ طفل، لأنه روي عن النبيّ ﷺ أنه قال: «إذا أتى أحدكم أهله فليستتر، فإنه إذا لم يستتر استحيت الملائكة وخرجت ويحضره الشيطان، وإذا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٨٨)، ومسلم (١٤٣٤) من حديث ابن عباس.

كان بينهما ولد كان الشيطان فيه شريكا»[1].

وكذلك يروى عن السلف أنه لم إذا يسمّ عند الجماع التفّ الشيطان على إحليله يطأ كما يطأ.

ويستحبُّ له الملاعبةُ لها قبل الجماع، والانتظار لها بعد قضاء حاجته حتى تقضي حاجتها، فإن في ترك ذلك مضرّة عليها، ربما أفضى إلى البغضاء والمفارقة.

وإن أراد العزل عنها فلا يفعل إلا بإذنها إن كانت حرّة، وبإذن سيدها إنْ كانت أمة، وإن كانت أمته جاز بغير إذنها لأن الحقّ له دونها، وقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إن لي جارية هي خادمتنا أطوف عليها وأنا أكره أن تحمل، قال ﷺ: «اعزل عنها إن شئت فإنه سيأتيها ما قدر لها»[2].

ويجتنب وطأها في حال الحيض والنفاس. وكذلك بعد انقطاع الدم حتى تغتسل من الحيض قولاً واحداً، وفي النفاس قبل الأربعين استحباباً، فإن لم تجد الماء وجب التيمم، فإن خالف فوطئ في الحيض تصدّق بدينار أو نصف دينار على إحدى الروايتين، والأخرى يستغفر الله تعالى ويتوب إليه أن لا يرجع إلى مثله، ولا يكفّر. ويجتنب وطأها في الموضع المكروه، قال النبيّ ﷺ: «ملعونٌ مَنْ أتى امرأة في دبرها»[3].

---

(١) حديث ضعيف. أخرجه البزار (١٤٤٨) من حديث أبي هريرة وإسنادُه ضعيف. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٢٩٣/٤: رواه البزار والطبراني في «الأوسط» وإسناد البزار ضعفه، وفي إسناد الطبراني أبو المثيب صاحب يحيى بن أبي كثير، ولم أجد من ترجمه. وبقية رجال الطبراني ثقات، وفي بعضهم كلام لا يضر.

(٢) أخرجه مسلم (١٤٣٩) من حديث جابر.

(٣) أخرجه أبو داود (٢١٦٢)، وابن ماجة (١٩٢٣) من حديث أبي هريرة. وفيه الحارث ابن مخلد، مجهول الحال.

فإنْ لم تَتُقْ نفسه إلى الجماع لا يجوز له تركه، لأنَّ لها حقاً في ذلك، وعليها مضرَّةٌ في تركه لأن شهوتها أعظمُ من شهوته، وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال: «فضلت شهوة النساء على الرجال بتسعة وتسعين، إلا أن الله تعالى ألقى عليهنّ الحياء»(١).

وقيل: الشهوة عشرة أجزاء، تسعة منها للنساء، وواحدة للرجال.

والقَدْرُ الذي لا يجوز أن يؤخر الوطء عنه أربعة أشهر إلا أن يكون له عذر، فإن جاوز أربعة أشهر كان لها فراقه، وإن سافر عنها مدة أكثر من ستة أشهر فطلبت منه القدوم فأبى أن يقدم مع القدرة، كان للحاكم أن يُفَرِّقَ بينهما إذا طلبت الزوجة ذلك.

وهذا هو التوقيت الذي وقته عمر بن الخطاب رضي الله عنه للناس في مغازيهم يسيرون شهراً ويقيمون أربعة أشهر، ويسيرون راجعين إلى أهلهم شهراً.

وإذا رأى امرأة غيره فأعجبته جامع امرأته ليسكن ما به من التوقان، لما روي عن النبيّ ﷺ أنه قال: «إذا رأى أحدكم امرأة تعجبه فليأت أهله، فإن الشيطان يُقْبِلُ في صورة امرأة ويُدْبِرُ في صورة امرأة»(٢).

فمن لم تكن له امرأة يلتجئ إلى الله عز وجل، ويسأله السلامة من معاصيه، ويستعيذ به من الشيطان الرجيم.

ولا يجوز له أنْ يُحَدِّثَ غيره بما جرى بينه وبين أهله من أمر الجماع، ولا للمرأة أن تحدث بذلك النساء، لأن ذلك سخفٌ ودناءة وقبيح في الشرع والعقل، لما روى أبو هريرة رضي الله عنه في حديث فيه طول عن النبيّ ﷺ إلى أن قال: «ثم أقبل على الرجال فقال: هل منكم الرجلُ إذا أتى أهله فأغلق

---

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٧٧٣٧) بنحوه بإسنادٍ ضعيف.

(٢) أخرجه مسلم (١٤٠٣) من حديث جابر.

عليه بابه وألقى عليه ستره واستتر بستر الله؟ قالوا: نعم، قال: ثم يجلس بعد ذلك فيقول: فعلتُ كذا فعلت كذا، قال: فسكتوا، قال: فأقبل على النساء، فقال: هل منكنّ مَنْ تُحَدِّثُ؟ فسكتن، فجثت فتاة على إحدى ركبتيها وتطاولت لرسول الله ﷺ ليراها ويسمع كلامها، فقالت: يا رسول الله إنهم ليتحدثون وإنهنّ ليتحدثن، فقال: هل تدرون ما مثل ذلك؟ إنما مثل ذلك مثل شيطانة لقيت شيطاناً في السكة فقضى منها حاجته والناس ينظرون إليه، ألا وإنَّ طِيبَ الرجالِ ما ظهر ريحهُ ولم يظهر لونه، ألا إن طيب النساء ما ظهر لونه ولم يظهَر ريحه»[1].

(فصل)

وإذا دعا امرأته للجماع فأبت عليه كانت عاصية لله تعالى وعليها وزر، قال النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أيما امرأةٍ منعتْ زوجَها حاجته كان عليها قيراطان من الإصر، وأيما رجلٍ منع امرأته حاجتها كان عليه من الإصر قيراط» يعني الإثم.

وفي بعض الأحاديث قال ﷺ: «إذا دعا أحدكم امرأته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور»[2].

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: «إذا دعا أحدكم امرأته إلى فراشه فلم تأته فباتَ غضبانَ عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح»[3].

وعن قيس بن سعد رضي الله عنه قال: «أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١٧٤)، والترمذي (٢٧٨٧)، والبيهقي ١٩٤/٧ وغيرهم، وفي إسنادِه مجهول.

(٢) أخرجه الترمذي (١١٦٠) من حديث طلق بن علي. وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه البخاري (٥١٩٣)، ومسلم (١٤٣٦).

لِمَرْزُبانٍ لهم، فأتيتُ النبيّ ﷺ فقلت: يا رسولَ الله أنت أحقُّ أن يُسْجَدَ لك، فقال ﷺ: أرأيتَ لو مررتَ بقبري أكنتَ تسجدُ له؟ قال: قلت لا؟ قال ﷺ: فلا تفعلوا ذلك لو كنتُ آمراً أحداً أن يسجد لأحدٍ لأمرتُ النساء أن يسجدن لأزواجهن لِمَا جعلَ الله تعالى لهم عليهن من حق»[1].

والمرزبان هو ملك لهم.

وعن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسـول الله: ماحقّ زوجـةِ أحـدنا عليه؟ قال ﷺ: أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضربِ الوجهَ ولا تقبح ولا تهجرْ إلا في البيت»[2].

فإن أصرّت المرأة على النشوز وهو الامتناع عن الإجابة لهذا الشأن، أو تجيبه مُتكرِّهةً متبرِّمة فليبدأ الزوج بوعظها ويخوفها بالله عزّ وجلّ، فإن أقامت على ذلك هَجَرها في المضجع والكلام فيما دون ثلاثة أيام، فإنِ ارتدعتْ وإلا كانَ له ضَرْبها بما لا يكون مُبَرِّحاً كالدرّة أو مخراق[*]، لأن المقصود ارتداعها وطـاعتها له لا إهلاكها، فإنْ لم ينصلح الحال بينهما بعث الحاكمُ حَكَمين حرّين مسلمين عدلين من أهلهما ويوكلهما الزوجان فينظران بينهما ما فيه من المصلحة من إصلاح أو فراق بمال وغيره، فما يفعلان يلزمهما حُكْمهُ.

(فصل)

ويستحبّ وليمة العرس، والسنةُ أن لا ينقص فيها عن شاة، وبأيّ شيء

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١٤٠)، والحاكم ١٨٧/٢، والبيهقي ٢٩١/٧ من حديث قيس بن سعد. وفي إسنادِه شريك، وهو سيِّئ الحفظ. ولكن شطره الأخير المرفوع له شواهد كثيرة يُحسَّنُ بها.

(٢) حديث صحيح. أخرجه أبو داود (٢١٤٢) و(٢١٤٣) و(٢١٤٤). وابن ماجة (١٨٥٠) من حديث معاوية القشيري.

(*) المخراق: منديل يكف ليضرب به.

أَوْلَـمَ من الطعام جاز، وتجب إجابته إذا كان مسلماً في اليوم الأول، ويستحبّ في اليوم الثـاني، ويباح في اليوم الثالث، بل هي دناءة، والأصل في ذلك ماروي عن النبيّ ﷺ: «أنه قال لعبدالرحمن رضي الله عنه: أَوْلِـمْ ولو بشاة»[1].

وقال ﷺ: «الوليمة في أول يوم حق، والثاني معروف، وبعد ذلك دناءة»[2].

وقال ﷺ في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «إذا دُعي أحدكم إلى وليمة عرس فَلْيُجِبْ، فإنْ كان مفطراً أكل، وإن كان صائماً ترك وانصرف»[3].

[حكم النثار]

وهل يكره النثار والتقاطه أم لا؟ على روايتين:

إحداهما: يكره لما فيه من السخف ودناءة النفس والنهبة والشره، فكانت الصيانة عن ذلك أولى، وتركه في باب الورع أحرى.

وعلى الرواية الثانية: لا يكره، لما روي: «أن النبيّ ﷺ نحر بدنة وخلّى بينها وبين المساكين وقال: من شاء اقتطع»[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٦٧)، ومسلم (١٤٢٧) من حديث أنس.

(٢) حديث ضعيف. أخرجه أبو داود (٣٧٤٥)، وأحمد ٥/٢٨ من حديث بعض الصحابة لعله زهير بن عثمان. ولم تثبت صحبته، وفي إسنادِه مجهول.
وأخرجه ابن ماجة (١٩١٥) من حديث أبي هريرة مرفوعاً وكلاهما بلفظ: «الوليمةُ أول يوم حَقٌّ، والثاني معروف والثالث رياء وسمعة». وفي إسنادِه أبو مالك النخعي، متروك.

(٣) أخرجه مسلم (١٤٣١) من حديث أبي هريرة بلفظ: «إذا دُعي أحدُكم فليُجب، فإن كان صائماً فليُصَلِّ، وإن كان مفطراً فليطعمْ».

(٤) أخرجه أحمد ٤/٣٥٠، وأبو داود (١٧٦٥)، والحاكم ٤/٢٢١ من حديث عبدالله بن قرط بنحوه. ورجال إسناده ثقات.

ولا فرق بين النثار وبين ذلك، وأولى من ذلك القسمة بين الحاضرين، فإنه أطيب وأحلّ وأدخل في باب الورع.

(فصل)

فإذا كملت شرائط عقد النكاح: وهو حضور الوليّ العدل والشهود العدول والكفاءة والخلوّ من المانع من الردّة والعدة وغيرهما استأذنها العاقد للنكاح إذا لم تكن مجبرة وهو إذا كانت ثيباً أو بكراً لا أبَ لها، وعرَّفها الزوجُ مقدار الصَّدَاق وصفته، ثم يخطب ويستغفر الله عزّ وجلّ، ويأمر بذلك الوليّ على وجه الاستحباب والأولى؛ ثم يستنطقه فيقول له: قد زوّجتك بنتي أو أختي فلانة، فيسميها على ما اتفقا عليه من الصداق ويقول الزوج: قد قبلت هذا النكاح.

ولا ينعقد النكاح إلا بالعربية لمن يحسنها، فإن لم يحسنها فبلسانه ولغته. وهل يلزمه تعلم العربية إذا لم يحسنها لعقد النكاح أم لا؟ على الوجهين.

[خطبة النكاح]

ويستحبّ أن يخطب بخطبة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، لأنه قد روى أن الإمام أحمد بن حنبل كان إذا شهد إملاكاً ولم يسمع خطبة عبدالله ابن مسعود ترك الإملاك وانصرف، وهو ما أخبرنا به الشيخ الإمام هبة الله بن المبارك بن موسى السقطي ببغداد، عن القاضي أبي المظفر هناد بن إبراهيم ابن محمد بن نصر النسفي، عن القاضي أبي عمر القاسم بن جعفر بن عبدالواحد الهاشمي البصري عن محمد بن اسحاق اللؤلؤي، عن أبي داود قال: حدثنا محمد بن سليمان الأنباري المفتي، قال: حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأخوص عن أبي عبيدة عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «علمنا رسول الله ﷺ خطبة النكاح: الحمدُ لله نحمده ونستعينه

ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِ الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نَفْسٍ واحدة وخلق منها زوجها، وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيباً﴾ [النساء: ١] ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومَنْ يُطِعِ اللهَ ورسولَهُ فقد فاز فوزا عظيما﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]»[1].

ويستحبّ أن يضيف إليها قوله عز وجل ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم، إنْ يكونوا فقراءَ يُغْنِهِمُ اللهُ من فضله، والله واسع عليم﴾ [النور: ٣٢] ﴿يرزق من يشاء بغير حساب﴾ [النور: ٣٨].

وإن قرأ غير هذه الخطبة جاز مثل أن يقول: الحمد لله المتفردِ بآلائه الجواد بإعطائه الذي تجلى في سمائه المتوحد بكبريائه، لا يصفه الواصفون حَقَّ صفته، ولا ينعته الناعتون حقَّ نعته لأنه الله الأحد الصمد المعبود، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، تبارك الله العزيز الغفار، بعث محمداً ﷺ بالحقّ نبياً صفياً برياً من العاهات كلها فبلغ ما أُرسل به، سراجاً زاهراً ونوراً ساطعاً وبرهاناً لامعاً، ﷺ وعلى آله أجمعين.

ثم إن هذه الأمور كلها بيد الله يصرِّفُهَا في طرائقها ويُمْضِيها في حقائقها، لا مقدِّم لما أخَّر ولا مؤخر لما قدم، ولا يجتمع اثنان إلا بقضاء وقدر ولكل قدر أجل، ولكل أجل كتاب ﴿يمحو الله ما يشاء ويُثْبِت وعنده أم الكتاب﴾. [الرعد: ٣٩]. وكان من قضاء الله وقدره أن فلان بن فلان يخطب

---

(١) أخرجه أبو داود (١١١٨)، والترمذي (١١٠٥)، والنسائي ٣/١٠٤ ـ ١٠٥، وابن ماجة (١٨٩٢) وغيرهم من حديث ابن مسعود. وفي إسنادها انقطاع بيناه في «إغاثة اللهفان» ١/٧٤ بتحقيقنا.

كريمتكم فلانة بنت فلان، وقد أتاكم راغباً فيكم خاطباً كريمتكم، وقد بذل لها من الصداق ما وقع عليه الاتفاق، فزوِّجُوا خاطبكم وأنكحوا راغبكم، قال الله تعالى: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم، إنْ يكونوا فقراءَ يُغْنِهم اللهُ من فضله. واللهُ واسعٌ عليم﴾ [النور: ٣٢] فإذا فرغ من الخطبة عقد النكاح على ما قدمنا ذكره.

باب: في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وقد ذكر الله عز وجل الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ومدحهم في كتابه.

قال الله عز وجل: ﴿الآمرونَ بالمعروفِ والناهون عن المنكر والحافظونَ لحدودِ الله وبشر المؤمنين﴾ [التوبة: ١١٢].

وقال الله تعالى: ﴿كنتم خَيْرَ أمةٍ أُخْرِجَتْ للناسِ تأمرونَ بالمعروفِ وتَنْهَوْنَ عن المنكرِ وتؤمنونَ بالله﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال تعالى ﴿والمؤمنونَ والمؤمناتُ بعضُهم أولياءُ بعضٍ يأمرونَ بالمعروفِ وينهَوْنَ عن المنكرِ﴾ [التوبة: ٧١].

وروي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «لَتأمُرُنَّ بالمعروف ولَتَنْهَوُنَّ عن المنكر، أو ليسلطنَّ اللهُ تعالى شِرَارَكُمْ على خيارِكم فيدعو خِيارُكُمْ فلا يُسْتَجابُ لهم»[1].

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ: البزار (٣٣٠٧)، والطبراني في «الأوسط» كما في «المجمع» ٢٦٦/٧، وقال الهيثمي: وفيه حبان بن علي، وهو متروك، وقد وثقه ابن معين في رواية، وضعفه في غيرها.

وأخرجه الترمذي (٢١٦٩) من حديث حذيفة بلفظ: «والذي نفسي بيده لتأمُرُنَّ بالمعروفِ، ولتنهَوُنَّ عن المنكرِ أو ليوشِكَنَّ اللهُ أن يبعثَ عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه =

وروى سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مُرُوا بالمعروفِ وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يُستجاب لكم، وقبل أن تستغفروا فلا يغفر لكم، إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يدفع رزقاً ولا يُقَرِّبُ أجلًا، ألا إن الأحبار من اليهود، والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم، ثم عُمُّوا بالبلاء»[1].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان على كل مسلم حرّ مكلف عالمٍ بذلك، بشرط القدرة على وجه لايؤدي إلى فسادٍ عظيم وضررٍ في نفسه وماله وأهله، ولا فرق بين أن يكون إماماً أو عالماً أو قاضياً أو واحداً من الرعية.

وإنما شرطنا العلم بالمنكر والقطع به لما في ذلك من خوفِ الوقوع في الإثم، لأنه لا يأمن المنكر أن يكون الأمر بخلاف ما ظنَّ لقوله تعالى: ﴿يا أيُّها الذينَ آمنوا اجْتَنِبُوا كثيراً من الظنّ إنّ بعضَ الظنّ إثمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]. ولا يجب عليه كشف ما ستر عنه، لأن الله تعالى نهى عن ذلك فقال: ﴿ولا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢] إنما الواجب عليه إنكار ما ظهر، وفي بحث ما ستر كشف الستر، وذلك ممنوع منه في الشرع.

(فصل)

وإنما شرطنا القدرة على ذلك؛ لما روي أن النبيّ ﷺ قال: «ما من قومٍ يكونُ فيهم رجلٌ يعمل المعاصيَ ويقدرون أن يغيروا عليه فلا يغيروا عليه إلا

= فلا يُستجابُ لكم». وإسنادُه ضعيف لجهالة عبدالله بن عبدالرحمن الأنصاري الأشهلي.

(١) ذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/٢٦٦ وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه مَنْ لم أعرفهم. وذكره ابن أبي حاتم في «العلل» ٢/١٣٨، وقال فيه أبو حاتم: هذا حديث منكر.

عَمَّهُم الله بعذابٍ قبل أن يتوبوا»[1].

فقد شرط عليه الصلاة والسلام ذلك وهو إذا كانت الغلبة لأهل الصلاح وعدل السلطان وأعانه أهل الخير.

وأما إذا كان الإنكار تغريراً بالنفس مع لحوق ضرر به وبماله فلا يجب عليه ذلك لقوله عز وجل: ﴿ولا تُلْقُوا بأيديكمْ إلى التهلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]. وقوله تعالى: ﴿ولا تَقْتلُوا أنفسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] وقول النبيّ ﷺ: «لاينبغي للمؤمن أن يُذِلَّ نفسه، قيل يا رسول الله كيف يذل نفسه؟ قال ﷺ: لا يتعرّض لما لا يمكنه»[2].

---

(١) حديث صحيح. أخرجه أبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٨) و(٣٠٥٧)، وابن ماجة (٤٠٠٥)، وأحمد ٢/١ و٥ و٧ و٩، والحميدي (٣)، وابن حبان (٣٠٤) و(٣٠٥)، والبيهقي ٩١/١٠ من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن أبي بكر الصديق مرفوعاً بهذا اللفظ، وبنحوه.

وقال الترمذي: وهذا حديث صحيح. وهكذا روى غير واحد عن إسماعيل.. وأوقفه بعضُهم. قلت: انظر بعض تلك الروايات في «تفسير الطبري» ٩٨/٧ - ٩٩. ورأى أنَّ الرفع أرجح.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٢٥٤)، وابن ماجة (٤٠١٦) من طريق عمرو بن عاصم، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن الحسن، عن جندب، عن حذيفة. وعند ابن عدي ٢٣٠٧/٦ متابعة هدبة لعمرو بن عاصم، وهو سرقة لا يصح كما نبه عليه ابن عدي.

وهذا إسنادٌ ضعيف. علي بن زيد ضعيف، والحسن مدلس وقد عنعن. وقال أبو حاتم كما في «العلل» ٣٠٦/٢: ليس بمحفوظ، يعني زيادة جندب في الإسناد. وعليه فالإسناد منقطع.

وقال أبو حاتم أيضاً ١٣٨/٢: هذا حديث منكر.

وفي الباب حديث رواه الطبراني في «الكبير» (١٣٥٠٧) عن محمد بن أحمد بن أبي خيثمة، حدثنا زكريا بن يحيى المدائني، حدثنا شبابة بن سوار، حدثنا ورقاء بن عمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عمر.

وهذا إسنادٌ ضعيف غريب. زكريا بن يحيى المدائني لم يُوثّق، وحديثه يَدُلُّ على =

وقول النبيّ ﷺ: «إذا رأيتم أمراً لا تستطيعون تغييره فاصبروا حتى يكون الله تعالى هو الذي يغيره»[1].

فإذا ثبت أنه لا يجب عليه الإنكار فهل يجوز إنكاره إذا غلب على ظنه الخوف على نفسه؛ فعندنا يجوز ذلك وهو الأفضل إذا كان من أهل العزيمة والصبر فهو كالجهاد في سبيل الله مع الكفار، وقد قال الله تعالى في قصة لقمان: ﴿وَأْمُرْ بالمعروفِ وأنْهَ عن المنكَرِ واصبرْ على ما أصابَكَ﴾ [لقمان: ١٧].

وقال النبيّ ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه: «يا أبا هريرة مُرْ بالمعروف وانْهَ عن المنكر واصبر على ما أصابك».

ولا سيما إذا كان ذلك عند سلطان جائر أو لاظهار كلمة الإيمان عند ظهور كلمة الكفر، لأن الفقهاء اتفقوا على ذلك وإنما الخلاف بيننا وبينهم في غير هذين الموضوعين.

(فصل)

فإذا ثبت وجوب الإنكار، فالمنكرون ثلاثة أقسام:

= ضعفه. انظر ترجمته في «تاريخ بغداد» ٨/٤٥٧ ـ ٤٥٨. واحتمله الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٦١٣) أن يكون اللؤلؤي، وليس به. وجاء على الصواب في «مجمع الزوائد» ٧/٢٧٤ ـ ٢٧٥.

وشبابة بن سوار صدوق، لكنه وقَعَ له بعضُ المناكير في حديثه، وكأنه حدَّث بها من حفظه فوقع له الخطأ، كما قال ابن عدي.

وله شاهدٌ أيضاً لا يصحُّ عن علي. ذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/٢٧٥.

(١) أخرجه ابن عدي ٥/٢٠١٧، والطبراني (٧٦٨٥) من حديث أبي أمامة، وإسناده ضعيف. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/٢٧٥.

قسم يكون إنكارهم باليد، وهم الأئمة والسلاطين.

والقسم الثاني: إنكارهم باللسان دون اليد، وهم العلماء.

والقسم الثالث: إنكارهم بالقلب، وهم العامة.

وقد جاء في هذا المعنى حديث، وهو ما روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: «إذا رأى أحد منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[1] يعني أضعف فعل أهل الإيمان.

وقد روي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال: إذا رأى أحد منكم منكراً لا يستطيع النكير عليه فليقل ثلاث مرات: اللهم إنَّ هذا مُنْكَرٌ فأزِلْهُ؛ فإذا قال ذلك كان له ثواب مَنْ أمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

(فصل)

وإذا غلب على ظنه عدمُ زوالِ المنكر وبقاؤه على ذلك فهل يجب عليه إنكاره أم لا؟ على روايتين عن الإمام أحمد رحمه الله:

إحـداهمـا: يجب لجـواز أن يرتدع وينزجر ويرقّ قلبه ويلحقه التوفيق والهداية ببركة صدقه فيرجع عما هو عليه، والظن لا يمنع من جواز إنكاره.

والرواية الأخرى: لا يجب عليه إنكاره حتى يغلب على ظنه زواله، لأن القصد بالإنكار زوال المنكر، فإذا قوي في الظن بقاؤه كان تركه أولى.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

(فصل: شروط الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر)

ويشترط في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر خمس شرائط:

أولها: أن يكون عالماً بما يأمر وينهى.

والثاني: أن يكون قَصْدُهُ وجهَ الله وإعزازَ دينِ الله وإعلاءَ كلمتِهِ وإظهار طاعته دون الرياء والسمعة والحميّة لنفسه، وإنما يُنْصَرُ ويُوَفَّقُ ويزول به المنكر إذا كان صادقاً مخلصاً، قال الله تعالى: ﴿إنْ تنصُروا اللهَ يَنْصُرْكُمْ ويُثَبِّتْ أقدامَكم﴾ [محمد: ٧] وقال الله تعالى: ﴿إنَّ اللهَ معَ الذينَ اتَّقوْا والذينَ همْ مُحسِنونَ﴾ [النحل: ١٢٨] فإذا اتقى الشرك وترك نظر الخلق في إنكاره وأحسن العمل بإخلاصه في ذلك كان الظفر له، وإن كان غير ذلك كان له الخذلان والصَّغار والذلة والمهانة، وبقاء المنكر على حاله، بل زيادته وتفاقمه وضراوة أهل المعاصي واتفاق شياطين الإنس والجن على مخالفة الله تعالى، وترك طاعته وارتكاب المحرمات.

والثالث: أن يكون أمره ونهيه باللين والتودد لا بالفظاظة والغلظة، بل بالرفق والنصح، والشفقة على أخيه كيف وافق عدوَّهُ الشيطانَ اللعين الذي قد استولى على عقله وزيَّنَ له معصية ربه ومخالفة أمره، يريد بذلك إهلاكه وإدخاله النار، كما قال الله تعالى: ﴿إنما يدعو حِزْبَهُ ليكونُوا من أصحابِ السعيرِ﴾ [فاطر: ٦] وقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فبما رحمةٍ من الله لِنْتَ لهم ولو كنتَ فظاً غليظَ القلب لانفضُّوا من حَوْلِك﴾[آل عمران: ١٥٩] وقال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون: ﴿فقولا له قَوْلاً ليِّناً لعلَّه يتذكَّرُ أو يخشَى﴾ [طه: ٤٤].

وقال النبيّ ﷺ في حديث أسامة: «لا ينبغي لأحدٍ أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يكون فيه ثلاث خصال: عالماً بما يأمر، عالماً بما

ينهى، رفيقاً فيما يأمر، رفيقاً فيما ينهى»[1].

والرابع: أن يكون صبوراً حليماً حمولاً متواضعاً زائل الهوى قويّ القلب لين الجانب، طبيباً يداوي مريضاً، حكيماً يداوي مجنوناً، إماماً هادياً، قال الله تعالى: ﴿وجَعَلْنا منهمْ أئمةً يَهْدونَ بأمرنا لمّا صبَرَوُا﴾ [السجدة: ٢٤] على احتمال الأذى من قومهم على نصرة دين الله وإعزازه والقيام معه، فجعلهم أئمة هُداةً أطباء الدين قادة المؤمنين، وقال الله تعالى في قصة لقمان: ﴿وأمُرْ بالمعروفِ وانْهَ عن المنكرِ واصبرْ على ما أصابكَ إنَّ ذلك من عزم الأمور﴾ [لقمان: ١٧].

والخامس: أن يكون عاملاً بما يأمر متنزّهاً عما ينهى عنه وغير متلطخ به، لئلا يكون لهم تسلط عليه فيكون عند الله مذموماً ملوماً، قال الله تعالى: ﴿أتأمرُونَ الناسَ بالبرِّ وتنسَوْنَ أنفسَكم وأنتم تتلونَ الكتابَ أفلا تعقِلونَ﴾ [البقرة: ٤٤] وقال النبيّ ﷺ في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «رأيت ليلة أُسريَ بي رجالاً تُقْرَضُ شفاههم بالمقاريض، فقلتُ من هؤلاء ياجبريل؟ قال: هؤلاء خطباء أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب»[2].

قال الشاعر:

لا تنه عن خُلُقٍ وتأتيَ مِثْلَهُ   عارٌ عليكَ إذا فعلت عظيمُ

---

(١) لم أره بهذا اللفظ.

(٢) حديث حسن إن شاء الله تعالى.

أخرجه ابن أبي شيبة ٣٠٨/١٤، وأحمد ١٢٠/٣ و١٨٠ و٣٢١ و٢٣٩ من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان، عن أنس. وعلي ضعيف.

وأخرجه ابن حبان (٥٣)، وأبو نعيم في «الحلية» ٤٣/٨ ـ ٤٤ من طريقين عن مالك بن دينار، عن أنس. وفي حديث مالك نظرٌ؟

وأخرجه أبو نعيم ١٧٢/٨ من طريق عبدالله بن موسى، عن ابن المبارك، عن سليمان التيمي، عن أنس. وعبدالله بن موسى: ضعيف.

وقال قتادة رحمه الله: ذكر لنا أن في التوراة مكتوباً أن ابن آدم يذكرني وينساني، ويدعو إليَّ ويفرُّ مني، باطل ما تذهبون، وأراد بذلك عزّ وجل: مَنْ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويترك نفسه، وهو تعالى أعلم بذلك.

(فصل)

والأولى له إن استطاع أن يأمره وينهاه سراً في خلوة ليكون ذلك أبلغَ وأمكن في الموعظة والزجر والنصيحة له وأقرب إلى القبول والإقلاع. وقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه: من وعظ أخاه بالعلانية فقد شَانَهُ ومن وعظه سراً فقد زانه. فإن فعل ذلك ولم ينفعه أظهر حينئذ ذلك، واستعان عليه بأهل الخير، وإن لم يفعل فبأصحاب السلطان.

وينبغي أن لا يترك إنكار المنكر أبداً، لأن الله تعالى ذمّ قوماً تركوا ذلك وتغافلوا عنه، قال عزّ وجل: ﴿كانوا لا يَتَنَاهَوْنَ عن منكرٍ فعلوه، لَبِئْسَ ما كانوا يفعَلون﴾ [المائدة: ٧٩] وقال تعالى: ﴿لولا ينهاهُمُ الربّانِيّونَ والأحْبارُ عن قولِهم الإثْمَ وأكلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ ما كانوا يصنعونَ﴾ [المائدة: ٦٣] يعني هلاّ نهاهم علماؤهم وفقهاؤهم وقرّاؤهم عن القول الفاحش وأكل الحرام وفعل المعاصي؟

وقيل: إن الله تعالى أوحى إلى يوشع بن نون عليه السلام: إني مُهْلِكٌ من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم، قال: يارِبِّ هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ قال تعالى: إنهم لم يغضبوا بغضبي وواكلوهم وشاربوهم.

(فصل)

وقد ذكرنا أن الشرط الخامس أن يكون عالماً بما يأمر متنزّهاً عما ينهى عنه، إلا أن شيوخنا ذكروا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الفـاسق كوجـوبـه على العدل، فأشرنا إلى ذلك لما تقدّم من عموم الآيات والأخبار من غير فرق.

وقد حمل بعض السلف قوله تعالى ﴿ومِنَ الناسِ مَنْ يَشْرِي نفسه ابتغاءَ مرضاة الله﴾ [البقرة: ٢٠٧] على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع إنساناً يقرأ هذه الآية فقـال: ﴿إنّـا لله وإنّا إليهِ راجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] قام رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل.

وعن أبي أمـامـة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «أفضل الجهاد كلمة حقّ عند إمام جائر»[1].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «سيد الشهداء يوم القيامة حمزة بن عبدالمطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»[2].

---

(١) حديث حسن. أخرجه الترمذي (٢١٧٥)، وأبيداود (٤٣٤٤)، وابن ماجة (٤٠١١) من حديث أبي سعيد الخدري. وله ما يشهَدُ له. وحديث أبي أمامة عند الطبراني (٨٠٨١)، وأحمد ٢٥١/٥ و٢٥٦، وفي إسنادِه ضعف.

(٢) أخرجه الحاكم ١١٩/٢ - ١٢٠ و١٩٥/٣ من حديث جابر. وإسنادُه ضعيف.

وأخـرجـه الخطيب في «تاريخه» ٣٧٧/٦ و٣٠٢/١١ من طريق حكيم بن زيد الأشعري، عن إبراهيم الصائغ، عن عطاء، عن جابر. وفيه ضعفٌ أيضاً من قِبَلِ حكيم بن زيد. ولا أُراه يحتملُ التحسين.

وفي البـاب عن ابن عبـاس عنـد الـطبـراني في «الأوسط»، وقال الهيثمي في

وقد ذكر الله تعالى الذي يُنهى عن المنكر وتأخذه العزة فلا يمتنع فقال تعالى: ﴿وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم﴾ [البقرة: ٢٠٦] الآية. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إن من أكبر الذنوب عند الله تعالى أن يقال للعبد اتق الله، فيقول: عليك بنفسك وجميع ذلك عامّ في حقّ الصالح والطالح.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال: «مُرُوا بالمعروف وإن لم تعملوا به، وانهوا عن المنكر وإن لم تنتهوا عنه»[1].

ولأنه لا يخلو أحد من معصية إما ظاهراً وإما باطناً. فإن قلنا لا ينكر إلا المتنزّه عنه تعذر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيندرس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيندرس الدين ويضمحلّ.

(فصل)

والذي يُؤْمَرُ به ويُنْكَرُ على ضربين، فكل ما وافق الكتاب والسنة والعقل فهو معروف، وكل ما خالف ذلك فهو منكر. ثم ذلك ينقسم قسمين:

أحدهما ظاهر يعرفه العوام والخواص، وهو كوجوب الصلوات الخمس وصوم رمضان والزكاة والحج، وغير ذلك، ومن المنكر كتحريم الزنا وشرب الخمر والسرقة وقطع الطريق والربا والغصب وغير ذلك؛ فهذا القسم يجب إنكاره على العوامّ كما يجب على الخواصّ من العلماء.

والقسم الثاني ما لا يعرفه إلا الخواص مثل اعتقاد ما يجوز على الباري تعالى وما لا يجوز عليه، فهذا يختص إنكاره بالعلماء؛ فإن أخبر أحد من

= «المجمع» ٩/٢٦٨: وفيه ضعف.

(١) ذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/٢٧٧ من حديث أنس، وقال: رواه الطبراني في «الصغير» ٢/٧٨ و«الأوسط» من طريق عبدالسلام بن عبدالقدوس بن حبيب، عن أبيه، وهما ضعيفان.

العلماء بذلك واحداً من العوام جاز له ذلك، ووجب على العامي الإنكار عند القدرة على ما بينا، ولا يجوز قبل ذلك. وأما إذا كان الشيء مما اختلف الفقهاء فيه وساغ فيه الاجتهاد كشرب عاميّ النبيذ مقلداً لأبي حنيفة رحمه الله، وتزوّج امرأة بلا وليّ على ما عرف من مذهبه لم يكن لأحد ممن هو على مذهب الإمام أحمد والشافعي رحمهما الله الإنكار عليه، لأن الإمام أحمد قال في رواية المروزي: لا ينبغي للفقيه أن يحمل الناس على مذهبه، ولا يشدّد عليهم، وإذا ثبت هذا فالإنكار إنما يتعين في خرق الإجماع دون المختلف فيه.

وقد نقل عن الإمام أحمد رحمه الله ما يدلّ على جواز الإنكار في المختلف فيه، وهو ما قال في رواية الميموني في الرجل يمر بالقوم وهم يلعبون بالشطرنج ينهاهم ويعظهم، ومعلوم أن هذا جائز عند أصحاب الشافعي رحمهم الله.

(فصل)

وينبغي لكل مؤمن أن يعمل بهذه الآداب في سائر أحواله، ولا يترك العمل بها. وقد روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: تأدّبوا ثم تعلموا. وقال أبو عبدالله البلخي رحمه الله: أدب العلم أكثرُ من العلم.

وقال عبدالله بن المبارك رحمه الله: إذا وصف لي رجل له علم الأوّلين والآخرين ولا أدب له لا أتأسف على فوت لقائه، وإذا سمعت برجلٍ له أدب النفس أتمنى لقاءه وأتأسف على فواته.

ويقال: مَثَلُ الإيمانِ كمثلِ بلدةٍ لها خمسة من الحصون: الأول من ذهب، والثاني من فضة، والثالث من حديد، والرابع من آجرّ، والخامس من لبِنٍ، فما دام أهل الحصن متعاهدين الذي هو من لبن لا يطمع العدو في

الثاني، فإذا أهملوا ذلك طمعوا في الحصن الثاني، ثم في الثالث حتى تخرب الحصون كلها.

فكذلك الإيمان في خمسة من الحصون: أولها اليقين، ثم الإخلاص، ثم أداء الفرائض، ثم إتمام السنن، ثم حفظ الآداب؛ فما دام العبد يحفظ الآداب ويتعاهدها، فالشيطان لا يطمع فيه؛ فإذا ترك الآداب طمع الشيطان في السنن، ثم في الفرائض، ثم في الإخلاص، ثم في اليقين.

فينبغي للإنسان أن يحفظ الآداب في جميع أموره من الوضوء والصلاة والبيع والشراء وغير ذلك.

هذا آخر ما اخترنا وأردنا ولخّصنا من آداب الشريعة.

فبامتثال الأمر في العبادات الخمس المُقَدَّمِ ذِكْرُها يصير مسلماً، وبالتأدب بهذه الآداب يكون تابعاً للسنة ومقتفياً للأثر، ويحصل له بذلك معرفةُ ما ينبغي، ويبقى عليه حقيقةُ معرفةِ الصانعِ وهي من أعمال القلب، فأخَّرناها ليسهلَ عليه الدخولُ في ديننا، فإذا تقمَّصَ بنورِ الإسلام ظاهراً قلنا له: تقمص بنور الإيمان باطناً.

باب: في معرفة الصانع عز وجل

نقـول: أمـا معـرفـة الصـانـع عزّ وجـل بالآيات والدلالات على وجه الاختصار، فهي:

أن يعرف ويتيقن أنه الله واحدٌ فَرْدٌ صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١] لا شبيه له ولا نظير، ولا عونَ ولا شريك، ولا ظهيرَ ولا شريك ولا وزير، ولا ندّ ولا مشير له، ليس بجسمٍ فَيُمَسّ ولا بجوهر فيحسُّ، ولا عَرَضٍ فيقضى، ولا ذي تركيب أو آلة وتأليف، وماهيةٍ وتحديد.

وهو اللهُ للسماءِ رافعٌ وللأرضِ واضعٌ، لا طبيعة له من الطبائع ولا طالع له من الطوالع، ولا ظلمة تظهر ولا نور يزهر، حاضرُ الأشياء علماً شاهدٌ لها من غير مُمَاسَّة، قاهر حاكم قادر، راحم غافر، ساتر مُعِزٌّ ناصر، رؤوف خالق فاطر، أولٌ آخِرٌ، ظاهرٌ باطن، فرد معبود، حيّ لا يموت، أزلي لا يفوت، أبديُّ الملكوتِ سرمديُّ الجبروت، قَيُّومٌ لا ينام، عزيزٌ لا يُضَام، منيع لا يرام، له الأسماء العظام والمواهب الجسام، قضى بالفناء على جميع الأنام فقال: ﴿كلُّ مَنْ عليها فانٍ* ويبقى وجهُ رَبِّكَ ذو الجلالِ والإكرام﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

وهو بجهة العلوّ مُسْتَوٍ على العرش، مُحْتَوٍ على الملك، محيط علمه بالأشياء: ﴿إليهِ يصعَـدُ الكَلِمُ الـطيبُ والعمـلُ الصالحُ يَرْفَعُه﴾ [فاطر: ١٠] ﴿يُدَبِّرُ الأمرَ مِنَ السماءِ إلى الأرضِ ثم يَعْرُجُ إليه في يومٍ كان مقدارُه ألفَ سنةٍ مما تَعُدُّون﴾ [السجدة: ٥].

خلق الخلائق وأفعالهم وقدَّرَ أرزاقهم وآجالهم، لا مقدم لما أخر، ولا مؤخر لما قدّم، أراد ما العالم فاعلوه ولو عصمهم لما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعاً لأطاعوه، يعلمُ السِّرَّ وأخفى، عليمٌ بذات الصدور: ﴿ألا يعلمُ مَنْ خَلَقَ

وهوَ اللطيفُ الخبيرُ﴾ [الملك: ١٤].

هو المحرِّكُ، هو المسكن، لم تتصورّه الأوهام ولا تقدّره الأذهان، ولا يقاس بالناس، جلّ أن يُشَبَّه بما صنعه، أو يضافَ إلى ما اخترعه وابتدعه، مُحْصِي الأنفاس، القائم على كل نفس بما كسبت: ﴿لقد أحصاهُمْ وعَدَّهُمْ عَدّا، وكُلُّهُمْ آتيهِ يومَ القيامةِ فَرْداً﴾ [مريم: ٩٤، ٩٥] ﴿لِتُجْزَى كلُّ نَفْسٍ بما تسعى﴾ [طه: ١٥] ﴿لِيَجْزِي الذينَ أساءُوا بما عَمِلوُا ويَجْزِي الذينَ أحْسَنُوا بالحُسْنى﴾ [النجم: ٣١].

غنيٌّ عن خلقه، رازق لِبريته، يُطعِم ولا يُطعَم، يَرزقُ ولا يُرزق، يُجِيرُ ولا يُجارُ عليه، الخليقةُ مفتقرةٌ إليه، لم يخلقهم لاجتلاب نفعٍ ولا دفع ضرر، ولا لداعٍ دعاه إليه، ولا لخاطرٍ له، وفكرٍ حدث، بل إرادةٌ مجرّدة كما قال وهو أصدق القائلين: ﴿ذو العرشِ المجيد * فَعَّالٌ لما يريدُ﴾ [البروج: ١٥، ١٦].

متفرّد بالقدرة على اختراع الأعيان، وكشفِ الضرّ والبلوى وتقليب الأعيان وتغيير الأحوال: ﴿كلَّ يومٍ هو في شَأنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

يسوق ما قَدَّرَ إلى ما وقَّتَ، وأنه تعالى حيٌّ بحياة، وعالم بعلم، وقادر بقدرة، ومريد بإرادة، وسميع بسمع، وبصير ببصر، ومدرك بإدراك، ومتكلم بكلام، وآمر بأمر، وناهٍ بنهيٍ، ومخبر بخبر، وأنه تعالى عادلٌ في حكمه وقضائه، ومحسن مُتَفَضِّلٌ في عطائه وإنعامه، مُبْدِئ ومعيد، محيي ومميت، محدث وموجد، مُثِيبٌ ومعاقب، جواد لا يبخل، حليم لا يعجل، حفيظ لا ينسى، يقظان لا يسهو، رقيب لا يغفل، يقبض ويبسط، يضْحك ويفرح، يحبّ ويكره، ويبغض ويرضى، ويغضب ويسخط، يرحم ويغفر، يعطي ويمنع، له يدان وكِلْتَا يديه يمينٌ، قال جل وعلا: ﴿والسمواتُ مطوياتُ بِيَمينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

روي عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «قرأ رسول الله ﷺ على المنبر: ﴿والسموات مطويات بيمينه﴾ وقال: تكون في يمينه يرمي بها

كما يرمي الغلامُ بالكرة، ثم يقول: أنا العزيز، قال: فلقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ يتحرّك على المنبر حتى كاد يسقط»[1].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يقبضُ الأَرَضِينَ والسموات جميعاً فلا يُرَى طَرَفُهُمَا من قبضته.

وعن ابن عمرو عن النبيّ ﷺ أنه قال: «المقسطون عند الله يوم القيامة على منابرَ من نور عن يمين الرحمن وكِلْتا يديهِ يمينٌ»[2].

وخلق آدم عليه السلام بيده على صورته، وغرس جنة عدن بيده، وغرس شجرة طوبى بيده، وكتب التوراة بيده، وناولها موسى من يده إلى يده، وكلّمه تكليماً من غير واسطة ولا ترجمان، وقلوبُ العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يُقَلِّبها كيف يشاء ويُوعيها ما أراد، والسموات والأرض يوم القيامة في كفه، كما جاء في الحديث. ويضع قدمه في جهنم فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قطٍ قطٍ، ويخرج قوماً من النار بيده، وينظر أهل الجنة إلى وجهه ويرونه لا يُضَامون في رؤيته ولا يضارّون، كما جاء في الحديث[3]: يتجلى لهم ويعطيهم ما يتمنون.

وقال عز من قائل: ﴿لِلذينَ أَحْسَنُوا الحُسْنى وزِيادَة﴾ [يونس: ٢٦] قيل: الحسنى هي الجنة، والزيادة: النظر إلى وجهه الكريم.

وقال تعالى: ﴿وُجوهٌ يومئذٍ ناضِرَةٌ * إلى ربِّها ناظِرَة﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] ويُعْرَضُ عليه العبادُ يوم الفصل والدين، يتولى حسابهم بنفسه ولا يتولى ذلك غيره، وإن الله تعالى خلق سبع سموات بعضها فوق بعض، وسبع أرضين

---

(١) أخرجه بنحوه مسلم (٢٧٨٨). وانظر بعض ألفاظه في «تفسير الطبري» ٢٤/٢٧ ـ ٢٨ وانظر تمام تخريجه في «الإحسان» (٧٣٢٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٢٧).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة. والبخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري بنحوه.

بعضها أسفل من بعض ومن الأرضِ العليا إلى السماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام، والماء فوق السماء السابعة، وعرش الرحمن فوق الماء، والله تعالى على العرش، ودونه حجبٍ من نار ونورٍ وظلمة، وما هو أعلمُ به، وللعرش حَمَلَةٌ يحملونه، قال الله عزّ وجل ﴿الذينَ يحملِونَ العرشَ ومَنْ حَوْلَه﴾ [غافر: ٧] الآية.

وللعرش حدٌّ يعلمه الله تعالى: قال الله عز وجل: ﴿وتَرَى الملائكةَ حافِّينَ من حولِ العرش﴾ [الزمر: ٧٥] وهو من ياقوتة حمراء، وَسَعَتُهُ كَسَعَةِ السموات والأرضين، والكرسي عند العرش كحلقةٍ مُلْقاةٍ في أرض فلاة، وهو جلَّ وعلا يعلمُ ما في السموات السبع وما بينهن وما تحتهن، وما في الأرضين السبع وما تحتهن وما بينهن، وما تحت الثرى، وما في قعر البحار، ومنبت كل شعرة وكل شجرة وكل زرع ينبت، ومسقط كل ورقة، وعدد ذلك كله، وعدد الحصى والرمل والتراب ومثاقيل الجبال ومكاييل البحار وأعمال العباد وآثارهم وأنفاسهم وكلامهم، ويعلم كل شيء، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

وهو باين من خلقه، ولا يخلو مِنْ علمه مكان، ولا يجوز وَصْفُهُ بأنه في كل مكان، بل يقال: إنه في السماء على العرش، كما قال جل ثناؤه: ﴿الرحمنُ على العرشِ استَوَى﴾ [طه: ٥] وقوله: ﴿ثم استَوَى على العرشِ الرحمنُ﴾ [الفرقان: ٥٩] وقال تعالى: ﴿إليهِ يصْعَدُ الكلمُ الطيبُ والعملُ الصالحُ يرفعهُ﴾ [فاطر: ١٠].

والنبيّ ﷺ حكم بإسلام الأمة لما قال لها «أين الله؟ فأشارت إلى السماء»[١].

وقال النبيّ ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لما خلق الله الخلق كتب كتاباً على نفسه وهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي.

غضبي»[1].

وفي لفظ آخر: «لما قضى الله سبحانه الخلق كتب على نفسه في كتاب فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي»[2].

وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش لا على معنى القعود والمُمَاسَّة كما قالت المُجَسِّمةُ والكرامية، ولا على معنى العلوّ والرفعة كما قالت الأشعرية، ولا على معنى الاستيلاء والغلبة كما قالت المعتزلة، لأن الشرع لم يرد بذلك ولا نقل عن أحد من الصحابة والتابعين من السلف الصالح من أصحاب الحديث، بل المنقول عنهم حَمْلُهُ على الإطلاق.

وقد روي عن أم سلمة زوج النبيّ ﷺ في قوله عزّ وجل: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ قالت: الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإقرار به واجب، والجحود به كفر. وقد أسنده مسلم بن الحجاج عنها عن النبي ﷺ في صحيحه[3]، وكذلك في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله قبل موته بقريب: أخبارُ الصفات تمر كما جاءت بلا تشبيه ولا تعطيل.

وقال أيضا في رواية بعضهم: لستُ بصاحبِ كلامٍ ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب الله عزّ وجل، أو حديثٍ عن النبي ﷺ أو عن أصحابه رضي الله عنهم، أو عن التابعين: فأما غير ذلك فإن الكلام فيه

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٤) و(٧٥٥٤)، ومسلم (٢٧٥١) من حديث أبي هريرة. وانظر تمام تخريجه في «الإحسان» (٦١٤٣) و(٦١٤٤) و(٦١٤٥).

(٢) انظر التعليق السابق.

(٣) ليس هو في «صحيحه» وليس له إسنادٌ يُعتمد لا موقوفاً ولا مرفوعاً. وأخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» ٣/٣٩٧ عن أم سلمة موقوفاً. ولا يصحُّ. وانظر «الفتاوى» لشيخ الإسلام ٥/٣٦٥.

غير محمود، فلا يقال في صفات الربّ عز وجل: كيف، ولا يقول ذلك إلا شاك.

وقال أحمد رحمه الله في رواية عنه في موضع آخر: نحن نؤمن بأن الله عزّ وجل على العرش كيف شاء وكما شاء، بلا حدٍّ ولا صفة يبلغها واصفٌ أو يحدّه حاد، لما روي عن سعيد بن المسيب عن كعب الأحبار قال: قال الله تعالى في التوراة: أنا الله فوق عبادي، وعرشي فوق جميع خَلْقي، وأنا على عرشي عليه أدبر عبادي، ولا يخفى عليَّ شيءٌ من عبادي.

وكونه عزّ وجل على العرش مذكورٌ في كل كتاب أنزل على كل نبيٍّ أرسل بلا كيف، ولأن الله تعالى فيما لم يزل موصوفٌ بالعلوِّ والقدرةِ، والاستيلاءِ والغلبة على جميع خلقه من العرش وغيره، فلا يحمل الاستواء على ذلك.

فالاستواء من صفات الذات بعد ما أخبرنا به ونصّ عليه وأكده في سبع آيات من كتابه، والسنة المأثورة به، وهو صفة لازمة له ولائقةٌ به، كاليد والوجه والعين والسمع والبصر والحياة والقدرة، وكونه خالقاً ورازقاً ومحيياً ومميتاً موصوف بها، ولا نخرج من الكتاب والسنة نقرأ الآية والخبر ونؤمن بما فيهما، ونَكِلُ الكيفيةَ في الصفات إلى علم الله عزّ وجل، كما قال سفيان بن عيينة رحمه الله كلما وصف الله تعالى نفسه في كتابه، فتفسيره قراءته لا تفسير له غيرها، ولا نتكلف غير ذلك، فإنه غيبٌ لا مجال للعقل في إدراكه.

ونسأل الله تعالى العفو والعافية، ونعوذ به من أن نقول فيه وفي صفاته ما لم يخبرنا به هو أو رسوله عليه الصلاة والسلام.

وأنه تعالى ينزل في كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء وكما شاء، فيغفر لمن أذنب وأخطأ وأجرم وعصى لمن يختار من عباده ويشاء، تبارك وتعالى العليُّ الأعلى، لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى، لا بمعنى نزول رحمته وثوابه على ما ادَّعته المعتزلةُ والأشعرية، لما روى عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين

يبقى ثلثُ الليل الآخر فيقول: هل من سائلٍ فَيُعْطَى سُؤْلَهُ، هل من مستغفرٍ فيغفر له، هل من عانٍ فيفك عانيه؟ حتى بصبح الصبح؛ ثم يعلو ربنا تبارك وتعالى على كرسيه»[1].

وفي لفظ آخر عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: «ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: ألا عبدٌ من عبادي يدعوني فأستجيب له، ألا ظالم لنفسه يدعوني فأغفر له، ألا مُقَتَّرٌ عليه رِزْقُهُ يدعوني فأرزقه، ألا مظلوم يذكرني فأنصره، ألا عانٍ يدعوني فأفكه؟ قال: فيكون كذلك إلى أن يطلع الصبح ويعلو على كرسيه»[2].

وقد روي هذا الحديث بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة وجابر بن عبدالله وعليّ رضي الله عنهم. وعن عبدالله بن مسعود وأبي الدرداء وابن عباس وعائشة رضوان الله عليهم[3] كلهم عن رسول الله ﷺ، ولهذا كانوا يفضلون صلاة آخر الليل على أوله.

وروى أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: «ينزل الله عز وجل ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا، فيغفر لكل نفس، إلا لإنسانٍ في قلبه شحناء أو شرك بالله عزّ وجل»[4].

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عزّ وجل إذا ذهب شطر الليل الأول ينزل إلى سماء الدنيا

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» كما في «المجمع» ١٠/١٥٤، وفي إسنادِه انقطاعٌ.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» كما في «المجمع» ١٠/١٥٤، وفي إسناده انقطاع.

(٣) انظر هذه الاحاديث في «الإرواء» (٤٥٠)، و«الإحسان» (٩١٩) و(٩٢٠) و(٩٢١).

(٤) ضعيف. أخرجه العقيلي ٣/٢٩، والبغوي في «شرح السنة» (٩٩٣)، وابن الجوزي في «العلل» (٩١٦) بإسنادٍ لايصحُّ. وقال العقيلي: وفي النزول في ليلة النصف من شعبان أحاديث فيها لين.

فيقول: هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ حتى ينشق الفجر»[1].

وقيل لإسحاق بن راهويه: ما هذه الأحاديث التي تُحَدِّثُ بها أن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا، والله يصعد ويتحرك، قال للسائل: تقول إن الله تعالى يقدر على أن ينزل ويصعد ولا يتحرّك؟ قال نعم، قال: فَلِمَ تنكره؟

وقال يحيى بن معين: إذا قال لك الجهميّ كيف ينزل؟ فقل له: كيف صعد؟ وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: إذا قال لك الجهميّ: أنا كافر بربّ ينزل، فقل له أنا مؤمن بربّ يفعل ما يشاء.

وعن شريك بن عبدالله رحمه الله لما قيل له: عندنا قوم ينكرون هذه الأحاديث في الصفات، وأن الله ينزل إلى سماء الدنيا فقال: إنما جاءنا بهذه الأحاديث من جاءنا بالسنن عن رسول الله ﷺ الصلاة والصيام والزكاة والحج، وإنما عرفنا الله عزّ وجلّ بهذه الأحاديث.

(فصل)

ونعتقد أن القرآن كلام الله وكتابه وخطابه ووحيه الذي نزل به جبريل على رسول الله ﷺ كما قال عز وجل: ﴿نَزَلَ به الروحُ الأمينُ * على قلبِكَ لتكونَ من المنذِرينَ * بلسانٍ عربي مبين؟﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥] هو الذي بلغه رسول الله ﷺ أمته امتثالاً لأمر ربّ العالمين بقوله تعالى: ﴿يا أيُّها الرسولُ بَلِّغْ ما أُنزلَ إليكَ من ربِّك﴾ [المائدة: ٦٧].

وروي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنه قال: «كان النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥) وغير موضع، ومسلم (٧٥٨) بنحوه. وانظر تمام تخريجه في «الإحسان» (٩١٩) و(٩٢٠) و(٩٢١).

يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: هل من رجلٍ يحملني إلى قومه، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»[1] وقال عزّ وجل: ﴿وإنْ أحدٌ من المشركين استجارَكَ فأجِرْهُ حتى يسمعَ كلامَ اللهِ﴾ [التوبة: ٦] وكلام الله تعالى هو القرآن غير مخلوق كيفما قرئ وتلي وكتب، وكيفما تصرفت به قراءة قارئ، ولفظ لافظ، وحفظ حافظ، هو كلام الله وصفة من صفات ذاته، غير محدَث ولا مبدَّل ولا مغيَّر ولا مؤلَّف ولا منقوص ولا مصنوع ولا مزاد فيه، منه بدأ تنزيله وإليه يعود حكمه.

كما قال النبيّ ﷺ في حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه: «إن فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه»[2] وذلك أن القرآن منه

---

(١) أخرجه أحمد ٣/٣٩٠، والحاكم ٢/٦١٢-٦١٣ وقال الهيثمي في «المجمع» ٦/٣٥: رواه أحمد ورجالُه ثقات.

(٢) لا يصح مرفوعاً. أخرجه الترمذي (٢٩٢٦) والدارمي ٢/٤٤١ من حديث أبي سعيد الخدري، وفيه عطية، وهو ضعيف.

وأخرجه ابن عدي ٥/١٧٠٥ من حديث أبي هريرة، وفيه شهر بن حوشب، وعمر الأبحّ. وكلاهما ضعيف.

وأخرجه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (١٣٩) والدارمي ٢/٤٤١ من حديث شهر بن حوشب مرسلاً.

وأخرجه ابن الضريس (١٣٨) من طريق الجراح بن الضحاك، عن علقمة بن مرثد، عن أبي عبدالرحمن السلمي، عن عثمان بن عفان مرفوعاً.

ولا يصحُّ رفعه، فإنَّ الجرَّاح خُولف، فقد رواه شعبة وسفيان وغيرهما بهذا الإسناد، ولم يذكروا هذه الزيادة.

وبين البخاري في «خلق أفعال العباد» (٧٤) أن هذه الزيادة من قول أبي عبدالرحمن السلمي.

وأخرجه ابن الضريس (٨٢) من قول الحسن البصري.

وأخرجه العسكري كما في «الفتح» ٩/٦٦ من قول طاووس والحسن. وانظر «الفتح».

تبارك وتعالى خرج وإليه يعود، فمعناه: أن تنزيله وبدايته وظهوره منه عزّ وجل وإليه يعود حكمه، الذي هو العبادات من أداء الأوامر وانتهاء النواهي، لأجله تفعل وتترك، فالأحكام عائدة إليه عزّ وجل.

وقيل: منه بدئ حكماً وإليه يعود علماً، وهو كلام الله في صدور الحافظين، وألسن الناطقين، وفي أكفّ الكاتبين، وملاحظة الناظرين، ومصاحف أهل الإسلام، وألواح الصبيان حيثما رؤي ووجد.

فمن زعم أنه مخلوق أو عبارته أو التلاوة غير المتلوّ، أو قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم، ولا يُخالط ولا يؤاكل ولا يناكح ولا يجاور، بل يهجر ويهان، ولا يُصلى خلفه، ولا تقبل شهادته، ولا تصحّ ولايته في نكاح وليه، ولا يصلى عليه إذا مات، فإن ظُفِرَ به استتيب ثلاثاً كالمرتدّ، فإن تاب وإلا قتل.

سئل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عمن قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فقال: كفر.

وقال رحمه الله: فيمن قال: القرآن كلام الله ليس بمخلوق، والتلاوة مخلوقة أو ألفاظنا بالقرآن مخلوقة هو: كافر.

وروي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه سأل النبيّ ﷺ عن القرآن، فقال: كلام الله غير مخلوق.[1]

وروي عن عبدالله بن عبدالغفار، وكان مولى لرسول الله ﷺ، عتاقة عن النبيّ ﷺ قال: «إذا ذكر القرآن فقولوا كلام الله غير مخلوق، فمن قال مخلوق

(١) حديث موضوع. لا يصحُّ فيه حديث. انظر «موضوعات ابن الجوزي» ١٠٧/١ - ١٠٩، و«اللآلئ المصنوعة» ٤/١، و«تنزيه الشريعة» ١٣٤/١ - ١٣٥، و«الأسرار» ص ٢٥٧. وقال السخاوي في «المقاصد» ص ٣٠٤: والحديث من جميع طرقه باطل.

فهو كافر»[1] وقال الله عز وجل: ﴿ألا له الخلقُ والأمرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] ففصل بين الخلق والأمر، فلو كان أمره الذي هو كُنْ الذي به يَخلق الخلقَ مخلوقاً لكان ذلك تكراراً وعيباً لا فائدة فيه، كأنه قال: ألا له الخلق والخلق، والله عز وجل يتعالى عن ذلك.

وعن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم أنهما فسرا قوله عز وجل: ﴿قرآناً عربيّاً غيرَ ذي عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨] أنه غير مخلوق.

وقد هدّد الله تعالى الوليد ابن المغيرة المخزومي حين سمى القرآن قولَ البشر بسقر، فقال: ﴿إنْ هذا إلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَر * إنْ هذا إلاَّ قَوْلُ البَشر * سَأُصليهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٤ ـ ٢٦].

فكل من قال: القرآن عبارة أو مخلوق، أو لفظي بالقرآن مخلوق فله سقر، كما هو للوليد إلا أن يتوب.

وقال تعالى: ﴿وإنْ أحدٌ من المشركينَ استجارَك فأجِرْهُ حتى يسمعَ كلامَ اللهِ﴾ [التوبة: ٦] ولم يقل: حتى يسمع كلامك يا محمد.

وقال تعالى: ﴿إنّا أنزَلْناهُ في ليلةِ القَدْرِ﴾ [القدر: ١] يعني القرآن الذي هو في الصدور والمصاحف.

وقال عز وجل: ﴿وإذا قُرِئ القرآنُ فاستَمِعُوا له وأنْصتُوا لعلّكم تُرْحمون﴾ [الأعراف: ٢٠٤] وقال تعالى: ﴿وقُرآنا فَرَقْناهُ لِتَقْرَأه على الناسِ على مُكْثٍ﴾ [الاسراء: ١٠٦] والناس إنما سمعوا قراءة النبيّ ﷺ ولفظه، فلفظه بالقرآن هو القرآن ومدح الله سبحانه وتعالى الجن الذين سمعوا قراءة النبيّ ﷺ: ﴿فقالوا إنّا سَمِعْنَا قرآناً عَجَباً * يهدي إلى الرُّشْدِ فآمَنّا به ولن نُشْرِكَ بربِّنَا أحداً﴾ [الجن: ١ ـ ٢]، وقال تعالى: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن﴾ [الأحقاف: ٢٩] وسمى الله قراءة جبريل عليه السلام للقرآن قرآناً،

(١) لا يصحُّ. وانظر التعليق السابق.

فقال جلّ وعلا: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ به * إنَّ علينا جَمْعَهُ وقُرآنه * فإذا قرأناه فاتَّبِعْ قرآنَهُ﴾ [القيامة: ١٦ ـ ١٨] وقال تعالى: ﴿فاقْرءُوا ما تيسَّرَ مِنَ القرآن﴾ [المزمل: ٢٠].

وأجمع المسلمون على أن مَنْ قرأ فاتحة الكتاب في صلاة أنه قارئ كتاب الله، وأن من حلف أنه لا يتكلم فقرأ القرآن لم يحنث، فدلّ على أنه ليس بعبارة، وقال النبيّ ﷺ في حديث معاوية بن الحكم رضي الله عنه: «إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الآدميين، إنما هي القراءة والتسبيح والتهليل وتلاوة القرآن»[1].

فأخبر أن تلاوة القرآن هي القرآن، فعُلم بذلك أن التلاوة هي المتلوّ، والله تعالى ورسوله ﷺ أمرا المؤمنين بالقراءة في الصلاة ونهيا عن الكلام، فلو كانت قراءتنا كلامَنا لا كلامَ الله لكنا مرتكبين للنهي في الصلاة.

(فصل)

ونعتقد أن القرآن حروف مفهومة وأصوات مسموعة، لأن بها يصير الأخرسُ والساكت متكلماً وناطقا وكلام الله عز وجل لا ينفك عن ذلك، فمن جحد ذلك الكتاب فقد كابر حسه وعميت بصيرته.

قال الله عزّ وجل: ﴿آلم ذلك﴾ ﴿حم﴾ ﴿طسم تلك آيات الكتاب﴾ فقد ذكر حروفا وكنى عنها بالكتاب، وقال تعالى: ﴿ولَوْ أنّ ما في الأرضِ من شجرةٍ اقلامٌ والبحرُ يَمُدُّهُ منْ بعدهِ سبعةُ أبْحرٍ ما نَفِدَتْ كلماتُ اللهِ﴾ [لقمان: ٢٧] فأثبت لنفسه كلمات متعددة غير متناهية الأعداد، وكذلك قوله: ﴿قُلْ لو كانَ البحرُ مِداداً لكلماتِ ربّي لَنَفِدَ البحرُ قبلَ أنْ تَنْفَدَ كلماتُ ربيّ ولو جئنا بمثله مددا﴾ [الكهف: ١٠٩].

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي.

وقال النبيّ ﷺ: «اقرءوا القرآن فإنكم تؤجرون عليه، بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول ﴿الٓمٓ﴾ حرف ولكن الألف عشر واللام عشر والميم عشر فذلك ثلاثون»[1].

وقال النبيّ ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف»[2].

وقال تعالى في حقّ موسى عليه السلام: ﴿وإذْ نادى ربُّك موُسى﴾ [الشعراء: ١٠]﴿وناديْناهُ منْ جانب الطُّورِ الأيْمَنِ وقرَّبْناهُ نَجيّا﴾ [مريم: ٥٢] وقال تعالى لموسى عليه السلام ﴿إنِّي أنا اللهُ لَا إلهَ إلاّ أنَا فاعْبُدْني﴾ [طه: ١٤] كل هذا لا يكون إلا صوتاً، ولا يجوز أن يكون هذا النداء وهذا الاسم والصفة إلا لله عزّ وجلّ دون غيره من الملائكة وسائر المخلوقات.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبيّ ﷺ: «إذا كان يوم القيامة يأتي الله عزّ وجلّ في ظُلَلٍ من الغمام، فيتكلم بكلام طَلْق ذَلْق فيقول، وهو أصدق القائلين: أنصتوا فطالما أنصتُّ لكم، منذ خلقتكم أرى أعمالكم وأسمع أقوالكم، فإنما هي صحائفكم تقرأ عليكم، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه»[3].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩١٠) وفي إسناده الضحاك بن عثمان، وهو صدوق فيه نظر. وأخرجه الخطيب ٢٨٥/١ من طريق سفيان، عن عطاء بن السائب، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود مرفوعاً. وخولف. فأخرجه الدارمي ٤٢٩/٢ من طريق قبيصة، وابن أبي شيبة ٤٦٢/١٠ من طريق أبي الأحوص، عن عطاء به موقوفاً.

وتابعَ عطاءً: ابراهيمُ الهجري عند الحاكم ٥٥٥/١ مرفوعاً بزيادة. وإبراهيم ضعيف يرفع الموقوفات.

وتابعه أبو إسحاق عند ابن المبارك في «الزهد» (٨٠٨) موقوفاً وفيه شريك وفيه سوءُ حفظ. وجملة القول فإن وقفَه أصحُّ، والله أعلم.

(٢) أخرجه النسائي ١٥٣/٢ و١٥٤، وأبو داود (١٤٧٧) من طرق عن أبي بن كعب. وهو صحيح. وأصلُه دون زيادة «كلها شافٍ كافٍ» عند البخاري (٢٤١٩)، ومسلم (٨١٨) من حديث عمر.

(٣) قال العراقي في «تخريج الإحياء» ١٥٨/٤: أخرجه الطبراني في الأوسط، والحاكم =

وروى البخاري في صحيحه بإسناده عن عبدالله بن أنيس رضي الله عنه أنـه قال: سمعت رسـول الله ﷺ يقول: «يحشر الله سبحانه العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ: أنا الملك أنا الديان»[1].

وروى عبـدالـرحمن بن محمد المحاربي عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبدالله رضي الله عنه قال: «إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء فيخرّون سجداً حتى إذا فزِّع عن قلوبهم، قال: سكن عن قلوبهم، نادى أهل السماء أهل السماء: ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق قال: كذا وكذا، يعني ذكر الوحي»[2].

وعن عبدالله بن الحارث عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «إن الله تبارك وتعالى إذا تكلم بالوحي سمع أهل السموات صوتاً كصوت الحديد إذا وقع على الصفا، فيخرّون له سجداً، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق، وهو العليّ الكبير»[3].

قال محمد بن كعب قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: بم شبهتَ صوتَ ربك حين كلمك في هذا الخلق؟ قال: شبهتُ صوت ربي بصوت الرعد حين لا يرتجع.

وهذه الآيات والأخبار تدل على أن كلام الله صوتٌ لا كصوتِ الآدميين،

= في «المستدرك» بسند ضعيف، والثعلبي في التفسير مقتصراً على آخرِه من حديث أبي هريرة.

(١) علقه البخاري في «الصحيح» (١٣/٤٥٣ من الفتح)، ووصلَه في «خلق أفعال العباد» (٣٦٥)، وأحمد ٣/٤٩٥ وإسنادُه ضعيف.

(٢) علقه البخاري في صحيحه (١٣/٤٥٢ ـ ٤٥٣) ووصلَه أبو داود (٤٧٣٨)، والآجري ص ٢٩٤، واللالكائي (٥٤٨) و(٥٤٩) وغيرهم بإسنادٍ صحيح عن ابن مسعود موقوفاً ومرفوعاً. والموقوفُ أصحُّ.

(٣) ذكـره السيوطي في «الـدر المنثور» ٥/٢٣٥، ونسبه إلى ابن أبي حاتم، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه.

كما أن علمه وقدرته وبقية صفاته لا تشبه صفات الآدميين، كذلك صوته. وقد نصّ الإمام أحمد رحمه الله على إثبات الصوت في رواية جماعة من الأصحاب رضوان الله عليهم أجمعين، خلاف ما قالت الأشعرية من أن كلام الله معنى قائم بنفسه، والله حسيبُ كل مبتدعٍ ضالّ مضلّ، فالله سبحانه لم يزل متكلماً وقد أحاط كلامه بجميع معاني الأمر والنهي والاستخبار.

وقال ابن خزيمة رحمه الله: كلام الله تعالى متواصل لا سكوتَ فيه ولا صوت.

وقيل لأحمد بن حنبل رحمه الله: هل يجوز أن تقول إن الله تعالى متكلم ويجوز عليه السكوت؟ فقال رحمه الله: نقول في الجملة إن الله تعالى لم يزل متكلماً، ولو ورد الخبر بأنه سكت لقلنا به، ولكنا نقول إنه متكلم كيف شاء بلا كيف ولا تشبيه.

(فصل)

وكذلك حروف المعجم غير مخلوقة وسواء كان ذلك في كلام الله تعالى أو في كلام الآدميين، وقد ادعى قوم من أهل السنة أنها قديمة في القرآن الشريف مُحْدَثةٌ في غيره وهذا خطأ منهم بل القول السديد هو الأول من مذهب أهل السنة بلا فرق، لقوله تعالى: ﴿إنّما أمرُه إذا أرادَ شيئاً أنْ يقولَ له كنْ فيكون﴾ [يس: ٨٢] وهي حرفان، فلو كانت «كن» مخلوقة لاحتاجت إلى «كن» تخلق بها إلى مالا نهاية له، وقد تقدمت أدلة كثيرة من الآيات فلا نعيدها.

وأما من السنة فما روي عن النبيّ ﷺ أنه قال لعثمان بن عفان «لما سئل عن أ ب ت ث إلى آخر الحروف فقال: الألف من اسم الله الذي هو الله، والباء من اسم الله الذي هو البارئ، والتاء من اسم الله الذي هو المتكبر، والثاء من اسم الله الذي هو الباعث والوارث حتى أتى إلى آخرها، فذكر أنها كلها من أسماء الله وصفاته».

وأسماؤه عزّ وجلّ غير مخلوقة وقال النبيّ ﷺ في حديث عليّ كرّم الله

وجهـه لما سأله عن معنى أبجد هوز حطي إلى آخرها: «ياعليّ ألا تعرف تفسير أبي جاد؟ الألف من اسم الله عز وجل الذي هو الله، والباء من اسم الله الذي هو البارئ، والجيم من اسم الله الذي هو الجليل» إلى آخرها، فذكر النبي ﷺ أنها من أسماء الله وهي في كلام الآدميين[1].

وقد نصّ أحمد بن حنبل رحمه الله على قِدَمِ حروفِ الهجاء فقال في رسالته إلى أهل نيسابور وجرجان: ومن قال إن حروف التهجي محدثة فهو كافر بالله، ومتى حكم أن ذلك مخلوق فقد جعل القرآن مخلوقاً، ولما قيل له رحمه الله إن فلاناً يقول: إن الله تعالى لما خلق الحروف انضجعت اللام وانتصبت الألف فقالت لا أسجد حتى أومر، فقال أحمد: هذا كُفْرٌ مَنْ قائلُه؟.

وقال الشافعي رحمه الله: لا تقولوا بحدوث الحروف فإن اليهود أوّل ما هلكت بهذا. ومن قال بحدوث حرف من الحروف فقد قال بحدوث القرآن، ولأنه لا يخلو إما أن يقال هي قديمة في القرآن أو محدثة فيه فإن قيل هي قديمة وجب أن تكون قديمة في غيره، لأنه لا يجوز أن يكون الشيء الواحد قديماً وهو بعينه محدث، فإن قالوا: هي مُحْدَثَةٌ في القرآن فقد تقدمت الأدلة على قدمها في القرآن، فإذا ثبت ذلك في القرآن فكذلك في غيره، فإن قالوا فهذا يُفضي إلى أن جميع الكلام يكون قديماً، قيل يلزم القرآن لما لم يقل ذلك في حروف الهجاء.

(فصل)

ونعتقـد أن الله عزّ وجـلّ له تسعة وتسعون اسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة، وذلك مرويّ عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ أنه قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مئة إلا واحداً، مَنْ أحصاها دخل

---

(١) انظر «تنزيه الشريعة» ١/٢٢٦ و٢٣١.

الجنة»[1] وجميعها في القرآن في سور متفرّقة.

منهـا: خمسـة أسمـاء في الفـاتحـة وهي: يا الله يا ربّ، يا رحيم، يا رحمن، يا مالك.

وفي سورة البقـرة: سـتـة وعشـرون اسمـاً: يا محيط، يا قدير، يا عليم، يا حليم، يا تـوّاب، يا بصير، يا واسـع، يا بـديع، يا سميع، يا كـافي، يا رؤوف، يا شاكر، يا الله، يا واحد، يا غفور، يا حكيم، يا قابض، يا باسط، يا لا إله إلا هو، يا حيّ، يا قيوم، يا علي، يا عظيم، يا وليّ، ياغنيّ، يا حميد.

وفي آل عمران أربعة أسماء: ياقائم، ياواهب، ياسريع، ياخبير.

وفي سورة النسـاء سـتـة أسماء: يارقيب، ياحسيب، ياشهيد، ياغفور، يامقيت، ياوكيل.

وفي الأنعام خمسة أسماء: يافاطر، ياقاهر، ياقادر، يالطيف، ياخبير.

وفي الأعراف اسمان: يامحيي، يامميت.

وفي الأنفال اسمان: يانعم المولى، ويانعم النصير.

وفي هود سبعة أسماء: ياحفيظ، يارقيب، يامجيد، ياقويّ، يامجيب، ياودود، يافعال لما يريد.

وفي الرعد اسمان: ياكبير، يامتعال.

وفي إبراهيم اسم واحد: وهو يامنان.

وفي الحجر اسم واحد وهو: ياخلاق.

وفي النحل اسم: ياباعث.

وفي مريم اسمان: ياصادق، ياوارث.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٩٢)، ومسلم (٢٦٧٧).

وفي المؤمنين اسم: ياكريم.

وفي النور ثلاثة أسماء: ياحقّ، يامتين، يانور.

وفي الفرقان: ياهادي.

وفي سبأ: يافتاح.

وفي المؤمن أربعة أسماء: يا غافر، يا قابل، يا شديد، يا ذا الطول.

وفي الذاريات ثلاثة أسماء: يا رزّاق، يا ذا القوّة، يا متين.

وفي الطور: يا منان.

وفي اقتربت الساعة: يا مقتدر.

وفي الرحمن: يا باقي، يا ذا الجلال يا ذا الإكرام.

وفي الحديد أربعة: يا أوّل، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن.

وفي الحشر عشرة أسماء: يا قدوس، يا سلام، يا مؤمن، يا مهيمن، يا عزيز، يا جبار، يا متكبر، يا خالق، يا بارئ، يا مصورّ.

وفي البروج: يا مُبْدِئ يامعيد.

وفي قل هو الله أحد: يا أحد، يا صمد. هكذا ذكرها سفيان بن عيينة رحمه الله.

وذكر عبدالله بن أحمد أسماء زوائد على هذه وهي: ياقاهر، يافاصل، يافالق، يارقيب، ياماجد، ياجواد، ياأحكم الحاكمين.

وذكر أبو بكر النقاش في كتاب تفسير الأسماء والصفات، عن جعفر بن محمد يعني الصادق رحمه الله، أنه قال: إن لله ثلاث مئة وستين اسماً. وروي أيضاً عن غيره مئة وأربعة عشر اسماً. وكل ذلك محمول على أنهم وجدوا في القرآن أسماء مكرّرة فعدّوها أسماء والصحيح ما ذكر عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(فصل)

ونعتقد أن الإيمان قول باللسان، ومعرفة بالجنان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، ويقوى بالعلم ويضعف بالجهل، وبالتوفيق يقع، كما قال الله عز وجلّ: ﴿فأمّا الذينَ آمنوا فزادتْهم إيماناً وهم يستبشِرونَ﴾ [التوبة: ١٢٤] وما جاز عليه الزيادة جاز عليه النقصان وقال الله تعالى: ﴿وإذا تُلِيَتْ عليهم آياتُه زادتْهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾ [الأنفال: ٢] وقوله عزّ وجلّ: ﴿لِيَسْتَيقِنَ الذين أوتُوا الكتابَ ويزدادَ الذين آمنوا إيمانا﴾ [المدثر: ٣١].

وما روي عن ابن عباس وأبي هريرة وأبي الدرداء رضي الله عنهم أنهم قالوا: الإيمان يزيد وينقص، وغير ذلك مما يطول شرحه.

وقد أنكرت الأشعرية زيادة الإيمان ونقصانه. وهو في اللغة: تصديق القلب، المتضمن للعلم بالمصدّق به، وهو في الشريعة: التصديق، وهو العلم بالله وصفاته مع جميع الطاعات الواجبات منها والنوافل واجتناب الزلات والمعاصي.

ويجوز أن يقال: الإيمان هو الدين والشريعة والملة، لأن الدين هو ما يُدَان به من الطاعات مع اجتناب المحظورات والمحرّمات، وذلك هو صفة الإيمان.

وأما الإسلام فهو من جملة الإيمان، وكل إيمان إسلام، وليس كل إسلام إيماناً، لأن الإسلام هو بمعنى الاستسلام والانقياد، وكل مؤمن مستسلم منقاد لله تعالى، وليس كل مسلم مؤمناً بالله، لأنه قد يسلم مخافة السيف، فالإيمان اسم يتناول مسميات كثيرة، أفعالاً وأقوالاً، فيعمُّ جميع الطاعاَت، والإسلام عبارة عن الشهادتين مع طمأنينة القلب والعبادات الخمس.

وقد أطلق الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أن الإيمان غير الإسلام،

فذهب إلى الحديث المرويِّ عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «بينما أنا عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، ثم قال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال ﷺ: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال: صدقت، قال: فتعجبنا منه يسأله ويصدّقه، ثم قال: أخبرني عن الإيمان، قال ﷺ : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشرّه، قال: صدقت؛ قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك؛ قال: فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل؟ قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلد الأَمَةُ ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان.

قال عمر رضي الله عنه: فلبثت هنيهة، ثم قال لي رسول الله ﷺ: هل تدري من السائل؟ قال: قلت الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: فإنه جبريل جاءكم يعلمكم دينكم».

وفي لفظ آخر قال: «ذلك جبريل أتاكم ليعلمكم أمر دينكم، وما أتاني قطّ في صورة إلا عرفته، إلا في صورته هذه»[1].

فقد فرق جبريل عليه السلام بين الإسلام والإيمان بسؤالين، فأجاب النبيّ ﷺ عنهما بجوابين مختلفين، فذهب الإمام أحمد رضي الله عنه إلى حديث الأعرابي حيث قال: «يا رسول الله أعطيت فلاناً ومنعتني، فقال له النبيّ ﷺ: ذلك مؤمن، فقال الأعرابي: وأنا مؤمن، فقال له النبيّ ﷺ: أو مسلم

---

(١) أخرجه مسلم (٨).

أنت؟»[1]، وذهب أيضاً إلى قول الله تعالى: ﴿قالت الأعرابُ آمنا، قُلْ لم تؤمنوا، ولكن قولوا أسلمنا، ولَمَّا يَدْخُل الإيمانُ في قلوبكم﴾ [الحجرات: ١٤].

واعلم أن زيادة الإيمان إنما تكون على التحقيق بعد أداء الأوامر، وانتهاء النـواهي بالتسليم في القدر وترك الاعتراض على الله عزّ وجلّ في فعله في خلقه، وترك الشكّ في وعده في الأقسام والرزق، وفي الثقة به او التوكل عليه، والخروج من الحول والقوّة والصبر على البلاء والشكر على النعماء، والتنزيه للحقّ، وترك التهمة له عز وجل في سائر الأحوال، وأما بمجرّد الصلاة والصوم فلا.

وسئل الإمام أحمد رحمه الله عن الإيمان أمخلوق هو، أم غير مخلوق؟ فقـال: من قال إن الإيمـان مخلوق فقد كفر، لأن في ذلك إيهاماً وتعريضاً بالقرآن؛ ومن قال إنه غير مخلوق فقد ابتدع، لأن في ذلك إيهاماً أن إماطة الأذى عن الطريق، وأفعال الأركان غير مخلوقة، فقد أنكر على الطائفتين.

وذكر في الحديث أن النبيّ ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون خصلة، أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[2].

وإنما كَفَّر القائلَ بخلق القرآن، وبَدَّعَ الآخر لأن مذهبه رحمه الله مبنيّ على أن القرآن إذا لم ينطق بشيء ولم يُرْوَ في السنة عن رسول الله ﷺ شيء، فانقرض عصر الصحابة، ولم ينقل أحد منهم قولاً، فالكلام فيه بدعة وحدث.

ولا يجوز للمؤمن أن يقول: أنا مؤمن حقاً، بل يجب أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، خلاف ما قالت المعتزلة إنه يجب أن يقول: أنا مؤمن حقاً.

وإنما قلنا ذلك لما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال:

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧)، ومسلم (١٥٠) من حديث سعد بن أبي وقاص.
(٢) أخرجه مسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة.

من زعم أنـه مؤمن فهو كافر، وعن الحسن رضي الله عنه أن رجلا قال عند عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: إني مؤمن، فقيل لابن مسعود: إن هذا يزعم أنه مؤمن، قال: فاسألوه أفي الجنة هو أم هو في النار؟ فسألوه، فقال: الله أعلم فقال عبدالله: فهلا وكلت الأخرى كما وكلت الأولى.

ولأن المؤمن حقاً من هو عند الله تعالى مؤمن، وهو الذي يكون من أهل الجنة، ولا يكون كذلك إلا بعد موافاته بالإيمان، ويختم له بذلك، ولا يعلم أحد بما يختم له، فينبغي أن يكون خائفاً راجياً مصلحاً حذراً مترقباً حتى يأتيه الموت وهو على خير عمل، وإن الناس يموتون على ما عاشوا عليه، ويحشرون على ما ماتوا عليه، كما جاء في الحديث، قال عليه الصلاة والسلام: «كما تعيشون تموتون، وكما تموتون تبعثون»[1].

ونعتقد أن أفعال العباد خلق الله عز وجل، وكسب لهم، خيرها وشرّها، حسنها وقبيحها، ما كان منها طاعة ومعصية، لا على معنى أنه أمر بالمعصية، لكن قضى بها وقدّرها، وجعلها على حسب قصده، وأنه قسم الأرزاق وقدرها، فلا يصدّها صادّ ولا يمنعها مانع، لا زائدها ينقص ولا ناقصها يزيد، ولا ناعمها يخشن ولا خشنها ينعم، ورزقُ غدٍ لا يؤكل اليوم، وقسْمُ زيدٍ لايُنقل إلى عمرو.

وأنه تعالى يرزق الحرام كما يرزق الحلال، على معنى أنه يجعله غذاءً للأبدان وقواماً للأجساد، لا على معنى إباحة الحرام.

وكـذلك القاتل لم يقطع أجلَ المقتول المقدر له، بل يموت بأجله، وكـذلـك الغريق ومن هدم عليه الحائط وألقي من شاهق، ومن أكله سبع، وكـذلك هداية المسلمين والمؤمنين، وضلالة الكافرين إليه عزّ وجلّ، جميع ذلك فعل له وصنعه، لا شريك له في ملكه.

وإنما أثبتنا للعباد كسباً لموضع توجه الأمر والنهي والخطاب إليهم، ثم

---

(١) لم أَرَه بهذا اللفظ.

استحقاق الثواب والعقاب لديه، كما وعد وضمن جل وعزّ، قال الله تعالى: ﴿جـزاءً بمـا كانُوا يعملون﴾ [السجدة: ١٧] وقال عزّ وجلّ: ﴿بما صَبَرْتُم﴾ [الرعد: ٢٤] وقال جلّ وعلا: ﴿ما سَلَكَكُمْ في سَقَر؟ * قالوا لم نَكُ من المصلينَ * ولم نَكُ نُطعِمُ المسكينَ﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٤] وقال تبارك وتعالى: ﴿هـذهِ النارُ التي كنتم بها تُكَذِّبونَ﴾ [الطور: ١٤] وقال تعالى: ﴿ذلكَ بما قدّمتْ يداكَ﴾ [الحج: ١٠] وغير ذلك من الآيات، فعلق سبحانه الجزاء على أفعالهم، فأثبت لهم كسباً خلاف ما قالت الجهمية من أنه لا كسب للعباد، وأنهم كالباب يردّ ويفتح، والشجرة تحرّك وتهزّ، وهم الجاحدون للحقّ، الرادّون للكتاب والسنة.

والدليل على أن ذلك خلق الله عزّ وجلّ وكسب للعباد خلافاً للقدرية في قولهم: إن جميع ذلك خلق للعباد دون الله عزّ وجلّ، تباً لهم وهم مجوس هذه الأمة، جعلوا لله شركاء، ونسبوه إلى العجز، وأن يجري في ملكه ما لا يدخلُ في قدرته ولا إرادته، تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا. لقوله عزّ وجلّ: ﴿واللهُ خَلَقكم وما تعملون﴾ [الصافات: ٩٦] وكما قال تعالى: ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ [السجدة: ١٧].

فلما كان الجزاء واقعاً على أعمالهم كان الخلق واقعاً على أعمالهم، ولا جائز أن يقال: المراد بذلك ما يعملونه من الحجارة والأصنام، لأن الحجارة أجسام، والعباد لا يعملون، وإنما الأعمال التي يقع فيها ما يعملها العباد فوجب أن يرجع الخلق إلى أعمالهم من الحركات والسكنات وقال تعالى: ﴿ولا يَزالُون مُختلفينَ * إلاّ من رَحِمَ ربُّك ولذلكَ خَلَقَهم﴾ [هود: ١١٨، ١١٩] والمعنى: للخلاف وقال تعالى: ﴿أمْ جَعَلوا للهِ شركاءَ خلقوا كخلقهِ، فتشابهَ الخلقُ عليهم، قل اللهُ خالقُ كل شيءٍ﴾ [الرعد: ١٦].

وقال جلّ وعلا: ﴿هل من خالقٍ غيرُ اللهِ يرزقُكم من السماءِ والأرض؟﴾ [فاطر: ٣].

وقال تعالى إخَباراً عن المشركين: ﴿وإنْ تُصبْهم حسنةٌ يقولوا هذه من عندِ اللهِ، وإنْ تُصبْهم سيئةٌ يقولوا هذه من عندِكَ، قلْ كلٌّ منْ عندِ اللهِ فما لهؤلاءِ القومِ لا يكادون يفقهونَ حديثا؟﴾ [النساء: ٧٨].

وقال النبيّ (ﷺ) في حديث حذيفة رضي الله عنه: «إن الله تعالى خلق كل صانع وصنعته، حتى خلق الجازر وجزوره»[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبيّ ﷺ أنه قال «إن الله قال: أنا خلقت الخير والشرّ، فطوبى لمن قدرت على يديه الخير، وويل لمن قدرت على يديه الشرّ»[٢].

وسئل علي رضي الله عنه عن أعمال العباد التي يستوجبون بها من الله السخط والرضا، أشيئاً من اللهِ أم شيء من العباد، قال: هي لله خلق ومن العباد عمل.

ونعتقد أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة من الكبائر والصغائر لا يكفر بها، وإن خرج من الدنيا بغير توبة إذا مات على التوحيد والإخلاص، بل يردّ أمره إلى الله عزّ وجلّ، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه وأدخله النار، فلا ندخل بين الله تعالى وبين خلقه، ما لم يخبرنا الله بمصيره.

---

(١) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (٩٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٥٧) و(٣٥٨)، والحاكم ١/٣١ من طريق أبي مالك الأشجعي، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة مرفوعاً دونَ آخره.

وأخرجه البخاري في «خلق أفعال العبد» (٩٣) بإسنادٍ رجالُه ثقات عن حذيفة موقوفاً بلفظ: «إن الله خلقَ كل صانع وصنعته، إن الله خلق صانع الخزم وصنعته». وهو أشبه.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٧٩٧) من حديث ابن عباس بإسنادٍ ضعيف. انظر «المجمع» ٨/١٩٢. وأخرجه البيهقي في «الاعتقاد» ص ٧٥ من حديث أبي أمامة بإسنادٍ ضعيف.

(فصل)

ونعتقد أن من أدخله الله النار بكبيرته مع الإيمان، فانه لا يخلد فيها، بل يخرجه منها، لأن النار في حقه كالسجن في الدنيا، فيستوفي منه بقدر كبيرته وجريمته، ثم يخرج برحمة الله تعالى ولا يخلد فيها، ولا تلفح وجهه النار، ولا تحرق أعضاء السجود منه، لأن ذلك محرّم على النار، ولا ينقطع طمعه من الله عزّ وجلّ في كل حال مادام في النار حتى يخرج منها فيدخل الجنة، ويعطى من الدرجات على قدر طاعته التي كانت له في الدنيا، خلاف ما قالته القدرية أن الكبيرة تحبط الطاعات، فلا يُثاب عليها، وكذلك قول الخوارج تباً لهم.

(فصل)

وينبغي أن يؤمن بخير القدر وشرّه، وحلو القضاء ومرّه، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه بالحذر، وما أخطأه من الأسباب لم يكن ليصيبه بالطلب. وأن جميع ما كان في سالف الدهور والأزمان، وما يكون إلى يوم البعث والنشور بقضاء الله وقدره المقدور، وأنه لا محيص لمخلوق من القدر المقدور، الذي خُطَّ في اللوح المسطور، وأن الخلائق لو جهدوا أن ينفعوا المرء بما لم يقضه الله تعالى لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضرّوه بما لم يقضه الله لم يستطيعوا، كما ورد في خبر ابن عباس رضي الله عنهما، وقال قال الله تعالى: ﴿وإن يمسَسْكَ اللهُ بضرّ فلا كاشفَ له إلاّ هُو، وإنْ يُرِدْكَ بخيرٍ فلا رادَّ لِفضلهِ، يُصيبُ به من يشاءُ من عبادِه﴾ [يونس: ١٠٧].

وروي عن زيد بن وهب، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال: حدثني رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق: «إن خلق أحدكم يجمع في

بطن أمه أربعين يوماً نطفة»[1].

وفي لفظ: «أربعين ليلة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً بأربع كلمات: خلقه ورزقه وعمله، وشقيّ أم سعيد، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبينها إلا باع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلا باع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها».

وعن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها. عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة، وإنه لمكتوب في الكتاب أنه من أهل النار، فإذا كان عند موته تحوّل فيعمل بعمل أهل النار، فمات فدخل النار؛ وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، وإنه لمكتوب في الكتاب أنه من أهل الجنة، فاذا كان قبل موته عمل بعمل أهل الجنة، فمات فدخل الجنة»[2].

وعن أبي عبدالرحمن السلمي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «بينما نحن مع رسول الله ﷺ وهو ينكت في الأرض، إذ رفع رأسه فقال: ما من أحدٍ إلا وقد علم مقعده في النار، أو مقعده من الجنة، فقالوا: أفلا نتكل؟ قال ﷺ: اعملوا فكلٌّ ميسر لما خُلِقَ له»[3].

وعن سالم بن عبدالله عن أبيه رضي الله عنه قال: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «يا رسول الله، أرأيت ما نعمل فيه، أشيء قد فرغ منه،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٢)، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث ابن مسعود.

(٢) حديث صحيح. أخرجه أحمد ١٠٧/٦ و١٠٨، وابن حبان (٣٤٦) من حديث عائشة. ويشهد له حديث سهل بن سعد عند البخاري (٢٨٩٨)، ومسلم (١١٢)، والحديث السابق عن ابن مسعود.

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٤٧) و(٤٩٤٩) وغير موضع، ومسلم (٢٦٤٧).

أو شيء مبتدع أو مبتدأ؟ قال رسول الله ﷺ لا بل فيما قد فرغ منه، قال: أفلا نتكل؟ قال عليه الصلاة والسلام: اعمل يا ابن الخطاب، فكل ميسر لما خُلق له، فمن كان من أهل السعادة فيعمل للسعادة، ومن كان من أهل الشقاوة، فيعمل للشقاوة»[1].

(فصل)

ونؤمن بأن النبيّ ﷺ رأى ربه عزّ وجلّ ليلة الإسراء بعيني رأسه لا بفؤاده ولا في المنام، لما روى جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال:«قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ولقد رَآه نزلةً أخرى﴾ [النجم: ١٣] قال رأيت ربي جلّ اسمه مشافهة لا شكّ فيه وفي قوله تعالى: ﴿عندَ سِدَرة المنتهى﴾ [النجم: ١٤] قال: رأيته عند سدرة المنتهى حتى تبين لي نور وجهه»[2] وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وما جعلْنا الرؤيا التي أريْناك إلاّ فتنةً للناسِ﴾ [الاسراء: ٦٠] هي رؤيا عين أريها النبيّ ﷺ ليلة أسري به.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت الخلة لإبراهيم عليه السلام، والكلام لموسى عليه السلام، والرؤية لمحمد ﷺ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: رأى محمد ﷺ ربه بعينيه مرّتين[3] ولا يعارض هذا ماروي عن عائشة[4] رضي الله عنها من إنكار ذلك، لأنه نفي، وهذا إثبات، فقدم عند الاجتماع[5]، لأن النبيّ ﷺ أثبت لنفسه الرؤية.

---

(١) حديث صحيح بشواهده. أخرجه (٢١٣٥)، وأحمد ١/ ٢٩ و٢/ ٥٢ و٧٧، وابن أبي عاصم (١٦٣) و(١٦٤)، والآجري ص ١٧١ وغيرهم بأسانيد فيها ضعف، لكن له شواهد يصحُّ بها.

(٢) انظر «الدر المنثور» ٧/ ٦٤٨ - ٦٤٩.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٦).

(٤) أخرجه مسلم (١٧٧).

(٥) لا يصحُّ هذا، لأنَّ النفيْ في موضع الإنكار، لا عدم العلم.

وقال أبو بكر بن سليمان: رأى محمد ﷺ ربه إحدى عشرة مرّة، منها بالسُّنةِ تسعَ مرّاتٍ في ليلة المعراج حين كان يتردّد بين موسى عليه السلام وربه عزّ وجلّ، يسأله أن يخفف عن أمته الصلاة، فنقص خمسا وأربعين صلاة في تسع مقامات، ومرّتين بالكتاب.

(فصل)

ونؤمن بأن منكـراً ونكيراً إلى كل أحـدٍ ينـزلان سوى النبيين، فيسألانه ويمتحنانه عما يعتقده من الأديان، وهما يأتيان القبر، فيرسل فيه الروح، ثم يقعد، فاذا سُئِلَ سُلَّت روحهُ بلا ألم.

ونؤمن بأن الميت يعرف من يزوره إذا أتاه وآكده يوم الجمعة بعد طلوع الفجر قبل طلوع الشمس.

والإيمـان بعـذاب القبر وضغطته واجب لأهل المعاصي والكفر وجميع الخلق سوى النبيين ثم يخفف عن المؤمنين برحمة الله عز وجل، وكذلك النعيم فيه لأهل الطاعة والإيمان خلاف ما قالت المعتزلة من إنكارهم ذلك، وإنكارهم مساءلة منكر ونكير.

ودليل أهل السنة على إثبات ذلك قوله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الذينَ آمنوا بالقولِ الثابتِ في الحياةِ الدنيا وفي الآخرةِ﴾ [ابراهيم: ٢٧] قيل في التفسير: في الحياة الدنيا عند خروج الروح؛ وفي الآخرة عند مساءلة نكير ومنكر، وما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قبر أحدكم أو الإنسان، أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير، فيقولان له: ما كنت تقولُ في هذا الرجل؟ يعني محمداً رسول الله، فهو قائل ما كان يقول، فإذا كان مؤمناً قال: هو عبدالله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، فيقولان: إنا كنا لنعلم أنك تقول مثل ذلك، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ذراعاً، وينوّر له فيه، ثم يقال له:

نم، فيقول: دعوني أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقال له: نم كنومة العروس التي لا يوقظها إلا أحبّ أهلها حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك.

وإن كان منافقاً قال: لا أدري كنت أسمع الناس يقولون شيئاً وكنت أقوله، فيقولان: إنا كنا لنعلم أنك تقول ذلك؛ ثم يقال للأرض التئمي عليه، فتلتئم حتى تختلف فيها أضلاعه، فلا يزال فيها معذّباً حتى يبعثه الله عز وجل من مضجعه ذلك»[1].

وتعلقوا أيضاً بما روى عطاء بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه «يا عمر كيف أنت إذا أُعِدَّ لك من الأرض ثلاثة أذرع وشبر في عرض ذراع وشبر، ثم قام إليك أهلك فغسلوك وكفنوك وحنطوك، ثم حملوك حتى يغيبوك فيه، ثم يهيلوا عليك التراب، ثم انصرفوا عنك، وأتاك مسائلا القبر مُنْكَرٌ ونكير، أصواتهما مثل الرعد القاصف، وأبصارهما مثل البرق الخاطف، قد سدلا شعورهما، فتلتلاكَ وتوهلاك، وقالا: مَنْ ربك، وما دينك؟ قال: يا نبيَّ الله أو يكون معي قلبي الذي هو معي اليوم؟ قال (ﷺ): نعم، قال: إذن أكفيهما بإذن الله عز وجل»[2] وهذا دليل. ونصّ على أن ذلك يكون بعد إعادة الروح، لأن عمر قال: أو يكون معي قلبي، فقال النبيّ (ﷺ) نعم.

وعن المنهال بن عمرو عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، وانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس النبيّ ﷺ وجلسنا حوله، وكأنّ على رؤوسنا الطير من هيبته، وفي يده عود ينكت به الأرض، فرفع رأسه وقال: أستعيذ بالله من عذاب القبر، مرّتين

---

(١) أخرجه الترمذي (١٠٧١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٦٤)، وابن حبان (٣١١٧) والآجري ص ٣٦٥، والبيهقي في «عذاب القبر» (٥٦) من طريق عبدالرحمن بن إسحاق، عن سعيد المقبري عن أبي هريرة. وعبدالرحمن بن إسحاق فيه ضعف.

(٢) إسنادُه مرسل. أخرجه الآجري ص ٣٦٦ وغيره عن عطاء مرسلاً. ورواه البيهقي في «الاعتقاد» ص ١٢٧ موصولاً بإسنادٍ لا يصحُّ.

أو ثلاثا، ثم قال ﷺ: إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا، نزلت عليه ملائكة بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، ومعهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، فيجلسون معه مدّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس المطمئنة الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوانه، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السقاء، فيأخذونها ولا يدعونها في يده طرفة عين حتى يأخذوها. فيجعلوها في ذلك الكفن والحنوط، فيخرج منها نفحة كأطيب نفحة مسكاً وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون: هذا فلان ابن فلان بأحسن أسمائه، ثم ينتهون بها إلى سماء الدنيا فيستفتحون لها فيفتح لهم، فيستقبلوها ويشيعوها من كل سماء إلى السماء التي تليها حتى ينتهوا إلى السماء السابعة، فيقول الله عزّ وجلّ: اكتبوا كتابه في عليين، وأعيدوه إلى الأرض: ﴿منها خلقناكُم وفيها نُعيدُكم ومنها نُخْرِجُكم تارةً أُخرى﴾ [طه: ٥٥] فتعاد الروح إلى جسده، ويأتيه ملكان فيقولان له: من ربك وما دينك؟ فيقول: ربي الله وديني الإسلام، فيقولان له: ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، جاءنا بالحقّ، فيقولان له: ما علمك بذلك؟ فيقول: قرأت القرآن كتاب الله تعالى، وآمنت به وصدقته، فينادي مناد من السماء: صدق عبدي، فافرشوا له من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة، فيأتيه ريحها وطيبها ويفسح له في قبره مدّ البصر، ويأتيه رجل حسن الوجه طيب الريح فيقول له: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول عند ذلك: ربِّ أقم الساعة ربِّ أقم الساعة وإن العبد الكافر إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا، أنزل الله تعالى عليه ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح، فيجلسون معه مدّ البصر، ثم يجيء ملك الموت يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط الله وغضبه، فتتفرّق في أعضائه كلها، فينزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول، فتنقطع

منه العروق والعصب فيأخذونها فيجعلونها في تلك المسوح، فيخرج منها كأنتن جيفة، فيصعدون بها فلا يمرّون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: هذا فلان ابن فلان بأقبح أسمائه حتى ينتهوا بها إلى سماء الدنيا، فيستفتحون لها فلا يفتح لهم؛ ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿لا تُفَتَّحُ لهم أبوابُ السماءِ﴾ [الأعراف: ٤٠] يقول الله سبحانه وتعالى: اكتبوا كتابه في سجِّين ثم تطرح روحه طرحاً؛ ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ومنْ يشركْ باللهِ فكأنّما خَرَّ من السماءِ فَتَخْطَفُهُ الطيرُ أو تَهْوي به الريحُ في مكان سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] يعني تردّ فتعاد إليه روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك: فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولون له: ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول؟ هاه هاه لا أدري، فينادي المنادي من السماء: كذب عبدي، فافرشوا له فراشاً من النار وألبسوه من النار وافتحوا له باباً من النار، فيدخل عليه من حرّها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح المنظر والثياب نتن الريح فيقول له: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك السوء، فيقول: ربِّ لاتُقِم الساعة»[1].

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: إن المؤمن إذا وضع في قبره يوسع عليه في قبره سبعون ذراعاً عرضاً وسبعون ذراعا طولاً، وتنثر عليه الرياحين، ويستتر بالحرير في الجنة، فإن كان معه شيء من القرآن كفاه نوره، وإن لم يكن معه شيء من القرآن جعل له نور مثل نور الشمس في قبره،

---

(١) حديث حسن إن شاء الله. أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، وعبدالرزاق (٦٧٣٧)، وابن أبي شيبة ٣/ ٣٨٠ ـ ٣٨٢، وأحمد ٤/ ٢٨٧ و٢٨٨ و٢٩٥ و٢٩٦، والطيالسي (٧٥٣)، والطبري ١٣/ ٢١٥ و٢١٧ و٢١٨، والاجري في «الشريعة» ص ٣٦٧ ـ ٣٧٠، والحاكم ١/ ٣٧ ـ ٤٠، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٢٠) و(٢١) و(٢٢) و(٢٣) و(٢٤) و(٢٥)...

ويكون مثله كمثل العروس تنام ولا يوقظها من نومتها إلا أحبّ أهلها إليها، فتقوم من نومتها كأنها لم تشبع منها. وإن الكافر إذا وضع في قبره يضيق عليه قبره حتى تدخل اضلاعه في جوفه، وترسل عليه حيات كأمثال أعناق البخت، فيأكلن لحمه حتى لا يذرن على عظمه لحماً، ويرسل عليه شياطين صمّ بكم عمي، ويقال: هو الشيطان الرجيم، ومعهم فطاطيس من حديد، فيضربونه بها حتى لا يسمعوا صوته فيرحمونه، ولا يبصرونه فيرحمونه وتعرض عليه النار بكرة وعشيا»[1].

فهذه الأخبار دالة على إثبات عذاب القبر ونعيمه، فإن اعترضوا عليها فقالوا: كيف القول في المصلوب والمحترق والغريق ومن أكلته السباع فتفرّقت بلحمه والطير معها فحصل أجزاء متعددة؟

فيقال لهم: إن النبيّ ﷺ ذكر عذاب القبر والمسألة على ما هو معهود وعادة في الخلق أنهم يدفنون في القبور، وإن وجد ميت على هذه الصفة البعيدة النادرة لا يمتنع أن يقال: إن الله يصير روحه إلى الأرض، ثم تضغط وتسأل وتعذّب وتنعم، كما أن أرواح الكفار تعذّب كلّ يوم مرّتين، غدوة وعشية، حتى تقوم الساعة، ثم تدخل النار مع الأجساد حينئذ، كما قال الله تعالى: ﴿النـارُ يُعْرَضُونَ عليها غُدُوّاً وعَشِياً ويومَ تقومُ الساعةُ أُدخلوا آلَ فِرعَوْنَ أشدَّ العذابِ﴾ [غافر: ٤٦]، وأن أرواح الشهداء والمؤمنين في حواصل طيور خضر، تسرح في الجنة، وتأوي إلى قناديل من نور تحت العرش، ثم تأتي إلى الأجساد عند النفخة الثانية إلى الأرض، للعرض والحساب يوم القيامة.

كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل أثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظلّ العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يبلغ عنا إخواننا أنا أحياء في الجنة

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ.

نرزق، فلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب؟ فقال الله عزّ وجلّ وهو أصدق القائلين: أنا أبلغهم، فأنزل عز وجل ﴿ولا تَحسَبَنَّ الذينَ قُتِلُوا في سبيلِ اللهِ أمواتاً بلْ أحياءٌ عندَ ربِّهم يُرزَقونَ ۞ فَرِحينَ بما آتاهم اللهُ من فَضْلِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠][1] فيجوز أن تقع المسألة والعذاب والنعيم ببعض جسد المؤمن والكافر دون بقية أجزائه، ويكون ما فعل بالبعض فعلاً بالكلّ، وقد قيل: إن الله يجمع تلك الأجزاء المتفرّقة للضغطة والمسألة كما يفعل ذلك في الحشر والمحاسبة. ثم إن الإيمان بالبعث من القبور والنشر عنها واجب، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وأنّ الساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها وأنَّ اللهَ يبعثُ من في القبورِ﴾ [الحج: ٧]. وكما قال الله عز وجل: ﴿كما بَدَأكم تَعودُون﴾ [الأعراف: ٢٩] وقال جل وعلا: ﴿منها خَلَقْناكم وفيها نُعيدُكم ومنها نُخْرِجُكم تارةً أخرى﴾ [طه: ٥٥] يحشرهم ويجمعهم جميعاً جلّ وعلا: ﴿لِتُجْزَى كلُّ نفسٍ بما تَسْعى﴾ [طه: ١٥] ﴿لِيَجْزِيَ الذين أساءُوا بما عَمِلوا، ويَجزيَ الذين أحْسَنوا بالحُسْنى﴾ [النجم: ٣١] وقال جلّ جلاله: ﴿الذي خَلَقَكُم ثم رَزَقَكم ثم يُميتكم ثم يُحييكم﴾ [الروم: ٤٠] فالذي قدر على إنشاء الخلق قادر على إعادتهم، فقد أنكرت المعطلة ذلك تباً لهم.

(فصل)

والإيمان بأن الله تعالى يقبل شفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر والأوزار واجب قبل دخول النار عاماً للحساب لجميع أمم المؤمنين، وبعد دخولها لأمته خاصة، فيخرجون منها بشفاعته ﷺ وغيره من المؤمنين حتى لا يبقى في النار من كان في قلبه مثقال ذرّة من الإيمان ومن قال: لا إله إلا الله محمد رسول

---

(١) حديث ضعيف. أخرجه أبو داود (٥٥٢٠)، وأحمد ١/٢٦٦، والحاكم ٢/٨٨ و٢٩٧، وابن أبي شيبة ٥/٢٩٤ ـ ٢٩٥. وفي إسناده ابن إسحاق وقد عنعن، وهو مدلس. ولبعضه شواهد.

الله مرّة واحدة في عمره مخلصاً لله عزّ وجلّ خلاف ما زعمت القدرية من إنكار ذلك، وفي كتاب الله تكذيبهم قال الله عزّ وجلّ: ﴿فما لنا من شافِعين * ولا صديقٍ حَميمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١] وقوله عز وجل: ﴿فهل لنا من شُفَعاءَ فَيَشْفَعُوا لنا﴾ [الأعراف: ٥٣] وقال الله جل جلاله: ﴿فما تَنْفَعُهم شفاعةُ الشافِعينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

فقد أثبت الله تعالى في الآخرة شفاعة وكذلك في السنة، وهو ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال: «أنا أوّل من تنشق عنه الأرض يوم القيامة. أنا ولا فخر، وأنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا صاحب لواء الحمد ولا فخر، وأنا أول من يدخل الجنة ولا فخر، وأنا آخذ بحلقة باب الجنة، فيؤذن لي فيستقبلني وجه الجبار عز وجل فأخرّ له ساجداً، فيقول تعالى: يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع وسَلْ تُعْطَ، فأرفع رأسي فأقول: ياربّ أمتي أمتي، فلا أزال أرجع إلى ربي فيقول: اذهب فانظر، فمن وجدتَ في قلبه مثقال حبة من الإيمان فأخرجه من النار، قال ﷺ: فأخرج من أمتي أمثالَ الجبال، ثم يقول لي النبيون: ارجع إلى ربك فاسأله، فأقول: قد رجعت إلى ربي حتى استحييتُ منه»[1].

وقال ﷺ في حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[2].

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ ولكن أوله أخرجه مسلم (٢٢٧٨). وحديث الشفاعة أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) بغير هذا اللفظ من حديث أبي هريرة. وفي الباب حديث أنس عندهما أيضاً: البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٣٦)، والآجري ص ٣٣٨، والحاكم ١/ ٦٩ من طريق محمد ابن ثابت البناني، وابن ماجة (٤٣١٠)، وابن خزيمة في «التوحيد» ص ٢٧١، وابن حبان (٦٤٦٧)، والحاكم ١/ ٦٩ من طريق زهير بن محمد العنبري، كلاهما عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر. وهذا حديث غريب عن جعفر كما قال الترمذي. فإن محمد بن ثابت البناني ضعيف. وزهير رواية الشاميين عنه مناكير وهذا =

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبيّ دعوة مستجابة، فتعجَّلَ كلُّ نبيٍّ دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله تعالى من أمتي لمن مات لا يشرك بالله شيئا»[1].

وقال ﷺ في حديث أنيس الأنصاري رضي الله عنه: «إني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر»[2].

وله ﷺ شفاعة في القيامة عند الميزان وعلى الصراط، وكذلك ما من نبيّ إلا وله شفاعة.

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: «يقول إبراهيم عليه السلام يوم القيامة: يا رباه. فيقول الله عزّ وجلّ: يا لبيكاه، فيقول: ياربِّ أحرقت بني آدم، فيقول جلّ وعلا: أخرجوا من النار مَنْ كان في قلبه مثقال برّة أو شعيرة من الإيمان»[3].

= منها.

لكن يشهد له حديث أنس (٦٤٦٨) عند الترمذي (٢٤٣٥)، وابن حبان (٦٤٦٨)، وابن خزيمة ص ٢٧٠، والحاكم ٦٩/١ من طريق معمر، عن ثابت، عن أنس. وهذا إسنادٌ فيه ضعف، لأن معمراً يُستضعف في حديث ثابت. ورُوِيَ من غير هذا الوجه بأسانيد ضعيفة أيضاً. انظرها في «الإحسان» (٦٤٦٨).

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٤) و(٧٤٧٤)، ومسلم (١٩٨).

(٢) ذكره الهيثمي في «المجمع» ٣٧٩/١٠ وقال: رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه أحمد بن عمرو صاحب علي بن المديني، ويعرف بالقلوري، ولم أعرفه. وبقية رجاله وثقوا على ضعف في بعضهم.

وأخرجه الخطيب في «تاريخه» ٣٣٠/١٢ من حديث بريدة بإسنادٍ فيه أبو إسرائيل الملائي وهو سيّئ الحفظ جداً. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٣٧٨/١٠ - ٣٧٩، وضعفه.

(٣) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» ص ٣١٦ ورجالُه ثقات.

وفي الباب دونَ ذكر إبراهيم عليه السلام مرفوعاً: حديث جابر عند البخاري (٦٥٥٨)، ومسلم (١٩١). وحديث أنس وعمران بن حصين وغيرهما.

وكذلك للصديقين والصالحين من كل أمة شفاعة، قال ﷺ في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «لكلّ نبيّ عطية، وإني اختبأت عطيتي شفاعةً لأمتي، وإن الرجل من أمتي يشفع للقبيلة فيدخلهم الله تعالى الجنة بشفاعته وإن الرجل ليشفع لفئام من الناس فيدخلهم الله الجنة بشفاعته، وإن الرجل ليشفع لثلاثة نفر، والرجل لاثنين، وإن الرجل ليشفع لرجل»[1].

قال النبيّ ﷺ في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «ليدخل الجنة قوم من المسلمين قد عذّبوا بالنار برحمة الله تعالى وشفاعة الشافعين»[2].

وأيضا في حديث أويس القرني رحمه الله ورضي عنه المعروف «ولله عز وجل تفضلٌ وتكرم ورحمة ومنة على من يشاء من أهل النار في إخراجهم من النار بعد ما احترقوا وصاروا فحماً»[3].

وعن الحسن عن أنس رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: «مازلت أشفع إلى ربي فيشفعني حتى أقول: ياربّ شفعني فيمن قال لا إله إلا الله، فيقول جلّ وعلا: هذه ليست لك يا محمد ولا لأحد. هذه لي، وعزتي، وجلالي ورحمتي لا أدع في النار أحداً قال: لا إله إلا الله؛»[4].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٤٠) قريباً منه دونَ أولِه بإسنادٍ ضعيف.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٥٠٩) وابن عدي ١١٧٨/٣. وقال الهيثمي في «المجمع» ٣٧٩/١٠: وفيه من لم أعرفهم. قلت: وإسنادُه ضعيف من أجلِ سلمة ابن صالح الأحمر الواسطي.

(٣) أخرجه بنحوه مسلم (١٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً.

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم (٨٢٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» ص ٢٩٠ وهو حديث صحيح أصلُه عند البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣). وانظر تمام تخريجه في «الإحسان» (٦٤٦٤).

(فصل)

والإيمان بالصراط على جهنم واجب وهو جسر ممدود على متن جهنم يأخذ من يشاء الله إلى النار ويجوز من يشاء ويسقط في جهنم من يشاء، ولهم في تلك الأحوال أنوار على قدر أعمالهم، فهم بين ماش وساعٍ وراكب وزاحف وساحب، وقد وصفه النبيّ ﷺ بأنه ذو كلاليب في خبرٍ فيه طول إلى أن قال ﷺ: «ذو كلاليب مثل شوك السعدان، هل تعرفون شوك السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلمها إلا الله عز وجل، فتخطف الناس، فمنهم موبق بعمله ومنهم المخردل»[1] ثم ينجو المخردل والمخردل: المرمي المصروع، وقيل ذلك للمنقطع أيضا.

وقال ﷺ: «استجيدوا ضحاياكم فإنها مطاياكم على الصراط»[2].

وجاء في وصف الصراط عنه ﷺ أنه أدقّ من الشعرة وأحرّ من الجمرة وأحدّ من السيف، طوله ثلاثمائة سنة من سني الآخرة، يجوزه الأبرار وتزل عنه الفجار. وقيل طوله ثلاثة آلاف سنة من سني الآخرة.

وأهل السنة يعتقدون أن لنبينا ﷺ حوضاً في القيامة يسقى منه المؤمنون دون الكافرين، ويكون ذلك بعد جواز الصراط قبل دخول الجنة، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، عرضه مسيرة شهر، ماؤه أشدّ بياضاً من اللبن

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة. وفي الباب عن أبي سعيد الخدري عند البخاري (٦٥٧٤)، ومسلم (١٨٣).

(٢) ذكره ابن حجر في «تلخيص الحبير» ١٣٨/٤ بلفظ: «عظموا ضحاياكم فإنها على الصراط مطاياكم» وقال: قال ابن الصلاح: هذا الحديث غير معروف ولا ثابت فيما علمناه، وقد أشار ابن العربي إليه في «شرح الترمذي» بقوله: ليس في فضل الأضحية حديث صحيح. وانظر تمام قول ابن حجر في «التلخيص».

وأحلى من العسل، حوله أباريق على عدد نجوم السماء، فيه ميزابان يصبان من الكوثر، أصله في الجنة وفرعه في الموقف.

وقد ذكره النبيّ ﷺ في حديث ثوبان رضي الله عنه: «أنا عند حوضي يوم القيامة» فسئل النبي ﷺ عن سعة الحوض، فقال ﷺ: «ما بين مقامي هذا إلى عمان، شرابه أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، فيه ميزابان من الجنة أحدهما من ورق والآخر من ذهب، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا»[1].

وقال ﷺ في حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: «موعدكم حوضي عرضه مثل طوله، وهو أبعد ما بين أيلة إلى مكة، وذلك مسيرة شهر، فيه أباريق أمثال الكواكب، ماؤه أشدّ بياضاً من الفضة، من ورده فشرب منه لم يظمأ بعدها أبداً»[2].

وكذلك لكلّ نبيّ من الأنبياء حوض إلا صالحاً النبيّ، فإن حوضه ضرع ناقته يسقى من ذلك مؤمنو كل أمة منهم دون الكافرين»[3].

وفي حديث آخر عن النبيّ ﷺ أنه قال: «حوضي ما بين عدن وعمان، حافتاه خيام الدرّ المجوف وآنيته عدد نجوم السماء طينه المسك الأذفر وماؤه أبيض من اللبن وأبرد من الثلج وأحلى من العسل، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، فيذاد عني يوم القيامة رجال كما تذاد الغريبة من الإبل فأقول: ألا

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٠١). وانظر تمام تخريجه في «الإحسان» (٦٤٥٥)

(٢) أخرجه الآجري ص ٣٥٣-٣٥٤، والحاكم ١/٧٥-٧٦، ولا يصحُّ إسنادُه.

(٣) حديث أنَّ لكل نبي حوضاً. أخرجه الترمذي (٢٤٤٣) والطبراني (٧٠٥٣) من حديث سمرة بإسنادٍ ضعيف. ورُوي عن الحسن مرسلاً. قال الترمذي: وهو أصحُّ. وانظر «المجمع» ١٠/٣٦٣.

وأخرجه بنحوه ابن ماجة (٤٣٠١) من حديث أبي سعيد الخدري، وفيه عطية العوفي، وهو ضعيف.

هلم ألا هلم، فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: وما أحدثوا؟ فيقال: إنهم غيروا وبدلوا، فأقول: ألا سحقاً وبعداً»[1].

وقد أنكرت ذلك المعتزلة فلا يسقون منه ويدخلون النار ورداً عطشاً إن لم يتوبوا عن مقالتهم وجحودهم الحقّ وردّ الآيات والأخبار والآثار.

وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ أنه قال: «من كذّب بالشفاعة لم يكن له فيها نصيب ومن كذّب بالحوض لم يكن له فيه نصيب»[2].

(فصل)

وأهل السنة يعتقدون أن الله يجلس رسوله ونبيه المختار على سائر رسله وأنبيائه معه على العرش يوم القيامة، لما روي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ في قوله عزّ وجلّ: ﴿عَسَى أنْ يبعَثَك ربُّك مَقاما مَحمُودا﴾ [الإسراء: ٧٩] قال: يجلسه معه على السرير[3].

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ وبطوله. ولكن بنحو أوله أخرج البخاري (٤٩٦٥) من حديث عائشة أنَّ أبا عبيدة سألها عن قوله تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ قالت: هو نهر أعطيه نبيكم ﷺ، شاطئاه عليه دُر مجوَّف آنيتُه كعددِ النجوم».

وتمام الحديث دونَ آخرِه روي عن كثير من الصحابة. انظرها في «النهاية» لابن كثير ١/٣٧٤. فما بعد.

وآخره عند البخاري (٧٠٥٠) و(٧٠٥١) ومسلم (٢٢٩٠ - ٢٢٩١) من حديثي سهل بن سعد وأبي سعيد الخدري. وعند البخاري أيضاً (٧٠٤٩)، ومسلم (٢٢٩٧) من حديث ابن مسعود. والبخاري (٧٠٤٨)، ومسلم (٢٢٩٣) من حديث أسماء. وفي الباب أحاديث كثيرة.

(٢) يُشبه قول التابعين. ولم أجده.

(٣) هذا كذبٌ على الله ورسوله، وما رُوي في ذلك، ماهي إلا أحاديث وآثار مختلفة ظاهرة الانتقال، ولا أدري كيف سَرَتْ مثلُ هذه الأكاذيب إلى أئمةٍ يقولون بها. =

وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «سألت رسول الله ﷺ عن المقام المحمود، فقال ﷺ: وعدني ربي القعود على العرش»[1].

وكذلك عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال: «فإذا كان يوم القيامة جيء بنبيكم ﷺ، فأقعد بين يدي الله عز وجل على كرسيه، فقيل له: يا أبا مسعود إذا كان معه على كرسيه أليس هو معه قال: ويلكم هذا أقرّ حديث في الدنيا لعيني»[2].

وقال الحجاج في حديثه: إذا كان يوم القيامة نزل الجبار على عرشه وقدماه على الكرسي ويؤتى بنبيكم ﷺ فيقعد بين يديه على الكرسي، فقالوا للحميدي: إذا كان على الكرسي فهو معه، قال: نعم، ويلكم هو معه»[3].

(فصل)

ويعتقد أهل السنة أن الله تعالى يحاسب عبده المؤمن يوم القيامة ويدنيه منه، فيضع كتفه عليه حتى يستره من الناس، لما روي عن عبدالله بن عمر

= والحديث مرفوعاً أخرجه الديلمي وابن مردويه عن ابن عمر كما في «الدر المنثور» ٥/٣٢٦ و٣٢٨ ولا يصحُّ.

وقال الذهبي في «العلو» (٢١٤): فأما قضية قعود نبينا على العرش فلم يثبت في ذلك نص، بل في الباب حديث واهٍ. ولكن ثبتَ في الصحاح أنَّ المقام المحمود هو الشفاعة العامة الخاصة بنبينا ﷺ. وانظر تمام هذا المبحث في «بدائع الفوائد» ٤/٣٩ بتحقيقنا.

(١) في «الباز الأشهب» لابن الجوزي ص ١٦: حديث عائشة مكذوب لايصح عن رسول الله ﷺ.

(٢) ذكره الذهبي في «العلو» ص ١٢٥ موقوفاً، وقال: لا يثبت إسناده.

(٣) لا يصحُّ.

رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالمؤمن يوم القيامة فيدنيه الله تعالى منه فيضع كتفه عليه حتى يستره من الناس، فيقول: عبدي أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟ مرتين، فيقول: نعم ربِّ حتى إذا قرّره بذنوبه كلها فرأى نفسه أنه قد هلك، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم»[1].

ومعنى المحاسبة: تعريف الله تعالى عبده بمقادير ثواب الأعمال وعذابه بقراءة **سيئاته** أو حسناته وماله وما عليه.

وقد أنكرت المعطلة المحاسبة، وقد كذّبهم الله تعالى بقوله: ﴿إنَّ إلينا إيابَهم * ثم إنّ علينا حِسابَهم﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦].

(فصل)

ويعتقد أهل السنة أن لله تعالى ميزاناً يزن فيه الحسنات والسيئآت يوم القيامة له كفتان ولسان، وقد أنكرت المعتزلة مع المرجئة والخوارج ذلك فقالت: إن معنى الميزان: العدل دون موازنة الأعمال؛ وفي كتاب الله وسنة رسوله تكذيبهم، قال الله تعالى: ﴿ونَضَعُ الموازينَ القِسطَ ليومِ القيامةِ فلا تُظلمُ نفسٌ شيئاً، وإنْ كانَ مثقالَ حبةٍ من خردلٍ أتيْنا بها وكفى بنا حاسِبينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وقال تعالى: ﴿فأمّا من ثَقُلَتْ مَوازينُه * فهو في عيشةٍ راضية * وأما مَنْ خَفَّتْ موازينُه * فأُمُّه هاوِيَة﴾ [القارعة: ٦ - ٩] الآية.

والعدل لا يوصف بالخفة والثقل، وإنما هو بيد الرحمن جل جلاله، لأنه هو الذي يتولى حسابهم، لما روى النوّاس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الميزان بيد الرحمن عزّ وجلّ، يرفع أقواماً

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨) من حديث ابن عمر.

ويضع آخرين يوم القيامة»[1].

وقيل إنه بيد جبرائيل عليه السلام، لما روي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: إن جبرائيل عليه السلام صاحب الميزان، فيقول له ربه: زِنْ يا جبريل بينهم، فيرجح بعضهم على بعض.

وروى عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يوضع الميزان يوم القيامة، فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة الميزان ويوضع ما أحصى من عمله في كفة، فيميل به الميزان، فيبعث الله به إلى النار فإذا أدبر به إذا صائحٌ يصيح من عند الرحمن: لا تعجلوا لا تعجلوا، فإنه قد بقي له، فيؤتى بشيء فيه لا إله إلا الله فيوضع مع الرجل في كفة حسناته حتى يميل به الميزان، فيؤمر به إلى الجنة»[2].

وفي حديث آخر عن النبي ﷺ أنه قال: «إنه يؤتى بالرجل يوم القيامة إلى الميزان ثم يؤتى بتسعة وتسعين سجلاً كل سجل مدّ البصر، فيها كلها سيئاته وخطيئاته فترجح سيئاته على حسناته فيؤمر به إلى النار، فإذا أدبر به إذا صائح يصيح من عند الرحمن: لا تعجلوا لا تعجلوا فقد بقي له، فيؤتى بمثل رأس الإبهام، وأمسك على النصف منها، فيه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فيوضع في كفة حسناته فتثقل حسناته على سيئاته، فيؤمر به إلى الجنة»[3].

---

(١) أخرجه ابن ماجة (١٩٩)، وأحمد ١٨٢/٤، وابن أبي عاصم (٢١٩)، وابن حبان (٩٤٣)، والآجري ص ٣١٧ من حديث النواس بإسنادٍ جيِّد. وفي الباب شواهد انظرها في «الإحسان» (٩٤٣).

(٢) أخرجه أحمد ٢٢١/٢ - ٢٢٢ والترمذي (٢٦٣٩) وفيه ابن لهيعة، وهو سيِّئ الحفظ.

(٣) أخرجه بنحوه: الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجة (٤٣٠٠) من طريق الليث بن سعد، عن عامر بن يحيى، عن أبي عبدالرحمن الحُبلي، عن عبدالله بن عمرو.

وفي لفظ آخر: «فيخرج له بقرطاس مثل هذا، وأمسك على إبهامه فيه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» إلى آخر الحديث[1].

وقيل: إن الصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل، تكون الحسنات في صورة حسنة تطرح في كفة النور فيثقل بها الميزان برحمة الله وتكون السيئات في صورة سيئة تطرح في كفة الظلمة فيخفّ بها الميزان بعدل الله تعالى، وعلامة تثقيل الميزان ارتفاعها، وعلامة خفتها انحطاطها؛ بخلاف موازين الدنيا وقد قيل: مثل موازين الدنيا. وسبب تثقيلها الإيمان وقول الشهادتين، وسبب خفتها الشرك بالله عزّ وجلّ، فإذا ارتفعت أدخل صاحبها الجنة لأنها عالية، وإذا خفت أدخل صاحبها النار الهاوية لأنها في التخوم أسفل السافلين، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿فأمّا من ثَقُلَتْ موازينُه * فهو في عيشةٍ راضية﴾ [القارعة: ٦، ٧] أي في جنة عالية: ﴿وأما من خَفَّتْ موازينُه * فأمُّه هاوية﴾ [القارعة: ٨، ٩] أي أصله ومأواه ومرجعه نار حامية وهي هاوية.

والناس في موازنة الأعمال على ثلاثة أضرب: منهم من ترجح حسناته على سيئآته، فيؤمر به إلى الجنة، ومنهم من ترجح سيئآته على حسناته، فيؤمر به إلى النار. ومنهم من لا ترجح إحداهما على الأخرى، فهم أصحاب الأعراف، ثم ينالهم الله برحمته إذا شاء فيدخلهم الجنة. فهو قوله عزّ وجل: ﴿وعلى الأعْرافِ رجالٌ﴾ [الأعراف: ٤٦] الآية. والذي يوزن صحائف أعمالهم على ما ذكرنا من تسعة وتسعين سجلاً وطريق ذلك النقل والسمع.

وأما المقرّبون فيدخلون الجنة بغير حساب، كما جاء في الحديث: «إنه يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، ومع كل واحد منهم سبعون ألفاً»[2] على نص الحديث المشهور.

---

(١) انظر سابقه.

(٢) بنحوه ذكره الهيثمي في «المجمع» ١٠/٤١٠ ـ ٤١١ عن عبدالرحمن بن أبي بكر بإسنادٍ ضعيف عند أحمد والبزار والطبراني.

وأما الكافرون فيدخلون النار بغير حساب، ومن المؤمنين من يحاسب حساباً يسيراً ثم يؤمر به إلى الجنة على ماتقدم. ومنهم من يناقش ثم أمرُه إلى الله عز وجل، إن شاء أمر به إلى الجنة أو إلى النار، قال الله عزّ وجل: ﴿فأمّا مَنْ أُوتِيَ كتابَهُ بيمينه * فسوفَ يُحاسَبُ حساباً يَسيرا وينقلب إلى أهله مسروراً﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ٩]. الآية وقال جلّ وعلا: ﴿وكُلَّ إنسانٍ ألزمْناه طائرَه في عُنُقه ونُخرجُ له يوم القيامة كتاباً يَلْقاهُ منشورا، اقرأْ كتابَك كفى بنفسِك اليوم عليك حسيبا﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

وقال النبي ﷺ في حديث عليّ رضي الله عنه: «إن الله يحاسب كل الخلق إلا من أشرك بالله، فإنه لا يحاسب ويؤمر به إلى النار»[١].

(فصل)

ويعتقد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان، وهما الداران أعدّهما الله تعالى: إحداهما للنعيم والثواب لأهل الطاعة والإيمان، والأخرى للعقاب والنكال لأهل المعاصي والطغيان، وهما منذ خلقهما الله تعالى باقيتان لا تفنيان أبداً، وهي الجنة التي كان فيها آدم وحوّاء عليهما السلام وإبليس اللعين ثم أخرجهما منها، القصة المشهورة. وقد أنكرت المعتزلة ذلك، فأما الجنة فلا يدخلونها، وأما النار فلعمري هم فيها خالدون مخلدون لإنكارهم ولحكمهم بذلك للمؤمن المُوَحِّدِ المطيعِ لله عزّ وجلّ سبعين سنة بكبيرة واحدة، وفي كتاب الله العزيز عز وجل وسنة رسول الله ﷺ تكذيبهم، قال الله عزّ وجل: ﴿وجنةٍ عرضُها السمواتُ والأرض أُعِدَّتْ للمتقين﴾ [آل عمران: ١٣٣] وقال عز وجل: ﴿اتَّقوا النارَ التي أُعِدَّتْ للكافِرين﴾ [آل عمران: ١٣١]، وما كان معداً كان موجوداً يعلمه كل عاقل فعلم أنهما مخلوقتان.

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ.

وقال رسول الله ﷺ في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «دخلت الجنة فإذا أنا بنهر يجري، حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربت بيدي إلى ماء يجري فإذا مسك أذفر، قلت يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك الله تعالى»[١].

وقال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه حين قيل له: «يا رسول الله أخبرنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال عليه الصلاة والسلام: لبنة من فضة ولبنة من ذهب، وملاطها، المسك الأذفر، وحصاها الياقوت واللُّؤْلُؤ، وترابها الورس والزعفران، من دخلها يخلد ولا يموت وينعم ولا ييأس، ولا تخلق ثيابهم ولا يبلى شبابهم»[٢] فهذا دليل على كونهما مخلوقين، وأن نعيم الجنة دائم لا يفنى كما قال الله تعالى: ﴿أُكُلُها دائمٌ وظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥] وقال عز وجل: ﴿لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾ [الواقعة: ٣٣].

ومن نعيمها الحور العين خلقهنّ الله تعالى في الجنة للبقاء، لا يفنين ولا يمتن كما قال الله عزّ وجل: ﴿فيهنّ قاصِراتُ الطرفِ لم يَطْمِثْهُنّ إنسٌ قبلَهم ولا جانٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦] وقوله تبارك وتعالى: ﴿حُورٌ مقصوراتٌ في الخِيامِ﴾ [الرحمن: ٧٢].

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٤٩٦٤) و(٦٥٨١) من حديث أنس.

(٢) أخرجه أحمد ٢/٣٠٤ـ٣٠٥ و٤٤٥، والدارمي ٢/٣٣٣، وابن حبان (٧٣٨٧)، والترمذي (٢٥٢٦) بإسنادين فيهما ضعف إلى أبي هريرة.

وأخرجه أبو نعيم في «الجنة» (٩٦) من حديث ابن عمر بإسنادٍ ضعيف أيضاً.

وقولُه: «من دَخَلها يخلد...» يصحُّ من حديث أبي هريرة عند مسلم (٢٨٣٦)، وأبي نعيم في «الجنة» (٩٧) و(٩٨) و(٩٩) و(١٠٤) و(١٠٥) وغيرهما.

وأولُه أخرجه أبو نعيم في «الجنة» (١٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري، وفيه عدي بن الفضل، وهو ضعيف جداً. وأخرجه البزار (٣٥٠٧) موقوفاً، وإسنادُه أصحُّ.

وقوله: «لبنة من ذهب ولبنة من فضة» يشهَدُ له طريق العلاء بن زياد عن أبي هريرة عند أحمد ٢/٣٦٢، والبزار (٣٥٠٩)، والطبراني في «الأوسط» (٢٥٥٣)، وأبي نعيم في «الحلية» ٢/٢٤٨، وفي «الجنة» (١٣٧) و(١٣٨). وانظر «الإحسان» (٧٣٨٧).

وروت أم سلمة زوج النبيّ ﷺ قالت: يا رسول الله، أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿كأمثالِ اللؤلُؤ المكنونِ﴾ [الواقعة: ٢٣] قال: صفاؤهن كصفاء الدّر في الأصداف إلى أن قال: يقلن:نحنُ الخالدات فلا نموتُ أبداً، ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً، ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً، وهن في دار حق ولا يقلن إلا حقاً، والنبيّ ﷺ صادق لا يقول إلا حقاً» فقد أخبرَ أنهن خالدات لا يمتن أبداً[1].

وروى معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: «لاتؤذي امرأةٌ زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلكِ الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أنْ يفارقكِ إلينا»[2].

فإذا ثبت أنهما لا يفنيان وما فيهما أبداً فلا يخرج الله تعالى من الجنة أحداً، ولا يسلط على أهلها الموت فيها، ولا يزول عنهم نعيمها، فهم في كل يوم في مزيد نعيم أبدَ الآباد.

وتمام نعيمهم أن الله عز وجل يأمر بالموت فيذبح على صورة كبش أملح بين الجنة والنار، وينادي المنادي: يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت، على ماورد به الخبر الصحيح عن النبيّ ﷺ[3].

---

(١) ذكره الهيثمي في «المجمع» ١٠/٤١٧ ـ ٤١٨ بطوله، وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» بنحوه، وفي إسنادهما سليمان بن أبي كريمة، وهو ضعيف.

(٢) ضعيف. أخرجه الترمذي (١١٧٤) من حديث معاذ بن جبل. ومدارُه على إسماعيل ابن عياش، وفيه ضعف.

(٣) أخرجه من حديث أبي هريرة: البخاري (٦٥٤٥)، ومن حديث ابن عمر: البخاري (٦٥٤٤) و(٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠)، ومن حديث أبي سعيد: البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

(فصل)

ويعتقـد أهـل الإسلام قاطبة أن محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم رسول الله وسيد المرسلين وخاتم النبيين عليهم السلام، وأنه مبعوث إلى الناس كافة وإلى الجنّ عامة، كما قال الله عز وجل: ﴿وما أرسلْناكَ إلاّ كافةً للناسِ﴾ [سبأ: ٢٨] ﴿وما أرسلناكَ إلاّ رحمةً للعالمينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وقال النبيّ ﷺ في حديث أبي أمامة رضي الله عنه: «إن الله فضلني على الأنبياء بأربع: أرسلني إلى الناس كافة»[1] وذكر الحديث.

وأنه صلى الله عليه وسلم أعطي من المعجزات ما أعطي غيره من الأنبياء وزيادة، وقدّ عدّها بعض أهل العلم ألف معجزة، منها: القرآن المنظوم على وجه مخصوص مفارق لجميع أوزان كلام العرب ونظمه وترتيبه وبلاغته وفصاحته على وجهٍ جاوز فصاحة كل فصيح وبلاغة كل بليغ، وعجزت العرب أن تأتي بمثله ولا بسورة منه، كما قال الله تعالى: ﴿فأتوا بعشرِ سُوَرٍ مثِله مُفْتَرَياتٍ﴾ [هود: ١٣] فلم يأتوا، ثم قال تعالى: ﴿فَأْتُوا بسورةٍ من مثلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣] فعجزوا عن ذلك مع براعتهم وفصاحتهم على أهل زمانهم وانقطعوا فظهر فضله عليهم، فلذلك صار القرآن معجزة له ﷺ، كالعصا في حق موسى عليه السلام لأن موسى بعث في زمن السحرة الحذاق في صنعتهم، فتلقفت عصا موسى عليه السلام ما سحروا به أعينَ الناسِ وخيلوه إليهم: ﴿فَغُلِبُوا هُنالِكَ وانقلَبوُا صاغِرينَ * وألقي السحرةُ ساجدين﴾ [الأعراف: ١١٩، ١٢٠]، وكإحياء عيسى عليه السلام الموتى، وإبرائه الأكمه والأبرص، لأنه عليه السلام بعث في زمن

---

(١) أخرجه أحمد ٢٥٦/٥ بإسنادٍ فيه ضعف. لكن يشهد له حديث جابر عند البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)، وحديث أبي هريرة عند، مسلم (٥٢٣) وغيرهما.

الناس فيه أطباء حذاق، يوقفون الأعلال والأسقام التي لاتبرأ ببراعتهم في حذق الصنعة، فانقادوا إليه وآمنوا به لمجاوزته في الصنعة عليهم وبراعته في المعجزة فيما تعاطوه منه.

ففصاحة القرآن وإعجازه معجزة للنبيّ ﷺ، كالعصا وإحياء الموتى في حقّ موسى وعيسى عليهما السلام.

ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام نبع الماء من بين أصابعه، وإطعام الزاد القليل للخلق الكثير، وكلام الذراع المسموم. وقوله: لا تأكل مني فإني مسموم، وانشقاق القمر، وحنين الجذع، وكلام البعير، ومجيء الشجرة إليه، وغير ذلك مما يبلغ ألف معجزة على ما ذكروا.

وإنما لم يأت النبيّ ﷺ بمثل عصا موسى ويده البيضاء، وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، ومثل ناقة صالح، والمعجزات التي كانت للأنبياء لأمرين:

أحدهما: لئلا يكذب بها أمته فيهلكوا كما هلكت الأمم قبلهم، كما قال الله تعالى: ﴿وما مَنَعنا أنْ نُرسِلَ بالآياتِ إلا أنْ كذَّبَ بها الأولون﴾ [الإسراء: ٥٩].

والثاني: لو جاء بمثل ما جاء به الأوّلون لقالوا له: ما جئت بغريب وقد تعلمت من موسى وعيسى، فأنت من أتباعهم لا نؤمن لك حتى تأتينا بما لم يأت به الأوّلون؛ ولهذا لم يؤت الله سبحانه نبياً من أنبيائه معجزةَ غيرهِ، بل خصّ كل نبيّ بمعجزة غير معجزة مَنْ كان قبله.

(فصل)

ويعتقد أهل السنة أن أمة نبينا محمد ﷺ خير الأمم أجمعين، وأفضلهم أهل القرن الذين شاهدوه وآمنوا به وصدّقوه وبايعوه وتابعوه وقاتلوا بين يديه وفدوه

بأنفسهم وأموالهم وعزّروه ونصروه، وأفضل أهل القرون أهل الحديبية الذين بايعوه بيعة الرضوان، فهم ألف وأربعمائة رجل، وأفضلهم أهل بدر وهم ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلاً عددَ أصحابِ طالوت، وأفضلهم الأربعون أهل دار الخيزران الذين كملوا بعمر بن الخطاب، وأفضلهم العشرة الذين شهد لهم النبيّ ﷺ بالجنة، وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وعبدالرحمن ابن عوف وسعد وسعيد وأبو عبيدة بن الجراح، وأفضل هؤلاء العشرة الأبرار الخلفاء الراشدون الأربعة الأخيار. وأفضل الأربعة: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ رضي الله تعالى عنهم.

ولهؤلاء الأربعة الخلافة بعد النبيّ ﷺ ثلاثون سنة، ولي منهم أبو بكر رضي الله عنه سنتين وشيئاً، وعمر رضي الله عنه عشراً، وعثمان رضي الله عنه اثنتي عشرة، وعليّ رضي الله عنه ستاً. ثم وليها معاوية تسع عشرة سنة، وكان قبل ذلك ولاه عمر الإمارة على أهل الشام عشرين سنة.

وخلافة الأئمة الأربعة كانت باختيار الصحابة، واتفاقهم ورضاهم، ولفضل كل واحد منهم في عصره وزمانه على مَنْ سواه من الصحابة ولم تكن بالسيف والقهر والغلبة والأخذ ممن هو أفضل منه.

[خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه]

وأما خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فباتفاق المهاجرين والأنصار كانت، وذلك أنه لما توفي رسول الله ﷺ قامت خطباء الأنصار فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن النبيّ ﷺ أمر أبا بكر أن يؤمّ الناس؟ فقالوا بلى، قال: فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر؟ قالوا: معاذ الله أن نتقدم أبا بكر[1].

---

(١) أخرجه أحمد ٢١/١. وإسناده صحيح.

وفي لفظ آخر: قال عمر رضي الله تعالى عنه: فأيكم تطيبُ نفسه أن يزيله عن مقامٍ أقامه فيه رسول الله ﷺ؟ فقالوا كلهم: كلنا لا تطيب أنفسنا، نستغفر الله، فاتفقوا مع المهاجرين فبايعوه بأجمعهم وفيهم عليّ والزبير.

ولهذا قيل في النقل الصحيح: لما بويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه قام ثلاثاً يقبل على الناس يقول: يا أيها الناس أَقْلتُكم بيعتي هل من كارهٍ؟ فيقوم علي رضي الله عنه في أوائل الناس فيقول: لا نقيلك ولا نستقيلك أبداً، قدّمك رسولُ الله ﷺ فمن يؤخرك[1]؟

وبلغنا عن الثقات أن علياً رضي الله عنه كان أشدّ الصحابة قولاً في إمامة أبي بكر رضي الله عنه.

وروي أن عبدالله بن الكوّاء دخل على عليّ بعد قتال الجمل وسأله: هل عهد إليك رسولُ الله ﷺ في هذا الأمر شيئاً؟ فقال: نظرنا في أمرنا فإذا الصلاةُ عضدُ الإسلام فرضينا لدنيانا بما رضي الله ورسوله لديننا، فولينا الأمر أبا بكر،[2] وذلك أن النبيّ ﷺ استخلف أبا بكر الصديق رضي الله عنه في إقامة الصلاة المفروضة أيام مرضه، فكان يأتيه بلال وقت كل صلاة فيؤذنه بالصلاة، فيقول عليه الصلاة والسلام: مروا أبا بكرٍ فليصلّ بالناس[3].

وكان النبيّ ﷺ يتكلم في شأن أبي بكر رضي الله عنه في حال حياته بما يتبين للصحابة أنه أحقّ الناس بالخلافة بعده.

وكذلك في حق عمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم أن كل واحد منهم أحقّ بالأمر في عصره وزمانه. من ذلك ما روي عن ابن بطة بإسناده عن علي

---

(١) ذكره الهيثمي في «المجمع» ٥/١٨٣ ـ ١٨٤ لكن ليس فيه ذكر علي. وقال: رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه عيسى بن سليمان، وهو ضعيف، وليس ابن عطية (الذي يرويه) لا أعرفه.

(٢) قريب منه ما أخرجه الحاكم ٣/٦٣ بإسنادٍ ضعيف.

(٣) أخرجه البخاري (٧١٦)، ومسلم (٤١٨) من حديث عائشة.

رضي الله عنه أنه قال: «قيل يا رسول الله من نؤمر بعدك؟ قال ﷺ: إن تؤمروا أبا بكر تجدوه أميناً زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة، وإن تؤمروا عمر تجدوه قوياً أميناً لايخاف في الله لومة لائم، وإن تؤمروا عثمان تجدوه قائماً بالدليل والبرهان وإن تولوا علياً تجدوه هادياً مهدياً»[1]، فلذلك أجمعوا على خلافة أبي بكر.

وقد روي عن إمامنا أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله رواية أخرى: أن خلافة أبي بكر رضي الله عنه ثبتت بالنصّ الخفي والإشارة، وهذا مذهب الحسن البصري وجماعة من أصحاب الحديث رحمهم الله.

وجه هذه الرواية ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: «لما عرج بي إلى السماء سألت ربي عزّ وجل أن يجعل الخليفة من بعدي عليّ بن أبي طالب، فقالت الملائكة: يا محمد إن الله يفعل ما يشاء، الخليفة من بعدك أبو بكر»[2].

وقال عليه الصلاة والسلام في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «الذي بعدي أبو بكر لا يلبث بعدي إلا قليلا»[3].

وعن مجاهد رحمه الله قال: قال لي عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: ما خرج النبيُّ ﷺ من دار الدنيا حتى عهد إليَّ أن أبا بكر يلي من بعدي، ثم عمر من بعده، ثم عثمان من بعده ثم عليّ من بعده.

---

(١) أخرجه أحمد ١٠٩/١، وابن الجوزي في «العلل» وفيه ضعف.

(٢) حديث موضوع. ذكره ابن الجوزي في «موضوعاته» ٣١٦/١. وانظر «تنزيه الشريعة» ٣٤٥/١.

(٣) ذكره الهيثمي في «المجمع» ١٧٨/٥ من حديث عبدالله بن عمرو. وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير»، وفيه مطلب بن شعيب. قال ابن عدي: لم أر له حديثاً منكراً غير حديث واحد غير هذا، وبقية رجاله وثقوا.

[خلافة عمر رضي الله عنه]

وأما خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فإنها كانت باستخلاف أبي بكر له رضي الله عنه، فانقادت الصحابة إلى بيعته وسموه أمير المؤمنين، فقال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: قالوا لأبي بكر رضي الله عنه: ما تقولُ لربك غداً إذا لقيته وقد استخلفتَ علينا عمر وقد عرفتَ فظاظته؟ فقال: أقول: استخلفتُ عليهم خير أهلك.

[خلافة عثمان رضي الله عنه]

وأما خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، فكانت أيضاً عن اتفاق الصحابة رضي الله عنهم، وذلك أن عمر رضي الله عنه أخرج أولاده عن الخلافة، وجعلها شورى بين ستة نفر، وهم طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعثمان وعلي وعبدالرحمن بن عوف، فقال عبدالرحمن لعليّ وعثمان: أنا أختار أحدكما لله ورسوله وللمؤمنين، فأخذ بيد عليّ رضي الله عنه فقال: يا عليّ عليك عهدُ الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله إن أنا بايعتك لتنصحن لله ولرسوله وللمؤمنين، ولتسيرنّ بسيرة رسول الله وأبي بكر وعمر، فخاف عليّ أن لا يقوى على ما قَوُوا عليه فلم يجبه، ثم أخذ بيد عثمان فقال له مثل ما قال لعليّ، فأجابه عثمان على ذلك، فمسح يد عثمان فبايعه، وبايع عليّ رضي الله عنه معه، ثم بايع الناس أجمع، فصار عثمان بن عفان خليفة من بين الستة باتفاق الكلّ، فكان إماماً حقاً إلى أن مات، ولم يوجد فيه أمر يوجب الطعنَ فيه ولا فسقه ولا قتله، خلافَ ما قالت الروافضُ تباً لهم.

[خلافة علي رضي الله عنه]

وأما خلافة عليّ رضي الله عنه، فكانت عن اتفاق الجماعة وإجماع الصحابة، لما روي عن عبدالله بن بطة عن محمد بن الحنفية قال: كنت مع عليّ بن

أبي طالب وعثمان بن عفان محصوراً، فأتاه رجلٌ فقال: إن أمير المؤمنين مقتول الساعة. قال فقام عليّ رضي الله عنه، فأخذتُ بوسطه تخوّفاً عليه، فقال: خلِّ لا أمَّ لكَ؛ قال: فأتى عليٌّ الدارَ وقد قتل عثمان رضي الله عنه، فأتى داره فدخلها وأغلق بابه، فأتاه الناس فضربوا عليه الباب، فدخلوا عليه فقالوا: إن عثمان قد قتل ولابد للناس من خليفة، ولا نعلم أحداً أحق بها منك، فقال لهم عليّ: لا تريدوني فإني لكم وزيرٌ خيرٌ من أمير، قالوا: والله لا نعلم أحداً أحق بها منك، قال رضي الله عنه: فإن أبيتم عليّ فإن بيعتي لا تكون سرّاً، ولكن أخرج إلى المسجد، فمن شاء أن يبايعني بايعني، قال: فخرج رضي الله عنه إلى المسجد، فبايعه الناس، فكان إماماً حقاً إلى أن قتل رضي الله عنه، خلافَ ما قالت الخوارج إنه لم يكن إماماً قط، تباً لهم إلى آخر الدهر.

وأما قتاله رضي الله عنه لطلحة والزبير وعائشة ومعاوية رضي الله عنهم فقد نص الإمام أحمد رحمه الله على الإمساك عن ذلك، وجميع ما شجر بينهم من منازعة ومنافرة وخصومة، لأن الله تعالى يزيل ذلك من بينهم يوم القيامة، كما قال عزّ وجل: ﴿ونَزَعْنا ما في صُدُورهم من غِلٍّ إخواناً على سُرُرٍ متقابلين﴾ [الحجر: ٤٧]، ولأن علياً رضي الله عنه كان على الحق في قتالهم، لأنه كان يعتقد صحة إمامته على ما بَيَّنا من اتفاق أهل الحلّ والعقد من الصحابة على إمامته وخلافته، فمن خرج عن ذلك بَعْدُ وناصبه حرباً كان باغياً خارجاً على الإمام فجاز قتاله، ومن قاتله من معاوية وطلحة والزبير طلبوا ثأر عثمان بن عفان خليفة الحقّ المقتول ظلماً، والذين قتلوه كانوا في عسكر عليّ رضي الله عنه؛ فكلٌّ ذهب إلى تأويل صحيح، فأحسنُ أحوالنا الإمساك في ذلك، وردّهم إلى الله عزّ وجل وهو أحكم الحاكمين وخير الفاصلين، والاشتغال بعيوب أنفسنا وتطهير قلوبنا من أمهات الذنوب وظواهرها من موبقات الأمور.

[خلافة معاوية رضي الله عنه]

وأما خلافة معاوية بن أبي سفيان، فثابتة صحيحة بعد موت عليّ رضي الله عنه، وبعد خلع الحسن بن عليّ رضي الله عنهما نفسه من الخلافة وتسليمها إلى معاوية لرأيٍ رآه الحسن ومصلحة عامة تحققت له، وهي حقنُ دماء المسلمين وتحقيق قول النبيّ ﷺ في الحسن رضي الله عنه: «أن ابني هذا سيد يصلح الله تعالى به بين فئتين عظيمتين»[1].

فوجبت إمامته بعقد الحسن له، فسمي عامُهُ عامَ الجماعة، لارتفاع الخلاف بين الجميع واتباع الكلّ لمعاوية رضي الله عنه، لأنه لم يكن هناك منازع ثالث في الخلافة.

وخلافته مذكورة في قول النبي ﷺ، وهو ما روي عن النبيّ ﷺ أنه قال: «تدور رحى الإسلام خمساً وثلاثين سنة أو ستاً وثلاثين أو سبعاً وثلاثين»[2] والمراد بالرحى في هذا الحديث القوّة في الدين، والخمس السنين الفاضلة من الثلاثين، فهي من جملة خلافة معاوية إلى تمام تسع عشرة سنة وشهور، لأن

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٤) من حديث أبي بكرة.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٥٤)، وأحمد ١/٣٩٣، والطحاوي في «المشكل» ١/٢٣٥ و٢٣٦، والحاكم ٤/٥٢١، والبغوي (٤٢٢٥) من طريق ربعي بن حراش، عن البراء ابن ناجية، عن ابن مسعود. والبراء هذا لا يعرف له سماع من ابن مسعود كما قال البخاري. وقال الذهبي في الميزان: فيه جهالة لا يُعرف.

وأخرجه أحمد ١/٣٩٠ و٤٥١، وأبو يعلى (٥٠٠٩) و(٥٢٩٨)، والطحاوي في «المشكل» ٢/٢٣٥ ـ ٢٣٦، وابن حبان (٦٦٦٤) من طريق يزيد بن هارون، عن العوام بن حوشب، عن سليمان بن أبي سليمان، عن القاسم بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن عبدالله بن مسعود مرفوعاً. وأخشى أن لا يكون عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود سمع هذا الحديث من أبيه.

وأخرجه الطحاوي ١/٢٣٦، والطبراني (١٠٣١١) بإسنادٍ آخر ظاهر الضعف.

الثلاثين كملت بعليّ رضي الله عنه كما بينا.

ونحسن الظنّ بنساء النبيّ ﷺ أجمعين، ونعتقد أنهنّ أمهات المؤمنين، وأن عائشة رضي الله عنها أفضل نساء العالمين، وبرأها الله تعالى من قول الملحدين فيها بما يقرأ ويتلى إلى يوم الدين، وكذلك فاطمة بنت نبينا محمد ﷺ ورضي الله تعالى عنها وعن بعلها وأولادها أفضل نساء العالمين، ويجب موالاتها ومحبتها كما يجب ذلك في حقّ أبيها ﷺ، قال النبيّ ﷺ «فاطمة بضعة مني، يريبني مايريبها»[1].

فهؤلاء أهل القرآن، وهم الذين ذكرهم الله في كتابه وأثنى عليهم، فهم المهاجرون الأولون والأنصار الذين صلوا إلى القبلتين، قال الله تعالى فيهم: ﴿لايستَوِي منكم مَنْ أنفَقَ من قبلِ الفتحِ وقاتَلَ، أولئك أعظمُ درجةً من الذين أنفَقُوا من بعدُ وقاتلوا، وكلاً وعَدَ اللهُ الحسنى﴾ [الحديد: ١٠] وقال جلّ وعلا: ﴿وعدَ اللهُ الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحاتِ ليستخلفَنَّهُمْ في الأرضِ كما استخلفَ الذين من قبلهم، وليمكننَّ لهم دينَهمُ الذي ارتضى لهم، وليبدلنَّهم من بعدِ خوفِهم أمناً﴾ [النور: ٥٥] وقال تعالى: ﴿والذينَ معه أشدّاءُ على الكفارِ رحماءُ بينهمّ تراهم ركّعاً سُجّداً - إلى قوله - يعجبُ الزرّاعَ ليغيظَ بهمُ الكفارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

روى جعفر بن محمد عن أبيه في قوله عزّ وجل: ﴿محمد رسول الله والذين آمنوا معه﴾ في العسر واليسر في الغار والعريش أبو بكر: ﴿أشداء على الكفار﴾ عمر بن الخطاب ﴿رحماء بينهم﴾ عثمان بن عفان ﴿تراهم ركعاً سجدا﴾ عليّ بن أبي طالب ﴿يبتغون فضلاً من الله ورضواناً﴾ طلحة والزبير حواريا رسول الله ﷺ ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ سعد وسعيد وعبدالرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح هؤلاء العشرة: ﴿ذلك مَثَلُهم في

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٣٠)، ومسلم (٢٤٤٩) من حديث المسور بن مخرمة.

التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرعٍ أخرج شطأه﴾ يعني محمداً ﷺ: ﴿فآزره﴾ بأبي بكر ﴿فاستغلظ﴾ بعمر ﴿فاستوى على سوقه﴾ بعثمان ﴿يعجب الزرّاع﴾ بعليّ بن أبي طالب ﴿ليغيظ بهم﴾ بالنبيّ ﷺ وأصحابه ﴿الكفار﴾.

واتفق أهل السنة على وجوب الكفِّ عما شجر بينهم، والإمساك عن مساويهم، وإظهار فضائلهم ومحاسنهم، وتسليم أمرهم إلى الله عزّ وجل على ما كان وجرى من اختلاف عليّ وطلحة والزبير وعائشة ومعاوية رضي الله عنهم على ما قدمنا بيانه، وإعطائه كل ذي فضل فضله، كما قال الله عزّ وجل: ﴿والّذين جاءُوا من بعدِهم يقولون ربنا اغفرْ لنا ولإخواننا الذينَ سَبَقُونا بالإيمانِ، ولا تجعلْ في قلوبنا غِلاً للذينَ آمنوا، ربنا إنكَ رؤوفٌ رحيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] وقال تعالى: ﴿تلك أمةٌ قد خَلَتْ لها ما كَسَبَتْ ولكم ما كسبْتُم.ولا تُسألونَ عما كانُوا يعمَلون﴾ [البقرة: ١٣٤] وقال ﷺ: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»[١]. وفي لفظ: «وإياكم وما شجر بين أصحابي، فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه»[٢]. وقال ﷺ: «طوبى لمن رآني، ومن رأى من رآني»[٣].

---

(١) حديث ضعيف. أخرجه ابن عدي في «الكامل» ٢٤٩٠/٧، واللالكائي (٢١٠)، بإسنادٍ ضعيف جداً وفيه أيضاً انقطاع، من حديث ابن مسعود.

وله طريق أخرى منكرة عند أبي نعيم في «الحلية» ١٠٨/٤. وفي الباب أحاديث ولا تصلح للتقوية. ذكرها الألباني في صحيحته (٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ: «لاتسبوا أصحابي....».

(٣) حديث ضعيف. أخرجه الحاكم ٨٦/٣ من طريق جميع بن ثوب، عن عبدالله بن بُسر. وذكره الذهبي في «الميزان» ٤٢٢/١ من طريق جُميع بن ثُوب، عن خالد بن معدان، عن أبي أمامة. وجُميع منكر الحديث متروك. وقال ابن عدي: رواياتُه تدل على أنه ضعيف. قلت: وتوبع بإسنادٍ ضعيف عن عبدالله بن بُسر.

وفي الباب أحاديث واهية جداً. منها حديث أبي سعيد الخدري عند عبد بن حُميد في «المنتخب» (١٠٠٠). وحديث واثلة بن الأسقع عند ابن عدي ٢٣٢٧/٦. =

وقال ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فمن سبهم فعليه لعنة الله»[1] وقال ﷺ في رواية أنس رضي الله عنـه: «إن الله عزّ وجلّ اختارني واختار لي أصحابي، فجعلهم أنصـاري وجعلهم أصهـاري؛ وأنـه سيجيء في آخـر الـزمـان قوم ينقصونهم، ألا فلا تواكلوهم، ألا فلا تشاربوهم، ألا فلا تناكحوهم، ألا فلا تصلوا معهم، ألا فلا تصلوا عليهم، عليهم حلت اللعنة»[2].

وروى جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار أحـد ممن بايع تحت الشجرة»[3]. وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اطلع الله على أهل بدر فقال: يا أهل بدر اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[4].

= وحديث أنس عند ابن عدي ٩٧٧/٣، والخطيب في «تاريخه».

(١) حديث ضعيف.

وأخرجه الطبراني (١٢٧٠٩) من حديث ابن عباس بإسنادٍ ضعيف جداً. وله طريق أخرى ضعيفة عند ابن عدي ١٠٩٣/٣.

وأخرجه ابن عدي ١٨٥٥/٥، والخطيب في «تاريخه» ٢٤١/١٤ من طريق علي ابن يزيد الصدائي، عن أبي شيبة الجوهري، عن أنس. وعلي ضعيف جداً. وأبو شيبة: هو يوسف بن إبراهيم الجوهري، منكر الحديث جداً.

وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٠٠) والحاكم ٦٣٢/٣ من طريق محمد ابن طلحة بن عبدالرحمن، عن عبدالرحمن بن سالم بن عتبة، عن أبيه، عن جده. ولا يصـحُّ هذا الإسنـاد. قال البخـاري في عبدالرحمن: لم يصحّ حديثه. وانظر «المجمع» ١٧/١٠.

وفي الباب حديث عطاء بن أبي رباح مرسلاً. أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٠١)، وأبو نعيم في «الحلية» ١٠٣/٧.

(٢) أخرجه العقيلي ١٢٦/١ بإسنادٍ ضعيف جداً.

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٩٦) من حديث أم مبشر بلفظ: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحدٌ الذين بايعوا تحتها». وبلفظ المصنف من حديث جابر عند الترمذي (٣٨٦٠)، وأبي داود (٤٦٥٣).

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)...، ومسلم (٢٣٩٤) من حديث علي بلفظ: «لعلَّ الله =

وروى ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «إنما أصحابي مثل النجوم، فأيهم أخذتم بقوله اهتديتم»[1].

وعن ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: إن النبيّ ﷺ قال: «من مات من أصحابي بأرض جُعِلَ شفيعاً لأهل تلك الأرض»[2].

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: من نطق في أصحاب رسول الله ﷺ بكلمة فهو صاحب هوى.

وأهل السنة أجمعوا على السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأتباعهم، والصلاة خلف كلّ برّ منهم وفاجر، والعادل منهم والجائر، ومن ولوه ونصبوه واستنابوه، وأن لا ينزلوا أحداً من أهل القبلة بجنة ولا نار، مطيعاً كان أو عاصياً، رشيداً كان أو غاوياً أو عاتياً، إلا أن يطلع منه على بدعة وضلالة.

وأجمعوا على تسليم المعجزات للأنبياء، والكرامات للأولياء، وأن الغلاء والرخص من قبل الله، لا من أحد من خلقه من السلاطين والملوك، ولا من الكواكب كما زعمت القدرية والمنجمون، لما روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الغلاء والرخص جندان من جنود الله، اسم

= اطَّلَعَ على أهلِ بدر، فقال: اعملوا ماشئتمُ فقد غفرتُ لكم».

(١) حديث ضعيف جداً. وفيه أحاديث: حديث ابن عمر، وجابر بن عبدالله، وعمر، وأنس، وأبي هريرة، وابن عباس، ونبيط بن شريط. فصَّلتُ فيها القول في تحقيقي لمفتاح دار السعادة لابن القيم ٥٦/١، فليُنظر. وانظر أيضاً «تلخيص الحبير» ١٩٠/٤ - ١٩١، وسلسلة الأحاديث الضعيفة» (٥٨) - (٦٢) و(٤٣٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٦٥) من طريق عبدالله بن مسلم أبي طيبة، عن عبدالله بن بريدة، عن أبيه مرفوعاً: «ما من أحدٍ من أصحابي يموتُ بأرض إلا بُعثَ قائداً ونوراً لهم يوم القيامة». وهذا إسنادٌ ضعيف من أجل عبدالله بن مسلم. وقال الترمذي: رُوي عن عبدالله بن مسلم، عن أبي بريدة، عن النبي ﷺ، مرسلٌ. وهو أصحُّ.

ولفظ المصنف ذكره السيوطي في «الجامع الكبير» كما في «الكنز» (٣٢٥١٥) ونسبه إلى أبي نعيم في «المعرفة»، وابن عساكر. وفيه يحيى بن عباد، ضعيف.

أحدهما الرغبة، والآخر الرهبة، فإذا أراد الله أن يغليه قذف الرغبة في قلوب التجار فحبسوه، وإذا أراد أن يرخص قذف الرهبة في صدور التجار فأخرجوه من أيديهم»[1].

والأولى للعاقل المؤمن الكيِّس أن يتبع ولا يبتدع، ولا يغالي ويعمق ويتكلف، لئلا يضلّ ويزل فيهلك.

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم.

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: إياك ومغمضات الأمور، وأن تقول للشيء ما هذا؛ فقال مجاهد رحمه الله حين بلغه هذا من معاذ: قد كنا نقول للشيء ما هذا؟ فأما الآن فلا.

فعلى المؤمن اتباع السنة والجماعة، فالسنة ما سنَّه رسول الله ﷺ، والجماعة ما اتفق عليه أصحاب رسول الله ﷺ في خلافة الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين المهديين رحمة الله عليهم أجمعين.

وأن لا يكاثر أهل البدع ولا يدانيهم. ولا يسلم عليهم، لأن إمامنا أحمد ابن حنبل رحمه الله قال: مَنْ سلَّمَ على صاحبِ بدعة فقد أحبه، بقول النبيّ ﷺ: «أفشوا السلام بينكم تحابوا»[2].

ولا يجالسهم ولا يقرب منهم ولا يهنيهم في الأعياد وأوقات السرور، ولا يصلي عليهم إذا ماتوا، ولا يترحم عليهم إذا ذكروا، بل يباينهم ويعاديهم في الله عزّ وجل، معتقداً ومحتسبا بذلك الثواب الجزيل والأجر الكثير.

وروي عن النبيّ ﷺ أنه قال: «من نظر إلى صاحب بدعة بُغضاً له في الله ملأ الله قلبه أمنا وإيماناً، ومن انتهر صاحب بدعة بغضا له في الله أمنه

---

(١) حديث موضوع. ذكره ابن الجوزي في «موضوعاته» ٢/ ٢٤٠.

(٢) أخرجه بنحوه مسلم (٥٤) من حديث أبي هريرة.

الله يوم القيامـة، ومن استحقـر بصاحب بدعة رفعه الله تعالى في الجنة مئة درجة، ومن لقيه بالبشر أو بما يسره فقد استخفّ بما أنزل الله تعالى على محمد ﷺ»[1].

وعن أبي المغيرة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أبى الله عزّ وجلّ أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته»[2].

وقال فضيل بن عياض: من أحبّ صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإيمان من قلبه، وإذا علم الله عزّ وجلّ من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوتُ الله تعالى أن يغفر ذنوبه وإن قلَّ عمله، وإذا رأيتَ مبتدعاً في طريق فخذ طريقاً آخر.

وقال فضيل بن عياض رحمه الله: سمعت سفيان بن عيينة رحمه الله يقول: من تبع جنازة مبتدع لم يزل في سخط الله تعالى حتى يرجع.

وقد لعن النبيّ ﷺ المبتدع، فقال ﷺ: «من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»[3] يعني بالصرف: الفريضة، وبالعدل: النافلة.

وعن أبي أيوب السجستاني رحمه الله أنه قال: إذا حدثتَ الرجلَ بالسنة فقال: دعنا من هذا وحدثنا بما في القرآن، فاعلم أنه ضالّ.

---

(١) حديث موضوع. ذكره ابن الجوزي في «موضوعاته» ١/ ٢٧٠ من حديث ابن عمر.

(٢) أخرجه ابن ماجة (٥٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٩) من حديث ابن عباس بإسنادٍ ضعيف جداً.

(٣) رُوي في أحاديث. وهو عند البخاري (١٨٧٠)، ومسلم (١٣٧٠) من حديث علي. وفي الباب حديث أنس عند البخاري (٧٣٠٦) ومسلم.

(فصل)

واعلم أن لأهل البدع علامات يعرفون بها، فعلامة أهل البدعة الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر بالحشوية، ويريدون إبطال الآثار.

وعلامة القدرية تسميتهم أهل الأثر مجبرة.

وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة.

وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر ناصبة، وكل ذلك عصبية وغياظ لأهل السنة، ولا اسم لهم الا اسم واحد وهو: أصحاب الحديث.

ولا يلتصق بهم ما لقَّبهم به أهلُ البدع، كما لم يلتصق بالنبيّ ﷺ تسمية كفار مكة له ساحراً وشاعراً ومجنوناً ومفتوناً وكاهناً، ولم يكن اسمه عند الله وعند ملائكته وعند إنسه وجنه وسائر خلقه إلا رسولاً نبياً برياً من العاهات كلها قال الله تعالى: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال فَضَلُّوا فلا يستطيعون سبيلا﴾ [الإسراء: ٤٨].

هذا آخر ما ألفنا في باب معرفة الصانع والاعتقاد على مذهب أهل السنة والجماعة على الاختصار والقدرة، ثم نردف هذه الجملة بفصلين آخرين، لايسع العاقل المؤمن **جهلهما** إذا أراد سلوك الحجة، أحد الفصلين فيما لا يجوز إطلاقه على الباري عز وجل من الصفات وأخلاق العباد والنقائض، وما يجوز من ذلك، والفصل الثاني: في بيان مقالة الفِرق الضالة عن طريق الهدى الداحضة الحجة في يوم الدين والمحاسبة.

(أما الفصل الأول)

فيما لا يجوز إطلاقه على الباري عزّ وجل من الصفات ويستحيل إضافته إليه من الأخلاق وما يجوز من ذلك.

لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بالجهل والشك والظن وغلبة الظنّ والسهو والنسيان والسِّنةِ والنوم والغلبة والغفلة والعجز والموت والخرس والصمم والعمى والشهوة والنفور والميل والحرد والغيظ والحزن والتأسف والكمد والحسرة والتلهف والألم واللذة والنفع والمضرة والتمني والعزم والكذب. ولا يجوز أن يسمى إيماناً خلاف ما قالت السالمية.

وتعلقهم بقوله عزّ وجل: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة: ٥] محمول على أنه من يكفر بوجوب الإيمان، كان كمن كفر بالرسول، وما جاء به ﷺ من الله عزّ وجلّ من الأوامر والنواهي.

ولا يجوز أن يوصف عزّ وجل بأنه مطيع ولا محبل لنساء العالم، ولا يجوز عليه الحدود ولا النهاية، ولا القَبْلُ ولا البعد، ولا تحت ولا قدام، ولا خلف ولا كيف، لأن جميع ذلك ما ورد به الشرع إلا ما ذكرناه من أنه على العرش استوى، على ماورد به القرآن والأخبار، بل هو عزّ وجلّ خالق لجميع الجهات، ولا يجوز عليه الكمية.

واختلف في جواز إطلاق تسميته بالشخص؛ فمن جوّز ذلك فلقول النبيّ ﷺ في حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: «لا شخص أغير من الله، ولا شخص أحبّ إليه المعاذير من الله»(١) ومن منع ذلك فلأن لفظ الخبر ليس بصريح في الشخص لاحتماله أن يكون معناه: لا أحد أغير من الله.

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٩٩) من حديث المغيرة بن شعبة.

وقد ورد في بعض ألفاظ: «لا أحد أغير من الله»[1].

ولا يجوز أن يسمى فاضلاً وعتيقاً وفقيهاً ولا فهيماً ولا فطناً ولا محققاً وعاقلاً وموقراً ولا طيباً، وقيل يجوز.

ولا عادياً، لأن ذلك منسوب إلى زمن عاد وهو مُحْدَث ولا مطيقاً، لأنه خالق كل طاقة وهي متناهية؛ ولا محفوظاً لأنه هو الحافظ؛ ولا يجوز وصفه بالمباشرة.

ولا يجـوز وصفه بأنه مكتسب، لأن ذلك محدَث بقدرة محدثة، والله تعالى منزّه عن ذلك.

ولا يجوز عليه العدم وهو قديم لا بقدم، ولا أوّل لوجوده، خلاف ما قال ابن كلاب من أنه قديم بقدم، وهو باق لا ببقاء، وهو عزّ وجل عالم بمعلومات غير متناهية، قادر بمقدورات غير متناهية، خلاف ما أذاعت المعتزلة من أن كلّ ذلك متناه.

وأما الصفات التي يجوز وصفه عزّ وجلّ بها: فالفرح والضحك والغضب والسخط والرضا، وقد قدّمنا ذلك في أوّل الباب.

ويجوز وصفه عز وجل بأنه موجود لقوله: ﴿وَوَجَدَ الله عندَه﴾ [النور: ٣٩] ويجـوز وصفـه بأنه شيء لقوله تعالى: ﴿قل أيُّ شيء أكبرُ شهادةً قل اللهُ﴾ [الأنعام: ١٩] ويجوز أن يوصف بأنه نفس وذات وعين من غير تشبيه بجارحة الإنسان على ما تقدم بيانه.

ويجوز وصفه بأنه كائن من غير حدّ لقوله تعالى: ﴿وكانَ اللهُ بكلِّ شيءٍ عليماً﴾ [الأحزاب: ٤٠] [الفتح: ٢٦] ﴿وكانَ اللهُ على كلِّ شيءٍ رقيباً﴾ [الأحزاب: ٥٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٣٤)، ومسلم (٢٧٦٠) من حديث ابن مسعود.

ويجـوز وصفـه بأنه قديـم وباق، وبأنه مستطيع، لأن معنى الاستطاعة القدرة، وهو موصوف بالقدرة. ويجوز وصفه بأنه عارف ومتين وواثق ودريٌّ ودارٍ، لأن جميع ذلك راجع إلى معنى العالم، ولم يرد الشرع بمنع ذلك ولا اللغة، بل قال الشاعر:

اللهم لا أدري وأنت الداري

ويجوز وصفه بأنه راءٍ ويرجع إلى معنى العالم؛ ويجوز وصفه بأنه مُطَّلع على خلقه وعباده بمعنى عالم بهم، وكذلك واحد بمعنى عالم؛ ويجوز وصفه بأنه جميل ومجمل، يعني في الصَنع إلى خلقه؛ ويجوز وصفه بأنه ديّان، على معنى أنه مجازٍ لعباده على أفعالهم.

الدين: الحساب: «كما تدين تدان»[1]. ﴿مالك يوم الدين﴾: أي يوم الحساب، وعلى معنى الشارع لعبادهِ عبادةً وشريعة دعاهم إليها، وفرض ذلك عليهم، ثم هو يجازيهم على ما فعلوه فيها.

ويجوز وصفه بأنه مقدّر على معنى التقدير: ﴿إنَّا كل شيءٍ خلقناهُ بقدَر﴾ [القمر: ٤٩] ﴿والَّذي قدَّرَ فهدَى﴾ [الأعلى: ٣] وعلى معنى الخبر قال: ﴿إلا امرأَتهُ قَدَّرنا إنها لَمِنَ الغَابرين﴾ [الحجر: ٦٠] أي أخبرنا لوطاً عليه السلام أن امرأته من الباقين في العذاب من دون أهله؛ ولا يجوز أن يكون معناه الظنّ والشكّ، تعالى الله عن ذلك.

ويجوز وصفه بأنه ناظرٌ على معنى أنه راءٍ مدرك للأشياء، لا على معنى أنه متروٍ مفكر، تعالى عن ذلك.

ويجوز وصفه أنه شفيق على معنى الرحمة بخلقه والرأفة بهم لا على

---

(١) ضعيف لا يصحُّ فيه حديث. انظر «المقاصد الحسنة» ص ٣٢٥ - ٣٢٦. ورُوي أيضاً في حديث أنس بإسنادٍ ضعيف جداً، عند ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٩٦).

معنى الخـوف والحـزن، وكـذلـك يجوز وصفه بأنه رفيق على معنى الرحمة والتعـطف بخلقـه، لا على معنى التَّثَبُّت في الأمور والإجمال في إصلاحها والسلامة من عواقبها.

ويجوز وصفه بأنه سخي كما يجوز وصفه بأنه كريم وجواد لأن معنى الكل التفضل والإحسان إلى خلقه، ولا يقصد بذلك الرخاوة واللين على ماهو في اللغة مستعمل في أرضٍ سخية وقرطاس سخيّ إذا كانا لينين.

ويجوز وصفه بأنه آمرٌ وناهٍ ومبيح وحاظر، ومحلل ومحرم وفارض وملهم، وموجب ونادب، ومرشد وقاض، وحاكم على ما ذكرناه.

وكذلك يجوز وصفه بأنه واعد ومتوعد، ومخوف ومحذر، وذامّ ومادح، ومخاطب ومتكلم، وقائل كل ذلك راجع إلى معنى أنه موصوف بالكلام.

ويجوز وصفه بأنه مُعْدَم على معنى أنه لم يوجد ولم يفعل، وعلى معنى أنه مُعْدِم لما أوجده بعد إيجاده بقطع البقاء عنه، فينعدم بذلك.

ويجوز وصفه بأنه فاعل بمعنى أنه مخترعٌ لذاتِ ما فعله، وخالق له، وجاعل بقدرته، فاستحقّ لذلك هذا الوصف، لا على معنى المباشرة للأشياء لأن حقيقـة ذلـك تلاقي الأجسام ومماستها، والله سبحانه متعالٍ عن ذلك؛ وكـذلـك يجـوز وصفه بأنه جاعل على معنى أنه فاعل وفعله مفعول، كقوله تعالى: ﴿وجَعَلنا اللَّيلَ والنهارَ آيتين﴾ [الاسراء: ١٢]؛ ويجوز أن يكون الجعل بمعنى الحكم، قال عزّ وجل: ﴿إنا جعلناهُ قرآناً عربياً﴾ [الزخرف: ٣].

ويجوز وصفه بأنه تارك في الحقيقة كما وصف بأنه فاعل، على معنى أنه فاعل ضدّ فعله الآخر بدلاً من الأول بقدرته العامة الشاملة، لا على معنى كفّ النفس ومنعها عما يدعو إلى فعله.

ويجوز وصفه بأنه يُوجدُ على معنى أنه يخلق؟ وكذلك يجوز وصفه بأنه مُكَوِّنٌ على معنى أنه موجد.

ويجوز وصفه بأنه مُثْبِتٌ على معنى أنه يوجد في الشيء البقاء والثبات، كما قال عزّ وجل: ﴿يثبِّتُ اللهُ الذينَ آمنوا بالقولِ الثابتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] وقوله تعالى: ﴿يمحو اللهُ ما يشاءُ ويثبِتُ وعندَه أمُّ الكتابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

ويجوز وصفه بأنه عامل وصانع بمعنى خالق؛ ويجوز وصفه بأنه مصيب؛ على معنى أن أفعاله واقعة على ما قصده وأراده من غير تفاوت وتزايد وتناقص، لأنه تعالى عالم بها وبحقائقها وكيفياتها، لا على معنى أن ذلك موافق لأمرِ آمرٍ أمره بفعلها، تعالى عن ذلك.

ويجوز إطلاق هذه الصفة على عبدٍ من عبيده، فيقال له: إنه مصيب، بمعنى أنه مطيع لربه، مُتَّبعٌ لأمره، مُنْتَهٍ لنهيه؛ وكذلك إذا كان مطيعاً لمن هو فوقه ورئيسه.

ويجوز وصف أفعاله عز وجل بأنها صواب على معنى أنها حق وثابت.

ويجوز وصفه بأنه مثيب ومنعم، على معنى أنه يجعل المثاب منعماً معظماً؛ وكذلك يجوز وصفه بأنه معاقب ومجازٍ، على معنى أنه يهين العاصي ويؤلمه على معصيته.

ويجوز وصفه بأنه قديم الإحسان على معنى أنه موصوف بالخلق والرزق في القدم، قال عزّ وجل: ﴿إن الَّذينَ سَبَقَتْ لهم منَّا الحُسنىٰ﴾ [الأنبياء: ١٠١] ويجوز وصفه بأنه دليل، وقد نصّ الإمام أحمد عليه في حقّ رجل قال له: زوّدني دعوة فإني أريد الخروج إلى طرطوس، فقال له: قل يا دليلَ الحائرين، دلني على طريق الصادقين، واجعلني من عبادك الصالحين.

ويجوز وصفه بأنه طبيب لما روي عن أبي رمثة التميمي أنه قال: «كنت مع أبي عند النبيِّ ﷺ، فرأيت على كتف النبيّ ﷺ مثل التفاحة، قال: فقال أبي: يا رسول الله إني طبيب أفَأَطبها لك؟ قال ﷺ: طبيبها الذي خلقها»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٠٧) وغيره ورجاله ثقات. وانظر تمام تخريجه في «الإحسان» =

وروي عن أبي السفر أنـه قال: مرض أبـو بكر رضي الله عنه فعاده جماعة، فقالوا له: ألا ندعو لك الطبيب؟ فقال: قد رآني، قالوا: فأيّ شيء قال لك: قال: قال لي: إني فعال لما أريد.

وكذلك يروى أن أبا الدرداء رضي الله عنه مرض، فعادوه، فقالوا له: أيّ شيء تشتكي؟ قال: ذنوبي، فقالوا: أيّ شيء تشتهي؟ قال: الجنة، فقالوا: ألا ندعو لك الطبيب؟ قال: هو أمرضني.

فإذا ثبت هذا على ما ذكرنا فلا يجوز أن يدعى عز وجل بكل اسم لا يجوز إطلاقه عليه عز وجل على ما ذكرنا في أوّل الفصل، وإنما يجوز أن يدعى بما يسمى به من الأسماء التي يجوز وصفه بها، وقد ذكرنا تسعة وتسعين اسماً فيما تقدم، فهي آكد في الدعاء، وإذا أراد أن يصفه ويدعو بما ذكرنا في هذا الفصـل جاز ذلـك، إلا أنه يجتنب في دعائه من أن يدعوه عزّ وجل بقوله: يا ساخـر يا مستهزئ، يا ماكـر يا خادع، ومبغض وغضبـان، ومنتقم ومعـادٍ ومعدم، ومهلك، فلا يدعو بها وإن كان مما يجوز وصفه بها على وجه الجزاء والمقابلة لأهل الإجرام على وجه الاستحقاق.

= (٥٩٩٥).

(الفصل الثاني: في مقالة بيان الفرق الضالة عن طريق الهدى)

والأصل في ذلك ما روي عن كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله، ﷺ: «لتسلكنّ سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل، ولتأخذن مثل أخذهم إنْ شبراً فشبراً وإن ذراعاً فذراعاً وإن باعاً فباعاً، حتى لو دخلوا في جحر ضبّ لدخلتم فيه معهم ألا إنَّ بني إسرائيل افترقت على موسى بإحدى وسبعين فرقة كلها ضالة، إلا فرقة واحدة الإسلام وجماعتهم، ثم إنها افترقت على عيسى بن مريم باثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة إلا واحدة الإسلام وجماعتهم، ثم إنكم تكونون على ثلاث وسبعين فرقة كلها ضالة إلا فرقة واحدة الإسلام وجماعتهم»[1].

وعن عبدالرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة أعظمها فتنة على أمتي الذين يقيسون الأمور برأيهم يحرمون الحلال ويحللون الحرام»[2].

وعن عبدالله بن يزيد عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا: وما تلك الواحدة؟ قال ﷺ: مَنْ كان على مثلِ ما أنا عليه وأصحابي»[3].

---

(١) أخرجه الطبراني ١٧/(٣)، والحاكم ١/١٢٩ وإسناده ضعيف جداً. وانظر «المجمع» ٤/١٥٧.

(٢) أخرجه ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» ٢/٧٦ وإسنادُه ضعيف.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم ١/١٢٨ - ١٢٩، والآجري ص ١٥ و١٦ من طريق عبدالرحمن بن زياد الإفريقي، عن عبدالله بن يزيد، عن عبدالله بن عمرو. وعبدالرحمن بن زياد: ضعيف.

وهذا الافتراق الذي ذكره النبيّ ﷺ لم يكن في زمانه ولا في زمن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم، وإنما كان ذلك بعد تقادم السنين، والأعوام، وفوت الصحابة والتابعين والفقهاء السبعة فقهاء المدينة، وعلماء الأمصار وفقهائها قرناً بعد قرن، وقبضِ العلم بموتهم إلا شرذمة قليلة، وهم الفرقة الناجية فحفظ الله الدين بهم.

كما روي عن عروة عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى لا ينزع العلم من صدور الرجال بعد أن يعطيهم، ولكن يذهب بالعلماء، فكلما ذهب بعالم ذهب بما معه من العلم حتى يبقى من لا يعلم، فَيَضِلون ويُضِلون»[1].

وفي لفظ آخر عن عروة عن أبيه عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمٌ اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فَسُئِلوا فأفتوا بغير علم، فَضَلُّوا وأضلوا»[2].

وعن كثير بن عبدالله بن عوف عن أبيه عن جده رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الدين يأرز إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى حجرها، وليعقلنّ الدين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل، إن الدين بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء، قيل: ومن الغرباء؟ قال ﷺ: الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي بعدي»[3].

وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لا يأتي على الناس

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣). وانظر تمام تخريجه في «الإحسان» (٤٥٧١).

(٢) انظر التعليق السابق.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٣٠)، وابن عدي ٦/٢٠٨٠. وإسناده ضعيف جداً.

زمان إلا أماتوا فيه سُنَّةً وأحيوا فيه بدعة».

وعن الحارث عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «ذكر رسول الله ﷺ الفتن فقلنا: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ: كتاب الله هو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تلتبس له الألسن، هو الذي لم تنته الجنُّ إذا سمعته أن قالوا: ﴿إنا سمعنا قرآناً عجباً﴾ [الجن: ١] مَنْ قال به صدق، ومن حكم به عدل»[١].

وعن عبدالرحمن بن عمرو عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ورمضت منها الجلود، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظةُ مُوَدِّعٍ، فقال ﷺ: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً، فإنه مَنْ يَعِشْ من بعدي ير اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدث بدعة، وكل بدعة ضلالة»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أيُّما داعٍ دعا إلى الهدى فاتُّبِعَ فله مثلُ أجرِ من اتَّبَعَهُ، لا ينقص من أجورهم شيء، وأيما داعٍ دعا إلى الضلالة فاتبع فعليه مثل أوزار من اتبعه، لاينقص من أوزارهم شيء»[٣].

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٣٧١٢ (القديمة) ونسبه إلى ابن أبي حاتم.

(٢) حديث ضعيف. اكتفي الآن بنسبته إلى:
أبي داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجة (٤٤). وقد حققتُ القول فيه في رسالة مستقلة يسَّرَ الله طبعها. وفصلتُ فيها في بعض تحقيقاتي على «إغاثة اللهفان»، و«مفتاح دار السعادة». فانظره إن شئتَ هناك.

(٣) أخرجه ابن ماجة (٢٠٥) من حديث أنس بهذا اللفظ، وإسنادُه ضعيف. وهو بغير هذا اللفظ عند مسلم (٢٦٧٤).

(فصل)

فأصل ثلاث وسبعين فرقة عشرة: أهل السنة والخوارج والشيعة والمعتزلة والمرجئة والمشبهة والجهمية والضرارية والنجارية والكلابية.

فأهل السنة طائفة واحدة، والخوارج خمس عشرة فرقة، والمعتزلة ست فرق، والمرجئة اثنتا عشرة فرقة، والشيعة اثنتان وثلاثون فرقة، والجهمية والنجارية والضرارية والكلابية كلٌّ واحدةٍ فرقة واحدة، والمشبهة ثلاث فرق، فجميع ذلك ثلاث وسبعون فرقة على ما أخبر به النبيّ ﷺ.

أما الفرقة الناجية فهي أهل السنة والجماعة، وقد بيَّنا مذهبهم واعتقادهم على ما قدمنا ذكره. وتسمي هذه الفرقةَ الناجيةَ القدريةُ والمعتزلةُ مجبرة لقولها إن جميع المخلوقات بمشيئة الله تعالى وقدرته وإرادته وخلقه، وتسميها المرجئة شكاكية لاستثنائها في الإيمان، يقول أحدهم: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى على ما قدمنا بيانه وتسميها الرافضة ناصبة، لقولها باختيار الإمام ونصبه بالعقد. وتسميها الجهمية والنجارية مشبهة، لإثباتها صفات الباري عزّ وجل من العلم والقدرة والحياة وغيرها من الصفات. وتسميها الباطنية حشوية، لقولها بالأخبار وتعلقها بالآثار، وما اسمهم إلا أصحاب الحديث وأهل السنة على ما بينا.

وأما الخوارج فلهم أسام وألقاب؛ سُمُّوا الخوارج لخروجهم على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وسموا محكمة لإنكارهم الحكمين أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، ولقولهم: لا حكم إلا لله، لاحكمَ الحكمين؛ وسموا أيضا حرورية، لأنهم نزلوا بحروراء، وهو موضع؛ وسموا شراة، لقولهم: شَرينا أنفسنا في الله: أي بعناها بثواب الله وبرضاه الجنة؛ وسموا مارقة، لمروقهم من الدين، وقد وصفهم النبيّ ﷺ، بأنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة، ثم لا يعودون فيه، فهم الذين مرقوا من الدين والإسلام، وفارقوا الملة وشردوا عنها وعن الجماعة، وضلوا عن

سواء الهدى والسبيل، وخرجوا على السلطان، وسلوا السيف على الأئمة، واستحلوا دماءهم وأموالهم، وكفّروا من خالفهم، ويسبون أصحاب رسول الله ﷺ وأصهاره، ويتبرّءون منهم ويرمونهم بالكفر والعظائم، ويرون خلافهم، ولا يؤمنون بعذاب القبر ولا الحوض ولا الشفاعة، ولا يخرجون أحداً من النار، ويقولون: من كذب كذبة أو أتى صغيرة أو كبيرة من الذنوب فمات من غير توبة فهو كافر، وفي النار مُخَلَّد.

ولا يرون الجماعة إلا خلف إمامهم، ويرون تأخير الصلاة عن وقتها والصوم قبل رؤية الهلال، والفطر مثل ذلك، والنكاح بغير وليّ، ويرون المتعة، والدرهم بالدرهمين يداً بيد حلالاً، ولا يرون الصلاة في الخفاف ولا المسح عليها ولا طاعة السلطان ولا خلافة قريش.

وأكثر ما يكون الخوارج بالجزيرة وعُمان والموصل وحضرموت، ونواحي المغرب.

والذي وضع لهم الكتب وصنفها عبدالله بن زيد، ومحمد بن حرب، ويحيى بن كامل، وسعيد بن هارون.

فهم خمس عشرة فرقة؛ منهم النجدات، نسبوا إلى نجدة بن عامر الحنفي من اليمامة وتميم، وهم أصحاب عبدالله بن ناصر، ذهبوا إلى أنَّ مَنْ كذب كذبة أو أتى صغيرة وأصرّ عليها فهو مشرك، وإن زنى وسرق وشرب الخمر من غير أن يصرّ عليها فهو مسلم، وأنه لا يحتاج إلى إمام، إنما الواجب العلم بكتاب الله فحسب.

ومنهم الأزارقة: وهم أصحاب نافع بن الأزرق ذهبوا إلى أنَّ كل كبيرة كفر، وأن الدار دار كفر، وأن أبا موسى، وعمرو بن العاص رضي الله عنهما كفرا بالله حين حكَّمهما عليّ رضي الله عنه بينه وبين معاوية رضي الله عنه في النظر في الأصلح للرعية، ويرون أيضاً قتلَ الأطفال، يعني أولاد المشركين، ويحرِّمون الرجم، ولا يحدّون قاذف المحصن، ويحدّون قاذف المحصنات.

ومنهم الفدكية منسوبة إلى ابن فديك.

ومنهم العطوية منسوبة إلى عطية بن الأسود.

ومنهم العجاردة منسوبة إلى عبدالرحمن بن عجرد وهم فرق كثيرة.

ومنهم الميمونية جميعاً، يجيزون بنات البنين وبنات البنات وبنات الإخوة وبنات الأخوات، ويقولون: إن سورة يوسف ليست من القرآن.

ومنهم الخازمية تفرّدت بأن الولاية والعداوة صفتان في ذاته تعالى، وتشعبت الخازمية من المعلومية، ذهبت إلى أنَّ مَنْ لم يعلم اللهُ بأسمائهِ فهو جاهلٌ، ونفوا أن تكون الأفعال خلقاً لله تعالى، وأن تكون الاستطاعة مع الفعل.

ومن أصل الخمس عشرة:

المجهولية، وهي تقول: إن من علم الله ببعض أسمائه فهو عالم به غير جاهل.

ومنهم الصلتية، وهي منسوبة إلى عثمان بن الصلت، وادّعت أن من استجاب لنا وأسلم وله طفل فليس له إسلام حتى يدرك، ويدعوه فإن أبى فيقتله.

ومنهم الأخنسية، منسوبة إلى رجل يقال له الأخنس، ذهبوا إلى أن السيد يأخذ من زكاة عبده ويعطيه من زكاته إذا احتاج، وافتقر.

ومنهم الظفرية، والحفصية طائفة متشعبة منها يزعمون أن من عرف الله وكفر بما سواه من رسول وجنة ونار، وفعل سائر الجنايات من قتل النفس، واستحلال الزنا فهو بريء من الشرك، وإنما يُشْرِكُ مَنْ جهل الله وأنكره فحسب، ويزعمون أن الحيران الذي ذكره الله تعالى في القرآن هو عليٌّ وحزبه وأصحابه، يدعونه إلى الهدى ائتنا، وهم أهل النهروان.

ومنهم الأباضية: زعموا أن جميع ما افترضه الله تعالى على خلقه إيمان،

وأن كل كبيرة فهو كفرُ نعمةٍ لا كفر شرك.

ومنهم البيهسية منسوبة إلى أبي بيهس، تفرّدوا فزعموا أن الرجل لا يكون مسلماً حتى يعلم جميع ما أحلّ الله له، وحرّم عليه بعينه ونفسه. ومن البيهسية من يقول: كل من واقع ذنبا حراماً عليه ليس يكفر، حتى يرفع إلى السلطان فيحدّه عليه، فحينئذ يحكم بالكفر.

ومنهم الشمراخية منسوبة إلى عبدالله بن الشمراخ، زعم أن قتل الأبوين حلال، وكان حين ادّعى ذلك في دار التقية، فتبرأت منه الخوارج بذلك.

ومنهم البدعية قولها كقولِ الأزارقة، وتفرّدت بأن الصلاة ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي لقول الله عزّ وجل: ﴿وأَقِمِ الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل، إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾ [هود: ١١٤]. واتفقت مع الأزارقة على جواز سبي النساء وقتل الأطفال من الكفار تأويلاً لقوله تعالى: ﴿لاتَذَرْ علىٰ الأرضِ من الكافرينَ دَيَّاراً﴾ [نوح: ٢٦] واتفقت جميع الخوارج على كفر عليّ رضي الله عنه لأجل التحكيم، وعلى كفر مرتكب الكبيرة، إلا النجدات فإنها لم توافقهم على ذلك.

(فصل)

وأما الشيعة فلهم أسام منها: الشيعة والرافضة والغالية والطيارة، وإنما قيل لها الشيعة، لأنها شايعت علياً رضي الله عنه وفضلوه على سائر الصحابة؛ وقيل لها: الرافضة لرفضهم أكثر الصحابة وإمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وقيل: سموا الروافض لرفضهم زيد بن عليّ لما تولى أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وقال بإمامتهما، وقال زيد: رفضوني، فسموا رافضة، وقيل: إن الشيعي مَنْ لا يفضل عثمان على عليّ رضي الله عنهما؛ لأن الرافضي من فضل علياً على عثمان رضي الله عنهما.

ومنهم القطعية لقبوا به لقطعهم على موت موسى بن جعفر.

ومنهم الغالية سُمُّوا بذلك لغلوّهم في عليّ رضي الله عنه، وقولهم فيه بما لا يليق به من صفات الربوبية والنبوّة.

والـذين صنفـوا كتبهم: هشـام بن الحكم، وعليّ بن منصـور، وأبـو الأحوص، والحسين بن سعيد، والفضل بن شاذان، وأبو عيسى الورّاق، وابن الراوندي والمنبجي، وأكثر ما يكونون في بلاد قم وقاشان وبلاد إدريس والكوفة.

(فصل)

وأما الرافضة، فهم ثلاثة أصناف: الغالية، والزيدية، والرافضة :

أما الغالية فيتفرّق منها اثنتا عشرة فرقة، منها البنانية والطيارية والمنصورية والمغيرية والخطابية والمعمرية والبزيعية والمفضلية والمتناسخة والشريعية والسبئية والمفوضة.

وأما الزيدية فتشعبت ستّ شعب. منها الجارودية، والسليمانية، والبترية، والنعيمية، واليعقوبية، والسادسة لا تنكر الرجعة ويتبرءون من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وأما الرافضة فتفرّقت أربع عشرة فرقة: القطعية، والكيسانية والكريبية، والعميرية، والمحمدية، والحسينية، والناوسية، والإسماعيلية والقرامطة، والمباركية والشميطية والعمارية والممطورية والموسوية والإمامية.

والذي اتفقت عليه طوائف الرافضة وفرقها إثبات الإمامة عقلاً، وأن الإمامة نصٌ، وأن الأئمة معصومون من الآفات من الغلط والسهو والخطأ.

ومن ذلك إنكارهم إمامة المفضول والاختيار الذي قدمناه في ذكر الأئمة.

ومن ذلك تفضيلهم علياً على جميع الصحابة، وتنصيصهم على إمامته بعد النبيّ ﷺ وتبرّؤهم من أبي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة، إلا نفراً منهم سوى ما حكي عن الزيدية، فإنهم خالفوهم في ذلك.

ومن ذلك أيضاً ادّعاؤهم أن الأمة ارتدت بتركهم إمامة عليّ رضي الله عنه إلا ستة نفر، وهم: عليّ وعمار والمقداد بن الأسود وسلمان الفارسي ورجلان آخران.

ومن ذلك قولهم: إن للإمام أن يقول لست بإمام في حال التقية، وإن الله تعالى لا يعلم ما يكونُ قبل أن يكون، وإن الأموات يرجعون إلى الدنيا قبل يوم الحساب، إلا الغالية منهم، فإنها زعمت بأنْ لا حسابَ ولا حشر.

ومن ذلك أن الإمام يعلم كل شيء ما كان وما يكون من أمر الدنيا والدين حتى عدد الحصى وقطر الأمطار وورق الأشجار، وأن الأئمة تظهر على أيديهم المعجزات كالأنبياء عليهم السلام.

وقال الأكثرون منهم: إن مَنْ حارب علياً رضي الله عنه فهو كافر بالله عز وجلّ، وأشياء ذكروها غير ذلك.

وأما الذي انفردت به كل فرقة:

فمنهم الغالية: وقد ادّعت أن علياً رضي الله عنه أفضل من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، وادّعت أنه ليس بمدفون في التراب كبقية الصحابة رضي الله عنهم، بل هو في السحاب يقاتل أعداءه من فوق السحاب، وأنه كرّم الله وجهه يرجع في آخر الزمان يقتل مبغضيه وأعداءه، وأن علياً وسائر الأئمة لم يموتوا، بل هم باقون إلى أن تقوم الساعة، ولا يجوز عليهم الموت.

وادعت أيضاً أن علياً رضي الله عنه نبيّ، وأن جبريل عليه السلام غلط في نزول الوحي عليه.

وادعت أيضاً أن علياً كان إلهاً عليهم لعنة الله وملائكته وسائر خلقه إلى يوم الدين، وقَلَعَ آثارهم وأباد خضراءهم، ولا جعل منهم في الأرض ديَّاراً لأنهم بالغوا في غلوّهم ومردوا على الكفر، وتركوا الإسلام وفارقوا الإيمان، وجحدوا الإله والرسل والتنزيل، فنعوذ بالله ممن ذهب إلى هذه المقالة.

ويتفرّع عن الغالية:

البيانية وهم ينسبون إلى بيان بن سمعان، ومن جملة فريتهم وأباطيلهم أن الله على صورة الإنسان، كذبوا على الله، تعالى عن ذلك علوّاً كبيرا قال عز وجل: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١].

وأما الطيارية من الغالية، وهي منسوبة إلى عبدالله بن معاوية بن عبدالله ابن جعفر الطيار يقولون بالتناسخ، وأن روح آدم عليه السلام روح الله فنسخت فيه.

والمتعمقون من الغالية القائلون بالتناسخ، يزعمون أن الروح المنقولة إلى هذه الدار بعد أن خرجت من الدنيا بالموت أوّل ما تنسخ في حمل، ثم تنقل إلى ما دون هيكله أبداً حالاً بعد حال، إلى أن تنقل إلى دود العذرة وما شاكل ذلك، وهو آخر ما ينسخ فيه، حتى قال بعضهم: إن أرواح العصاة تنسخ في الحديد والطين والفخار، وتكون معذبة بالنار والطبخ والضرب والسبك والابتذال والامتهان عقاباً على إجرامهم.

وأما المغيرية، فمنسوبة إلى مغيرة بن سعيد ادّعى النبوّة، وزعم أن الله نور على صورة رجل وادّعى، إحياء الموتى وغير ذلك.

وأمـا المنصورية، فمنسوبة إلى أبي منصور، كان يزعم أنه صعد إلى السماء ومسح الربّ رأسه وزعم أن عيسى عليه السلام أول خلق الله، ثم عليّ رضي الله عنه، ورسل الله لاتنقطع، وأنْ لا جنةَ ولا نار، وتزعم هذه الطائفة أن من قتل أربعين نفساً ممن خالفهم دخل الجنة، ويستحلّون أموال الناس، وأن جبريل عليه السلام أخطأ بالرسالة، وهو الكفر الذي لايشوبه شيء.

وأما الخطابية، فمنسوبة إلى أبي الخطاب يزعمون أن الأئمة أنبياء أمناء، وفي كل وقت رسولٌ ناطق وصامت، فمحمد ﷺ ناطق، وعليّ رضي الله عنه صامت.

وأما المعمرية فكذلك تقول، وانفردت عن الخطابية بالزيادة في ترك الصلاة.

وأما البزيعية المنسوبة إلى بزيع، فزعموا أن جعفراً هو الله فلا يرى ولكن شبه هذه الصورة، تباً لهم، وأنهم يأتيهم الوحي ويرفعون إلى الملكوت، تباً لهم، ما أعظم فريتهم وكذبهم وأباطيلهم، بل يحطون إلى أسفل السافلين إلى الهاوية والدرك الأسفل من النار بمقالتهم السوء ودعواهم الزور.

وأما المفضلية، فمنسوبة إلى المفضل الصيرفي، ينتحلون الرسالة والنبوّة، وقولهم في الأئمة كقول النصارى في المسيح.

وأما الشريعية، فمنسوبة إلى شريع زعموا أن الله تعالى في خمسة أشخاص النبيّ وآله، يعني في النبيّ وآله، وهم العباس وعليّ وجعفر وعقيل.

وأما السبئية، فمنسوبة إلى عبدالله بن سبأ، من دعواهم أن علياً لم يمت، وأنه يرجع قبل يوم القيامة، والسيد الحميري منهم.

وأما المفوضية، فهم القائلون إن الله فوّض تدبير الخلق إلى الأئمة وإن الله تعالى قد أقدر النبيّ ﷺ على خلق العالم وتدبيره، وإن كان ما خلق الله من ذلك شيئاً، وكذلك قالوا في حق عليّ رضي الله عنه؛ ومنهم من إذا رأى السحاب سلَّمَ عليه، يزعم أن علياً رضي الله عنه فيه على ما بيَّنا من قبل.

وأما الزيدية، فإنما سموا بذلك لميلهم إلى قول زيد بن عليّ في تولية أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وأما الجارودية، فمنسوبة إلى أبي الجارود، زعموا أن علياً رضي الله عنه وصيُّ رسولِ الله ﷺ وهو الإمام، وقالوا إن النبيّ ﷺ نصّ على عليّ بصفته لا باسمه، ويسوقون الإمامة إلى الحسين، ثم هي شورى بينهم فيمن خرج منهم.

وأما السليمانية فمنسوبة إلى سليمان بن كثير، قال زرقان: زعموا أن علياً كرم الله وجهه كان الإمام، وأن بيعة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما خطأ، لا يستحقان اسم السبق، وأن الأمة تركت الأصلح.

وأما البترية، فمنسوبة إلى الأبتر وهو النواء، وكان يلقب به، وزعموا أن بيعة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ليست بخطأ، لأن علياً رضي الله عنه ترك الإمارة لهما وهم واقفون في عثمان ويقولون: عليّ إمام حين بويع.

وأما النعيمية، فمنسوبة إلى نعيم بن اليمان، وهي تقول بقول البترية، إلا أنها تبرأت من عثمان بن عفان رضي الله عنه وكفرت به.

وأما اليعقوبية، فيقولون بإمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، إلا أنهم يقولون بتفضيل علي عليهما، وينكرون الرجعة، فهي تنسب إلى رجلٍ يقال له يعقوب.

ومنهم من تبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويقولون بالرجعة.

(فصل)

وأما الرافضة، فالأربع عشرة فرقة التي تفرّعت عنها:

أولها: القطعية، سموا بذلك لقطعهم على موت موسى بن جعفر ساقوا الإمامة إلى محمد بن الحنفية، وهو القائم المنتظر.

والثانية: الكيسانية وهي منسوبة إلى كيسان يقولون بإمامة محمد بن الحنفية، لأنه دفع إليه الراية بالبصرة.

والثالثة: الكريبية، وهم أصحاب ابن كريب الضرير.

والرابعة: العميرية. وهم أصحاب عمير، وهو إمامهم إلى خروج المهدي.

والخامسة: المحمدية، وقد زعمت أن القائم محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسين، وأنه أوصى إلى أبي منصور دون بني هاشم، كما أوصى موسى عليه السلام إلى يوشع بن نون دون ولده وولد هارون.

وأما السادسة: فالحسينية، زعمت أن أبا منصور أوصى إلى ولده الحسين ابن أبي منصور وهو الإمام بعده.

وأما الناوسية فلقبوا به لأنهم نُسِبُوا إلى ناوس البصري الذي هو رئيسهم، ويقولون بإمامة جعفر وأنه حي لم يمت بعد، وأنه قائم وهو المهدي.

وأما الإسماعيلية: فقد قالوا إن جعفراً ميت والإمام بعده إسماعيل، وقالوا إنه يملك وهو المنتظر عندهم.

وأما القرامطة، فهم يسوقون الإمامة إلى جعفر، وأن جعفراً نصّ على وراثة محمد بن إسماعيل، ومحمد لم يمت وهو حيّ، وهو المهدي.

وأما المباركية، فمنسوبة إلى رئيسهم المبارك، زعموا أن محمد بن إسماعيل مات، وأن الإمامة في ولده.

وأما الشمطية، فمنسوبة إلى رئيسهم يقال له: يحيى بن شميط، زعموا أن الإمام جعفر ثم محمد بن جعفر ثم في ولده.

وأما المعمرية: ويقال لهم الأفطحية، لأن عبدالله بن جعفر كان أفطح الرجلين، يقولون إن الإمام بعد جعفر ابنه عبدالله وهم عدد كثير.

وأما الممطورية فسموا بذلك لأنهم ناظروا يونس بن عبدالرحمن، وهو من القطعية الذين يقطعون على موت موسى بن جعفر، فقال لهم يونس: أنتم أهون من الكلاب الممطورة، فلزمهم هذا اللقب؛ ويسمون الواقفة لوقوفهم على موسى بن جعفر وقولهم هو حيّ لم يمت، ولا يموت، وهو المهدي عندهم.

وأما الموسوية، فَسُمُّوا بذلك لوقوفهم في موسى وقولهم: لاندري أميتٌ هو أم حيّ؟ وقالوا: إن صحت إمامة غيره أنفذوها.

وأما الإمامية، فيسوقون الإمامة إلى محمد بن الحسين، وأنه القائم المنتظر الذي يظهر فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

وأما الزرارية، فهم أصحاب زرارة، ادّعى ما ادعت العمارية، وقيل: إنه ترك مقالتها وأنه سأل عبدالله بن جعفر عن مسائل ولم يعمله، فصار إلى موسى ابن جعفر.

فقد شبهت مذاهب الروافض باليهودية؛ قال الشعبي: محنةُ الروافضِ محنـةُ اليهود، قالت اليهود: لاتصلحُ الإمامةُ إلا لرجلٍ من آل داود؛ وقالت الرافضة: لا تصلح الإمامة إلا لرجلٍ من ولد عليّ بن أبي طالب.

وقالت اليهود: لا جهادَ في سبيل الله حتى يخرج المسيحُ الدجال، وينزل بسببٍ من السمـاء؛ وقـالت الـروافض: لا جهـادَ في سبيل الله حتى يخرج المهدي وينادي منادٍ من السماء.

وتُؤخِّرُ اليهودُ صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم، وكذلك الروافض يؤخرونها.

واليهود تزول عن القبلة شيئاً، وكذلك الرافضة؛ واليهود تنود في الصلاة، وكذلك الرافضة؛ واليهود تسدل ثيابها في الصلاة، وكذلك الروافض.

واليهود تستحلّ دم مسلم، وكذلك الروافض؛ واليهود لا ترى على النساء عدة، وكذلك الرافضة، واليهود لا ترى في الطلاق الثلاث شيئاً، وكذلك الروافض.

واليهود حرّفت التوراة، وكذلك الرافضة حرّفوا القرآن، لأنهم قالوا القرآن غُيِّرَ وبُدِّلَ، وخُولِفَ بين نظمه وترتيبه، وأُحِيلَ عما أنزل عليه، وقرئ على وجوهٍ غيرِ ثابتةٍ عن الرسول ﷺ وأنه قد نُقِصَ منه وزيد فيه.

واليهود يبغضون جبريل عليه السلام ويقولون: هو عدوّنا من الملائكة، وكـذلك صِنْفٌ من الروافض يقولون: غَلِطَ جبريلُ عليه السلام بالوحي إلى محمد ﷺ، وإنما بُعِثَ إلى عليٍّ رضي الله عنه، كذبوا تَبّاً لهم إلى آخر الدهر.

(فصل)

وأما المرجئة ففرقها اثنتا عشرة فرقة: الجهمية والصالحية والشمرية واليونسية واليونانية والنجارية والغيلانية والشبيبية والغسانية والمعاذية والمريسية والكرامية.

وإنما سموا المرجئة لأنها زعمت أن الواحد من المكلفين إذا قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وفعل بعد ذلك سائر المعاصي لم يدخل النار أصلاً، وأن الإيمانَ قولٌ بلا عمل، والأعمال: الشرائع، والإيمان قول مجرّد، والناس لا يتفاضلون في الإيمان، وأن إيمانهم وإيمان الملائكة والأنبياء واحد لا يزيد ولا ينقص ولا يستثنى فيه، فمن أقرّ بلسانه ولم يعمل فهو مؤمن.

(فصل)

وأما الجهمية، فمنسوبة إلى جهم بن صفوان وكان يقول: الإيمان هو المعرفة بالله ورسوله وجميع ما جاء من عنده فقط، ويزعمون أن القرآن مخلوق، وأن الله تعالى لم يكلم موسى، وأنه تعالى لم يتكلم ولا يرى ولا يُعرف له مكان وليس له عرش ولا كرسي، ولا هو على العرش، وأنكروا الموازين وعذاب القبر، وكون الجنة والنار مخلوقتين، وادّعوا أنهما إذا خلقتا تفنيان، والله عزّ وجل لا يكلِّمُ خَلْقهُ ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا ينظر أهل الجنة إلى الله تعالى ولا يرونه فيها، وأن الإيمانَ معرفةُ القلب دون إقرار اللسان وأنكروا جميع صفات الحقّ عزّ وجل، تعالى الله عن ذلك علوّا كبيراً.

وأما الصالحية، فإنما سميت بذلك لقولها بمذهب أبي الحسين

الصالحي، وكان يقول: الإيمان هو المعرفة، والكفر هو الجهل، وأن قول من قال: ثالث ثلاثة ليس بكفر، وإنْ كان لا يظهر إلا ممن كان كافراً، وأن لا عبادة إلا الإيمان.

وأما اليونسية، فمنسوبة إلى يونس البري، زعم أن الإيمان هو المعرفة والخضوع والمحبة لله عزّ وجل، وأن من ترك خصلة منها فهو كافر.

وأما الشمرية، فمنسوبة إلى أبي شمر، زعم أن الإيمان هو المعرفة والخضوع والمحبة والإقرار بأنه واحد ليس كمثله شيء، وذلك باجتماعه إيماناً. وقال أبو شمر: لا أسمي مَنْ ركب الكبيرة فاسقاً على الإطلاق دون أن أقول فاسق في كذا وكذا.

وأما اليونانية، فمنسوبة إلى يونان، زعموا أن الإيمان هو المعرفة والإقرار بالله ورسله، وما يجوز في العقل إلا أن يفعله.

وأما النجارية، فمنسوبة إلى الحسين بن محمد بن عبدالله النجار يقولون: إن الإيمان هو المعرفة بالله وبرسله، وفرائضه المُجْمَعِ عليها، والخضوع له والإقرار باللسان، فمتى جهل منه شيئاً وقامت عليه الحجة ولم يقرّبه كان كافراً.

وأما الغيلانية، فمنسوبة إلى غيلان، وافقوا الشمرية وزعموا أن العلم بحدوث الأشياء ضروري، والعلم بالتوحيد هو العلم باللسان. وفي حكاية زرقان أن غيلان كان يقول بأن الإيمان هو الإقرار باللسان وهو التصديق.

وأما الشبيبية فهم أصحاب محمد بن شبيب، زعموا أن الإيمان هو الإقرار بالله والمعرفة بوحدانيته، ونفي التشبيه عنه.

وزعم محمد أن الإيمان كان في إبليس، وإنما كفر لاستكباره.

وأما الغسانية، فهم أصحاب غسان الكوفي، زعموا أن الإيمان هو المعرفة والإقرار بالله ورسوله، وبما جاء من عنده جملة على ما ذكره البُرْهُوقي

في كتاب الشجرة.

وأما المعاذية، فمنسوبة إلى معاذ الموصي كان يقول: مَنْ ترك طاعة الله يقال له: إنه فسق، ولا يقال: فاسق، والفاسق ليس بعدو الله ولا وليّ الله.

وأما المريسية، فمنسوبة إلى بشر المريسي، يزعمون أن الإيمان هو التصديق، وأن التصديق يكون بالقلب واللسان وإلى هذا كان يذهب ابن الراوندي، وزعم أيضاً أن السجود للشمس ليس بكفر ولكنه أمارة الكفر.

(فصل)

وأما الكرامية، فمنسوبة إلى أبي عبدالله محمد بن كرام، زعموا أن الإيمان هو الإقرار باللسان دون القلب، وأن المنافقين كانوا مؤمنين في الحقيقة.

ومن قولهم: إن الاستطاعة تتقدم الفعل مع وجود كونها مقارنة له، بخلاف ما قال أهل السنة من أنها مع الفعل، ولا يجوز أن تتقدمه من غير شرط.

ومؤلفو كتبهم أبو الحسين الصالحي وابن الراوندي ومحمد بن شبيب والحسين بن محمد النجار، وأكثر ما يكون مذهبهم بالمشرق ونواحي خراسان.

(فصل)

في ذكر مقالة المعتزلة والقدرية.

وإنما سموا المعتزلة لاعتزالهم الحق، وقيل لاعتزالهم أقاويل المسلمين، لأن الناس كانوا مختلفين في مرتكِب الكبيرة، فقال بعضهم: هم مؤمنون بما معهم من الإيمان، وقال بعضهم: هم كافرون، فأحدث واصل بن عطاء قولاً

ثالثاً، وفارق المسلمين واعتزل المؤمنين فقال: ما هم بمؤمنين ولا كافرين فسموا بذلك المعتزلة.

وقيل: إنما سموا بذلك، لاعتزالهم مجلس الحسن البصري رحمه الله، فمر الحسن بهم وقال: هؤلاء معتزلة، فلقبوا بذلك، وهم يقتدون بعمرو بن عبيد. ولما غضب الحسن البصري على عمرو بن عبيد عوتب في ذلك، فقال: أتعاتبونني في رجل رأيته يسجد للشمس من دون الله في المقام؟

وسموا أيضاً قدرية لردّهم قضاء الله عزّ وجل وقدره في معاصي العباد، وإتيانهم بها بأنفسهم.

ومذهب المعتزلة والجهمية والقدرية في نفي الصفات واحد، وقد ذكرنا بعض مذاهبهم في الاعتقاد.

ومؤلفو كتبهم: أبو الهذيل، وجعفر بن حرب، والخياط، والكعبي وأبو هاشم، وأبو عبدالله البصري، وعبدالجبار بن أحمد الهمداني، وأكثر ما يكون مذهبهم بالعسكر والأهواز وجهرَم.

وهم ست فرق: الهذلية والنظامية والمعمرية والجبائية والكعبية والبهشمية.

والذي اجتمعت عليه فرق المعتزلة نفي الصفات جميعها، فنفت أن يكون له عزّ وجل علم وقدرة وحياة وسمع وبصر، وكذلك نفي الصفات المثبتة بالسمع، من الاستواء والنزول وغير ذلك.

واجتمعت أيضاً على أن كلام الله مُحْدَثٌ، وإرادته محدثة، وأنه تعالى تكلم بكلام خلقه في غيره، ويريد بإرادة محدثة لا في محلّ، وأنه تعالى يريد خلاف معلومه، ويريد من عباده ما لا يكون، ويكون ما لا يريد، وأنه تعالى لا يقدر على مقدورات غيره، بل يستحيل ذلك، وأنه لم يخلق أفعال عبيده، بل هم الخالقون لها دون ربهم.

وأن أكثر ما يتغذّاه الإنسان لم يرزقه الله إذا كان حراماً، وإنما الذي يرزق الله الحلال دون الحرام، وأن الإنسان قد يقتل دون أجله، والقاتل يقطع أجله قبل حينه، وأن من ارتكب كبيرة من الموحدين وإن لم يكن كفراً فإنه يخرج بها من إيمانه، ويخلد في النار أبد الآبدين، وتبطل جميع حسناته.

وأبطلوا شفاعة النبيّ ﷺ لأهل الكبائر، وأكثرهم نفوا عذاب القبر والميزان ورأوا الخروج على السلطان وترك طاعته.

وأنكروا انتفاع الميت بدعاء الحيّ له والصدقة عنه ووصول ثوابها إليه.

وزعمت أيضاً أن الله سبحانه لم يكلم آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً صلوات الله عليهم أجمعين، ولا جبريل ولا ميكائيل ولا إسرافيل ولا حَمَلَةَ العرش ولا ينظر إليهم، مثل ما لا يكلم إبليس واليهود والنصارى.

وأما الذي انفردت به كل فرقة منها:

أما الهذيلية، فقد انفرد شيخهم أبو الهذيل بأن لله علماً وقدرة وسمعاً وبصرا، وأن كلام الله بعضه مخلوق وبعضه غير مخلوق، وهو قوله تعالى: ﴿كن﴾ [البقرة: ١١٧ وآل عمران: ٤٧ والأنعام: ٧٣، والنحل: ٤٠، ومريم: ٣٥ ويسٓ: ٨٢ وغافر: ٦٨].

وقال: إن الله تعالى ليس بخلاف خلقه، وأن مقدورَ الله متناهٍ، فيبقى أهل الجنة لا حركة لهم، والله تعالى لا يقدر على تحريكهم ولا هم يقدرون على ذلك، ويجوز أن يكون الميت والمعدوم والعاجز يفعل الأفعال، وأبى أن يكون الله تعالى لم يزل سميعاً.

وأما النظامية، فكان شيخهم النظام يقول: إن الجمادات تفعل بإيجاب الخلقة، وكان ينفي الأعراض إلا الحركة الاعتمادية ويقول: إن الإنسان هو الروح، وإن أحداً لم ير النبيّ ﷺ، وإنما رأى ظرفه يعني جسمه.

وخرق الإجماع فقال: من ترك الصلاة عامداً ذاكراً فلا إعادة عليه.

وكـان ينفي إجمـاع الأمـة، ويجوِّز اجتماعها على باطل، ويقول: إن الإيمان مثل الكفر، والطاعة كالمعصية، وفعل النبيّ ﷺ كفعل إبليس اللعين، وأن سيرة عمر وعلي رضي الله عنهما كسيرة الحجاج، وإنما التزم ذلك وركبه لأنه كان يقول: إن الحيوان كله جنس واحد، وزعم أن القرآن ليس بمعجز في نظمه، وأن الله تعالى ليس بقادر على تحريق الطفل، ولو كان على شفير جهنم ولا على طرحه فيها.

وهو أوّل من قال بالكفر مِن أهل القبلة، وكان يقول: إن الجسم يتجزأ إلى ما لا غاية له، وكـان يقول: إن الحيات والعقارب والخنافس في الجنة، وكذلك الكلاب والخنازير في الجنة.

وأما المعمرية فكان شيخهم المعمر يقول بقول أهل الطبائع، ويتجاوز ويزعـم أن الله تعالى لـم يخلق لوناً ولا طعماً ولا رائحة ولا موتاً ولا حياة، ولأن ذلك كله فعل الجسم بطبعه، وكان يقول: إن القرآن فعل الأجسام، وليس هو بفعل الله تعالى، وأنكر أن يكون الله تعالى قديماً، تبّاً له وأبعده الله تعالى مع هذه المقالة.

وأما الجبائية فكان شيخهم الجبائي خرق الإجماع وشذ عنه في أشياء منها:

أنه كان يقول: إن العباد خالقون لأفعالهم ولم يسبقه إلى هذه المقالة أحد، وكان يقول: إن الله تعالى أحْبَلَ نساءَ العالمين بخلقهِ الحبل فيهن، وكان يقول: إن الله تعالى مطيع لعباده إذا فعل ما أراده وقال: من حلف أن يعطي غريمه حقه غداً واستثنى في ذلك بقول إن شاء الله لم ينفعه الاستثناء، فإذا لم يعط حنث.

وكان يقول: إن من سرق خمسة دراهم كان فاسقاً، وإن نقصت منه حبة لم يفسق.

وأما البهشمية، فمنسوبة إلى أبي هاشم بن الجبائي، وكان أبو هاشم يجوّز أن يكون المكلف قادراً، وهو لا يكون فاعلاً ولا تاركاً، فيعاقبه الله تعالى على فعله؛ وكان يقول: من تاب من سائر الذنوب إلا ذنباً واحداً لم تصحّ توبته فيما تاب منه.

وأما الكعبية، فمنسوبة إلى أبي القاسم الكعبي وكان بغدادي المذهب، فأنكر أن يكون الله سميعاً بصيراً، وأن يكون مريداً بالحقيقة، وأن إرادة الله تعالى من فعل عباده هي الأمر به، وإرادته من فعل نفسه فعله، وزعم أن العالم كله ملاء وأن المتحرّك إنما هو الصفحة الأولى من الأجسام، وأن الإنسان لو تَدَهَّنَ بدهنٍ ومشى لم يكن المتحرّك، وإنما الدهن هو المتحرّك؛ وكان يقول: إن القرآن محدث ولا يقول مخلوق.

(فصل)

وفي ذكر مقالة المشبهة فهم ثلاث فرق: الهشامية، والمقاتلية، والواسمية.

والذي اتفقت عليه الفرق الثلاث، أن الله تعالى جسم، وأنه لايجوز أن يعقل الموجود إلا جسماً، والذي غلب عليهم التشبيهُ فِرقُ الروافض والكرامية الذين ألف كتبهم هشام بن الحكم، وله كتاب في إثبات الجسم.

أما الهشامية، فمنسوبة إلى هشام بن الحكم زعم أن الله تعالى جسم طويل عريض عميق نور ساطع له قدر من الأقدار كالسبيكة الصافية يتحرّك ويسكن ويقوم ويقعد.

وحكي عنه أنه قال: أحسن الأقدار أن يكون سبعة أشبار؛ وقيل له: ربك أعظم أم أحد؟ فقال: ربي أعظم.

وأما المقاتلية، فمنسوبة إلى مقاتل بن سليمان. حكي عنه أنه قال: إن

الله تعالى جسم وأنه جثة على صورة الإنسان لحم ودم وله جوارح وأعضاء من رأس ولسان وعنق وأنه في جميع ذلك لا يشبه الأشياء، والأشياء لا تشبهه.

(فصل)

في ذكر مقالة الجهمية:

تفرّد جهم بن صفوان بأن الإنسان إنما يُنْسَبُ إليه ما يظهر منه على المجاز لا على الحقيقة، كما يقال: طالت النخلة. وأدركت الثمرة، وكان يأبى أن يقول: إن الله شيء، ويقول: يحدث علم الله، ويمتنع أن يقول: إن الله كان عالماً بالأشياء قبل كونها، ويقول: إن الجنة والنار تفنيان، وينفي الصفات.

وكان مذهب جهم بترمذ وهو بلد، وقيل بمرو، وله تآليف في نفي الصفات، قتله مسلم ابن أحو المازني.

وأما الضرارية، فمنسوبة إلى ضرار بن عمرو، وكان يقول ضرار: إن الأجسام أعراض مجتمعة، وجوّز أن تنقلب الأعراض أجساماً، وأن الاستطاعة بعض المستطيع وهي قَبْلَ الفعل ومع الفعل. وأنكر قراءة ابن مسعود وأبيّ بن كعب رضي الله عنهما.

وأما النجارية، فهي منسوبة إلى الحسين بن محمد النجار، كان يثبت فعل الفاعلين بالحقيقة لله وللعبد، وكان يقول بنفي الصفات، وقال بقولِ المعتزلة في نفي الصفات، إلا في نفي الإرادة، فإنه أثبت أن القديم مريد لنفسه.

وكان يقول: بخلق القرآن، ويقول: إن الله مريد على معنى أنه ليس بمقهور ولا مغلوب، وأن الله متكلم بمعنى أنه ليس بعاجز عن الكلام، وأنه لم يزل جواداً بمعنى نفيِ البخلِ عنه.

ومذهبه موافق لمذهب ابن عون وابن يوسف الرازي، وأكثر ما يكون

مذهبه بقاشان.

وأما الكلابية، فمنسوبة إلى عبدالله بن كلاب، وكان يقول: صفات الله ليست بقديمة ولا محدثة، وكان يقول: لا أقول صفاته هي هو، ولا هي غيره، وأن معنى الاستواء نفي الاعوجاج في قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] وأن الله لم يزل على ما كان عليه من قبل، وأن لا مكان له، ونفى أن يكون القرآن حروفاً.

(فصل)

في ذكر مقالة السالمية؛ وهي منسوبة إلى ابن سالم.

من قولهم: إن الله سبحانه يُرَى يوم القيامة في صورة آدميّ محمديّ، وأنه عزّ وجل يتجلى لسائر الخلق يوم القيامة من الجنّ والإنس والملائكة والحيوان أجمع لكل واحد في معناه، وفي كتابِ الله تعالى تكذيبهم، وهو في قوله عزّ وجل: ﴿ليسَ كمثلِهِ شيءٌ وهو السَّميعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ومن قولهم: إن لله تعالى سرّاً لو أظهره لبطل التدبير، وللأنبياء سرّاً لو أظهروه لبطلت النبوّة، وللعلماء سرّاً لو أظهروه لبطل العلم، وهذا فاسد، لأن الله تعالى حكيم وتدبيره مُحْكَمٌ لا يتطرّق نحوه البطلانُ والفساد، وما ذكروه يؤدي إلى إبطال حكمته تعالى، وهذا كفر.

ومن قولهم: إن الكفار يرون الله تعالى في الآخرة ويحاسبهم، ومن قولهم: إن إبليس سجد لآدم في الثانية، وفي القرآن تكذيبهم، وهو قول الله عزّ وجل: ﴿إلاّ إبليسَ أبىٰ واستكبَرَ وكانَ من الكافِرين﴾ [البقرة: ٣٤] وقوله تعالى: ﴿إلا إبليسَ لم يكُنْ من السَّاجِدِين﴾ [الأعراف: ١١] ومن قولهم: إن إبليس ما دخلَ الجنة، وفي القرآن تكذيبهم، وهو قوله تعالى: ﴿أُخرُجْ منها فإنكَ رجِيم﴾ [الحجر: ٣٤، وص: ٧٧].

ومن قولهم: إن جبريل كان يجيء إلى النبيّ ﷺ ولا يبرح من مكانه، ومن قولهم: إن الله تعالى لما كلم موسى عليه السلام أُعْجِبَ موسى بنفسه، فأوحى الله إليه: يا موسى أتعجبك نفسك، مدّ عينيك، فمدّ موسى عينيه، فنظر فإذا قدامه مائة طور، على كل طور موسى.

وهذا منكر عند أهل النقل وأصحاب الحديث، فهو حديث باطل، وقد أوعد النبيّ ﷺ من كذب عليه فقال: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[1].

ومن قولهم: إن الله تعالى يريد من العباد الطاعات ولا يريد منهم المعاصي، وأنه عزّ وجل أرادها بهم لا منهم وهذا باطل منهم لأن الله تعالى قال: ﴿ومَنْ يردِ الله فتنتَهُ فلَن تملكَ له من الله شيئاً﴾ [المائدة: ٤١] يعني كفره، وقال الله تعالى: ﴿ولو شاءَ ربُّكَ ما فعلوه﴾[الأنعام: ١١٢]، ﴿ولو شاءَ اللهُ ما فَعلوه﴾ [الأنعام: ١٣٧]، وقال تعالى: ﴿ولو شاءَ اللهُ ما اقتتلُوا﴾ [البقرة: ٢٥٣].

ومن قولهم: إن النبيّ ﷺ كان يحفظ القرآن قبل النبوّة، وقبل أن يأتيه جبريل عليه السلام، وفي القرآن تكذيبهم، وهو قوله تعالى ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ [الشورى: ٥٢] وقوله تعالى: ﴿وما كنتَ تتلو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كتابٍ ولا تَخُطُّهُ بيمينكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

ومن قولهم: إن الله تعالى يقرأ على لسان كل قارئ، وأنهم إذا سمعوا القرآن من قارئ فإنما يسمعونه من الله وهذا القول يفضي إلى الحلول، نعوذ بالله من ذلك، ويؤدي إلى أن الله تعالى يلحن ويغلط وهذا كفر.

ومن قولهم: إن الله تعالى في كل مكان، ولا فرق بين العرش وغيره من

---

(١) حديث متواتر. من ذلك ما أخرجه البخاري (١١٠)، ومسلم (٣) من حديث أبي هريرة. والبخاري (١٢٩١)، ومسلم (٤) من حديث المغيرة. والبخاري (١٠٦)، ومسلم (١) من حديث علي. وانظر تتمة ذلك في «الإحسان» (٢٨).

الأمكنـة، وفي القرآن تكذيبهم، قال الله عز وجل: ﴿الرَّحمنُ على العرشِ استوَىٰ﴾ [طه: ٥] ولا يقال على الأرض استوى، ولا على بطون الجبال وغير ذلك من الأمكنة.

وهذا آخر ما يتعلق بالاعتقاد والأصول على وجه الإشارة والاختصار.

وإنما لم نشر إلى إبطال كل مذهبٍ من مذاهب هذه الفرق الضالة خوفاً من إطالة الكتاب، وإنما أوردنا ذكر مقالاتهم مجردة للتحذير منها، أعاذنا الله وإياكم من شرّ هذه المذاهب وأهلها، وأماتنا على الإسلام والسنة في الفرقة الناجية برحمته.

باب

وأما الاتعاظ بمواعظ القرآن والألفاظ النبوية ففي مجالس نسوقها

الأول من ذلك مجلس في قوله عز وجل:

﴿فإذا قرأتَ القرآنَ فاستعذْ بالله من الشيطان الرَّجيم﴾ [النحل: ٩٨]

اعلم أن هذه الآية في سورة النحل وهي مكية، إلا ثلاث آيات من آخرها أنزلت بالمدينة. وعدد آياتها مائة وعشرون آية وثمان آيات، وعدد كلماتها ألف وثمانمائة وإحدى وأربعون كلمة، وحروفها سبعة آلاف وسبعمائة وتسعة أحرف.

قال أهل التفسير: كان سبب نزول هذه الآية «أن النبيّ ﷺ قرأ سورة النجم، وقرأ: ﴿والليل إذا يَغْشى﴾ [الليل: ١] في صلاة الفجر. بمكة فأعلنهما، فلما بلغ إلى قوله: ﴿أفرأيتمُ اللاتَ والعُزَّىٰ ومنَاةَ الثالثَةَ الأُخرى؟﴾ [النجم: ١٩، ٢٠] نعس النبيّ ﷺ فألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيقُ العلا عندها الشفاعة ترتجى، يعني الأصنام، قال: ففرح المشركون بذلك» لأنهم أثبتوا لها الشفاعة، ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، كما قال الله عز وجل: ﴿ما نعبُدُهمْ إلا ليقرِّبُونا إلى اللهِ زُلفى﴾ [الزمر: ٣] وكانوا يقولون: إنها أجسام طاهرة ليس لها ذنوب، فهي أولى بالعبادة لها من غيرها من الملوك والملائكة، لأن لهم ذنوباً وهم ذوو أرواحٍ، فشبهوا الأصنام بالغرانيق، وهي الذكور من الطيور، واحدها غرنوق وغرنيق، لكونها تعلو وترتفع في السماء: وقيل: هو طائر أبيض من طير الماء وقيل: هو الكركي، ويسمى أيضاً الشابُّ الناعم غرنوقاً. ومنه حديث علي رضي الله عنه: فكأني أنظر إلى غرنوق من قريش يتشحط في دمه: أي شاب.

وقال مقاتل. يعني الملائكة رجوا أن تكون للملائكة شفاعة، لأن طائفة من الكفار كانت تعبد الملائكة، فلما بلغ الرسولُ ﷺ خاتمةَ ﴿والنجم﴾سجدَ وسجدَ كلُّ مَنْ حضر من مسلمٍ ومشرك، غير أن الوليد بن المغيرة كان رجلاً شيخاً كبيراً، فرفع ملء كفه من التراب إلى جبهته فسجد عليه، فقال: نحني كما تحني أم أيمن وصواحباتها، وكان أيمن خادمَ النبيّ ﷺ فقتل يوم حنين، فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك، وهما من سجع الشيطان وفتنته ألقاهما على لسان النبيّ ﷺ عند آخر ذكر الطواغيت والأصنام، فعجب الفريقان كلاهما من سجودهم أجمعين، واتباعهم للنبيّ ﷺ في ذلك.

فأما المسلمون فعجبوا من سجود المشركين على غير إيمان ولا يقين، وأما المشركون فطابت أنفسهم إلى النبيّ ﷺ وأصحابه، لما سمعوا منه ما ألقى الشيطان في أمنيته واستبشروا وقالوا: إن محمداً قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه، فسجدوا تعظيماً لآلهتم، فَفَشَت الكلمتان في الناس بإظهار الشيطان حتى بلغتا الحبشة، فَكَبُرَ ذلك على النبيِّ ﷺ؛ فلما أمسى أتاهُ جبريلُ عليه السلام وقال: معاذ الله من هاتين الكلمتين ما أنزلهما ربي عزّ وجل ولا أمرني بهما ربك؛ فلما رأى ذلك رسولُ الله ﷺ شقّ عليه وقال: أطعت الشيطان وتكلمت بكلامه، وأشركته في أمر الله عزّ وجلّ، فنسخ الله ما ألقى الشيطان وأنزل عليه ﴿وما أَرْسَلْنا مِنْ قبلكَ من رسولٍ ولا نبيّ إلا إذا تمنىٰ ألقى الشيطانُ في أمنيتِهِ﴾ [الحج: ٥٢] يعني في تلاوته وقراءته: ﴿فينسخُ اللهُ ما يُلقي الشيطانُ ثم يُحْكِمُ اللهُ آياتِهِ واللهُ عليمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢] فلما برأ الله عزّ وجل نبيه ﷺ من سجع الشيطان وفتنته انقلب المشركون بضلالتهم وعداوتهم، ثم أمر النبيَّ ﷺ بالاستعاذة، فأنزل الله عزّ وجل: ﴿فإذا قرأتَ القرآنَ فاستعذْ بالله من الشيطان الرجيم﴾ [النحل: ٩٨].

قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: معناه إذا أردت أن تقرأ القرآن فقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، يعني: احترز بالله من الشيطان الرجيم: أي إبليس اللعين، يعني المرجوم باللعنة، يقال: ليس شيء قط أغيظ على

إبليس اللعين من التعوّذ بالله منه: ﴿إنَّهُ ليسَ لهُ سُلطانٌ﴾ [النحل: ٩٩] يعني: ملك ﴿على الذين آمنوا﴾ في علم الله في الشرك فيضلهم عن الهدى: ﴿وعلىٰ ربِّهم يتـوكّلوُن﴾ يعني بالله يثقـون ﴿إنما سلطانه﴾ يعني ملكه ﴿على الذين يتـولّونه﴾ يعني إبليس اللعين يعني يتبعونه على أمره ﴿فيضلهم عن دينهم﴾ الإسلام ﴿والذينَ هُم بهِ﴾ يعني بالله ﴿مُشركُون﴾ [النحل: ١٠٠] أي من أجله مشركون.

(فصل)

ومعنى أعوذ: الاستعاذة والاستجارة والالتجاء، والمعاذ: الملتجأ، يقال: عاذ به يعوذ عياذاً وأعوذ عوذاً، ومعنى معاذ الله: أي ألجأ إليه وأعوذ به، يقال: هذا عوذٌ لي مما أخافُ، أي مجيري والدافع عني، فكأن العبد يعوذ بالله ليقيه من شرّ الشيطان، والتعوّذ بالقرآن هو التشفي به.

وقيل: معنى الاستعاذة: الاحتراز بالله عزّ وجل، قال الله تعالى حاكياً عن أم مريم: ﴿وإني أعيذُها بِكَ وذُرِيَتَها﴾ [آل عمران: ٣٦] يعني مريم وعيسى ﴿مِن الشّيطانِ الـرَّجيم﴾ يعني أحتـرز بالله في حقهما من الشيطان الرجيم، واشتقاق الشيطان مأخوذ من الشطن وهو الحبل الطويل المضطرب، والشطن البُعْدُ، فكأنه تباعد من الخير وطال في الشرّ واضطرب فيه، ثم قيل للإنسان شيطان: أي كالشيطان في فعله، وكـل شيء مُسْتَقْبَـحٌ فهو مشبه بالشيطان، فيقال: كأنّ وجهه وجه الشيطان، وكأن رأسه رأس الشيطان، ومنه قوله عزّ وجل: ﴿طَلْعُهَا كأنهُ رؤوسُ الشياطِين﴾ [الصافات: ٦٥] فهو رأس الشيطان المعروف.

وقد قيل: هو حيات لها رؤوس منكرة وأعراف؛ وقيل: رؤوس الشياطين نَبْتٌ معروف، وأما الرجيم: فهو المرجوم باللعن: أي رماه باللعن وأبعده من الحضرة بعصيانه في ترك السجود لآدم عليه السلام، ورجمته الملائكة بالرماح، وطردته بها حينئذ من السماء إلى الأرض؛ ثم جعلت له الكواكب رجوماً، فَيُرجَمُ

هو وذريته إلى أن تقوم الساعة بالكواكب وباللعن، كما قال الله عزّ وجل: ﴿وجعلناها رجوماً للشياطين﴾ [الملك: ٥].

(فصل)

الشيطان بعيد من الله، وبعيد من كل خير، وبعيد من الجنة، وقريب إلى النار. فَأَمرَ النبيُّ ﷺ وأمته الكرام بالتعوّذ من الشيطان الرجيم المبعد من الرحمن ليبعدوا من النيران، ويتقرّبوا إلى الجنان، وينظروا إلى وجه المنان الديان، فكأن الله عز وجل يقول: يا عبدي الشيطانُ مني بعيدٌ، وأنت مني قريبٌ، فأحسن الأدبَ في حفظ الحال حتى لا يكون للشيطان عليك سبيلٌ بسبب من الأسباب، وحسن الأدب في أداء الأمر وانتهاء النهي والرضا بجريان المقدور في النفس والمال والأهل والولد والخلائق أجمعين، فإذا دام العبد على ذلك ولازمه وواظب عليه وعانقه، كانت له النجاةُ من فتن الشيطان ووساوسه، وهواجس النفس وغوائلها، وعذاب القبر وضغطته، وهول القيامة وشِدَّتها، وألم النار وزفرتها، وكان في جوار الله في جنة المأوى، مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا، متقلباً في نعم الله في كل حال، دائماً أبداً، قال الله عزّ وجل: ﴿إن عبادِي ليسَ لكَ عَليهِم سُلطانٌ﴾ [الحجر: ٤٢؛ الإسراء: ٦٥].

فإذا كان على العبد سمة العبودية للملك الأعلى، لم يكن للشيطان الضعيف الخسيس الأدنى عليه تسلط وابتلاء لا في الجلوة ولا إذا خلا، لا على القلب بالمعصية إذا نوى ولا على الجوارح؛ إذا كادت بها أن تهوى وتردى، فحينئذ يسمعُ النداء هكذا فعلنا بمن ترك الهوى، واتبع الحق وبه اهتدى، وفيه

يختصم الملأ الأعلى، وبالعظيم يدعى في الملكوت الأعلى، وبه يباهي الملك الأعلى على العرش إذ هو عليه استوى، بكلامه القديم، المصون من سجع الشيطان والباطل عند قراءة القارئ إذا قرأ: ﴿كذلك لِنَصْرِفَ عنه السُّوءَ والفحشاءَ إنه من عبادِنا المُخْلَصين﴾ [يوسف: ٢٤] إذ هو في السرّ والعلانية أتقى، فالفرار من الشيطان الرجيم ودعائه أحرى وأولى، إذ الحذر واقع من العليِّ الأعلى حيث قال: ﴿إن الشيطان لكم عدوٌّ فاتخذوه عدواً، إنما يدعو حِزْبَهُ ليكونوا من أصحاب السعير﴾ [فاطر: ٦]﴿ولقدأضلَّ منكم جِبِلاً كثيراً أفلمْ تكونوا تعقِلونَ﴾ [يسٓ: ٦٢] فاتباع الشيطان أصل كل شقاوة وعناء، وفي المخالفة سعادة ونعماء وراحة وهدى، والخلود في دار البقاء.

(فصل)

ويستفيدُ العبد بالاستعاذة خمسةَ أشياء: أحدها: الثبات على الدين والبقاء. والثاني: السلامة من شر العنى والعناء. والثالث: الدخول في الحصن الحصين والزلفى. والرابع: الوصول إلى المقام الأمين مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين. والخامس: نيل معونة ربّ الأرض والسماء.

كما ذكر في بعض الكتب المتقدمة لما قال إبليس اللعين في مخاطبته لله عز وجل: ﴿لآتـِيَنَّهُمْ من بين أيدِيهمْ ومِن خَلْفِهِم وعن أيمانِهم وعن شَمائِلِهِم﴾ [الأعراف: ١٧] قال الله تعالى: وعزّتي وجلالي لآمرنهم بالاستعاذة فإذا استعاذوا بي حفظتهم عن اليمين بالهداية، وعن الشمال بالعناية، وعن الخلف بالعصمة، وعن القدّام بالنصرة، حتى لاتضرّهم وَسْوَسَتُكَ يا ملعون.

ورد في بعض الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَن استعاذ بالله

مرّة حفظه الله تعالى في يومه ذلك»[1].

وقال أيضا عليه الصلاة والسلام: «أغلقوا أبواب المعاصي بالاستعاذة، وافتحوا أبواب الطاعة بالتسمية»[2].

وقيل: إن إبليس يبعث كل يوم ثلثمائة وستين عسكراً لإضلال المؤمن، فإذا استعاذ المؤمن بالله عز وجل نظر الله إلى قلبه ثلثمائة وستين نظرة، ففي كل نظرة من نظراته يهلك عسكراً من عساكره لعنه الله.

(فصل)

والذي يخاف الشيطان منه ويحذره الاستعاذة، وشعاعُ نور معرفة قلوب العارفين، فإنْ لم تكن من العارفين فعليكَ باستعاذة المتقين إلى الله ترقى إلى درجة العارفين، فحينئذ شعاعُ نور قلبك يكسر شوكته، ويهزم جنده ويبيد خضراءه، ويقلع شأفته في خاصتك، وربما جعلت سجنه لإخوانك وأتباعك، كما ورد عن النبيّ ﷺ في حقّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن الشيطان يفرّ من ظلك يا عمر»[3] وقوله ﷺ: «ما سلك عمر وادياً إلا والشيطان سلك غير ذلك الوادي»[4].

وقيل: إن الشيطان كان يُصْرَعُ إذا رأى عمر رضي الله عنه.

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ. لكن أخرج أبو يعلى كما في «المجمع» ١٠/١٤٢ بإسنادٍ ضعيف عن أنس مرفوعاً: «من استعاذ بالله في اليوم عشر مرات من الشيطان وَكَّلَ الله به ملكاً يردُّ عنه الشياطين».

(٢) يُشبه كلام المتصوفة.

(٣) أخرجه ابن عساكر من حديث عائشة مرفوعاً: «إنَّ الشيطانَ يفرقُ من عمر بن الخطاب». انظر «الكنز» (٣٢٧٦٤).

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٩٦) من حديث سعد بن أبي وقاص.

فإذا علم الشيطانُ من العبد الصدقَ في عداوته ومخالفته لدعوته أيِسَ منه وتـركه واشتغل بغيره، وإنما يأتيه لمماً أحياناً على وجه الاختفاء والتلصص؛ فليكن العبد أبداً ملازماً للصدق مستيقظاً مرتقباً لمجيء الشيطان وكيده، فإنَّ مثقبه دقيق، وعداوته قديمة أصلية، وإنه يجري في الجلود واللحوم كجري الدم في العروق، وقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول بعد كبره: اللهم إني أعوذ بك من أن أزني أو أقتل، فقيل له: أتخاف من ذلك؟ فقال: كيف لا أخاف وإبليس حيّ.

(فصل)

وأولى ما يُسْتعانُ به على محاربة الشيطان ودفعه كلمةُ الإخلاص، وذكر المرء ربَّهُ عزَّ وجل، كما قال النبي ﷺ حاكياً عن ربه عز وجل أنه قال: «لا إله إلا الله حِصْني، فمن دخل حصني فقد أمِنَ من عذابي»[1] وقوله عليه الصلاة والسلام: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة»[2].

فالشيطان سبب العذاب، فإذا قال العبد الكلمة وتقمص بموجباتها من أداء الأوامـر وترك النواهي، فرآه الشيطان متلبساً بذلك، تباعد منه ولم يقدم عليه، فنجا العبد من فتنته، كما ينجو بِجُنَّةِ القتال من سلاح عدوّه.

وكذلك التسمية يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، فإنه روي عن النبيّ ﷺ: «أنه سمع رجلاً يقول: تَعِسَ الشيطانُ، فقال له عليه الصلاة والسلام: لا تقل هكذا فإنه يتعاظم

---

(١) حديث لا يصحُّ. أخـرجه الحاكم في «تاريخ نيسابور»، وأبو نعيم في «الحلية»، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٤٥١) من رواية علي بن موسى الرضا عن آبائه، وهو ضعيف جداً. انظر «تنزيه الشريعة» ١/١٤٧ـ١٤٨، وتعليق «مسند الشهاب» لمحققه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٢٢)، ومسلم (٩٤) من حديث أبي ذرّ.

الشيطان اللعين ويقول: بعزّتي غلبتك، ولكن قل: بسم الله، فإنه يتصاغر الشيطانُ حتى يصير مثل الذرة»[1].

وكذلك يستعان عليه بترك الطمع فيما سوى فضلِ الله عز وجل من أبناء الدنيا وأموالهم وحمدهم وثنائهم وجَمْعِهم والتكثر بهم وهداياهم، فإن الدنيا وأبناءها مالُ الشيطان وجنوده وحزبه، والمرء مع ماله والملك مع جنده، فعلى العبد اليأس من ذلك كله، والاستغناء بالله عزّ وجل والثقة به، والتوكل عليه، والرجوع إليه في جميع أموره، وأحواله واستعمال الورع من الحرام والشبهة، وترك مِنّة الخَلْق والتقلل من مباح الدنيا وحلالها، والأكل بشهوة وشَرَهٍ كحاطب الليل من غير تفتيش وتنقير، ومَنْ لم يبالِ من أين مَطْعَمُهُ ومشربه لم يبالِ الله تعالى من أيِّ أبوابِ النار يدخله. فَيَلْزَمُ العبدُ ذلك حتى ييأسَ الشيطانُ منه، فَيَسْلَمُ برحمةِ الله وعونه، فإن لم يفعل ذلك، فالشيطان قرينه، في قلبه وصدره؛ قال الله عزّ وجل: ﴿ومَنْ يَعْشُ عن ذكرِ الرحمن نُقَيِّضْ له شيطاناً فهوَ لهُ قَرينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦] فتارةً يوسوسه في الصلاة، وأخرى يُمنِّيه الأماني الباطلة من شهوات النفس المحرّمة منها والمباحة، ومرة يُثَبِّطُهُ عن المسارعة في الخيرات، والإتيان بالسنن والواجبات، والعبادات والقُربات، فيخسر الدنيا والآخرة، فيحشر معه، وربما سُلِبَ الإيمانَ في آخر عمره فيخلد معه في النار يوم القيامة، مع فرعونَ وهامانَ وقارون، نعوذ بالله من سَلْبِ الإيمان، ومتابعة الشيطان في السرّ والإعلان.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٨٢)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٠٩)، والحاكم ٤/٢٩٢، والبغوي (٣٣٨٤)، والنسائي في «اليوم والليلة» (٥٥٤) و(٥٥٥) و(٥٥٦) من طرق عن خالد الحذاء، عن أبي تميمة الهجيمي عن ردف رسول الله، وفي بعضها: عن أبي المليح عن رجل، وفي رواية: عن أبيه، وفي بعضها: عن أبي المليح مرسلاً. ورجاله ثقات، لكن يبقى فيه علة الانقطاع أو الإرسال.

(فصل)

روى مقاتل عن الزهريّ عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «راح أصحابُ رسولِ الله ﷺ ذات عشية يريدون رسولَ الله ﷺ، فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وسلمان وعمار بن ياسر رضي الله عنهم أجمعين، فخرج رسول الله ﷺ وقد أخذته الرحضاء، يعني عرق الحمى، يتحدَّرُ منه مثل الجمان، يعني اللؤلؤ، ثم مسح جبهته وقال: لعن الله الملعون ثلاثاً، ثم أطرق، فقال له عليّ رضي الله عَنه: بأبي أنت وأمي مَنْ لعنتَ آنفاً؟ فقال ﷺ: إبليس الخبيث، عدوّ الله أُدخل ذَنَبه في دبره، فباض سبع بيضات، فهم أولاده الموكلون ببني آدم:

أحدهم اسمه المدهش وُكِّلَ بالعلماء، يردهم إلى الأهواء المختلفة.

والثاني: اسمه حديث، وهو صاحب الصلاة، فينسيهم الذكر، ويعبثهم بالحصا، ويطرح عليهم التثاؤب والنعاس حتى ينام أحدهم فيقال له: قد نمت، فيقول: لم أنم، فيدخل في الصلاة بغير وضوء، والذي نفسُ محمدٍ بيده ليخرجنّ أحدهم من صلاته ما له شطرها ولا ربعها ولا عُشْرها، ووِزْرُهَا أكثر من أجرها.

والثالث: اسمه الزلبنون، وهو صاحب الأسواق، يأمرهم بالتطفيف والكذب في الشراء والبيع والتحلية لسلعه، والمدحة لها إذا باعها حتى ينفقها عن نفسه.

والرابع: اسمه بتر، وهو صاحب قَدِّ الجيوبِ وخمش الوجوه، والدعاء بالويل والثبور عند نزول المصيبة، حتى يُحْبِطَ أجرَ صاحبها.

والخامس: اسمه منشوط، وهو صاحب أخبار الكذب والنميمة والهمز والفخر حتى يؤثم العباد.

والسادس: اسمه واسم، وهو صاحب الزنا الذي ينفخ في إحليل الرجل وعجز المرأة حتى يزني كل واحدٍ منهما بصاحبه.

والسابع: اسمه الأعور، وهو صاحب السرقة، يقول للسارق: تسدُّ بها فاقتك، وتقضي بها دينك، وتستر بها عورتك ثم تتوب [1].

فينبغي لكل مؤمن أن لايغفل عن الشيطان في سائر أحواله، ولا يأمنه في جميع أموره.

وقد جاء في الحديث عن النبيّ ﷺ أنه قال: «إن للوضوء شيطاناً يقال له الولهان، فاستعيذوا بالله منه» [2]

وجاء في الحديث عن النبيّ ﷺ أنه قال: «تراصوا في الصفوف لئلا يتخللكم الشياطين كأنها بنات حَذف» [3] قالوا: وما بنات حذف؟ قال أبو حذيفة: قال أبو عبيدة: هي هذه الغنم الصغار الحجازية، واحدتها حذفة، ويقال نقد أيضاً، ونقاد: ليس لها أذناب ولا آذان يجاء بها من جرش، بلد باليمن.

---

(١) حديث موضوع. رُوي نحوه عن عمر كما في «ذيل اللآلئ» ص ١٩، وفيه: قال ابن عساكر: حديث منكر، وقال ابن حجر في «اللسان»: إنه ظاهر الوضع. (كذا في الطبعة المحققة).

(٢) أخرجه الترمذي (٥٧)، وابن ماجة (٤٢١)، وإسنادُه ضعيف جداً. تفرَّد به خارجة ابن مصعب، وقد تركه جمعٌ منهم النسائي وأبو أحمد الحاكم وغيرهما. وقال الترمذي: ليس إسنادُه بالقوي والصحيح عند أهل الحديث.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٩٣٧٦) من حديث ابن مسعود موقوفاً بلفظ: «سووا صفوفكم فإن الشيطان يتخللها كالحذف أو كأولاد الحذف». وفي «المجمع» ٢/٩٠: ورجالُه ثقات.

وأخرجه أبو داود (٦٦٧)، والنسائي ٢/٩٢ من حديث أنس، وفيه عنعنة قتادة.

وأخرجه أحمد ٤/٢٩٦ ـ ٢٩٧، والحاكم ١/٢١٧، والبيهقي ٣/١٠١ من حديث البراء بإسنادٍ لا بأسَ به. وفي الباب غيره. وبالجملة فإنَّ الحديث حسن.

وقد روي عن عثمان بن العاص رضي الله عنه أنه قال: «قلت: يا رسول الله كيف حالَ الشيطانُ بيني وبين صلاتي وقراءتي، فقال ﷺ: ذاك شيطان يقال له خنزب، إذا أحسسته فتعوَّذْ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاثاً، قال: ففعلتُ ذلك، فأذهبه الله عني»[1].

وقال النبيّ ﷺ في الحديث المشهور: «ما منكم من أحد إلا وله شيطان، قالوا: ولا أنتَ يا رسول الله؟ قال ﷺ: ولا أنا إلا أن الله تبارك وتعالى قد أعانني عليه فأسلم»[2].

وفي حديث آخر عنه ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجنّ، قيل: ولا أنتَ يا رسول الله؟ قال ﷺ: ولا أنا، إلا أن الله قد أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير»[3].

وقيل: إن الله لما لعن إبليس، خلق منه زوجته الشيطانة من ضلعه الأيسر، كما خلقت حوّاء من آدم عليه السلام، فغشيها فحملت منه إحدى وثلاثين بيضة، فصارت أصلاً لذرّيته، فتفرّعت الذرية عنها، فطبقت البرّ والبحر حتى قيل: فقصت كلُّ بيضةٍ عشرةَ آلافِ ذكرٍ وأنثى، يعني تفرّعت منها، فسكنوا الجبالَ والجزائر والخرابات والفلوات والبحار والرمال والأدغال والآجام والعيون ومجامع الطرق والحمامات والكنف والمزابل والهواء ومعارك الحروب والنواقيس والقبور والدور والقصور وخيام الأعراب وجميع البقاع. وقال الله

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠٣).

(٢) أخرجه ابن حبان (٦٤١٦)، والبزار (٢٤٣٩)، والبخاري في «تاريخه» ٤/٢٣٩، والطبراني (٧٢٢٢) و(٧٢٢٣) من طريقين عن زياد بن علاقة، عن شريك بن طارق مرفوعاً. وجزم ابن أبي حاتم في «الجرح» أنه مرسل، أي: شريك لم يسمع النبي. فالحديث مرسلٌ على خلافٍ! وانظر «الإصابة» ٣/٢٠٦ ـ ٢٠٧. ولكن الحديث صحيح بالرواية الآتية.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨١٤) من حديث ابن مسعود.

تعـالى: ﴿أفتتخـذونَهُ وذرِّيتَهُ أولياءَ من دوني وَهُم لكم عدوٌّ، بئسَ للظالمين بَدَلا﴾ [الكهف: ٥٠].

فويلٌ لمن استبدل بعبادة الله عزّ وجلّ طاعة الشيطان وذرّيته، لا جرم أنه معهم في النـار خالداً فيها إن لم يتب ولم يتذكر، فينتبه لنفسه ويسعى في فكاكها وخلاصها، فيفارق قرناء السوء والأعمال الخبيثة، ودعاة الضلال وجنود الشيطان، فيرجع إلى الله، ويلزم طاعته، ويجالس العلماء من عباده، والعارفين به العاملين له الداعين إليه الراغبين فيه، والراجين لفضله الخائفين لسطوته، الـراهبينَ من أخْذَتِهِ الزاهدين في الدنيا، الراغبين في العقبى، القائمين في الليل، والصائمين في النهار، الباكين على ما فات من أيام البطالات، العازمين على الخيرات فيما يأتي من الساعات، التائبين من جميع الذنوب والخطيئات، المتوكلين على خالق الأرض والسموات، الواثقين بربِّ الخليقة والبريّات في اللحظات والساعات، القانتين في آناء الليل وأطراف النهار، أولئك آمنون من السلاسل والأغلال وآفات الدنيا وأهوال النيران، لأنهم خالفوا طاعة الشيطان، وأطاعوا الرحمن في السرّ والإعلان، فقابلهم الديَّان، وجازاهم المنان بما أخبر في قوله البيان: ﴿فوقَاهُمُ الله شرَّ ذلك اليوم ولقَّاهم نضرةً وسُرورا * وجَزاهُـم بما صَبروا جنةً وحَريرا﴾ [الإنسان: ١١، ١٢] وقوله تعالى: ﴿إنّ المتقين في جنات ونَهَر في مقعد صِدْقٍ عند مَليكٍ مقتدر﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥] وقال تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمن: ٤٦].

وقد ذكر الله عزّ وجلّ في كتابه هذا العبدَ المفتون بعد تقواه بقوله تعالى: ﴿إن الَّذين اتقَوا إذا مَسَّهم طائفٌ من الشيطان تَذَكَّرُوا فإذا هم مُبصرون﴾ [الأعراف: ٢٠١].

فأخبر عزّ وجلّ أن جلاء القلوب بذكر الله وبه يزول عنها الغطاء والظلمة والرين والغفلة، وبه تنكشف الكروب، فالذكر مفتاح التقوى والورع، والتقوى باب الآخرة، كما أن الهوى باب الدنيا، قال الله تعالى: ﴿واذكروا ما فيهِ لعلكم تتقون﴾ [البقرة: ٦٣] فأخبر تبارك وتعالى أنّ الإنسان بالذكر يتقي.

(فصل)

وفي القلب لمَّتان: لمة من الملك، وهي إيعادٌ بالخير، وتصديق بالحقّ، ولمـة من العدوّ، وهي إيعاد بالشرّ، وتكذيب بالحقّ، ونهي عن الخير، وهو مرويّ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

وقال الحسن البصري رحمه الله: وإنما هما همّان يجولان في القلب: همٌّ من الله، وهمّ من العدوّ، فرحم الله عبداً، وقف عند هَمِّه، فما كان من الله أمضاه، وما كان من عدوّه جاهده.

وقال مجاهد رحمه الله في قوله تعالى: ﴿مِن شرّ الوَسْواسِ الخنَّاسِ﴾ [الناس: ٤] قال: هو ينبسط على قلب الإنسان، فاذا ذكر الله خنس وانقبض، وإذا غفل انبسط على قلبه.

وقال مقاتل رحمه الله: هو الشيطان في صورة الخنزير معلق في القلب في جسد ابن آدم، يجري منه مجرى الدم، سلَّطه الله عزّ وجلّ على ذلك من الإنسان، فذلك قوله: ﴿الذي يُوسوِسُ في صُدورِ الناسِ﴾ [الناس: ٥] فاذا سها ابنُ آدمَ وسوس في قلبه حتى يبتلع قلبه الخنَّاس، الذي إذا ذكر الله عزّ وجلّ ابنُ آدم خنس عن قلبه، فذهب عنه وخرج من جسده.

وقـال عكرمة رحمه الله: الوسواس محله من الرجل في فؤاده وعينيه، ومحله في المرأة في عينيها إذا أقبلت، وفي عجيزتها إذا أدبرت.

(فصل)

وفي القلب خواطر ستة: أحدها: خاطر النفس. والثاني: خاطر الشيطان. والثالث: خاطر الروح. والرابع: خاطر الملك. والخامس: خاطر العقل. والسادس: خاطر اليقين.

فخاطر النفس يأمر بتناول الشهوات ومتابعة الهوى المباح منه والجناح.

وخاطر الشيطان يأمر في الأصل بالكفر والشرك والشكوى والتهمة لله عزّ وجلّ في وعده، وفي الفزع بالمعاصي والتسويف بالتوبة، وما فيه هلاك النفس في الدنيا والآخرة.

فالخاطران مذمومان محكوم لهما بالسوء، وهما لعموم المؤمنين.

وخاطر الروح، وخاطر الملك: يردان بالحقّ والطاعة لله عزّ وجلّ، وما يكون عاقبته سلامة الدنيا والآخرة، وما يوافق العلم، فهما محمودان لايعدمهما خصوص الناس.

وأما خاطر العقل، فتارة يأمر بما تأمر به النفس والشيطان، وأخرى بما يأمر به الروح والملك، وذلك حكمة من الله وإتقان لصنعه، ليدخل العبد في الخير والشرّ بوجود معقول، وصحة شهودٍ وتمييز، فيكون عاقبة ذلك من الجزاء والعقاب عائداً له وعليه، لأن الله تعالى جعل الجسم مكاناً لجريان أحكامه، ومحلاً لنفاذ مشيئته في مباني حكمته؛ كذلك جعل العقل مطية الخير والشرّ، يجري معهما في خزانة الجسم إذ كان مكاناً للتكليف وموضعاً للتصريف، وسبباً للتعريف العائد إلى لذّة النعيم أو عذاب أليم.

وأما خاطر اليقين، وهو روح الإيمان ومورد العلم، فيرد من الله تعالى، ويصدر عنه، وهو مخصوص بخواصّ من الأولياء الموقنين الصدّيقين، والشهداء

والأبدال، لا يرد إلا بحقّ، وإنْ خفيَ ورودُه ودقّ مجيئه؛ ولا ينقدح إلا بعلم لدني وأخبار الغيوب وأسرار الأمور، فهو للمحبوبين والمرادين والمختارين الفانين بالله فيه عنهم، الغائبين عن ظواهرهم، الذين انقلبت عبادتهم الظاهرة إلى الباطنة، ما خلا الفرائض والسنن المؤكدات، فهؤلاء أبداً في مراقبة بواطنهم، والله تعالى يتولى تربية ظواهرهم، كما قال عزّ وجلّ في كتابه العزيز: ﴿إنَّ وليّيَ اللهُ الذي نَزَّلَ الكتابَ وهو يتولى الصالحين﴾ [الأعراف: ١٩٦].

تولاهم وكفاهم، وأشغل قلوبهم بمطالعة أسرار الغيوب، ونوّرها بالتجلي في كلّ قريب، فاصطفاهم لمحادثته، واختصهم بالأنس به، والسكون إليه، والطمأنينة لديه، فهم في كل يوم في مزيدِ علمٍ ونموّ معرفة، وتوفير نور، وقُرْبٍ من محبوبهم ومعبودهم، وهم في نعيمٍ لا نفاد له، وآلاء لا انقطاع لها، وسرور لا غاية له ولا منتهى، فإذا بلغ الكتابُ أجَلَهُ، وانتهى ماقُدِّرَ لهم من البقاء في دار الفناء، نقلهم منها بأحسنِ الانتقال، كما ينقلُ العروسَ من حجرةٍ إلى دار، من الأدنى إلى الأعلى، فالدنيا في حقهم جنة، وفي الآخرة لأعينهم قرّة، وهو النظر إلى وجهه الكريم من غير حجابٍ ولا باب ولا حاجب ولا بوّاب، ولا مانع ولا جداد(*)، ولا مَنّ ولا امتنان، ولا ضيمٍ ولا إضرار، ولا انقطاع ولا نفاد، كما قال عزّ من قائل: ﴿إن المتقينَ في جناتٍ ونَهَر، في مقعدِ صِدْقٍ عندَ مليكٍ مقتدرٍ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥] وكما قال: ﴿للذينَ أحسنوا الحُسنى وزيادة﴾ [يونس: ٢٦].

أحسنوا في الدنيا له بالطاعة، فجازاهم في العقبى بالجنة والكرامة، وأعطاهم النعمة والسلامة، وزادوا له بتطهير القلوب وترك العمل لما سواه، فجازاهم سبحانه وتعالى بالزيادة في دار البقاء والمنة، وهو دوام النظر إلى وجهه الكريم، كما أخبر في كتابه المبين لعباده أولي الألباب والعقول.

(*) والجد بمعنى الصرم والقطع، ومنه: جد النخيل: صرمه.

(فصل)

والنفس والروح مكانان لإلقاء الملك والشيطان؛ فالملك يلقي التقوى إلى القلب، والشيطان يلقي الفجور إلى النفس، فَتُطالِبُ النفسُ القلبَ باستعمال الجوارح بالفجور. وفي مكانين في البنية: العقل والهوى، يتصرفان بمشيئة حاكم، وهو التوفيق والإغواء. وفي القلب نوران ساطعان: وهما العلم، والإيمان. فجميع ذلك أدوات القلب وحواسه وآلاته، والقلب في وسط هذه الآلات كالملك وهذه جنوده يردون إليه، أو كالمرأة المجلوّة، وهذه الآلات حولها تظهر فيراها ويقدح فيها فيجهدها.

(فصل)

أعوذُ بربِّ العرش والكرسي من الشيطان الغويِّ، وخواطر السوء وهواجس النفس، ومن فتنة كل جنّي وإنسيّ، ومن رياءٍ ونفاقٍ وعُجْبٍ وكِبْرٍ وشرك وخلالِ السوء الناشئة في قلبي، ومن كل شهوةٍ ولذّة مُرْديةٍ إلى المهالك نفسي، ومن البدَع والضلال والأهوية المسلطة للنيران على جسمي، ومن كل قول وفعل وهمة تحجب من الغيوب العرشية قلبي، ومن اتباع الأهوية المضلة والطبائع النفسية والأخلاق الردية.

أعوذ بالملك الحميد المجيد من الشيطان الخبيث المريد، أعوذ بالربّ الودود من نقمته إذا غفلت عن طاعته إذ هو أقرب إليّ من حبل الوريد، أعوذ به من سطوته إذا غضب على أهل المعصية، أعوذ به من هيبته عند شدة بطشه في يوم القيامة للطاغين من بَرِيَّتِهِ، وأعوذ به من كشف الغطاء، والستر والتيهان في معصيته في البرّ والبحر، ونسيان الأصل والفرع، والميل إلى الزيغ والرعونة والخيلاء والكبر، وترك الطاعة والقربة والبرّ والتألّي عليه، والأيمان الكاذبة،

والحنث دون البرّ، وخاتمة السوء والإفلاس من كل خير، والموافاة عند حضور المنية بالشرّ.

(فصل)

ومجاهدة الشيطان باطنة وهي بالقلب والجنان والإيمان، فإذا جاهدته كان مَدَدكَ الرحمنُ، ومعتمدكَ الملكُ الديان، ورجَاءَكَ رؤية وجه الجليل المنان.

وجهاد الكفار جهاد ظاهر بالسيوف والرماح، ومددك فيه الملكُ والأعوان، ورجاؤك فيه دخولُ الجِنان. فإنْ قُتِلتَ في مجاهدة الكفار كان جزاؤك الخلود في دار البقـاء، وإن قتلت في مجاهدة الشيطان ومخالفتك إياه بفناء أجلك واحترام منيتك كان جزاؤك رؤية وجه ربّ العالمين عند اللقاء؛ فإنْ قَتَلَكَ الكافرُ كنتَ شهيداً، وإن قتلك الشيطان بمتابعتكَ إياهُ، والانقيادِ لأمره كنتَ من قُرْب الملك الجبار طريداً، فجهاد الكفار له نهاية وفناء، وجهاد الشيطان والنفس لا غاية له ولا منتهى، قال الله جلّ وعـلا: ﴿واعْبُـدْ رَبَّكَ حتى يأتيكَ اليقينُ﴾ [الحجر: ٩٩] يعني الموت واللقاء.

فالعبادة بمخالفة الشيطان والهوى، قال الله عز وجل: ﴿فَكُبْكِبُوا فيها هم والغـاوُون وجنودُ إبليسَ أجمعونَ﴾ [الشعراء: ٩٤، ٩٥] وقال النبيّ ﷺ حين رجع من غزوة تبوك: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»[1] عنى به ﷺ مجـاهـدةَ الشيطانِ والنفس والهـوى لمـداومتهـا وطول ممارستها وخطرها والخوف من سوء خاتمتها.

---

(١) لا يصحُّ. قال العسقلاني في «تسديد القوس»: هو مشهور على الألسنة، وهو من كلام إبراهيم بن أبي عبلة في «الكنى» للنسائي.

وأخرجه الخطيب في «تاريخه»، والبيهقي من حديث جابر بإسنادٍ ضعيف. انظر «الأسرار المرفوعة» ص ٢١١ - ٢١٢.

مجلس آخر في قوله عزّ وجل: ﴿إنهُ من سليمانَ وإنَّهُ بسمِ اللهِ الرحمنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠].

اعلم أن هذه الآية الشريفة في سورة النمل، وهي مكية، وعدد آياتها ثلاث وتسعون آية، وكلماتها ألف ومائة وتسع وأربعون كلمة، وحروفها أربعة آلاف وسبعمائة وتسعة وتسعون حرفا.

وذلك أن سليمان بن داود النبيّ عليه السلام وعلى نبينا المصطفى وعلى سائر الأنبياء والمؤمنين وسائر عباد الله الصالحين وملائكته المقرّبين، لما خرج من وادي النمل في مسيره من بيت المقدس إلى اليمن، أخذ بالناس في مفازةٍ، فعطش الناس، فسألوه الماءَ، فتفقّدَ الهدهدَ عند ذلك فسأل عنه، ودعا أميرَ الطيور وهو الكركي، فسأله عنه، ولم يكن معه إلا هدهد واحد، فقال الكركي: لا أدري أين ذهب ولا استأمرني، وكان عليه السلام يريد الهدهد ليضع منقاره في الأرض فيخبره كم بُعْدُ الماء وقربه، وكم بينه وبين الماء من قامة أو فرسخ، وكان الهدهد مخصوصاً بذلك من دون بقية الطيور، وكان إذا أريد منه ذلك ارتفع في طيرانٍ إلى الجو فينظر، ثم ينقضُّ إلى طين تلك البقعة التي فيها الماء، فيضع منقاره فيها فيعرف ذلك، فتبادرُ الشياطينُ فتحفر تلك البقعة فيخرج الماء، فتتخذ الأحواضَ والبرك والركايا، وتملأ الروايا والقرب والظروف، وتشرب الدوابُّ والناس والجانّ، ثم يرتحلون.

فلما فقد الهدهد في تلك الساعة، غضب سليمان عند ذلك غضبا شديداً وأوعده فقال: ﴿لأُعَذِّبَنَّهُ عذاباً شديداً﴾ [النمل: ٢١] يعني لأنتفنّ ريشه فلا يطير مع الطيور حولاً كاملا: ﴿أو لأذبحنه﴾ ثم استثنى: ﴿أو ليأتينِّي بسلطانٍ مبين﴾ يقول: أو ليأتيني بعذر، وحجة بَيِّنَةٍ، وكان أشدّ عذابه الذي يعذّب به الطير لما يريد عذابه أن ينتف ريشه حتى يتركه أقرع ليس عليه ريش.

قال: ﴿فمكثَ غير بعيد﴾ أي لبث غير طويل، ثم أقبل الهدهد فقيل له: إن سليمان قد أوعدك فقال: هل استثنى؟ قيل نعم، قال: فأقبل حتى قام بين يديه وسجد، فقال: دام ملكك الدهر وعشت الأبد، فجعل ينكت بمنقاره ويومئ برأسه إلى سليمان ﴿فقال﴾ له: ﴿أحطتُ بما لم تُحِطْ به﴾ يقول:

بلغت وعلمت بما لم تبلغْ وتعلم، يعني جئتك بأمرٍ لم يخبرك به الجنّ، ولم ينصحوك فيه، ولم تعلم به الإنس: ﴿وجئتك من سبأ﴾ يعني من أرض سبأ ﴿بنبأ يقين﴾ يعني بخبرٍ عجيب لاشك فيه، فقال له سليمان: ماهو؟ فقال: ﴿إني وجدتُ امرأةً تملكهم﴾ يقال لها بلقيس بنت أبي السرح الحميرية: ﴿وأوتيت من كل شيء﴾ يعني أُعطيت من كل شيء في بلادها اليمن وما والاها من العلم والسلطان والمال والجنود وأنواع الخيل: ﴿ولها عرشٌ عظيم﴾ يعني سرير حسن؛ وكان طول عرشها في السماء ثلاثين ذراعاً وقيل في السماء ثمانون ذراعاً، وفي العرض ثمانون في ثمانين ذراعاً مكللاً بأنواع الجواهر والدرر واللؤلؤ: ﴿وجَدْتُهَا وقومَها يسجدون للشمس﴾ يقول: يصلون للشمس ﴿من دون الله﴾ وذلك دين المجوس: ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ يعني حسّنها لهم: ﴿فصدّهم عن السبيل﴾ يعني أن الشيطان صدّها وجنودَهَا عن طريق الإسلام والهدى: ﴿فهم لا يهتدون﴾ يعني لا يعرفون الإسلام: ﴿ألا يسجدوا لله﴾ يعني هلّا يسجدوا لله: ﴿الذي يُخرجُ الخبءَ﴾ يعني الغيب والسرّ ﴿في السمواتِ والأرض ويعلمُ ماتخفون وما تعلنون﴾ بألسنتكم ﴿الله لا إله إلا هو ربُّ العرش العظيم﴾ يعني بالعظيم العرش فـ(قال) سليمان للهدهد دُلَّنا على الماء: ﴿سننظر﴾ فيما تقول: ﴿أصدقتَ﴾ في مقالتك: ﴿أم كنت من الكاذبين﴾ فلما دلهم على الماء وشربوا واستكفوا، دعا سليمان الهدهد وكتب معه كتاباً وختمه بخاتمه ودفعه إليه، ثم قال: ﴿اذهب بكتابي هذا فألْقِهِ إليهم﴾ يعني أهل سبأ ﴿ثم تولَّ عنهم﴾ يعني ارجع ﴿فانظر ماذا يرجعون﴾ يعني ماذا يردّون عليك من الجواب.

والذي كتب في الكتاب: ﴿إنَّهُ من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ إنه من سليمان بن داود ﴿ألاَّ تعلوا علي﴾ يعني أن لا تعظموا على طاعتي: ﴿وأْتوني مسلمين﴾ يعني مصالحين، فإن كنتم من الجنّ فقد عبدتم لي، وإن كنتم من الإنس فعليكم السمع والطاعة؛ قال: فانطلق الهدهد بالكتاب حتى انتهى إليها ظهيرةً وهي قائلةٌ في قصرها قد غلّقت عليها الأبواب،

فلا يصل إليها شيء والحرس حول قصرها، وكان لها من قومها اثنا عشر ألف مقاتل، كل واحد منهم أمير على مائة ألف مقاتل، سوى نسائهم وذراريهم، وكانت تخرج إلى قومها تقضي بينهم في أمورهم وحوائجهم في كل جمعة يوماً، قد جعلت عرشها على أربع أعمدة من ذهب، ثم تجلس هي فيه وهي تراهم ولا يرونها فإذا أراد الرجل منها الحاجة والأمر سألها، فقام بين يديها فينكس رأسهُ ولا ينظر نحوها، ثم يسجد فلا يرفع رأسه، حتى تأذن له إعظاماً لها، فإذا قضت حوائجهم وأمرت بأمرها دخلت قصرها ولم يَرَوْهَا إلى مثلِ ذلك اليوم، ملكها ملك عظيم.

فلما أتى الهدهد بالكتاب وجد الأبواب قد غلقت دونها، والحرس حول القصر دائر حوله، فطلب السبيلَ إليها حتى وصل إليها من كوّة في القصر، فدخل منها من بيت إلى بيت حتى انتهى إلى أقصى سبعة أبيات علا عرشها في السماء ثلاثين ذراعاً، فرآها مستلقية على عرشها نائمة، ليس عليها إلا خرقة على عورتها، وكذلك كانت تصنع إذا نامت. قال: فوضع الكتاب إلى جنبها على السرير، ثم طار فوقف في كوّة ينتظرها حتى تقرأه، فمكث طويلاً وهي لا تستيقظ؛ فلما أبطأ عليه ذلك انحط فنقرها فاستيقظت، فنظرت فإذا هي بالكتاب إلى جنبها على السرير، فأخذته وفركت عينيها فجعلت تنظر ما حالُ الكتاب وكيفَ وصل الكتاب إليها والأبواب مغلقة، فخرجت فإذا الحرس حول القصر، فقالت: هل رأيتم أحداً دخل عليَّ وفتح باباً؟ قالوا لا، مازالت الأبواب مغلقة كما هي ونحن حول القصر نحرس، ففتحت الكتاب وقرأته وكانت كاتبة وقارئة، فإذا فيه: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فلما قرأته أرسلت إلى قومها فاجتمعوا إليها و﴿قالت﴾ لهم ﴿يا أيها الملأ إني أُلقيَ إليَّ كتابٌ كريم﴾ يعني مختوماً وحسناً ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم، ألا تَعْلُوا عليَّ وأتوني مسلمين﴾ يعني مصالحين ﴿فقالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري﴾ يعني أخبروني بما أريد أن أصنع في أمري ﴿ما كنتُ قاطعةً أمراً﴾ يعني عاملة ﴿حتى تشهدون﴾ يعني تسمعون وتحضرون المشورة: ﴿فقالوا نحن أولوَ قوة﴾

يعني منعة ﴿وأولو بأس شديد﴾ لم يغلبنا عدوّ قط بالقتال والمنعة والكثرة، ولم نعط أحداً المقادة، وأنت أعلمُ بأمركِ، فأْمُرينا بأمرٍ نتبعه، فأبوا إلا تعظيماً لحقها، فهو قوله عز وجل ﴿والأمرُ إليكِ فانظري ماذا تأمرين﴾ به نتبع أمركِ، فنطقت بعلم وحكم و: ﴿قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها﴾ يعني خرّبوها ﴿وجعلوا أعزَّةَ أهلها أذلة﴾ يعني منعة أهلها أذلة صغيرة ﴿وكذلك يفعلون﴾ الملوك المحاربون، يأخذون أموالهم ويقتلون مقاتلتهم ويسبون ذراريهم، ثم قالت ﴿وإني مرسلةٌ إليهم بهدية﴾ يعني إلى سليمان ﴿فناظرة بِمَ يرجع المرسَلُون﴾ يعني فأنظر ماذا يردون عليّ رسلي وماذا يخبروني عنه؛ قال: فأهدت إليه اثني عشر غلاماً فيهم تأنيث، مخضبة أيديهم، قد مشطتهم وألبستهم لباس الجواري، وتقدمت إليهم وأوصتهم إذا سئلوا عند سليمان وكلمهم فليردوا جواباً بكلام فيه تأنيث، وأهدت إليه اثنتي عشرة جارية فيهن غلظ، فأستأصلت رؤوسهن وأزرتهن وألبستهن النعال، وقالت لهن: إذا كلمكن سليمان فارددن له جواباً صحيحاً، وأرسلت إليه بعود يلنجوج وبالمسك والعنبر والحرير في الأطباق على أيدي الوصائف، وأرسلت بثنتي عشرة بختية تحلب كذا وكذا من اللبن؛ وأرسلت إليه بخرزتين إحداهما مثقوبة وثقبتها ملتوية، والثانية غير مثقوبة؛ وأرسلت بقدح فارغ، وأرسلت مع هذه الهدية امرأة، وأوصتها بأن تحفظ جميع ما يكون من أمر سليمان وكلامه حتى تخبرها به، وقالت لهم: قوموا بين يديه قياماً ولا تجلسوا حتى يأمركم، فإنه إن كان جباراً لم يأمركم بالجلوس فأرضيه بالمال فيسكت عنا، وإن كان حليماً عليماً عالماً أمركم بالجلوس؛ وأمرت المرأة أن تقول له بأن يدخل في الخرزة المثقوبة خيطاً بغير علاج إنسٍ ولا جان، وأمرتها أن تقول له أن يثقب الأخرى بغير حديد ولا علاج إنس ولا جان، وأن يميز بين الغلمان والجواري، وأمرتها أن تقول له أن يملأ القدح ماء مزيداً روياً، ليس من الأرض ولا من السماء، وكتبت إليه تسأله عن ألف بابٍ من العلم.

فانطلق رُسُلُهَا بهديتها حتى أتوا بها إلى سليمان، فوضعوا الهدية بين يديه

وقاموا على أرجلهم ولم يجلسوا، فنظر إليهم سليمان لحظاً ولم يحرّك يداً ولا رجلاً ولا تهشهش لها ولم يفرح، ولم يعرف الرسلُ ذلك فيه ولا من مقالته، ثم رفع رأسه ونظر إلى رسلها وقال: إن الله عز وجل رفع السماء ووضع الأرض، فمن شاء وقف ومن شاء جلس، فأذن لهم بالجلوس. قال: فتقدمت المُرْسَلَةُ إلى سليمان وقدمت إليه الخرزتين وقالت له: إن بلقيس تقول لك بأن تدخل في هذه الخرزة المثقوبة خيطاً ينفذ إلى الجانب الآخر من غير علاج إنسٍ ولا جان، وأن تثقب الخرزةَ الثانية ثقباً ينفذ إلى الجانب الآخر بغير حديد ولا علاج إنس ولا جان، ثم قربت إليه القدح وقالت له: إنها تقول لكَ بأنْ تملأ هذا القـدح ماء مزيداً روياً ليس من الأرض ولا من السماء، ثم قدمت الوُصُفَ والوصائفَ وقالت: إن بلقيس تقول لك أن تميز بين الغلمان والجواري.

فعنـد ذلـك جمـع سليمـان أهـل مملكته، فاجتمعوا عليه، ثم أخرج الخـرزتين فقـال: من لي بهـذه الخرزة يدخل فيها خيطاً يخرج من الجانب الآخر: فتكلمت دودة تكون في الفصفصة يعني في الأرض، الرطبة وهي دودة حمراء وقالت: أيها الملك أنا لك بها على أن تجعل رزقي في الرطبة، فقال: نعم، فعلق في رأس الدودة خيطاً فدخلت في الخرزة تحكها حتى خرجت من الجانب الآخر، فجعل رزقها في الرطبة ثم قرّب الخرزة الثانية وقال: من لي بثقب هذه الخـرزة بغير حديد فتكلمت دودة أخرى بين يديه وهي الأَرَضَة، فقالت: أيها الملك أنا لك بهذه، على أن تجعل رزقي في الخشب، فقال: ذلك لك، فوقفت على الخرزة فثقبتها إلى الجانب الآخر، فجعل رزقها في الخشب؛ ثم قدم القدح وأمر بإحضار الخيل العراب فحضروا، فأجريت حتى إذا جهدت وأتعبت وسال عَرَقُهَا فحينئذٍ ملأ القدح من العرق، وهو الماء المزيد الروي ليس هو من الأرض ولا من السماء.

ثم أمر بماء فوضع بين يديه فقال للوصفاء: توضئوا ليتميز الغلمان من الجواري، قال: فجعلت الجواري يصببن الماء على أكفهن، فجعلت إحداهن تأخذ الماء بكفها اليسرى وتفرغه على ذراعها الأيسر، ثم تتبعها كفها اليمنى

فتغسلها، فتعرف عند ذلك أنها جارية، فيعزلها حتى عزل اثنتي عشرة جارية وصيفة. وأما الغلمان فجعل الوصيف يأخذ الماء بكفه اليمنى فيغسل به ذراعه اليمنى، ثم يتبع به اليسرى فيعرف أنه غلام، حتى عزل اثني عشر غلاماً؛ ثم نظر إلى المسائل فأجاب عنها بألف جواب مع رسولها، ثم ردّ عليها هديتها و﴿قال﴾ لمرسلتها ﴿أتُمِدُونني بمالٍ فما آتاني الله﴾ من النبوّة والملك ﴿خيرٌ مما آتاكم﴾ من المال ﴿بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾ يعني تعجبون.

ثم كتب إليها كتاباً ودفعه إلى الهدهد وقال ﴿ارجع إليهم فلنأتينهم بجنودٍ لا قِبَلَ لهم بها﴾ يعني بجموع لا قبل لهم بها ﴿ولنخرجنهم منها أذلة﴾ يعني من قرية سبأ أذلة صغيرة ﴿وهم صاغرون﴾ أذلاء.

فلما أتى الهدهد بالكتاب مرّة أخرى فقرأته ورجعت رسلها من عنده، فقصت عليها قصة سليمان وما فعل في جميع ما أرسلت به إليه وما ردّ إليها من الجواب، فقالت لقومها: هذا أمر نزل علينا من السماء لا ينبغي منابذته ولا نطيقه، ثم عمدت إلى عرشها فجعلته في آخر سبعة أبيات، ثم أقامت عليه الحرس، ثم أقبلت إلى سليمان، قال: فرجع الهدهد إلى سليمان فأخبره أنها قد أقبلت إليه، فجمع أهل مملكته إليه ثم ﴿قال يا أيها الملأ أيكُمْ يأتيني بعرشها﴾ يعني سريرها ﴿قبل أن يأتوني مسلمين﴾ يعني مصالحين، فلا يحلّ لنا بعد الصلح أخْذهُ ﴿قال﴾ له ﴿عفريتٌ من الجنّ﴾ يقال له عمرو وهو العفريت الشديد الغليظ من الجنّ ﴿أنا آتيكَ به قبل أن تقوم من مقامك﴾ يعني من مجلسك للقضاء وهو إلى نصف النهار ﴿وإني عليه لقويٌّ﴾ أي على حمله ﴿أمين﴾ على مافيه من اللؤلؤ والجواهر والزمرد والذهب والفضة، وكانت قوّة العفريت أنه يضع قدمه حيث ينال طَرْفه يعني ينتهي بصره، فقال لسليمان: أنا أضع قدمي حيث يبلغ بصري فآتيكَ به، فقال سليمان: أريدُ أعجلَ من ذلك فـ﴿قال الذي عنده عِلْمٌ من الكتاب﴾ يعني اسم الله الأعظم وهو: يا حيّ يا قيوم ﴿أنا﴾ أدعو ربي فأراجع همي وأنظر في كتاب ربي و﴿آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك﴾ وهو آصف بن برخيا بن شعياء واسم أمه باطورا، وهو من

بني إسـرائيل، وكان يعلم اسم الله الأعظم: أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك، يعني قبل أن يجيء إليك الشيء الذي يبلغه طرفك: أي نظرك، فقال له سليمان: غلبتُ إن فعلتَ، وإن لم تفعل فضحتني بين الجنّ وأنا سيد الإنس والجنّ، وقـام آصف بن برخيا فتوضأ ثم سجد لله عزّ وجل يدعو الله باسمه الأعظم وهو يقول: يا حيّ يا قيوم.

وروي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: هو الاسم الذي إذا دُعيَ به أجاب، وإذا سئل به أعطى، وهو: يا ذا الجلال والإكرام: قال: فغاب عرشها تحت الأرض حتى نبغ عند كرسي سليمان.

وقيل: إنه نبغ تحت كرسي كان يضع سليمان قدميه عليه إذا جلس على كرسيه الكبير: فلما رأى العرش قد نبغ قالت الجنّ لسليمان: أيقدر آصفُ أن يجيء بالسرير ولا يجيء ببلقيس، فقال آصف لسليمان: أنا آتيك بها، قال فأمر سليمـان فَبُنِيَ له صرحٌ أملس من قوارير، ثم أُجـري تحتـه الماء وألقي فيه السمك، يرى من فوق الصرح من صفائه، ثم أمر سليمان بكرسيه فوضع في وسط الصرح، وأمر بكراسي لأصحابه، فوضعت فجلس عليه وجلس أصحابه، وكان الذين يلونه عليه السلام من أهل الكراسي الإنس ثم الجنّ ثم الشياطين، وكان هذا دأبه عليه السلام حتى إذا أراد أن يسير في البلاد يجلس هو على كرسيه وأولئك على كراسيهم، ثم يأمر الريح فتحملهم بين السماء والأرض، وإذا أراد أن يسير على الأرض أمر الريح فتسكن فيسير على وجه الأرض.

وكان لسليمان عليه السلام مجلس كما هو للملوك اليوم، فلما استقرّ بهم المجلس أمر آصف فعاد وسجد ودعا الله عزّ وجل باسمه الأعظم وهو: يا حيّ يا قيوم، فإذا هو ببلقيس مستقرة عنده.

وقيل: إن الذي عنده علم من الكتاب هو ضبة بن أدّ. وكان هو على خيل سليمان.

وقيل: إن الذي عنده علم من الكتاب هو الخضر عليه السلام ﴿فلما

رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني﴾ يعني ليختبرني﴿أأشكرُ﴾ على ما أُعطيتُ من الملك ﴿أم أكفر﴾ بالنعمة إذا رأيت مَنْ هو دوني أفضل مني علماً، فعزم الله عزّ وجل على الشكر وقال: ﴿ومَنْ شكر فإنما يشكرُ لنفسه ومن كفر﴾ بنعمته ﴿فإن ربي غنيٌّ كريم﴾ لا يعجل بالعقوبة.

فلما سمعت الجن بذلك وقعوا في بلقيس عند سليمان ليكرهوها إليه، خافوا أن يتزوّجها فتظهره على أمورهم، وكانت تعلم بذلك، لأن أمها كانت جنية، وكان اسمها عميرة بنت عمرو؛ وقيل: إن اسمها رواحة بنت السكن ملك الجن، فقالوا: أصلح الله الملك إن في عقلها شيئاً ورِجْلاها كحافر الحمار، وكانت بلقيس هلباء شعراء، فلما قيل له ذلك أراد أن يروز عقلها ويرى قدميها، فمن ثَمَّ أجرى الماء وجعل فيه الضفادع والسمك، وأمر بعرشها أن يغير فَيُزادَ فيه، ويُنْقَصَ منه ليروز عقلها فذلك قوله تعالى: ﴿قال نَكِّرُوا لها عرشها﴾ يعني غَيِّروا لها سريرها ﴿نَنْظُرْ أتهتدي﴾ يعني أتعرفه ﴿أم تكون من الذين لا يهتدون﴾ يعني الذين لا يعرفون، فأقبلت حتى انتهت إلى الصرح فـ﴿قيل لها ادخلي الصرح﴾ يعني القصر؛ وقيل: الصرح: هو البيت بلغة حمير ﴿فلما رأتهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ يعني ماء غمراً، فقالت في نفسها إنما أراد أن يغرقني كان غير هذا أحسن من ذا؟ ﴿وكشفت عن ساقيها﴾ فإذا ساقان شعراوان، وإنما هي من أحسن الناس وأبعد مما قيل له فيها، فقيل لها: ﴿إنه صَرْحٌ مُمَرَّدٌ﴾ يعني قصراً أملس لا شعث فيه كالأمرد الذي لا شعر في وجهه، كأنه ملزق بعضه ببعض اتخذ بلاطه من القوارير، قال: فمضت نحو سليمان وقد أبصر قدميها وأبصر الشعر الذي على ساقيها مهدباً، قال: فأعجبه ذلك عجباً شديداً ﴿فلما جاءت﴾ إلى سليمان فـ﴿قيل﴾ لها ﴿أهكذا عَرْشُكِ﴾ فنظرت إليه فجعلت تعرف وتنكر فقالت في نفسها من أين تخلَّص إلى ذلك السرير الذي هو داخل سبعة أبيات والحرس حوله، فلم تعرف ولم تنكر فـ﴿قالت كأنه هو﴾ فقال سليمان ﴿وأُوتينا العلمَ من قبلها﴾ يعني من قبل بلقيس، وكانت مجوسية ﴿وكنا مسلمين﴾ من قبلها ﴿ فقالت ربِّ إني ظلمتُ نفسي﴾ يعني في الظنّ الذي

ظننت بسليمان أنه أراد أن يغرقني؛ وقيل: ظلمت نفسي يعني ضررت نفسي بعبادة الشمس ﴿وأسلمتُ مع سليمان﴾ يعني وأطعت الله مع سليمان، ويقال: أخلصت مع سليمان ﴿لله ربِّ العالمين﴾ في العبادة فأسلمت ﴿وصدَّها﴾ يعني أن سليمان صدها عـ﴿ما كانَت تَعْبدُ مِن دونِ اللهِ، إنها كانَتْ من قومٍ كافِرين﴾ [النمل: ٤٣] فتزوّج بها سليمان، فأمر بالنورة فاتخذت فتنوّر سليمان وبلقيس، وهو أول من اتخذ النورة: قال: فسألها سليمان عن أشياء وهي سألته، ودخل بها سليمان، فولدت له غلاماً فسماه داود، ومات في حياته، ثم مات سليمان وماتت بلقيس بعده بشهر.

وقيل: إن سليمـان أعـطاهـا قرية بالشام، فكانت تأخذ خراجها حتى ماتت؛ وقيل: إن سليمان لما دخل بها سرحها في جنوده وردّها إلى ملكها، وكان يأتيها في كل شهر مرة، فيركب من بيت المقدس إلى اليمن على ما تقدم ذكره.

(فصل)

وإنما استوفيت هذه القصة في هذا المجلس لما فيها من العبرة لكل مؤمن عاقل ناظرٍ في العواقب معتبر في سير السلف الصالح والطالح، وقدرة الله عزّ وجل النافذة في الأمم الماضية الخالية، وكرامته لأهل الطاعة وتسخيره أهل معصيته لهم وإعطائه مقادتهم وإذلالهم، وتمليكهِ الخلقَ لأهل ولايته ومحبته، لمّا أطاع سليمانُ ربَّهُ عزّ وجل كيف مَلَّكَهُ بلقيس وملكها، وقد كان في أهل مملكتها اثنا عشر ألف مقاتل، كل واحد منهم أمير على مائة ألف منهم، وجند سليمان يحتوي على أربعمائة ألف، مائتا ألف من إنس ومائتا ألف من الجنّ، والتفاوت ما بين الجندين ظاهر، فهذا ملك لطاعته، وهذه ملكت لكفرها ومعصيتها.

فاعلم أيهـا الإنسـان أن الإسـلام يعلو ولايعلى عليه ﴿ولن يجعلَ اللهُ

للكافرينَ على المؤمنينَ سبيلا﴾ [النساء: ١٤١].

وكذلك أنت ياموفق إذا آمنتَ أمِنْتَ من أعدائك في الدنيا، ومن نار الله الموقدة التي في العقبى، تخدمك النار وتطرق بين يديك، وترشدك الطريقَ مكرمة لك ومعظمة وطائعة لأمر مولاها وممتثلة له، فتقول لك: جزْ يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبي.

(عبارة لطيفة) أي أنك مكرّم منور، خِلْعةُ الملكِ عليك، علامته الوقار عليك؛ فعلى الحواشي والعبيد تعظيمكَ وتوقيرك وخدمتك. وأما الكافر والعاصي، فتتغيظ النارُ عليه وتنتقم منه انتقام الجبار من عدوّه عند ظفره به، كما قال الله عز وجل: ﴿إذا رأتْهم من مكانٍ بعيدٍ سمعوا لها تَغَيُّظاً وزفيراً﴾ [الفرقان: ١٢].

فإن أردت العزّة في الدنيا والآخرة، فعليك بطاعة الله والصبر عن معصية الله، تجدها برحمة الله تعالى، قال الله عزّ وجل: ﴿مَنْ كان يريدُ العزةَ فلله العزّةُ جميعا﴾ [فاطر: ١٠] وقال تعالى: ﴿ولله العزّةُ ولرسولِه وللمؤمنين ولكنَّ المنافقين لايعلمون﴾ [المنافقون: ٨].

فنفاقك يا مدّعي الإيمان، وشركك يا مدّعي الإخلاص حَجَباكَ عن رؤية عزّةِ الجبار ونبيه المختار والمؤمنين الأخيار، فلو كنت عاملاً بموجب الإيمان موقناً بشرائط الإخلاص، لأمِنْتَ في الدنيا من كل مُؤْذٍ وكل شيطان من الإنس والجان، وفي الآخرة من عذاب النيران، وكانت النصرة لك ولأعدائك الهوان، قال الله عزّ وجل: ﴿إنْ تنصروا اللهَ ينصرْكم ويثبتْ أقدامَكم﴾ [محمد: ٧] وقال تعالى ﴿فلا تَهِنُوا وتدعوا إلى السَّلْمِ وأنتم الأعْلَونَ واللهُ معكم﴾ [محمد: ٣٥] ولكن الغفلة قد تكاثفت على قلبك وتراكم الرينُ عليه، وترادف السواد والظلمة لديه، فيا لها من حسرة وندامة، ﴿يومَ تُبلى السرائرُ﴾ [الطارق: ٩] في يوم القيامة يوم الحاقة يوم الطامة الكبرى يوم القارعة يوم الصاخة: ﴿يومئذٍ تُعرضون لاتخفى منكم خافيةٌ﴾ [الحاقة: ١٨] ﴿يومئذ يَصْدُرُ الناسُ أشتاتاً لِيُرَوْا

أعمالَهم * فمن يعملْ مِثقَالَ ذرّةٍ خيراً يره * ومن يعملْ مثقالَ ذرّةٍ شراً يره﴾ [الزلزلة: ٦ ـ ٨].

قيل: إن الذرة هي قشر الهباء الذي يظهر في شعاع الشمس مثل رءوس الإبر، وقيل: أربع ذرّات مثقال خردلة، وقيل: هي النملة الحمراء الصغيرة التي لا تكاد تُرى إذا دبّت؛ وقيل: إن الذرّة جزء من ألف جزء من شعيرة.

وقال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: إذا وضعت كفك على التراب ثم رفعتها، فكل شيء يعلق بها من التراب فهو ذرّة فأين أنتَ من يومٍ تُوزَنُ فيه الأعمال بهذه الزِنَةِ تثقل وتخفّ بهذه الخفة، ويوم يقول الله تعالى فيه: ﴿يوَم نحشُرُ المتقين إلى الرحمنِ وَفْداً* ونسوقُ المجرمين إلى جهنمِ وِرْدا﴾ [مريم: ٨٥ ـ ٨٦] أي عِطاشاً وحينئذ، ينكشف الغطاء ويظهر المخبأ، ويمتاز المؤمن من الكافر، والصديق من المنافق، والموحد من المشرك، والوليّ من العدوّ، والمحقّ من المدعي.

فاحذر يا مسكين من هول ذلك اليوم، وانظر من أيِّ الحزبين تكون؟ فإن عملت لله العظيم واتقيت في عملك الخبير وصفيته عما يسوء للناقد البصير، فأنت في حزب المتقين الوافدين على الرحمن في يوم النشور، فلك الكرامة يا كريم، ولك السلامة والبشرى يا حكيم، وإن كان غير ذلك فاعلم أنك بالحزب الآخر لاحقٌ وهالك، مع من هو هالك في النار مع فرعون وهامان وقارون متلاحق، قال الله عزّ وجل: ﴿فمن كان يرجو لقاءَ ربهِ فليعملْ عملاً صالحاً، ولايُشْرِكْ بعبادةِ ربه أحدا﴾ [الكهف: ١١٠] فلا ينجيك في ذلك اليوم غير العمل الصالح.

(فصل: في فضل بسم الله الرحمن الرحيم)

عن عطاء عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «لما نزل ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، هرب الغيم إلى الشرق، وسكنت الرياح، وهاج البحر، وأصغت البهائم بآذانها، ورجمت الشياطين من السماء، وحلف الله عزّ وجل بعزّته لايُسَمَّى اسمهُ على سقمٍ إلا شفاه، ولايسمى اسمه على شيء إلا بارك فيه؛ ومن قرأ بسم الله الرحمن الرحيم دخل الجنة»[1].

وعن أبي وائل عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقل ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فإنها تسعة عشر حرفاً ليجعل الله تعالى لكل حرف منها جُنَّةً من واحد منهم»[2].

وعن طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عثمان بن عفان رضي الله عنه: «سأل النبيّ ﷺ عن ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قال، فقال: هو اسم من أسماء الله عزّ وجل، وما بينه وبين اسم الله الأعظم إلا كما بين سوادِ العين وبياضِها من القرب»[3].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رفع قرطاساً من الأرض فيه ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ إجلالاً لله أن يداس، كتب عند الله من الصديقين، وخَفَّفَ عن والديه وإن كانا مشركين»[4] يعني العذاب.

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» ١/٩، ونسبه إلى ابن مردويه والثعلبي.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر» ١/٩، ونسبه إلى وكيع والثعلبي.

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» ١/٥٥٢، وقال الذهبي في «الميزان» ٢/١٨٢: هذا كذب.

(٤) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» ١/١١، وقال: أخرجه الخطيب في «تالي التلخيص» عن أنس.

وقيل: لم يرنَّ إبليسُ اللعين مثل ثلاث رنات قط: رنة حين لُعِنَ وأخرج من ملكوت السماء، ورنة حين ولد النبيُّ ﷺ، ورنة حين أُنزلتْ فاتحةُ الكتاب لكون ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فيها[1].

وعن سالم بن أبي الجعد أن علياً رضي الله عنه قال: «لما أنزلت ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قال رسول الله ﷺ: أوّل ما أنزلت هذه الآية على آدم، فقال: أمن ذريتي من العذاب ما داموا على قراءتها؛ ثم رفعت فأنزلت على إبراهيم الخليل فتلاها وهو في كفة المنجنيق، فجعل الله عليه النار برداً وسلاماً؛ ثم رفعت بعده، فما أنزلت إلا على سليمان، وعندها قالت له الملائكة: الآن تَمَّ والله مُلْكُكَ؛ ثم رفعت فأنزلها الله عزّ وجل عليّ ثم تأتي أمتي يوم القيامة وهم يقولون: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فإذا وُضِعتْ أعمالهم في الميزان رجحت حسناتهم، قال رسول الله ﷺ: «اكتبوها في كتبكم فإذا كتبتموها فتكلموا بها»[2].

(فصل آخر: في فضل بسم الله الرحمن الرحيم)

عن عكرمة رحمه الله أنه قال: أول ما خلق الله اللوح والقلم، أمر الله القلم فجرى على اللوح بما هو كائن إلى يوم القيامة، فأوّل ما كتب على اللوح: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، فجعل الله هذه الآية أماناً لخلقه ما داموا على قراءتها، وهي قراءة أهل سبع سموات، وأهل الصفح الأعلى وأهل سرادقات المجد والكروبيين، والصافين، والمسبحين؛ فأول ما أنزلت على آدم عليه السلام، فقال: قد أمن ذرّيتي من العذاب ما داموا على قراءتها، ثم رفعت بعده

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر» ١/٥ عن مجاهد، ونسبه إلى وكيع في «تفسيره»، وابن الأنباري في «المصاحف»، وأبي الشيخ في «العظمة»، وأبي نعيم في «الحلية».
(٢) إسنادُه منقطع. سالم بن أبي الجعد عن علي مرسل كما قال أبو زرعة.

فأنزلت على إبراهيم الخليل عليه السلام في سورة الحمد فتلاها وهو في كفة المنجنيق، فجعل الله النار عليه برداً وسلاماً؛ ثم رفعت بعده فأنزلت على موسى عليه السلام في الصحف، فيها قهرُ فرعون وسحرته وهامان وجنوده وقارون وأتباعه؛ ثم رفعت بعده فأنزلت على سليمان بن داود عليهما السلام، فعندها قالت الملائكة: اليوم والله تمّ ملكك يا ابن داود، فلم يقرأها سليمان على شيء إلا خضع له، وأمره الله يوم أنزلها عليه أن ينادي في أسباط بني إسرائيل: ألا من أحبّ منكم أن يسمع آية أمان الله فليحضر إلى سليمان في محراب داود عليه السلام، فإنه يريد أن يقوم خطيباً، فلم يبق محبوس نفسه في العبادة ولاسائح إلا هرول إليه، حتى اجتمعت الأحبار والعُبّادُ والزهاد والأسباط كلها عنده، فقام فرقى منبر الخليل إبراهيم وتلا عليهم آية الأمان: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فلم يسمعها أحد إلا امتلأ فرحاً، وقالوا: نشهد إنك لرسول الله حقاً، فبها قهرَ سليمانُ ملوكَ الأرض، وبها افتتح الله لنبيه محمد ﷺ مكة، ثم رفعت بعد سليمان فأنزلت على المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، ففرح بها واستبشر بها الحواريون، فأوحى الله تعالى إليه: يا ابن العذراء البتول أتدري أيّ آية أنزلت عليك؟ إنها آية الأمان، قوله: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، فأكْثِر تلاوتها في قيامكَ وقعودك ومضجعك ومجيئك وذهابك وصعودك وهبوطك، فإنه من وافى بها يوم القيامة وفي صحيفته: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ثمانمائة مرة وكان مؤمناً بي وبربوبيتي أعتقته من النار، وأدخلته الجنة، فلتكن افتتاح قراءتك وصلاتك، فإنَّ مَنْ جعلها في افتتاح قراءته وصلاته إذا مات على ذلك لم يرعه منكر ونكير، وهوّن عليه سكرات الموت وضغطة القبر، وكانت رحمتي عليه، وأفسح له في قبره، وأنور له في قبره، وأنور له فيه مدّ بصره، وأخرجه من قبره أبيض الجسم وأنور الوجه، يتلألأ نوره، وأحاسبه حساباً يسيراً، وأثقل موازينه، وأعطيه النور التامّ على الصراط حتى يدخل الجنة، وآمر المنادي أن ينادي به في عرصات القيامة بالسعادة والمغفرة.

قال عيسى عليه السلام: اللهم ياربّ فهذا لي خاصة؟ فقال: لك خاصة

ولمن تبعك وأخذ أخذك وقال بقولك، وهو لأحمد وأمته من بعدك؛

وأخبر عيسى عليه السلام بذلك أتباعه فقال ﴿ومُبَشِّراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمهُ أحمد﴾ [الصف: ٦] من صفته ونعته وفضله كيت وكيت، وأخذ ميثاقهم بالإيمان به، وجدّد شأنه عندما رفعه الله تعالى إلى السماء لأصحابه؛ فلما انقرض الحواريون ومن اتبعه وجاء الآخرون، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا، وبدّلوا واستبدلوا بالدين دنياهم، فرفعت عندها آية الأمان من صدور النصارى، وبقيت في صدور مسلمي أهل الإنجيل مثل بحيرا الراهب وأمثاله، حتى بعث الله النبيّ ﷺ فأُنزلت عليه في سورة الحمد بمكة، فأمر رسول الله ﷺ فَكُتِبَتْ تلك على رءوس السور وصدور الرسائل والدفاتر، فكان نزول هذه الآية على رسول الله ﷺ فتحاً عظيماً، وحلف ربُّ العزة بعزتّه أن لا يُسَمِّي مؤمنٌ موقن على شيء إلا باركتُ له فيه، ولايقرؤها مؤمن إلا قالت الجنة له: لبيك وسعديك اللهمّ أدخل عبدك هذا في ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فإذا دعت الجنة لعبد فقد استوجب له دخولها.

وقد قال ﷺ «لايُرَدُّ دعاءٌ أوله بسم الله الرحمن الرحيم»[1] قال: «وإن أمتي يأتون يوم القيامة وهم يقولون بسم الله الرحمن الرحيم، فتثقل حسناتهم في الميزان، فتقول الأمم: ما أرجح موازين أمة محمد ﷺ، فتقول الأنبياء لهم: لأن أمة محمد ﷺ مبتدأ كلامهم ثلاثة أسماء من أسماء الله تعالى الكرام، لو وضعت في كفة الميزان ووضعت سيئات الخلق جميعاً في الكفة الأخرى لرجحت حسناتهم» قال: وجعل الله تعالى هذه الآية شفاء من كل داء، وعوناً لكل دواء، وغنى من كل فقر، وستراً من النار، وأماناً من الخسف والمسخ والقذف ماداموا على قراءتها.

---

(١) لم أجده.

(فصل: في تفسير قوله: بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عزّ وجل: ﴿بسم الله﴾:

روي عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن عيسى عليه السلام أرسلته أمه رضي الله عنها إلى الكتاب ليتعلم، فقال له المعلم: قل: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فقال عيسى عليه السلام: وما بسم الله؟ قال لاأدري، قال: الباء بَهَاءُ الله، والسين: سناء الله، والميم: مملكته»[1].

وقال أبو بكر الورّاق: بسم الله: روضة من رياض الجنة، لكل حرف منها تفسير على حدة.

فالباء: على ستة أوجه:

بارئ خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿هو اللهُ الخالقُ البارئ﴾ [الحشر: ٢٤].

بصير بخلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿واللهُ بصيرٌ بما تعملون﴾ [الحجرات: ١٨].

باسطُ رزقَ خَلْقِهِ من العرش إلى الثرى، بيانه ﴿اللهُ يَبْسُطُ الرزقَ لمن يشاءُ ويَقْدِر﴾ [الرعد: ٢٦].

باق بعد فناء خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿كلُّ من عليها فانٍ * ويبقى وجهُ ربِّك ذو الجلالِ والإكرام﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

باعث الخلق بعد الموت من العرش إلى الثرى للثواب والعقاب، بيانه: ﴿وأنَّ الله يبعثُ من في القبور﴾ [الحج: ٧].

---

(١) حديث موضوع. أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٧/٢٥١، وابن الجوزي في «موضوعاته» ١/٢٠٤. وانظر «تنزيه الشريعة» ١/٢٣١.

بارّ بالمؤمنين من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿هو البَرُّ الرحيمُ﴾ [الطور: ٢٨].

والسين على خمسة أوجه:

سميع لأصوات خلقه من العرش إلى الثرى بيانه: ﴿أمْ يحسَبون أنّا لا نسمَعُ سِرَّهم ونَجواهم﴾ [الزخرف: ٨٠].

سيد قد انتهى سؤدده من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ٢].

سريع الحساب مع خلقه من العرش إلى الثرى بيانه: ﴿واللهُ سريعُ الحسابِ﴾ [النور: ٣٩].

سلام سلم خلقه من الظلمة من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿السلامُ المؤمنُ﴾ [الحشر: ٢٣].

ساتر ذنوب عباده من العرش إلى الثرى بيانه: ﴿غَافِرِ الذنبِ وقابلِ التوبِ﴾ [غافر: ٣].

والميم: على اثني عشر وجها:

ملك الخلق من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿الملكُ القدوسُ﴾ [الحشر: ٢٣].

مالك خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿قلِ اللهمَّ مالكَ المُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢٦].

منان على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿بل اللهُ يَمُنُّ عليكم﴾ [الحجرات: ١٧].

مجيد على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿ذو العرشِ المجيدُ﴾ [البروج: ١٥].

مؤمن آمَنَ خَلْقَهُ من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿وآمَنَهم من

خوفٍ﴾ [قريش: ٤].

مهيمن اطلع على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿المؤمن المهيمن﴾ [الحشر: ٢٣].

مقتدر على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿في مقعدِ صِدْقٍ عند مليكٍ مقتدَرٍ﴾ [القمر: ٥٥].

مقيت على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿وكان اللهُ على كلِ شيء مُقيتاً﴾ [النساء: ٨٥].

مكرِّم أولياءه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿ولقد كرَّمْنا بني آدمَ﴾ [الإسراء: ٧٠].

مُنْعِمٌ على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿وأسبغَ عليكم نِعَمَهُ ظاهرةً وباطِنةً﴾ [لقمان: ٢٠].

مُتَفَضِّلٌ على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿إن الله لذو فضل على الناس﴾ [البقرة: ٢٤٣].

مصوِّر خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿الخالقُ البارئ المصوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤].

وقال أهل الحقائق: وإنما المعنى في ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾: التيمنُ والتبرّك وحثُّ الناس على الابتداء في أقوالهم وأفعالهم ببسم الله كما افتتح الله سبحانه وتعالى كتابه العزيز.

(فصــــل)

اعلم أن الناس اختلفوا في هذا الاسم، فقال خليل بن أحمد وجماعة من أهل العربية: إنه اسم موضوع لله عزّ وجلّ لا يشاركه فيه أحد، قال الله تعالى: ﴿هل تعلمُ له سميا﴾ [مريم: ٦٥].

يعني أن كل اسم لله تعالى مشترك بينه وبين غيره، له على الحقيقة ولغيره

على المجاز إلا هذا الاسم فإنه مختصّ به، فيه معنى الربوبية والمعاني كلها تحته. ألا ترى أنك إذا أسقطت منه الألف بقي لله، وإذا أسقطت من لله اللام الأولى بقى له، وإذا أسقطت من له اللام بقي هو.

واختلفوا في اشتقاقه، فقال النضر بن شميل: هو من التأله وهو التنسك والتعبد، يقال أله إلهة: أي عبد عبادة.

وقال آخرون: هو من الإله، وهو الاعتماد، يقال: ألهتُ إلى فلان ألهاً: أي فزعتُ إليه واعتمدت عليه، ومعناه: أن الخلق يفزعون ويتضرّعون إليه في الحوادث والحوائج، فهو يألههم: أي يجيرهم، فسمي إلهاً، كما يقال: إمامٌ للذي يُؤتَمُّ به فالعباد مؤلهون إليه: أي مضطرون إليه في المنافع والمضار، كالواله المضطرّ المغلوب.

وقال أبو عمرو بن العلاء: هو من ألهت في الشيء: إذا تحيرتَ فيه فلم تهتد إليه. ومعناه: أن العقول تتحير في كُنْهِ صفته وعظمته والإحاطة بكيفيته، فهو إله كما يقال للمكتوب كتاب، وللمحسوب حساب، وقال المبرّد: هو من قول العرب: ألهتُ إلى فلان: أي سكنتُ إليه، فكأن الخلق يسكنون ويطمئنون بذكره. قال الله عز وجل ﴿ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب﴾ [الرعد: ٢٨].

وقيل: أصله من الوله، وهو ذهابُ العقل لفقدان من يعزّ عليه، فكأنه سمي بذلك لأن القلوب تَوَلَّهُ بمحبتهِ وتطربُ وتشتاق عند ذكره.

وقيل: معناه المحتجب لأن العرب إذا عرفت شيئاً ثم حجب عن أبصارها، سمته لاهاً، يقال: لاهت العروس تلوه لوهاً: إذا احتجبت، فالله تعالى هو الظاهر بالربوبية بالدلائل والأعلام، والمحتجب من جهة الكيفية عن الأوهام.

وقيل: معناه المتعالي، يقال: لاه أي ارتفع، ومنه قيل للشمس إلاهة.

وقيل: معناه القادر على الاختراع، وقيل: معناه السيد.

﴿الرحمن الرحيم﴾: قد قال قوم: هما بمعنى واحد، وهو ذو الرحمة، وهما من صفات الذات. وقيل: هما بمعنى ترك عقوبة من يستحق العقوبة، وإسداء الخير إلى من لايستحقه، وهما من صفات الفعل.

وفرّق الآخرون بينهما فقالوا: الرحمن: للمبالغة، فمعناه: الذي وسعت رحمته كل شيء، والرحيم دون ذلك في الرتبة.

وقال بعضهم: الرحمن: العاطف على جميع خلقه مؤمنهم وكافرهم وبرهم وفاجرهم بأن خلقهم ورزقهم، قال الله تعالى: ﴿ورَحْمتي وَسِعَتْ كلَّ شيءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]؛ والرحيم بالمؤمنين خاصة بالهداية والتوفيق في الدنيا وبالجنة والرؤية في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وكانَ بالمؤمنينَ رَحيماً﴾ [الاحزاب: ٤٣].

فالرحمن خاص اللفظ عام المعنى، والرحيم عام اللفظ خاص المعنى؛ فالرحمن خاص من حيث إنه لايجوز أن يسمى به أحد غير الله، عام من حيث إنه يشمل جميع الموجودات من طريق الخلق والرزق والنفع والدفع؛ والرحيم عام من حيث اشتراك المخلوقين في المسمى به خاص من طريق المعنى، لأنه يرجع إلى اللطف والتوفيق.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: اسمان دقيقان، أحدهما أدقّ من الآخر.

وقال مجاهد رحمه الله: الرحمن بأهل الدنيا، الرحيم بأهل الآخرة. وفي الدعاء: يا رحمن الدنيا يا رحيم الآخرة.

وقال الضحاك رحمه الله: الرحمن بأهل السماء حيث أسكنهم السموات، وطوّقهم الطاعات، وجنّبهم الآفات، وقطع عنهم المطامع واللذات. والرحيم بأهل الأرض حيث أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب.

وقال عكرمة رحمه الله: الرحمن برحمة واحدة، والرحيم بمائة رحمة.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لله عزّ وجل

مائة رحمة، وأنه أنزل منها رحمة واحدة إلى الأرض فقسمها بين خلقه، فبها يتعاطفون وبها يتراحمون، وأخَّرَ تسعةً وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة[1].

وفي لفظ آخر: «وإن الله تعالى قابضٌ هذه إلى تلك فيكملها مائة، ويرحم بها عباده يوم القيامة»[2].

الرحمن الذي إذا سئل أعطى، والرحيم الذي إذا لم يُسأل غضب،

وقال النبيّ ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «مَنْ لايسأل الله يغضب عليه»[3] وقال الشاعر:

الله يغضبُ إنْ تركتَ سؤاله ... وبنيّ آدم حين يُسألُ يغضب

الرحمن بالنعماء وهي. ما أعطى وحَبَا، الرحيم بالآلام وهي ماصَرَفَ وزوى.

الرحمن بالإنقاذ من النيران كما قال جلّ من قائل: ﴿وكنتم على شفا حُفْرةٍ من النارِ فَأنْقَذَكُم منها﴾ [آل عمران: ١٠٣].

والرحيم بإدخال الجنان كما قال: ﴿ادخلُوها بسلامٍ آمنينَ﴾ [الحجر: ٤٦].

الرحمن برحمة النفوس، والرحيم برحمة القلوب، الرحمن بكشف الكروب، والرحيم بغفران الذنوب، الرحمن بتبيين الطريق، والرحيم بالعصمة والتوفيق، الرحمن بغفران السيئات وإن كنّ عظيمات؛ والرحيم بقبول الطاعات وإن كن غير صافيات، الرحمن بمصالح معاشهم، الرحيم بمصالح معادهم،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٠٠) و(٦٤٦٩)، ومسلم (٢٧٥٢).

(٢) قريبٌ منه ماأخرجه مسلم (٢٧٥٣) (٢١) من حديث سلمان الفارسي.

(٣) حديث ضعيف. أخرجه أحمد ٤٤٢/٢، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٥٨) و(٦٥٩) والترمذي (٣٣٧٣)، وابن ماجه (٣٨٢٧)، والحاكم ٤٩١/١. وفيه أبو صالح الخوزي، وهو ضعيف.

الرحمن الذي يرحم ويقدر على كشف الضرّ ودفع الشرّ، الرحيم يرزق ويطعم ولايطعم: ﴿إن اللهَ هو الرزاقُ ذو القوّةِ المتينُ﴾ [الذاريات: ٥٨] الرحمن بمن جحده، الرحيم بمن وحّده، الرحمن بمن كفره، والرحيم بمن شكره، الرحمن بمن قال له ندٌّ، والرحيم بمن قال فرد.

(فصـــل)

قل بسم الله تجد عفوَ الله، هذا سماعك من القارئ، فكيف سماعك من البارئ فهذا سماعك والغم باق فكيف سماعك والربّ ساق، فهذا سماعك بواسطة، فكيف سماعك بلا واسطة؛ فهذا سماعك في دار الغرور، فكيف سماعك في دار السرور، فهذا سماعك في دار الشيطان، فكيف سماعك في جوار الرحمن؛ فهذا سماعك من عبدٍ ذليل، فكيف سماعك من الملك الجليل؛ هذه لذّةُ الخبر فكيف لذّة النظر، هذه لذّة المجاهدة، فكيف لذّة المشاهدة، هذه لذّة البيّان، فكيف لذّة العيان، هذه لذة المغايبة، فكيف لذة المعاينة.

(فصـــل)

قل بسم الله الذي تعالى عن الأضداد، بسم الله الذي تنزّه عن الأنداد، بسم الله الذي تقدّس عن اتخاذ الأولاد، بسم الله الذي نوّر الأنوار، بسم الله الذي أكرم الأبرار، بسم الله الذي قَدَّرَ الأقدار ونوّر القلوب والأبصار، بسم الله الذي تجلى لقلوب الأبرار في أوقات الأسحار، بسم الله الذي علَّمَ الأحباب الأسرار، فغمرها بالأنوار واستودعها الأسرار، وأزاح عنها الأخطار وحفظها من رقّ الأغيار، وحَطَّ عنها الأثقال والأغلال والآصار والأوزار، إذ كان موصوفاً في الأزل بالإحسان والإفضال وغفران الذنوب لأهل الاستغفار.

قل بسم الله، اسم الذي أجرى الأنهار وأنبت الأشجار، اسم مَنْ عَمَرَ البلاد بأهل الطاعة من العباد، فجعلهم لها أوتاداً كالجبال فصارت الأرض بهم لمن عليها كالمهاد، فهم الأربعون الأخيار من الأبدال، المنزِّهونَ الربَّ عن الشركاء والأنداد، وملوك في الدنيا وشفعاء الأنام في يوم التناد، إذ خلقهم ربي مصلحة للعالم ورحمة للعباد.

(فصـــــل)

بسم الله للذاكـرينَ ذخـرٌ ولـلأقـوياء عِزٌّ وللضعفاء حِرْزٌ وللمحبين نور وللمشتاقين سرور؛ بسم الله راحةِ الأرواح، بسم الله نجاةِ الأشباح، بسم الله نور الصدور، بسم الله نظام الأمور، بسم الله تاج الواثقين، بسم الله سراج الواصلين؛ بسم الله مغني العاشقين، بسم الله اسم مَنْ أعزَّ عباداً وأذلَّ عباداً، بسم الله اسم من جعل النار لأعدائه مرصاداً، وجعل الرؤيةَ لأحبائه ميعاداً، بسم الله اسم الواحدِ بلا عدد، بسم الله اسم الباقي بلا أحد، بسم الله اسم القائم بلا عمد، بسم الله افتتاح كل سورة، اسم مَنْ طابت به الخلوات، اسم مَنْ به تمت الصلوات، اسم من به حَسُنتِ الظنون، اسم من سهرت له العيون، اسم مَنْ قال للشيء كُنْ فيكون، اسم من تنزّه عن المساس، اسم من استغنى عن الإيناس، اسم من جل عن القياس.

قل بسم الله حرفاً حرفاً، تأخذ الأجر ألفاً ألفاً، وتحط عنك الأوزار جرفاً جرفاً، من قالها بلسانه شهد الدنيا، ومن قالها بقلبه شهد العقبى، ومن قالها بسرّه شهد المولى.

بسم الله كلمةٌ طاب بها الفم، بسم الله كلمة لايبقى معها الغم، كلمة تَمَّتْ بها النعمةُ، كلمة كُشِفَتْ بها النقمة، كلمة خُصَّتْ بها هذه الأمة، كلمةٌ جمعت بين جلالٍ وجمال. فقوله بسم الله جلال في جلال، وقوله الرحمن الرحيم جمال في جمال، فَمَنْ شهد جلاله طاش، ومن شهد جماله عاش،

كلمة جمعت بين قدرة ورحمة، فالقدرة جمعت طاعات المطيعين، والرحمة محقت ذنوب المذنبين.

(فصـــل)

قل بسم الله، فكأنه يقول بي وصل مَنْ وصل إلى الطاعات، ثم بنور الطاعات وصل إلى العيان، ثم استغنى بالعيان عن البيان، فصار قلبه وعاء للأسرار وعلم الأديان، ومن وصل إلى الحبيب نجا من النحيب، ومن وصل إلى النظر استغنى عن الخبر، ومن وصل إلى الصمد نجا من الكمد، ومن وصل إلى الرفاق نجا من الفراق، ومن وصل إلى المجد سلم من الوجد، ومن وصل إلى اللقاء أمن من الشقاء.

(فصـــل)

قل بسم الله، فالباء: بارئ البرايا: والسين: ستار الخطايا، والميم: المنان بالعطايا؛ وقيل: إن الباء: بريء من الأولاد، والسين: سميع الأصوات، والميم: مجيب الدعوات: وقيل: أطعموا فإني مطعمكم، واسقوا فإني ساقيكم، وانظروا إليّ فإني باقيكم. وقيل: الباء: بكاء التائبين، والسين: سجود العابدين. والميم: معذرة المذنبين.

وقيل: الله كاشف البلايا، الرحمن معطي العطايا، الرحيم غافر الخطايا، الله للعارفين، الرحمن للعابدين، الرحيم للمذنبين، الله الذي خلقكم وهو أحسن الخالقين، الرحمن الذي رزقكم وهو خير الرازقين الرحيم الذي يغفر لكم وهو خير الغافرين.

وقيل: الله بإسباغ النعم، الرحمن الرحيم بالجود والكرم، الله بإخراجنا من البطون، الرحمن بإخراجنا من القبور، الرحيم بإخراجنا من الظلمات إلى النور.

(فصـــل)

رحـم الله مَنْ خالف الشيطان وجـانب العصيان واتقى النيران وأكثـر الإحسان وأدام ذكر الرحمن، فقال بسم الله.

رحم الله من اعتصم بالله وأناب إلى الله، وتوكل على الله، واشتغل بذكر الله، فقال بسم الله.

رحم الله من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وصبر على الأذى وشكر على النعماء واشتغل بذكر المولى، فقال بسم الله.

طوبى لعبدٍ اجتنب الطاغوت وقنع من الدنيا بالقوت، واشتغل بذكر الحيّ الذي لايموت فيقول بسم الله.

مجلس في قوله تعالى ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيّها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ [النور: ٣١]

وهذا خطاب للعموم بالتوبة.

وحقيقة التوبة في اللغة: الرجوع، يقال: تاب فلان من كذا: أي رجع عنـه، فالتوبة هي الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود في الشرع. والعلم بأن الذنوب والمعاصي مهلكاتٌ مبعدات من الله عز وجل ومن جنته، وتَرْكُهَا مُقَرِّبٌ إلى الله عزّ وجل وجنته، فكأنه عزّ وجل يقول: ارجعوا إليَّ من هوى نفوسكم ووقوفكم مع شهواتكم عسى أن تظفروا ببغيتكم عندي في المعـاد، وتبقوا في نعيمي في دار البقاء والقرار، وتفلحوا وتفوزوا وتنجوا وتدخلوا برحمتي الجنة العليا المعدة للأبرار.

وخاطبهم أيضا بخطاب الخصوص والاقتضاء فقال تعالى: ﴿ياأيُّها الذين آمنوا تُوبوا إلى اللهِ توبةً نصوحاً عسى ربُّكم أنْ يُكَفِّرَ عنكم سيئَاتِكم ويُدخِلَكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهارُ﴾ [التحريم: ٨].

ومعنى النصوح الخالص لله تعالى الخالي عن الشوائب. مأخوذ من النصاح وهو الخيط، وهو توبة مجرّدة لاتتعلق بشيء، ولايتعلق بها شيء، يكون العبد معها مستقيماً على الطاعة غير مائل إلى المعصية، لايروغ كما يروغ الثعلب، ولايحدّث نفسه بعود إلى معصيةولا ذنب من الذنوب، وأن يترك الذنب لله خالصاً كما ارتكبه للهوى خالصاً حتى يختم له بحسن الخاتمة.

فالتوبة من سائر الذنوب واجبة بإجماع الأمة، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى التائبين في غير موضع، قال عزّ من قائل: ﴿إن الله يحب التوّابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة: ٢٢٢]. فذكر أنه يحبهم لتوبتهم وتطهرهم من الذنوب المبعدة عنه عزّ وجل وقال في موضع آخر: ﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾ [التوبة: ١١٢] فذكر اسماً معرّفاً يعني التائبون، ثم وصفه بهذه الأوصاف الحميدة فعلم أن التائب من هذه صفته، فإذا اتصف بها استحقّ البشارة واسم الإيمان بقوله ﴿وبشر المؤمنين﴾.

(فصـــل)

والذي ورد عنه التوبة من الذنوب كبائر وصغائر.

أما الكبائر فقد اختلف فيها العلماء؛ فمنهم من قال: هي ثلاث، وقيل أربع، وقيل سبع وقيل تسع، وقيل إحدى عشرة.

وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا بلغه قول ابن عمر رضي الله عنهما: الكبائر سبع يقول: هي إلى سبعين أقرب منها إلى سبعة؛ وكان يقول: كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة.

وقيل: إنها مبهمة لايُعْرَفُ عددها كليلةِ القدر وساعة يوم الجمعة، ليعظم جدّ الناس في طلبهما، فكذلك الكبائر ليشتدّ حذر الناس في ترك الذنوب كلها.

وقيل: كل ماأوعد الله عليه بالنار فهو كبيرة. وقيل: كل ما أوجب الحدّ في الدنيا فهو كبيرة.

وقد جمعها بعض العلماء بالله عزّ وجل فقال: هي سبع عشرة، أربعة في القلب: وهي الشرك بالله، والإصرار على معصية الله، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله.

وأربع في اللسان وهي: شهادة الزور، وقذف المحصَن، واليمين الغموس وهي التي يَحُقُّ بها باطلٌ وَيَبْطُلُ بها حَقٌّ أو يقطع بها مال امرئ مسلم باطلاً ولو سواكاً من أراك، والسحر.

وثلاث في البطن: وهي شرب الخمر والمسكر من كل شراب، وأكل مال اليتيم ظلماً، وأكل الربا وهو يعلم به.

واثنتان في الفرج وهما: الزنا واللواطة.

واثنتان في اليدين وهما: القتل، والسرقة.

وواحدة في الرجلين وهي: الفرار من الزحف، الواحد من اثنين، والعشرة من عشرين، والمائة من المائتين.

وواحدة في جميع الجسد، وهي عقوق الوالدين، وهو أن لا تبرّ قسمهما إذا أقسما عليك، وأن تضربهما إذا سبّاك، وأن لا تعطيهما إذا سألاك، وأن لا تطعمهما إذا جاعا واستطعماك.

(فصــــل)

وأما الصغائر فأكثر من أن تحصى، ولاسبيل إلى تحقيق معرفتها وبيان حصرها، لكنا نعلم ذلك بشواهد الشرع وأنوار البصائر، فإن مقصود الشرع سباق الخلق وقربه وجواره إلى الله عزّ وجل بترك الذنوب، كما قال تعالى: ﴿وذَرُوا ظاهرَ الإثمِ وباطِنه﴾ [الأنعام: ١٢٠]. ومنها النظر إلى مُسْتَحْسَنٍ،

والقبلة له والمضاجعة معه من غير جماع، والسبّ لأخيه المسلم والشتم له دون القذف والضرب له، والغيبة والنميمة والكذب، وغير ذلك مما يطول شرحه؛

فإذا تاب المؤمن من الكبائر اندرجت الصغائر في ضمنها لقوله تعالى: ﴿إنْ تجتَنبوا كبائرَ ما تُنهوْنَ عنه نُكَفِّرْ عنكم سيئاتِكم﴾[النساء: ٣١]. الآية، ولكن لايطمع نفسه في ذلك، بل يجتهد في التوبة عن جميع الذنوب كبيرها وصغيرها، كما قال الشاعر:

خلِّ الذنوبَ كبيرَها وصغيرها فهو التقى لمن استقام وشَمَّرا
واصنع كماشٍ فوق أرضِ الشوكِ يسـ ـلك ما خلا حتى يحاذر ما يرى
لا تحقرنّ صغيرة في نفسها إن الجبال من الحصى لم تحقرا

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «نزل رسول الله ﷺ بوادٍ هو وأصحابه ليس فيه حطب ولاشيء يرونه، فأمرهم أنْ يحتطبوا، فقالوا: يارسول الله ما نرى حطباً، قال: لا تحقروا شيئاً تأخذونه، فجعل الرجل يجمع الشيء بعضه إلى بعض حتى جمعوا سواداً عظيماً، فقال لأصحابه: ألا ترون، هكذا تكون المحقرات من خير وشرّ، حتى الذنب الصغير الى الصغير، والكبير الى الكبير، والخير الى الخير، والشر الى الشر»[1].

وقيل: إن الذنب إذا صغر عند العبد عظم عند الله تعالى، فإذا استعظمه العبد صغر عند الله تعالى، فإنما يستعظم الذنبَ الصغير العبدُ المؤمن لعظم إيمانه وسموّ معرفته، كما جاء في الحديث عن النبيّ ﷺ أنه قال: «المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه، والمنافق يرى ذنبه كذباب طائرٍ على أنفه فأطاره»[2].

(١) أخرجه أحمد ٥/٣٣١ عن أنس بن عياض، حدثني أبو حازم لاأعلمه إن عن سهل ابن سعد قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إياكم ومحقرات الذنوب كقوم نزلوا في بطن وادٍ، فجاء ذا بعودٍ، وجاء ذا بعودٍ حتى أنضجوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تُملكه». ورجالُه ثقات. وأنس بن عياض فيه غفلة.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٨) من حديث ابن مسعود. لكن فيه «الفاجر» بدل «المنافق».

وقال بعضهم: الذنب الذي لايغفر قول العبد: ليتَ كلَّ شيءٍ عملته مثل هذا، وهذا من نقصان إيمانه، وضعف معرفته، وقلة علمه بجلال الله عزّ وجل. ولو كان عنده علم بذلك لرأى الصغير كبيراً، والحقير عظيماً، كما أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه: لا تنظر إلى قلة الهدية وانظر إلى عِظَمِ مُهْدِيها، ولا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها، ولهذا قال: مَنْ جَلَّتْ رتبته وعظمت منزلته عند الله عزّ وجل فلا صغيرة، بل كل مخالفة لله تعالى فهي كبيرة.

وقال بعض الصحابة لأصحابه من التابعين: «إنكم لتعملون أعمالاً هي أدقّ في أعينكم من الشعر كنا نعدّها على عهدِ رسول الله ﷺ من الموبقات»[1].

فإنما قال ذلك لقربه من رسول الله ﷺ، ومن الله ومن جلاله فيعظُمُ من العالم ما لَم يعظم من الجاهل، ويتجاوز عن العامي ما لايتجاوز عن العارف على قدر ما بينهما من التفاوت في العلم والمعرفة والمنزلة.

والتوبة فرض عين في حق كل شخص لا يتصوّر أن يستغني عنها أحد من البشر، لأنه لايخلو أحدٌ عن معصية الجوارح، فإن خلا منها فلايخلو عن الهمّ بالذنوب بالقلب، وإن خلا عن ذلك فلايخلو من وسواس الشيطان بإيراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله تعالى، فإن خلا عنها فلا يخلو عن غفلة وتقصير في العلم بالله عزّ وجل بصفاته وأفعاله.

كل ذلك على قدر منازل المؤمنين في أحوالهم ومقاماتهم، فلكل حال طاعات وذنوب وحدود وشروط، فحفظها طاعة، وتركها والغفلةُ عنها ذنب، فيحتاج إلى توبة، وهو الرجوع عن التعريج الذي وجد إلى سنن الطريق المستقيم الذي شرع له، ومقامٍ أُقيم فيه، ومنزلة مُهِّدَتْ له. فالكل مفتقر إلى التوبة وإنما يتفاوتون في المقادير، فتوبة العوام من الذنوب، وتوبة الخواص من الغفلة، وتوبة خاصّ الخاص من ركون القلب إلى ما سوى الله عزّ وجل، كما

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٢) من حديث أنس.

قال ذو النون المصري رحمه الله: توبة العوام من الذنوب، وتوبة الخواص من الغفلة.

وكما قال أبو الحسين النوري: التوبة أن تتوب من كل شيء سوى الله عزّ وجل، فشتان بين تائب يتوب من الزلات، وتائب يتوب من الغفلات، وتائب يتوب من رؤية الحسنات، وتائب يتوب من طمأنينة القلب إلى غير خالق البريات، الأنبياء عليهم السلام لم يستغنوا عن التوبة، ألا ترى إلى ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله عزّ وجل في اليوم والليلة سبعين مرة»[1].

وآدم عليه السلام لما أكل من الشجرة المنهيّ عنها تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته وبقى التاج والإكليل على رأسه، فاستحيا أن يرتفعا عنه، فجاءه جبريل عليه السلام فأخذ التاج عن رأسه والإكليل عن جبينه، ونودي هو وحواء: أن اهبطا من جواري، فإنه لايجاورني مَنْ عصاني، فالتفت إلى حوّاء بالحياء وقال لها: هذا أول شؤم المعصية أخرجنا من جوار الحبيب، فأحوجنا إلى التوبة والتضرّع والافتقار والاستكانة والذلة من بعد عيش قار، ومن ذلك الملك العظيم والفضل الكبير والعزّ والدلال وارتفاع المنزلة في أشرف الأمكنة وأطهرها وآمنها وأقربها إلى الله تعالى.

فلو استغنى أحد عن التوبة وأمِنَ من العدو وشُؤْم النفس ووسواس الشيطان ومكايده، واغترّ بشرف المكان وطهارته والقرب إلى الله ودنوّ منزلته، لكان ذلك حقيقاً بآدم عليه السلام، فلم يستغن عن التوبة حتى تاب الله عليه، لقوله عزّ وجل ﴿فَتَلقَّى آدمُ من ربهِ كلماتٍ فتابَ عليه إنه هو التوابُ الرحيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

وروي عن الحسن بن عليّ رضي الله عنهما أنه قال: لما تاب الله على

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٢) من حديث الأَغَرّ المُزني.

آدم عليه السلام هنته الملائكة، فهبط جبريل عليه السلام وميكائيل وإسرافيل عليهما السلام فقالوا: ياآدم قرّت عيناك بتوبة الله عليك، فقال آدم عليه السلام: ياجبريل فإن كان بعد هذه التوبة سؤالٌ فأين مقامي؟ فأوحى الله إليه: يا آدمُ ورّثْتَ ذريتك التعبَ والنصب، وورّثتهم التوبة، فمن دعاني منهم لَبّيْتُهُ كما لبيتك، ومن سألني منهم المغفرة لم أبخل عليه، فإني قريب مجيب يا آدم، وأحشر التائبين من الذنوب في الجنة، وأخرجهم من قبورهم فرحين ضاحكين مستبشرين، ودعاؤهم مستجاب.

وكذلك نوح النبيّ عليه السلام الذي أغرق الله تعالى أهل الشرق والغرب بدعوته والغيرة على عرضه، ولتكذيبهم إياه وشدة غضبه عليهم لذلك، وهو آدم الثاني، لأن الخلق من ذريته على ما قيل إنه لم يتوالد من الذين كانوا معه في السفينة من الناس غير أولاده الثلاثة وهم سام وحام ويافث، فالخلق تشعبت منهم ومع هذه المنزلة قال: ﴿ربِّ إني أعوذُ بك أن أسألَكَ ما ليسَ لي به عِلْمٌ وإلّا تغفرْ لي وترحَمْني أكُنْ من الخاسرين﴾ [هود: ٤٧].

وإبراهيم الخليل عليه السلام مع جلالة قدره واصطفاء الله له بخُلَّتِهِ وجعله أبا الأنبياء والمرسلين، كما روي أنه أخرج من ولده وولد ولده أربعة آلاف نبي عليه وعليهم السلام، قال الله تعالى: ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ [الصافات: ٧٧] حتى نبينا محمد ﷺ من ولده، وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم السلام وغيرهم لم يستغن عن التوبة والاستكانة والافتقار إلى الله عزّ وجل، فقال: ﴿الذي خَلَقَني فهو يَهدينِ، والذي هو يُطعِمُني ويَسقينِ، وإذا مَرِضْتُ فهو يَشفينِ، والذي يُميتُني ثم يُحيينِ، والذي أطمعُ أنْ يَغفِرَ لي خطيئتي يومَ الدينِ﴾ [الشعراء: ٧٨ ـ ٨٢] الآية، وقوله عزّ وجل: ﴿وأرِنا مناسِكَنا وتُبْ علينا إنَّك أنت التوابُ الرحيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨].

وموسى عليه السلام مع جلالة قدره واصطفاءِ الله له بالرسالة والكلام واصطناعه لنفسه، وإلقائه المحبةَ عليه، وتأييده له بالمعجزات الباهرات من اليد والعصا والآيات التسع والأشياء التي كانت له في التيه، من عمود النور بالليل

والمنّ والسلوى وغير ذلك من الآيات التي لم تكن لأحدٍ من الأنبياء قبله ﴿قال ربِّ اغفرْ لي ولِأخي وأدخِلْنا في رحمتِك وأنتَ أرحمُ الراحمين﴾ [الأعراف: ١٥١].

وداود النبي عليه السلام مع جلالة قدره وإعطاء الله له ذلك المُلْكَ العظيم، كان حراسه ثلاثة وثلاثين ألف حارس، وكان إذا قرأ الزبور اصطفَّتِ الطيرُ على رأسه ووقف الماء عن جريانه وحدته، واصطفت الإنسُ والجنّ حوله، والسباع والهوام، كذلك لايؤذي بعضها بعضاً، وتسبح الجبال بتسبيحه، وأُلِينَ له الحديدُ لرزقه إجلالاً لِقَدْرِهِ وصيانة لأمره، فبكى أربعين يوماً وهو ساجد، حتى نبت العشب من دموعه، فرحمه الله تعالى وتاب عليه، حتى قال عز وجل: ﴿فغفرْنا له ذلك، وإنَّ له عندَنا لَزُلْفَى وحسنَ مآبٍ﴾ [ص: ٢٥].

وسليمان بن داود عليهما السلام مع ملكه العظيم وريحه المسخرة له، غُدُوُّها شهرٌ ورواحها شهر، والملك الذي لاينبغي لأحدٍ من بعده، لما عوقب على خطيئته من أجل التمثال الذي عبد في داره أربعين يوماً، من غير علمه، فسلب ملكه أربعين يوماً فهرب تائهاً على وجهه، وكان يسأل بكفيه فلا يطعم، فإذا قال أطعموني فإني سليمان بن داود شُجَّ رأسُهُ وضُرِبَ وأهين وكُذِّبَ، ولقد استطعم يوماً من بيت فطرد وبزقت امرأة في وجهه. وروي أنه ذات يوم أخرجت عجوز جرّة فيها بول وصَبَّته على رأسه، فبقي في الذل على ذلك إلى أن أخرج الله له الخاتم من بطن حوت، فلبسه حتى انتهت الأربعون يوماً من أيام العقوبة، فجاءت الطير حينئذ فعكفت عليه، وجاءت الجنّ والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله، فلما عرفه الذين أهانوه وضربوه اعتذروا إليه مما جرى منهم إليه من الإساءة، فقال: لا ألومكم فيما صنعتم من قبل، ولا أحمدكم الآن فيما تصنعون، فإن هذا أمر من السماء ولا بد منه، فتاب الله عليه وردّ إليه ملكه، وأحسن موئله ومرجعه عليه السلام.

فإذا كان هؤلاء السادة الكبراء القادة ولاةُ الخلق والشرع وملوكها وخلفاء

الله في خلقه حالهم كذلك، فما حالك واغترارك يامسكين، وأنت في دار الغرور في إقطاع الشياطين، محيطٌ بك جنودُ الأعداء من الخلق والهوى والنفس والشهوات والإرادات والوساوس وتزيين الشيطان وتحسينه، واغتررت بالعبادات الظاهرة من الصوم والصلاة والزكاة والحجّ، وكَفِّ الجوارح عن المعاصي الظاهرة وباطنك عارٍ عن العبادات الباطنة، صفر عنها من الورع الشافي والتأني والتقوى والزهد والصبر والرضا والقناعة والتوكل والتفويض واليقين وسلامة الصدر وسخاوة النفس ورؤية المنة والنية والإحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة وحسن المعرفة وحسن الطاعة والصدق والإخلاص، وغير ذلك مما يطول شرحه.

بل أنت مشحون ممتلئ بخلالٍ قبيحة وأمهات الذنوب التي منها يتفرّع كل محنة وداهية، وكل بلية مهلكة موبقة في الدنيا والآخرة من خوف الفقر والسخط لقدر الله عزّ وجل، والاعتراض عليه في قضائه في خلقه، والتهمة له في ذلك، والشكّ في وعده، والغلّ والحقد والحسد والغشّ، وطلب العلوّ والمنزلة، وحبّ الثناء والمحمدة، وحبّ الجاه في الدنيا والرضا بها والطمأنينة إليها، والتكبر على عباد الله والتعظمُ عليهم، والشمخ بالأنف كما قال تعالى: ﴿وإذا قيلَ له اتّقِ اللهَ أخذتْهُ العزّةُ بالإثمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦].

والغضب والحمية والأنفة، وحبّ الرياسة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والشحّ والرغبة والرهبة والفرح والأشر والبطر، والتعظيم للأغنياء والاستهانة بالفقراء، والفخر والخيلاء، والتنافس في الدنيا والمباهاة بها، والرياء والسمعة، والإعراض عن الحق استكباراً، والخوض فيما لايعني، وكثرة الكلام من غير نفع، والتيه والصلف، واختبار أحوال الغير، وترك حالتك التي أنتَ عليها، وجعلت عبادتك في حفظها، والتملق والاقتدار، والتهاون في أمر الله، والتوقير للمخلوقين، والمداهنة لهم والعجب بالأعمال، وحبّ المدح بما لم تفعله، والاشتغال بعيوب الخلق والتعامي عن عيوبك، ونسيان نعمة الله وإضافتها إلى نفسك أو إلى الخلق الذين هم مسخرون وآلة لتلك النعمة،

والوقوف مع الظاهر، والتقاعد عن النظر في الأصول، وحفظ الحدود ووضع الشيء في محله، وإيثار الفرح، ونبض الحزن الذي يكون بعدمه خراب القلب، وخروج الخشية منه، وببعده إطفاء نور الحكمة، وبتزايده إيجاب قرب الربّ والأنس به والاستماع إليه والفهم منه، والاستغناء به عن جميع البرية، والسعادة الأبدية، والنجاة السرمدية، والنعمة الكلية، ومشحون بالانتصار للنفس إذا نالها الذلّ الذي دواؤها فيه وسعادتها به، ودخولها في زمرة أحباب الله تعالى وأصفيائه وخلصائه وشهدائه وعلمائه، والعارفين بمجاري أقداره وأبدال أنبيائه عليهم السلام، وبضعف الانتصار للحقّ جلت عظمته، وأنصار دينه وأوليائه القائمين بحجته، الداعين للخلق إلى طاعته، المحذّرين لنقمته وناره بتذكيرهم لأيامه، المرغبين في رحمته وجنته، واتخاذ إخوان العلانية مع عداوتك إياهم في السرّ، والإعراض عن موافقة الأخيار الأبرار المنكسري القلوب والأفئدة، الذين هم جلساء الرحمن جلّتْ عظمته، المطمئنون إليه، الملازمون للشدة، المداومون على الخدمة المتنعمون بالمنة، المتلبسون بالخلعة، الموسومون بخلصاء الرحمن ربّ العزّة، الآمنون في الدنيا من دوران الدول والفتنة، وفي القبور من شرّ هول المطلع والضغطة، وفي القيامة من طول الحساب والوحشة، الخالدون في دار البقاء في النعمة والسرور والبهجة والفرحة، المخصوصون فيها بكل ظريف ولطيف في كل ساعة ولحظة وطرفة.

واغتررت أيضاً بما خُوِّلتَ من الدنيا، وما أطلقت فيها من القضاء، وأرحت من العناء، فأمِنْتَ من سلب العطاء والفضل والنعم التي كانت لغيرك، ثم انتقلت منه إليك ممن تقدم ومضى، من فرعون وهامان وقارون وشداد وعاد وقيصر وكسرى، من الملوك الخالية والأمم الفانية الذاهبة، الذين تلاعبت بهم الدنيا وغرتهم الأماني، حتى جاء أمر الله وغرّهم بالله الغرور، وحِيلَ بينهم وبين ما يشتهون، وجمعوا وفرّقوا وقُطِعَ بينهم وبين ما خولوا وأزيلوا من فرشهم التي مهدوها لأنفسهم، وأُهبطوا عن المنازل التي شيدوها، وأزيلوا عن العزّ الذي كانوا به ظفروا، وعن الملك الذي ادعوه وخيلوا، فطولبوا بالودائع التي

استودعوها، وبالعواري التي استؤمنوها، فجاءهم من الله ما لم يكونوا احتسبوا، وأوقفوا على مساوئ ماعملوا، ونوقشوا على دقائق ما اقترفوا، وحُبِسُوا في أضيق الحبوس التي في الدنيا لغيرهم حَبَسُوا، وشُدِّدَ عليهم بأشد الذي شددوا، وعوقبوا بأبلغ ما عاقبوا، وبالنار أحرقوا، وبأيديهم وأرجلهم فيها بالأغلال غُلُّوا، ومن زقوم وضريع طعموا، ومن حميم سُقُوا، ومن طينة الخبال ثنوا.

أمَا كانت لكَ بهؤلاء الماضين عبرة، وبالمأسورين عن أهاليهم عظة عن ادّعاء ملك ما خلفوا، وسكنى ما بنوا وعنه أُجلْوا، إذ كانوا في بنائهم ذلك جاروا وظلموا، فكم من عِرض وظهر وخد ورأس نالوا وضربوا، وكم من عينِ مسكينٍ بائس فقير ذليل أبكوا وأدمعوا، وكم من غنيّ ذي حسب أذلوا وأفقروا. وكم من بدعة وسنة سيئة ورسمٍ شرعوا ورسموا، وكم من قلبٍ حكيمٍ لبيب عليهم كسروا وأغضبوا، وكم من دعاء ونحيب وصوت حزين في جنح الليل من أرباب القلوب لظلمهم إلى الرحمن رفعوا، شكاية منهم إليه في كشف ما بهم، إذ هم على الخبير سقطوا، فانتدبت لذلك الملائكة الكرام، وإليه بادروا، وإلى المليك العظيم المنصف غير الجائر وصلوا وانتهوا، فنظر العزيز الحكيم العليم بما في صدورهم، والخبير بما يُخْفون ومايعلنون فيما شَكَوْا ومنه ضَجُّوا فأجابهم العزيز الجليل «لأنصرنكم ولو بعد حين»[1]، فجعلهم حصيداً ﴿فهلْ تَرى لهمْ من باقيةْ﴾ [الحاقة: ٨] فقوم بالغرق، وقوم بالخسف، وقوم بالحصب، وقوم بالقتل، وقوم بالمسخ في الصور، وقوم بالمسخ بالمعاني بأن جعل قلوبهم قاسية كالحجارة الصماء، فطبع عليها بطابع الكفر، وختمها بخاتم الشرك والرَّين والغطاء والظلمة، فلم يلج فيها الإسلام ولا الإيمان، ثم أخذهم أخذةً رابية، وبطش بهم بطشة الجبار، فأدخلهم دار البوار ﴿كلّما نَضِجَتْ جُلودُهم بَدَّلناهم جُلوداً غيرَها﴾ [النساء: ٥٦] فهم أبداً في نكال وجحيم وطعام ذي غصة

(١) قطعة من حديث دعوة المظلوم. أخرجه ابن ماجه (١٧٥٢)، والترمذي (٣٥٩٨)، وابن حبان (٨٧٤) بإسناد ضعيف.

وعذاب أليم ﴿خالِدينَ فيها ما دامتِ السمواتُ والأرضُ﴾ [هود: ١٠٧] لايَموتون فيها ومنها لا يخْرَجُون؛ لا غاية لويلهم ولا منتهى لثبورهم، ولهم فيها معيشة ضَنْكٌ، لا يتخلص إليهم روح ولايخرج منهم نفس ولا روح، انقطعت آمالهم وأصواتهم، وتشتت قلوبهم في حلوقهم، وخرست ألسنتهم، وقيل لهم ﴿اخْسَئُوا فيها ولا تُكَلِّمون﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

فاحذر يا مسكين أن تفعل بأفعالهم، أو تستنّ بسنتهم، فتقفو آثارهم، فتموت من غير توبة، وتؤخذ على غفلة وغرّة، من غير أن تمهد لنفسك عذراً، وتعدّ لك جواباً ومخلصاً، وتقدم بها زاداً ومجازاً، فيحلّ بك من العذاب والنكال ما حلّ بهم.

(فصل)

في شروط التوبة وكيفيتها

أما شروطها فثلاثة:

أولها: الندم على ما عمل من المخالفات، وهو قول النبي ﷺ: «الندم توبة»[1].

وعلامة صحة الندم: رقة القلب، وغزارة الدمع، ولهذا روي عن النبي ﷺ أنه قال: «جالسوا التوّابين، فإنهم أرق أفئدة»[2].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٥٢)، وأحمد في «المسند» (٣٥٦٨) و(٤٠١٢) و(٤٠١٤) و(٤٠١٦)، والحاكم ٤/٢٤٣ وغيرهم من حديث ابن مسعود. ورجال إسناده ثقات. وفي إسنادِه خلافٌ. انظر في ترجمة زياد بن أبي مريم من «التهذيب». وفي الباب أحاديث لاتخلو من ضعف. انظر «المجمع» ١٠/١٩٨ - ١٩٩.

(٢) قال العراقي في «تخريج الإحياء» ٤/٣٤: لم أجده مرفوعاً، وهو من قول عون بن عبدالله، رواه ابنُ أبي الدنيا في «التوبة».

والثاني: ترك الزلات في جميع الحالات والساعات.

والثالث: العزم على أن لايعود إلى مثل ما اقترف من المعاصي والخطيئات، وهو معنى قول أبي بكر الواسطي حين سئل عن التوبة النصوح فقال: أن لايبقى على صاحبها أثرٌ من المعصية سرّاً ولا جهراً، ومن كانت توبته نصوحاً فلا يبالي كيف أمسى وأصبح، فالندم يورث عزماً وقصداً؛ فالعزم أن لا يعود إلى مثل ما اقترف من المعاصي لعلمه المستفاد بالندم أن المعاصي حائلة بينه وبين ربه وبين محابّ الدنيا والآخرة السليمة من التبعات، كما ورد في الخبر: «إن العبد يُحْرَمُ الرزقَ الكثير بذنبٍ يصيبه»[1] وفي الخبر الآخر «إن الزنا يورث الفقر»[2].

وعن بعض العارفين: إذا رأيت التغير والتضيق في المعيشة والتعسر في الرزق وتشعب الحال، فاعلم أنك تاركٌ لأمرِ مولاك تابع لهواك؛ وإذا رأيت الأيدي تسلطت عليك والألسن وتناولتك الظَّلَمة في النفس والأهل والمال والولد، فاعلم أنك مرتكب للمناهي ومانع للحقوق ومتجاوز للحدود، وممزق للرسوم.

وإذا رأيت الهموم والغموم والكروب في القلب قد تراكمت، فاعلم أنك معترضٌ على الربّ فيما قَدَّرَ عليك وقضى لك مُتَّهِمٌ له في وعده، ومشرك به خَلْقَهُ في أمرهِ، غير واثقٍ به ولا أنت راضٍ بتدبيره فيك وفي خلقه؛ فإذا علم التائب هذا بالنظر في حاله والتفكر فيها ندم على ذلك.

---

(١) أخرجه أحمد ٢٧٧/٥ و٢٨٠ و٢٨٢، وابن ماجه (٩٠) و(٤٠٢٢)، وابن حبان (٨٧٢)، والطحاوي في «المشكل» ١٦٩/٤، والحاكم ٤٩٣/١ من طريق عبدالله بن عيسى، عن عبدالله بن أبي الجعد، عن ثوبان. وهذا إسنادٌ ضعيف. عبدالله بن أبي الجعد مجهول الحال. وفي سماعِه من ثوبان نظرٌ؟.

(٢) منكر، وقال أبو حاتم كما في «العلل» ٤١٠/١ - ٤١١: حديث باطل.

أخرجه ابن عدي ٢٤٢٥/٦، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٦٦) من حديث ابن عمر مرفوعاً. وفيه الليث بن أبي سُليم، وهو ضعيف . . . ورُوي موقوفاً عند ابن حبان في «الثقات» ٥٧٤/٧.

ومعنى الندم: تَوَجُّعُ القلبِ عند علمه بفوات محبوبه، فتطول حسراته وأحزانه وبكاؤه ونحيبه وانسكاب عبراته، فيعزم على أن لا يعود إلى مثل ذلك لما تحقق عنده من العلم بشؤم ذلك، وأنه أضرّ من السمّ القاتل والسبع الضاري والنار المحرقة والسيف القاطع، وأن المؤمن لا يلسع من جحر مرّتين[1]، فيهرب ضرورةً من المعاصي كما يهرب من هذه المضارّ والمهالك، ففي المعاصي هلاك كليّ، وفي الطاعات بقاء كلي، والسلامة الأبدية سعادة دنيوية وأخروية، فيا ليت المعاصي لم تخلق ولم تكن؛ فربَّ شهوةِ ساعةٍ أورثت حزناً طويلاً وأعقبت داء دوياً وأهدمت عمراً طويلاً وأوبقت في النار جبلاً كبيراً.

وأما القصد الثاني الذي ينبعث منه وهو إرادة التدارك، فله تَعَلُّقٌ بالحال، وهو موجبُ ترك كل محظورٍ وهو ملابس له ومداوم عليه، وأداء كل فرض هو متوجه في الحال، وله تعلق بالماضي وهو تدارك ما فرط بالمستقبل، وهو المداومة على الطاعة وترك المعصية إلى الموت.

فأما شرط صحته فيما يتعلق بالماضي وهو أن يردّ فكره إلى أول يوم بلغ فيه السنّ والاحتلام، فيفتش عما مضى من عمره سنة سنة وشهراً شهراً ويوماً يوماً وساعة ساعة ونفَساً نفَساً، فينظر إلى الطاعات ما الذي قصَّرَ فيها، وإلى المعاصي ما الذي قارفَ منها.

أما الطاعات فإن كان ترك صلاة فلم يصلها البتة أو صلاها بغير شرائطها وغير أركانها، مثل أن صلاها من غير وضوء، أو مع وضوء مختلّ بترك شرط كالنية، أو بعض واجباته كالمضمضة والاستنشاق وغسل الوجه وغير ذلك من الأعضاء، أو صلى في ثوب نجس أو حرير أو غصب أو على أرض مغصوبة، فإنه يقضيها جميعاً من حين بلوغه إلى حين توبته، فيشتغل بقضاء الفرائض أولاً، ولا يزال يصليها إلى أن يضيق وقت صلاة الحاضرة ثم يصلي الحاضرة

---

(١) أخرج هذه القطعة بلفظ: لايلدغ المؤمن من جحر مرتين»: البخاري (٦١٣٣) ومسلم (٢٩٩٨) من حديث أبي هريرة.

أداء، ثم يشتغل بقضاء الفوائت هكذا إلى أن يأتي على آخرها فإذا حضرت الجماعة صلاها مع الجماعة، وينويها قضاء، ثم يصلي على عادته حتى إذا تضايق وقت التي صلاها مع الإمام صلاها وحده أداء، كل ذلك إنما يفعله احتياطاً لتحصيل الترتيب في القضاء، إذ هو واجب عندنا؛ فإن نوى مع الإمام أداء جماعة سومح ورُخِّصَ له ذلك، ولايعيدها مرّة أخرى، والصحيح هو الأول.

فإن كان في عمره الماضي مخلطاً في دينه من الذين قال الله تعالى في حقهم: ﴿وآخرونَ اعترفوا بذنوبِهَم خَلَطُوا عملاً صالحاً وآخرَ سيئاً عسى اللهُ أن يتوبَ عليهم﴾ [التوبة: ١٠٢] تارة يغلب عليه الإيمان فيحسن العمل من صلاته وصيامه والتحرّز من النجاسات والمحرم في الشرع ويحتاط لدينه، وأخرى تغلبه الشقاوة وتزيين الشيطان فينجس في صلاته ويتساهل في شرائطها وأركانها وواجباتها، فيأتي ببعضها ويترك بعضها، أو يصلي يوماً ويترك أياماً، أو يصلي من صلاة يوم وليلة صلاة أو صلاتين ويترك باقيها، فليجتهد وليتحرَّ في ذلك، فما تيقن أنه أتى بها على التمام والكمال على وجه يسوغ في الشرع لم يقضها ويقضي الباقي، وإن نظر لنفسه وارتكب العزيمة والأشد فقضى الجميع كان ذلك احتياطاً وخيراً قدمه لنفسه، وكفارة وترقيعاً لكل ما فرّط من سائر الأوامر يوم القيامة، ودرجات في الجنة إذا مات على التوبة والإسلام والسنة؛

وإذا فرغ من قضاء الفرائض ومدّ الله في أجله، وأمهل في مدته، ووفقه لخدمته، ورضيه لطاعته، وأقامه في أهل محبته، وأنقذه من ضلالته، وأخرجه من مرافقة الشيطان ومتابعته ومن ركوب الهوى، وملاذ نفسه، فأدبره من دنياه، وأقبله على أخراه، فليشتغل حينئذ بقضاء السنن المؤكدات وما يتعلق بكل صلاة على ما ذكرنا في الفرائض، ثم بعد ذلك يجتهد في التهجد وصلاة الليل والأوراد التي نشير إليها في آخر الكتاب إن شاء الله تعالى.

وأما الصوم فإن كان تركه في سفر أو مرض، أو أفطر عمداً في الحضر أو ترك النية ليلاً عمداً أو شهواً، فليقض ذلك جميعه، وإن شك في ذلك،

فليتحرّ وليجتهد في ذلك، وليقض ما غلب على ظنه تركه، ويترك باقيه فلا يقضيه، وإن أخذ بالأحوط فقضى الجميع كان خيراً له، فيحسب من حين بلوغه إلى حين توبته، فإن كان بين ذلك عشر سنين صام عشرة أشهر، وإن كان اثنتي عشرة سنة صام سنة عن كل سنة شهراً، وهو شهر رمضان.

واما الزكاة فيحسب جميع ماله وعدد السنين من أول تمام ملكه لا من زمان بلوغه وعقله؛ إذ الزكاة واجبة على الصبيّ والمجنون عندنا، فيخرجها ويدفعها إلى مستحقيها من الفقراء والمساكين وغيرهم، فإن كان قد أدّى في بعض السنين وتوانى في بعض حسب ذلك، وأدى المتروك وترك المؤدى على ما تقدم في الصوم والصلاة.

وأما الحج فإن كان قد تمّ شروطه في حقه فوجب عليه السعي فيه والقصد إليه، فتوانى وفرّط حتى افتقر واختلّت الشرائط في حقه برهة من الزمان ثم قدر، فعليه الخروج والقصد إليه، وإن لم يجد المال وكان له قدرة على الخروج ببدنه مع الإفلاس فعليه الخروج فإن لم يقدر إلا بمالٍ فعليه أن يكتسب من الحلال قدر الزاد والراحلة، فإن لم يقدر على الكسب فليسأل الناس ليدفعوا إليه من زكاتهم وصدقاتهم ليحجّ، لأن الحج من السبيل عندنا، وهو واحد من الأصناف الثمانية، وهو قوله عز وجل: ﴿وفي سبيلِ اللهِ﴾ [التوبة: ٦٠] فإن مات قبل ذلك مات عاصياً آثماً، لأنه فرّط في أداء الحجّ، وهو عندنا على الفور، قال النبي ﷺ: «مَنْ وجد زاداً وراحلة تبلغه البيت فلم يحجّ فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا أو على أي ملة»، وفي لفظ آخر: «من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً»[1]. وإن كان عليه كفارات ونذور فعليه الخروج منها والاحتياط فيها والتحرز على ماذكرنا.

---

(١) أخرجه الترمذي (٨١٢) من حديث علي، وإسناده ضعيف. وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» ٢/٢٠٩، وقال العقيلي والدارقطني: لايصحُّ فيه شيءٌ. وانظر «تلخيص الحبير» ٢/٢٢٢.

فعليه الخروج منها والاحتياط فيها والتحرز على ماذكرنا.

وأما المعاصي فينبغي أن يفتش من أوّل بلوغه عن سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله وفرجه وجميع جوارحه، ثم ينظر في جميع أيامه وساعاته، ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه، حتى يطلع على جميعها صغائرها وكبائرها، ويتذكرها جميعها برؤية قرنائه الذين كانوا معه فيها وشاركوه في اقترافها، والبقاع التي قارف عليها، والمنازل التي تستر فيها عن الأعين في زعمه، وغفل عن الأعين التي لا تنام ولا تغمض طرفة عين عنه: ﴿كِراماً كاتِبِينَ* يعلمونَ ما تفعَلُون﴾ [الانفطار: ١١، ١٢]، ﴿مايلفظُ من قولٍ إلا لديهِ رقيبٌ عتيدٌ﴾ [ق: ١٨] غفل عن هؤلاء الكرام الحفظة: ﴿له معقباتٌ من بينِ يديهِ ومن خلفهِ يحفَظونَه من أمرِ اللهِ﴾ [الرعد: ١١] ويحصون عليه أفعاله وأنفاسه، وغفل عن عالم السرّ وأخفى العليم بذات الصدور، والخبير بما يخفون ومايعلنون؛ ثم ينظر في ذلك، فإن كانت المعاصي تتعلق بحق الله تعالى وهي بينه وبينه لاتتعلق بمظالم العباد كالزنا وشرب الخمر وسماع الملاهي، وكالنظر إلى غير محرَم، والقعود في المسجد وهو جنب، ومسّ المصحف بغير وضوء، واعتقاد بدعةٍ، فتوبته عنها بالندم والتحسر والاعتذار إلى الله عز وجل عنها، ويحسب مقدارها من حيث الكثرة ومن حيث المدة، ويطلب لكل معصية عنها حسنة تناسبها، فيأتي من الحسنات بمقدار تلك السيئات أخذاً من قوله تعالى: ﴿إنْ الحَسَنات يُذْهِبْنَ السيِّئاتِ﴾ [هود: ١١٤] ومن قول النبي ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد ١٥٣/٥ و١٥٨ و١٧٧ والدارمي ٢٣٢/٢. والحاكم ٥٤/١، وأبو نعيم ٣٧٨/٤ من طريق سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ميمون بن أبي شبيب عن أبي ذر. وخُولف في طرق عن سفيان فقيل: عن معاذ. عند أحمد ٢٣٦/٥، والترمذي (١٩٨٧). وعلى أيٍّ فإنه منقطع، فإن ميمون بن أبي شبيب لم يسمع أبا ذر ومعاذاً.

فتكفير كل سيئة بحسنة من جنسها بما تقارب أن تكون كفارة له دون غيره في التشبيه .

فتكفير شرب الخمر بالتصدق بكل شراب حلال هو أحبّ إليه وأطيب عنده، وسماع الملاهي بسماع القرآن وأحاديث رسول الله ﷺ وحكايات الصالحين، وتكفير القعود في المسجد جُنُباً بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة وتكفير مَسِّ المصحف محدثاً بإكرام المصحف وكثرة قراءة القرآن منه، وكثرة تَلَقِّيهِ على الطهارة، والاعتبار بما فيه، والاتِّعاظِ به واحترامه، والعمل به، وبأن يكتب مصحفاً ويجعله وقفاً على المسلمين ليقرءوا فيه.

وأما مظالم العباد، ففيها أيضا معصية وجناية على حقّ الله تعالى، فإن الله تعالى نهى عن الظلم للعباد، كما نهى عن الزنا وشرب الخمر والربا، فما يتعلق من ذلك بحقّ الله تعالى تداركه بالندم والتحسر، وترك مثله في ثاني الحال، والإتيان بالحسنات لتكفر عنه، فتكفير إيذائه للناس بالإحسان إليهم والدعاء لهم؛ فان كان المُؤْذَى ميتاً فبالترحم عليه والإحسان إلى ولده وورثته، إذا كانت الأذية باللسان أو الضرب. وتكفيرُ غَصْب أموالهم في حقّ الله تعالى بالتصدّق بما يملكه من الحلال.

وإذا كانت الأذية في الأعراض مثل أن اغتابهم ومشى بينهم بالنميمة وقدح فيهم، فتكفير ذلك بالثناء عليهم إن كانوا من أهل الدين والسنة وإظهار مايعرف فيهم من خصال الخير في أقرانه وأمثاله في المحافل والمجامع. وتكفير قتل النفوس في حقّ الله تعالى بإعتاق الرقاب لأن ذلك إحياء للعبد، لأن العبد كالمفقود المعدوم فيما يرجع إلى نفسه، كما قال الله عزّ وجل: ﴿ضُربَ الله مثلاً عبداً مملوكاً لايقدرُ على شيء﴾ [النحل: ٧٥]. فكليته لمولاه وتصرّفاته وحركاته وسكناته، فهو موجود لسيده، إذ جميع ذلك له، ففي إعتاقه إيجاده وإحياؤه، فكأنّ القاتل أعدم عبداً عابداً لله تعالى وعطّل طاعته له، فجنى على حقه، فَأمره بإقامة عبدٍ مثله عابدٍ لله تعالى، ولايتحقق ذلك إلا بعتقه عن رقّ

العبودية، فيتصرّف في نفسه لنفسه من غير مانع ولاحاجز، فيقابل الإعدام بالإيجاد، وهذا في حقّ الله تعالى.

وأما في حقّ العباد فلا يخلو إما أن يكون في النفوس أو في الأموال أو الأعراض أو القلوب، وهذا هو الإيذاء المحض. وأما إذا كانت المظلمة في النفوس بأن جرى على يده قتل خطأ، فتوبته بتسليم الدية إلى من يستحقها من مناسب، أو مولى أو الإمام؛ فهي في عهدة ذلك حتى تصل الدية إليهم، إما من العاقلة، والعاقلة: هو القرابة العصبية أو الإمام؛

فإن لم تكن له عاقلة، ولا وجد في بيت المال شيء سقطت، فان كان هو قادراً على أدائها ولا عاقلة له، فليس له غير عتق رقبة مؤمنة، فان تطوّع بالدية كان أولى، إذ الدية إنما تجب عندنا على العاقلة، فلا يخاطب بها القاتل وهو الصحيح.

وقيل: إنه يجب عليه أداء الدية في هذه الحالة إذا لم تكن له عاقلة وله يسار؛ وهو مذهب الشافعي رحمه الله، لأن الدية تجب ابتداء على القاتل، ثم تتحملها عنه العاقلةُ على وجه التخفيف عنه والنصرة له، والمواساة له في الغرامة لما بينهما من التوارث، وقد عدمت العاقلة ها هنا، فوجبت عليه، لاسيما وهو في حالة التوبة والخروج من المظالم والتورّع والخلاص عن حقوق الآدميين.

وأما إن كان القتل عمداً فلا يتخلص إلا بالقصاص، وكذلك إن كان دون النفس في محلّ يمكن الاقتصاصُ منه، فان كان في النفس، فالكلام مع الوارث، وإن كان فيما دون النفس فمع المجني عليه، فإن طابت النفوس بإسقاط ذلك والعفو عنه سقط، وإن طلبوا العفوَ على مالٍ بَذَلَهُ وتبرأ عن عُهْدَتِهِ.

فإن قتل قتيلا ولم يُعْرَفْ أنه هو القاتل كان عليه أن يعترف عند وليّ الدم، ويحكمه في روحه، فإن شاء عفا عنه، وإن شاء قتله أو أخذ المال عليه،

ولايجوز له إخفاؤه لأنه لايسقط بمجرّد التوبة.

فإن قتل جماعةً في أوقات مختلفة ومحال متعددة، وقد تقادم الزمان، ولا يَعْرِفُ أولياءهم ولا عدد مَنْ قتلهم، أَحْسَنَ توبَتَهُ وعمله، وأقام على نفسه حَدَّ الله بأنواع المجاهداتِ والتعذيب لها، والعفو عمن ظلمه وآذاه، وأعتق الرقاب، وتصدّق بمال، وأكثر النوافل، ليُفرّق ثواب ذلك عليهم على قدر حقوقهم يوم القيامة، فينجو هو، ويدخل الجنة برحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء وهو أرحم الراحمين.

ولا فائدة إذ ذاك في التحدث بما جرى عليه من أنواع القتل والجراحات وقطع الطريق، إذ لايعثر بأربابها ومستحقيها ليوفيهم أو يستحلّ منهم، بل يشتغل بما ذكرناه، وكذلك إن زنا أو شرب أو سرق، ولايعرف مالكها، أو قطع الطريق ولايعرف المقطوع عليه، أو باشر امرأة دون الفرج مما يجب فيه حدّ الله أو التعزير، فإنه لايلزمه في صحة التوبة أن يفضح ويهتك ستره، ويلتمس من الإمام أو الحاكم إقامة الحدود عليه، بل يستتر بستر الله تعالى، ويتوب إلى الله عزّ وجلّ فيما بينه وبين الله، ويشتغل بأنواع المجاهدات من صيام النهار، والتقلل من المباح واللذات، وقيام الليل، وقراءة القرآن، وكثرة التسبيح والتورّع، وغير ذلك.

قال النبيّ ﷺ: «من أتى بشيء من هذه القاذورات فليستتر بستر الله تعالى، ولا يُبْدِي لنا صفحته، فإنَّ مَنْ أبدى لنا صفحته أقمنا عليه حدود الله»[1]

---

(١) حديث مرسل. أخرجه مالك ٢/٨٢٥، ومن طريقه الشافعي، والبيهقي ٨/٣٢٦ و٣٣٠ من حديث زيد بن أسلم مرسلاً.

وأخرجه العقيلي ٢/٣٤٨، والبيهقي ٨/٣٣٠ والطحاوي في «المشكل» ١/٢٠، والحاكم ٤/٢٤٤ من طريق أبي ضمرة، والبيهقي من طريق عبدالوهاب الثقفي، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن عبدالله بن دينار، عن ابن عمر.

وأخرجه العقيلي ٢/٢٤٨ من طريق أبي سعيد الجعفي، قال: حدثنا عبدالرحيم ابن سليمان، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، عن عبدالله بن دينار، قال الجُعفي: أُراه =

فإن خالف ماقلناه، ورفع أمره إلى الوالي فأقام عليه الحدّ وقع موقعه وصحّت توبته، وتكون مقبولة عند الله، وبرئ من عهدة ذنبه، وتطهر من إثمه ولطخه.

وأما الأموال، فإن كان تناول مالَ إنسانٍ بغصب أو سرقة أو قطعِ طريقٍ أو خيانة في عين من وديعة أو عارية أو معاملة بنوع تلبيس، كترويج زائف أو سترِ عيبٍ في المبيع، أو نقص أجرة أجير، أو منع أجرته جملة، فكل ذلك عليه أن يفتش عنه لا من مدة بلوغه، بل من مدة وجود ذلك بعد بلوغه وعقله وتمييزه، أو قبل بلوغه وهو في حجر وليه ووصيه، واختلط ماله بماله، وتهاون الوليّ في ذلك، ولم يبالِ به بأن كان ظالماً مجازفاً في دينه، فاختلط ذلك الحرام بمال الصبيّ تارة من فعل الصبيّ، وأخرى من ظلم الوصيّ وجب على الصبيِّ التائب بعد بلوغ تفتيش ذلك، وردّ كل حقٍّ إلى أهله، وتصفية ماله من تلك الشبهات والحرام، فليحاسب نفسه على الحبات والذرّات من أولّ يوم جنايته إلى يوم توبته، قبل أن يأتيه الموت على غفلة من غير حساب، وتقوم عليه القيامة على غِرّةٍ من غير تحصيل ثواب وتهذيب كتاب فيسأل فلا يسمع جواباً، ويندم فلا ينفعه الندم، ويستعتب فلا يعتب، ويعتذر فلا يعذر، ويستمهل فلا يمهل، ويستشفع فلا يشفع له إذا كان مفرّطاً في حال حياته، ومجازفاً في حال يقظته وفطنته، متبصراً في أمور معاشه، حريصاً في تحصيل شهواته

= عن ابن عمر أنَّ رسول الله . . . فذكره.

قلت: هكذا على الظنّ.

والصوابُ أنه مرسل.

كما جاء ذلك في طريق سفيان بن عيينة عند العقيلي ٢/٢٤٩، وطريق ابن جريج عند العقيلي وعبدالرزاق (١٣٣٣٦)، كلاهما عن يحيى بن سعيد، عن عبدالله بن دينار مرسلاً.

وكذا جاء مرسلاً في رواية من طريق أبي ضمرة أنس بن عياض عند الطحاوي ١/٢١، وفي رواية من طريق عبدالوهاب الثقفي عند العقيلي ٢/٢٤٨ ـ ٢٤٩. وهو الصواب.

ولذّاته، متابعاً لهواه ولشيطانه، مُعْرِضاً عن طاعة ربه وجنابه، متثبطاً عن إجابته، متسارعاً في معصيته وخلافه، فلذلك طال في القيامة حسابه، وعظم وَيْلُهُ ونحيبه، وانقطع ظهره، ونكس رأسه، واشتد خَجَلُه وحياؤه، وانقطعت حجته وبرهانه، وأُخذت حسناته، وتضاعفت سيئاته، وخسرت صفقته وظهر إفلاسه، واشتدّ عليه غضب ربه وأَخْذُه، وأخذته الزبانية إلى ما مهد لنفسه من عذاب ربه، وأوبقها فأرداها، فساوى مَنْ في النار من قارون وفرعون وهامان، إذ مظالمُ العباد لا تسامح فيها، ولا تركَ.

وفي الأثر: «إن العبد لَيُوقَفُ بين يدي الله تعالى وله من الحسنات أمثال الجبال، لو سَلِمَتْ له لكان من أهلِ الجنان، فيقوم أصحاب المظالم فيكون قد سبّ عِرْضَ هذا، وأخذ مالَ هذا، وضرب هذا، فتقصّ حسناته فلا يبقى له شيء، فتقول الملائكة: يارب فنيت حسناتهُ وبقي طالبون كثيرون، فيقول: ألقوا من سيئاتهم إلى سيئاته، وصكوا له صكاً إلى النار، فيهلك هو بسيئةِ غيرهِ بطريق القصاص»[1].

فكذلك ينجو المظلوم بحسنة الظالم، إذ ينقل إليه عوضاً مما ظلمه.

وروت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الدواوين ثلاثة: ديوان يغفره الله تعالى، وديوان لا يغفره الله، وديوان لا يترك منه شيء. فأما الديوان الذي لا يغفره الله تعالى، فالشرك بالله جلّ جلاله، قال الله عزّ وجلّ ﴿إنه مَنْ يُشْرِكْ بالله فقد حرَّمَ اللهُ عليه الجنة ومأواه النار﴾ [المائدة: ٧٢]. وأما الديوان الذي يغفره، فظلمُ العبدِ نَفْسَهُ فيما بينه وبين ربه. وأما الديوان الذي لا يترك منه شيء، فظلمُ العبادِ بعضهم بعضاً»[2].

---

(١) انظر تخريج العراقي على الإحياء ٤/٣٦١ و٢/٣٤.

(٢) حديث ضعيف. أخرجه أحمد ٦/٢٤٠، والحاكم ٤/٥٧٥. وانظر «المجمع» ١٠/٣٤٨.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «أتدرون من المفلس من أمتي يوم القيامة؟ قالوا: يارسول الله، المفلس فينا مَنْ لا درهم له ولا متاع له، قال النبيّ ﷺ: المفلس منْ أمتي مَن يأتي يوم القيامة بصلاته وصيامه، وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا فيقاصّ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»[1] فينبغي للمذنب أن يبادر إلى التوبة.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ أنه قال: «هلك المُسَوِّفون الذين يقولون سوف نتوب»[2].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عزّ وجلّ: ﴿بل يُريد الإنسانُ لِيَفْجُرَ أمامه﴾ [القيامة: ٥]. يعني يقدم ذنوبه ويؤخر توبته، ويقول: سأتوب حتى يأتيه الموت، وهو على شرّ ما كان عليه فيموت عليه.

وقال لقمان الحكيم لابنه: يا بنيّ لا تؤخر التوبة إلى غد، فإن الموت يأتيك بغتة، فالواجب على كل أحد أن يتوب حين يصبح وحين يمسي.

قال مجاهد رحمه الله: مَنْ لم يتب إذا أصبح وأمسى فهو من الظالمين.

فالتوبة على وجهين:

أحدهما: في حقّ العباد، وقد ذكرناها.

والثاني: بينك وبين الله تعالى، فتكون بالاستغفار باللسان والندم بالقلب، والإضمار على أن لا يعود على ما أشرنا إليه من قبل، فليجتهد هذا التائب من الظلم، ويبذل جهده في تكثير الحسنات حتى يقتصّ منه يوم القيامة، فتؤخذ حسناته وتوضع في موازين أرباب المظالم، ولتكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه للعباد وإلا هلك بسيئات غيره، وهذا يوجب استغراق جميع

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨١).

(٢) لم أره.

العمـر في الحسنات لو طال عمره بحسب مدة الظلم، فكيف والموت على الرصد، وربما يكون الأجل قريباً فتحرمه المنية قبل بلوغ الأمنية، وقبل إخلاص العمـل، وتصحيح النية وتصفية اللقمـة، فليبادر إلى ذلك، وليبذل الاجتهاد فيكتب جميع ذلك، وأسامي أصحاب المظالم واحداً واحداً، وليطفْ نواحي العالم وأطراف البلاد وأقطارها، ويطلبهم يستحلّهم، أو يؤدي حقوقهم، فإن لم يجدهم فإلى ورثتهم، وهو مع ذلك خائف من عذاب الله، راجٍ لرحمته، تائب مقلع عن جميع ما يكره مولاه، مشمر في طاعته ومرضاته، فإن أدركته منيته وهو على ذلك فقد وقع أجرهُ على الله، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ومَنْ يخرجْ من بيتهِ مهاجراً إلى اللهِ ورسولهِ ثم يُدْرِكْهُ الموتُ فقد وقَعَ أجرُه على اللهِ﴾ [النساء: ١٠٠].

وقد جاء في الصحيح المتفق عليه، عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ أنه قال: «كان فيمن كان قبلكم رجلٌ قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فَدُلَّ على راهبٍ، فأتاه فقال له: إنه قد قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبةٍ؟ فقال: لا، فقتله، فكمل به مئة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض؟ فَدُلَّ على رجل عالم، فأتاه فقال: إنه قد قتل مئة نفس فهل له من توبة؟ قال: نعم، ومن يحولُ بينك وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا، فان بها ناساً يعبدون الله، فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضـك، فإنهـا أرضُ سُوءٍ؛ فانـطلق حتى إذا انتصف الـطريق أتاه الموتُ، فاختصمت فيه ملائكةُ الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قطّ، فأتاهم ملك في صورة آدميّ، فجعلوه بينهم حكماً، فقال: قيسوا ما بين الأرضين إلى أيِّهما كان له أدنى فهـو له، فقاسوا، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة.

وفي رواية: فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر، فَجُعِلَ من أهلها.

وفي رواية: فأوحى الله عزّ وجلّ إلى هذه: أن تباعدي، وإلى هذه أن

تقاربي، وقال: قيسوا ما بينهما، فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر، فغفر له»[1].

فهذا دليل واضح على أنَّ قَصْدَهُ إلى التوبة وسَعْيهُ إليها، ونيته لها نافع، ودليل على أنه لاخلاص إلا برجحان ميزان الحسنات ولو بمثقال ذرّة، فلابدّ للتائب من تكثير الحسنات والنوافل ليرضي بها الخصوم يوم القيامة، وترقع بها الفرائض، كما قال النبيّ ﷺ: «أكثروا من النوافل ترقع بها الفرائض»[2]، أو كما قال.

ويعقد أيضاً مع الله تعالى عقداً صحيحاً مؤكداً، وعهداً وثيقاً أن لا يعود إلى تلك الذنوب، ولا إلى أمثالها أبداً، ويستعين على ذلك بالعزلة والصمت وقلة الأكل وقلة النوم، وإحراز قوتٍ حلال، والتورّع عن الحرام والشبهة، إما بكسبٍ أو بضاعةٍ في يده من إرثٍ، أو سببٍ حلال، فإن كان فيما وَرِثَهُ شُبْهَةٌ أو حرام أخرجه ولم يأكل منه ولم يتلبس بشيء منه، فإنَّ رأسَ المعاصي الحرام، ومِلاك الدين الحلال والتورّع، وتصفية اللقمة، فكل ما ينشأ من الإنسان من خيرٍ أو شر فمن اللقمة، فالحلال يورث الخير، والحرام يورث الشرّ، كالقِدْرِ إذا طبخ ما فيها واستكمل نضجه تنبئ الرائحة الفائحة عما فيها، كل إناء ينضح بما فيه،

ويكثر مجالسة الفقهاء والعلماء بالله، ليستفيد منهم أمر دينه، ويُعَرِّفُونه

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).

(٢) لم أجده بهذا اللفظ. ولكن أخرج أبو داود (٨٦٦)، وابن ماجة (١٤٢٦)، والدارمي ٣١٣/١ من حديث تميم الداري مرفوعاً: «أول مايُحاسَبُ به العبدُ يوم القيامة صلاتُه، فإن أكملها كُتبت له نافلةً فإن لم يكن اكملهَا قال الله سبحانه لملائكته: انظروا، هل تجدون لعبدي من تَطَوُّعٍ؟ فأكملوا بها ما ضَيَّعَ من فريضته، ثُم تؤخَذُ الأعمال على حسب ذلك». وهذا الحديث رجالُه ثقات.

ولـه شواهد، منها حديث أبي هريرة عند أبي داود (٨٦٤) و(٨٦٥)، والنسائي ٢٣٢/١ ـ ٢٣٤، وابن ماجة (١٤٢٥) وغيرهم بأسانيد مختلفة عن أبي هريرة.

سلوكَ الطريقِ إلى الله تعالى، وحُسْنَ الأدبِ في طاعته، والقيام في أمره وينبهونه على ما خفيَ عليه من أمر السلوك في طريقه، فلا بدّ لكل مَنْ سلك طريقاً لم يعرفه من دليل يدله، ومرشد يرشده وهادٍ يهديه، وقائدٍ يقوده، ويستعمل الصدق في جميع ذلك، والإخلاص والجدّ في المجاهدة، قال الله تعالى: ﴿والذينَ جاهَدُوا فينا لَنَهدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا﴾ [العنكبوت: ٦٩] فقد ضمن للمُجدِّ الصادقِ في المجاهدة في طريقه الهداية، فإذا صدق في ذلك لايعدم الهداية، لأن الله لايخلف الميعاد، وليس بظلَّامٍ للعبيد، وهو أرحم الراحمين، رءوف رحيم، لطيف بخلقه، بارّ ببريته، معين وموفِّق للمقبلين إليه، وداع للمدبرين المولِّين عنه بألطف دعاء، يفرح بتوبتهم كالوالدة الشفيقة إذا قدم ولدها من سفره البعيد، قال النبيّ ﷺ: «لله أفرحُ بتوبة أحدكم من رجلٍ مرّ بأرضٍ دوية مهلكة ومعه راحلةٌ عليها طعامهُ وشرابه وما يصلحه، فأضلَّها، فخرج في طلبها حتى كادت نفسه تخرج، فقال: أرجع إلى المكان الذي أضْلَلْتُهَا فيه، فأموت هناك، فرجع إلى مكانه، فغلبته عينه: فغمضها لحظة، فاستيقظ فإذا راحِلَتُهُ عند رأسه، عليها طعامه وشرابه»[1].

قال عليّ كرّم الله وجهه: سمعت أبا بكر رضي الله عنه، وهو الصادق المصدوق قال: قال رسول الله ﷺ «ما مِنْ عبدٍ أذنب ذنباً، فقام وتوضأ وصلى واستغفر الله من ذنبه، إلا كان حقاً حقيقياً على الله أن يغفر له»[2] لأنه يقول

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤) من حديث عبدالله بن مسعود، وفي الباب أحاديث.

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٢١)، والترمذي (٤٠٦) و(٣٠٠٦)، وابن ماجة (١٣٩٥) وغيرهم من طرق عن عثمان بن المغيرة، عن علي بن ربيعة، عن أسماء بن الحكم الفزاري، عن علي. وانظر تمام تخريجه في ابن حبان (٦٢٣). وفي صحته نظرٌ لجهالة حال أسماء بن الحكم، وجَعَلَ العقيلي علة الحديث نكارة حديث عثمان بن المغيرة. وحسَّنَ الحديث الترمذي، وابن عدي، وغيرهما.

وللحديث طرقٌ أخرى، لكنها لا تصحُّ، وهي منكرة بتلك الأسانيد. انظر «الإحسان»، و«التهذيب» ١/٢٣٤.

جلّ وعلا ﴿ومَنْ يعملْ سوءا، أو يظلمْ نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما﴾ [النساء: ١١٠].

وأما الأموال الحاضرة المغصوبة، فليردّ إلى المالك ما يعرفُ له مالكاً معيناً أو إلى ورثته على ما تقدّم؛ وما لا يعرف له مالكاً معيناً فعليه أن يتصدق به عن صاحبه، فان اختلط الحرام بالحلال، مثل أن اختلط المغصوب بالإرث الحلال، حسب واجتهد في معرفة مقدار الحرام، وتصدق بذلك المقدار، وترك الباقي له ولعياله.

وأما الأعراض فهو سبّ الناس وشتمهم مشافهة، وهو الجناية على القلوب، وكذلك غيبتهم، وذكرهم بالقبيح، وما يسوءهم من الغيبة، وهو كل كلام لا يحسن أن يقال له في وجهه فاذا قاله في غيبةٍ منه، كان قد اغتابه؛ فكفّارته أن يذكر له ذلك ويستحله، فإن كانوا جماعة فواحداً واحداً، ومن مات منهم قبل ذلك، فتدارك ذلك بتكثير الحسنات على ماذكرنا.

كل ذلك إذا بلغتهم الغيبة، وأما إذا لم تبلغهم فلايجب عليه استحلالهم، بل لا يجوز، لأن في إيصال الألم إلى قلوبهم، بل يأتي الذين اغتابهم عندهم فيكذّب نفسه عندهم، ويثني على المغتابين.

(فصل)

ولابدّ أن يعرِّفه قَدْرَ جنايتِهِ، ويعرِّض له في سائر المظالم، ولايكفي في ذلك الاستحلال المبهم، لجواز أن يكون المظلوم إذا عرف قدر ظلمه على الحقيقة لم تَطِبْ نفسهُ بالاحلال بل يؤخر ذلك ليوم القيامة، ليأخذ بدله من حسناته، أو يحمله من سيئاته، وإن كان من جملة جنايته على الغير ما لو عرفه وذكره لتأذّى بمعرفته، كَزِناه بجاريته وأهله، أو نسبته باللسان إلى عيبٍ خفيّ من عيوبه، يعظم أذاه به، فها هنا لاطريق له إلا أن يستحلّه مبهماً، ويبقى عليه له مظلمة ما، فيجبرها بالحسنات كما يجبر له مظلمة الميت والغائب.

وكل جناية على الغير لم يعلم بها لو ذكر الجاني له ذلك لم تطب نفسه بالإحلال بسرعة، أولا يأمن المجني عليه مقابلته بها فحقّ الجاني في ذلك وطريقه أن يتلطف له، ويسعى في مهماته وأغراضه، ويُظْهر من حبه والشفقة عليه ما يستميلُ به قلبه، فإن الإنسانَ عبدُ الإحسان، وكل من نُفِّر بسيئة مالَ ورجعَ بحسنة، فإن تعذرّ عليه، فالكفارة بتكثير الحسنات، ليجزي بها في يوم القيامة جنايته، فإن الله تعالى يحكم به عليه، ويلزمه قبول حسناته مقابلة لجنايته عليه إذا امتنع من القبول، كمن أتلف في الدنيا مالاً، فجاء بمثله، فامتنع مَنْ له الحقّ عن قبول ذلك، وإبرائه عن ذلك، فإن الحاكم يحكم عليه بالقبض، شاء أم أبى، وكذلك الله عزّ وجلّ يحكم بذلك في عرصات القيامة، وهو أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين.

(فصـــل)

فإذا تخلص من مظالم العباد، وتفرّغ لعبادة الله تعالى في خاصته، سلك طريق الورع، لأنَّ به يتخلصُ العبد في الدنيا والآخرة من العباد، ومن عذاب الله عزّ وجلّ، وبه يخفف عنه الحساب يوم القيامة، فإن الحساب يوم القيامة لحقوق العباد والمعاملات التي جرت في الدنيا بين الأنام على غير وجه الشرع.

وأما من حاسب نفسه في الدنيا، وأخذ من الخلق ما يستحقه، وأعرض عما ليس له، وخاف من طول الحساب في يوم القيامة، فعلى أي شيء يحاسب.

وفي الخبر: «إن الله تعالى يستحي أن يحاسب الورعين في يوم القيامة»[1].

ولهذا قال النبي ﷺ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزِنُوها قبل أن

(١) لم أجده بهذا اللفظ.

توزنوا»[1].

وقال ﷺ «من حُسْنِ إسلام المرء تركُهُما لا يعنيه»[2]، وهذا إشارة إلى التوقف في كل شيء، وترك الإقدام عليه إلا بإذن الشرع، فإنْ وجَدَ في الشرع

---

(١) اشتهر من قول عمر. أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ١/٥٢ من طريق ثابت بن الحجاج، عن عمر. وهذا إسنادٌ منقطع. وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣٠٦) من طريق مالك بن مغول أنه بلغه أنَّ عمر بن الخطاب..

(٢) رُوِيَ من طرق كثيرة. أصحُّها عن الزهري، عن علي بن حسين مرسلاً.

فقد أخرجه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦)، وابن حبان (٢٢٩)، والقضاعي (١٩٢)، والبغوي (٤١٣٢) من طرق عن الأوزاعي، عن قرة بن عبدالرحمن، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة. وهذا الإسناد لايصحُّ. قرة بن عبدالرحمن منكر الحديث، يخطئ في ضبطه وحفظه.

وتابعه عبدالرزاق بن عمر الثقفي، عن الزهري، به. عند الخطيب في «تاريخه» ٤/٣٠٩. وعبدالرزاق أشدُّ ضعفاً ونكارة من سابقه، وكان يأخذ حديث الزهري من غيره. وقال ابن حبان: كان يقلب الأخبار فاستحق الترك.

وأخرجه الخطيب ١٢/٦٤ من طريق محمد بن المبارك، حدثنا مالك بن أنس، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة.

وهذا لايصحُّ عن مالك، فقد رواه الثقات عنه عن الزهري، عن علي بن الحسين مرسلاً، وسيأتي.

وأخرجه ابن عدي ٤/١٥٨٨، والخطيب ٥/١٧٢ من طرق عن عبدالرحمن بن عبدالله العمري، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة.

وعبدالرحمن بن عبدالله: متروك، يحدث عن سهيل وهشام بالمناكير.

وأخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» ٢/٤٣ من طريق محمد بن كثير بن مروان، عن عبدالرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه.

تفرد به محمد بن كثير، وهو منكر الحديث، قال ابن عدي: روى بواطيل والبلاء منه، فمنها عن ابن أبي الزناد ... وقال الأزدي: متروك.

وأخرجه ابن عدي ٦/٢٣٤١ من طريق موسى بن عمير، عن ابي جعفر محمد ابن علي، عن أبيه، عن الحسين بن علي مرفوعاً. =

مساغاً لتناوله والشروع فيه فعل، وإلا وقف عنه ومال إلى غيره، وإليه أشار رسول الله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[1].

وقال ﷺ: «المؤمن وقّاف، والمنافق لقّاف»[2].

= وموسى بن عمير هذا ذاهب الحديث كذاب كما قال أبو حاتم، وقال ابن عدي: عامةُ ما يرويه لا يُتابعه عليه الثقات. ترجمته في «الميزان» ٤/٢١٥.

والصواب في هذا الحديث أنه عن علي بن الحسين مرسلاً.

رواه يحيى بن يحيى الليثي، وأبو مصعب، وقتيبة وغيرهم عن مالك بن أنس، عن الزهري عن علي بن الحسين مرسلاً.

وقال الترمذي: وهكذا روى غير واحد من أصحاب الزهري، عن الزهري .. وقال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» ١/٢٨٧: وأمَّا أكثر الأئمة فقالوا: .. إنَّما هو محفوظ عن الزهري، عن علي بن حسين، عن النبي ﷺ مرسلاً. كذلك رواه الثقات عن الزهري، منهم مالك في «الموطأ»، ويونس، ومعمر، وإبراهيم بن سعد إلا أنه قال: «من إيمان المرء تركه مالايعنيه».

قلت: ووصلَه جماعة عن الحسين بن علي.

منهم خالد بن عبدالرحمن أبو الهيثم الخراساني، عن مالك، عن ابن شهاب، عن علي بن الحسين، عن أبيه مرفوعاً. عند ابن عدي ٣/٩٠٧. وهو مخالف لرواية الثقات عن مالك، وقد أشار إلى ذلك ابن عدي.

ومنهم عبدالله بن عمر العمري، عن الزهري، عن علي بن حسين، عن أبيه مرفوعاً. عند أحمد ١/٢٠١، والطبراني (٢٨٨٦). وعبدالله العمري: ضعيف، ومخالفٌ لرواية الثقات عن الزهري.

فبانَ بهذا أنَّ الحديث مرسلٌ، ولايصحُّ من الطرق السالفة، وإنما هي أخطاء من الرواة عن هذا المرسل.

قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» ١/٢٨٧ - ٢٨٨: وممن قال إنه لايصح إلا عن علي بن حسين مرسلاً: الإمام أحمد، ويحيى بن معين، والبخاري، والدارقطني. وقد خلط الضعفاء في إسناده على الزهري تخليطاً فاحشاً، والصحيح فيه المرسل ... وقد رُوِيَ عن النبي ﷺ من وجوه أُخَر، وكُلُّها ضعيفة.

(١) حديث حسن. أخرجه الترمذي (٢٥١٨) من حديث الحسن بن علي.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ.

وقال ﷺ: «لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار، فما ينفعكم إلا الورع الشافي»[1] وفي موضع آخر: «المؤمن فتاش»[2].

وقال ﷺ: «مَنْ لم يُبَالِ من أين مطعمه ومشربه، لم يُبَالِ اللهُ تعالى من أيِّ بابٍ من النار يدخله»[3].

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أيها الناس إن أحدكم لن يموت حتى يستكمل رزقه فلا تَسْتَبْطِئُوا الرزق، واتقوا الله وأجملوا في الطلب، وخذوا ما حل لكم، وذروا ما حرّم عليكم»[4].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يكتسب العبد مالاً من الحرام ويتصدّق به فيؤجر عليه، ولا ينفق منه شيئاً فيبارك له فيه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار»[5].

وقال ﷺ: «إن الله لا يمحو الشرّ بالشرّ، ولكن يمحو الشرّ بالخير»[6].

عن عمران بن الحصين رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ أنه قال: «إنه الله تعالى يقول: عبدي أدِّ ما افترضتُ عليك تَكُنْ من أعبد الناس، وانتهِ عما نهيتك عنه تكن من أورع الناس، واقنع بما رزقتك تكن من أغنى الناس»[7].

---

(١) ذكره ابن عراق في «تنزيه الشريعة» ٢/٣١١ ونسبه إلى ابن منده من حديث عمر. قال الذهبي في «الميزان»: باطل، وآفتُه ابن فارس.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ.

(٣) لايصحُّ. أخرجه الديلمي من حديث ابن عمر. انظر «الكنز» (٩٢٧١).

(٤) حديث صحيح. أخرجه ابن ماجه (٢١٤٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٢٠، وابن حبان (٣٢٣٩) و(٣٢٤١)، والحاكم ٢/٤، والبيهقي ٥/٢٦٤ - ٢٦٥، وأبو نعيم في «الحلية» ٣/١٥٦ - ١٥٧.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) قطعة من حديث تقدم تخريجه برقم (١٤٧).

(٧) أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٣٤٩)، وابن عدي كما في «كشف =

وقال ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه: «كن ورعاً تكن من أعبد الناس»[1].

قال الحسن البصري رحمه الله: مثقال ذرّة من الورع خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة».

وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: لايتقرّب إليّ المتقرّبون بمثل الورع.

وقيل: ردّ دانقٍ من فضة أفضل عند الله من ستّ مئة حجة مبرورة. وقيل: سبعين حجة مُتَقَبَّلَة.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: جلساء الله تعالى غداً أهل الورع والزهد.

وقال ابن المبارك رحمه الله: ترك فلس من الحرام أفضل من فلس يتصدّق به.

روي عن ابن المبارك أنه كان بالشام يكتب الحديث، فانكسر قلمه، فاستعار قلماً، فلما فرغ من الكتابة نسي، فجعل القلم في مقلمته، فلما رجع إلى مرو، رأى القلم وعرفه، فتجهز للقدوم إلى الشام لردّ القلم إلى صاحبه.

= الخفاء» من حديث ابن مسعود مرفوعاً بنحوه. قال الدارقطني: رفعُه: رفعُه وهم، والصحيحُ أنه من قول ابن مسعود.

وذكره ابن أبي حاتم في «العلل» ٢/١٠٩ ـ ١١٠ من حديث أبي أمامة الباهلي، وقال فيه أبو حاتم حديث باطل.

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢١٧)، وأبو نعيم في «الحلية» ١٠/٣٦٥ من طريق أبي رجاء محرز بن عبدالله، عن برد بن سنان، عن مكحول، عن واثلة بن الأسقع، عن أبي هريرة مرفوعاً. وفي صحة هذا الإسناد نظر، فإنَّ مكحولاً قال البخاري وأبو حاتم وغيرهما إنه لم يسمع من واثلة. كما أنَّ محرزاً قال ابن حبان: يُعتبر بحديثه ما بين فيه السماع عن مكحول وغيره. يريد لتدليسه. قلت: ولم يصرح بالسماع هنا. وقال أيضاً في «الضعفاء»: لايجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد. ورُوي الحديث عن أنس عند ابن عدي ٦/٣ ٣ ٢٤ بإسنادٍ لايصحُّ.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أنه كان يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقـول: «الحـلال بَيِّنٌ والحرام بين، وبينهما مشتبهات لايعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومَنْ لم يتقِّ الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، وإنَّ لكل ملكٍ حمىً، وإنَّ حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها الجسد كله، وإذا فسدت فسد لها الجسد كله، ألا وهي القلب»[1].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: لكل شيء حدّ، وحدود الإسلام: الورع والتواضع والصبر والشكر، فالورع مِلاكُ الأمور، والصبر النجاة من النار، والشكر الفوز بالجنة.

ودخل الحسن البصري رحمه الله مكة، فرأى غلاماً من أولاد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قد أسند ظهره إلى الكعبة يعظ الناسَ، فوقف عليه الحسن وقـال له: ما ملاكُ الدين؟ فقال: الورع، ما آفة الدين؟ قال الطمع، فتعجب الحسن منه.

وقـال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: الورع ورعان: ورع فرض، وورع حذر؛ فورعُ الفرض: الكفّ عن كل معاصي الله، وورع الحذر: الكفّ عن الشبهات في محارم الله تعالى.

فورعُ العـامِّ من الحـرام والشبهـة، وهو كل ما كان للخَلْقِ عليه تبعة، وللشرع فيه مطالبة.

وورع الخاصّ من كلّ ما كان فيه الهوى وللنفس فيه شهوة ولذّة؛

وورع خاصّ الخاص من كل ما كان لهم فيه إرادة ورؤية.

فالعامّ يتورع في ترك الدنيا، والخاصّ يتورع في ترك الجنة، وخاص الخاص يتورّع في ترك ماسوى الذي خلق وبرأ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله: الورع على وجهين ورع في الظاهر، وهو ألا تتحرّك إلا لله، وورع في الباطن، وهو أن لايدخل في قلبك سواه تبارك وتعالى.

وقال يحيى رحمه الله أيضاً: من لم ينظر في دقيق من الورع لم يحصل له شيء ولم يصل إلى الجليل من العطاء.

وقيل: من دقّ في الورع نَظَرُهُ جَلَّ في القيامة خَطَرُه. وقيل الورع في المنطق أشدّ منه في الذهب والفضة، والزهد في الرياسة أشد منه في الذهب والفضة، لأنك تبذلهما في طلب الرياسة.

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: الورع أوّل الزهد، كما أن القناعة طرف الرضا، وقال أبو عثمان رحمه الله: ثواب الورع خفة الحساب.

وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله: الوقوف على حدّ العلم من غير تأويل.

وقال ابن الجلاء رحمه الله: من لم يصحبه الورع في فقره أكل الحرام النص.

وقال يونس بن عبيدالله رحمه الله: الورع الخروجُ من كل شبهة، ومحاسبة النفس مع كل طرفة.

وقال سفيان الثوري رحمه الله: ما رأيت أسهل من الورع، كلّ ما حاك في نفسك تركته، وهو قول النبي ﷺ: «الإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»[1] وهو إذا لم ينشرح الصدر به وكان في قلبك منه شيء.

وكذلك قوله ﷺ: «الإثم حزّاز القلوب»[2] يعني ما حزّ في صدرك وحاك

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٣) من حديث النواس بن سمعان.

(٢) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٥٤٣٤) عن ابن مسعود مرفوعاً. وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٧٦/١ موقوفاً، وقال: رواه الطبراني كله بأسانيد رجالها ثقات. وقد ذكر ابن الأثير في «النهاية»: فيها ثلاث لغات: حواز، جواز، حزاز.

ولم يطمئن عليه القلب فاجتنبه.

ومنه الحديث: «إياكم والحكاكات فإنها المآثم»[1].

وقوله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[2].

وقال معروف الكرخي رحمه الله: احفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الذمّ.

وقال بشر بن الحارث رحمه الله: أشدّ الأعمال ثلاثة: الجود في القلة، والورع في الخلوة، وكلمة حقّ عند مَنْ يُخافُ ويُرجى.

وقيل: جاءت أختٌ بشر بن الحارث الحافي إلى الإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله وقالت: يا إمام إنا نغزل على سطوحنا فتمرّ بنا مشاعلُ الظاهرية ويقع الشعاع علينا، فيجوز لنا الغزل في شعاعها؟ فقال: مَنْ أنتِ عافاكِ الله؟ قالت: أنا أخت بشر بن الحارث، فبكى الإمام أحمد رحمه الله وقال: مِنْ بيتكم يخرجُ الورع الصادق، لا تغزلي في شعاعها.

وقال عليّ العطار رحمه الله: مررتُ بالبصرة في بعض الشوارع وإذا مشايخ قعود وصبيان يلعبون، فقلت: ألا تستحيون من هؤلاء المشايخ؟ فقال صبيّ من بينهم: هؤلاء المشايخ قلَّ ورعهم فقلَّتْ هيبتهم.

وقيل: إن مالك بن دينار رحمه الله مكث بالبصرة أربعين سنة، فلم يصحّ له أن يأكل من تمر البصرة ولا رطبها حتى مات ولم يذقه، وكان إذا انقضى وقت الرطب قال: يا أهل البصرة هذا بطني ما نقص منه شيء ولا زاد فيكم شيئا.

وقيل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله: ألا تشرب من ماء زمزم؟ فقال: لو كان لي دلو لشربت.

---

(١) لم أجده.

(٢) تقدم تخريجه.

وقيل: كان الحارث المحاسبي رحمه الله إذا مدّ يده إلى طعام فيه شبهة ضرب على رأس أصبعه عرق، فيعلم أنه غير حلال.

وقيل: إن بشراً الحافي رحمه الله كان إذا قُدِّمَ بين يديه طعام فيه شبهة لاتمتدّ إليه يده.

وقيل: إن أمّ أبي يزيد البسطامي رحمهما الله كانت إذا مدّت يدها إلى طعام فيه شبهة تَبَاعدَ حال كونها حبلى بأبي يزيد فلم تمدّ يدها إليه.

وكان بعضهم إذا قدّم إليه طعام فيه شبهة فاحت منه رائحة منكرة، فعلم من ذلك فامتنع من أكله.

وقيل عن بعضهم: إنه كان إذا وضع في فمه لقمةً من طعامٍ فيه شبهة لم يمتضغ فتصير كالرمل في فمه.

وإنما فعل الله تعالى لهم ذلك تخفيفاً ورحمة وشفقة وحمية لهم، لما صفوا اللقم واجتهدوا في طلب الحلال وترك الحرام والشبهة، حماهم الله تعالى عما يكرهونه من المطاعم، فذبّ عنهم في معرفة ذلك، وكفاهم مؤونة التفتيش والتنقير عن بائع الطعام وكسبه ومعيشته، وعن الثمن الذي اشترى به وأصله وتحصيله من وجه الحلال، فجعل ذلك علامةً عندهم في أيّ وقتٍ رأوها كَفّوا أيديهم عن تناول الطعام، وإذا لم يروها تناولوه؛ هذا في حقّ هؤلاء السادة الكرام الذين سبقت لهم العناية وعمتهم الرعاية.

وأما الحلال في حقّ العوامّ من المؤمنين، فكل ما لا يكون للخلق فيه تبعة ولا للشرع عليه مطالبة كما قال سهل بن عبدالله التستري رحمه الله حين سئل عن الحلال قال: الحلال هو الذي لا يُعصى الله فيه؛ وقال مرة أخرى: الحلال الصافي الذي لايُنْسَى الله فيه.

فالحلال حلالُ حُكْمٍ لا حلالُ عين، إذ لو كان حلالَ عينٍ لم يحلّ لأحدٍ أكل الميتة، ولا إذا اشترى الشرطي بماله الحرام طعاماً حلالاً، ثم رجع

فاستقال البيع فرجع الطعام إلى يد مالكه الأوّل أنه لايجوز أكله للمتورع المؤمن، لأنه قد تخلل بينهما حالةٌ يحرم أكله فيها، وهو حصوله في يد الشرطيّ،

فلما اتفق المسلمون على جواز أكل هذا الطعام الذي حصل في ملك الشرطيّ المُشْتري بماله الحرام الذي يحرم أكله عند جميع المسلمين علم أن الحلال والحرام ما كان الشرعُ حكم به لا نفس العين، لأن ذلك طعام الأنبياء، كما جاء في الحديث: «أن النبيّ ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهمّ ارزقني الحلالَ المطلق، فقال له النبيّ ﷺ: ذلك رزق الأنبياء، اسألِ الله رزقاً لايعذّبكَ عليه»[1].

وكذلك في الشرع مَن اتَّجرَ من أهل الذمة واليهود والنصارى والمجوس في المحرّمات من الخمر والخنزير وليناهم بيعَهَا وأخذنا منهم العُشْرَ من أثمانها، وروي ذلك عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: ولُّوهم بيعها، وخذوا العشر من أثمانها.

فإذا أخذ العشر منهم فما يُصْنَعُ به، أليس ينتفع به المسلمون؟

فلو كان الحلالُ حلالَ العين لما جاز أخذ ذلك، لأن الخمر والخنزير وثمنهما حرام، فأحلَّ ذلك لدخول اليد والعقد، كما قيل: بين الحلال والحرام يد.

فمن أخذ الشرع في يده مصباحاً فأخذ به وأعطى به ولم يتأوّل فيه ولم يخرج عنه، فأخذ ما أذِنَ له الشرع وأعطى ما أذن له الشرع فيه، وصار جميع تصرفاته بالشرع أكل الحلال بالشرع؛ وليس عليه طلب الحلال المطلق والعين، إذ ذاكَ لا يُكاد يُدْرَكُ إلا أن يشاء الله أن يُكْرِمَ به بعض أوليائه وأصفيائه ﴿وما ذلك على اللهِ بعزيزٍ﴾ [ابراهيم: ٢٠ وفاطر: ١٧].

---

(١) لم أجده.

فالناس في الطعام على ثلاثة أضرب مُتَّقٍ، ووليّ، وبدل عارف.

فحلال المتقي ما ليس للخَلْقِ عليه تبعة، ولا للشرع عليه مطالبة.

وطعام الوليّ المحق الذي هو الزاهد زائل الهوى ما ليس فيه الهوى، بل هو مجرّد بأمره.

وطعام البدل الذي هو العارف المفعول فيه زائل الإرادة كرّة القدر، وهو ما لم تكن فيه همة ولا إرادة بل فضل كله من الله عزّ وجل، يرزقه ويدلله ويربيه بقدرته الشاملة ومِنَّتِهِ العامة ومشيئته النافذة، كالطفل الرضيع في حجر أمه الشفيقة.

فما لم يتحقق له المقام الأول لايصل إلى المقام الثاني، وما لم يتحقق له المقام الثاني لايصل إلى المقام الثالث. فطعام التقي شبهة في حق زائل الهوى وطعام زائل الهوى شبهةٌ في حق زائل الإرادة والهمة، كما قيل: سيئات المقربين حسنات الأبرار. فطعام الشيخ مباح للمريد، وطعام المريد حرام في حقّ الشيخ لصفاء حالته ونزاهة رتبته وعلوّ منزلته وقربه من ربه عزّ وجل.

ومن دقائق الورع ما نقل عن كهمس رحمه الله أنه قال: أذنبت ذنباً وأنا أبكي عليه منذ أربعين سنة، وذلك أنه زارني أخٌ لي فاشتريتُ بدانق سمكةً مشوية، فلما فرغ من أكلها أخذت قطعة طين من جدار جارٍ لي حتى غسل يده ولم أستحلّهُ. وقيل: إن رجلا كان في بيتٍ بكراء، فكتب رقعة وأراد أن يتربها من جدار البيت، فخطر بباله أن البيت بالكراء، ثم إنه خطر بباله أن لا خطر لهـذا، فترَّبَ الكتاب فسمع هاتفاً يقول: سيعلم المستخفُّ بالتراب ما يلقى غداً من طول الحساب.

ورؤي عتبة الغلام يتصبب عرقاً في الشتاء فقيل له في ذلك؟ فقال: إنه مكانٌ عصيتُ فيه ربي، فسئل عنه. فقال: كشطتُ من هذا الجدار قطعة طين غسل ضيفٌ لي يَدَهُ بها ولم أستحلّ صاحبه.

وقيل: إن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله رهن سطلاً له عند بقال بمكة،

فلما أراد فكاكه أخرج البقال إليه سطلين وقال: خذ أيهما لك، فقال الإمام أحمد: أشكل عليّ سطلي فهو لك والدراهم لك، فقال البقال: سطلك هذا وإنما أردتُ أن أجرِّبكَ، فقال: لا آخذه ومضى وترك السطل عنده.

وقيل: إن رابعة العدوية رحمها الله خاطت شقاً في قميصها في ضوء مشعلة سلطانية، ففقدت قلبها زماناً حتى تذكرت ذلك، فشقت قميصها فوجدت قلبها.

ورؤي سفيان الثوري رحمه الله في المنام وله جناحان يطير بهما في الجنة من شجرة إلى شجرة، فقيل له بِمَ نلتَ هذا؟ قال: بالورع.

وكان حسان بن أبي سنان رحمه الله لاينام مضطجعاً ولايأكل سميناً ولا يشرب بارداً ستين سنة، فرؤي في المنام بعدما مات فقيل له: ما فعلَ الله بك؟ قال: خيراً، إلا أني محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردّها. وكان لعبد الواحد بن زيد غلام خدمه سنين وتعبد أربعين سنة، وكان في ابتداء أمره كيالاً، فلما مات رؤي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال خيراً غير أني محبوس عن الجنة. وقد أخرج عليّ من غبار القفيز أربعين قفيزاً.

ومرّ عيسى عليه السلام بمقبرة، فنادى رجلاً منهم فأحياه الله تعالى فقال: من أنت؟ فقال: كنت حمالاً أنقل للناس، فنقلت يوماً لإنسان حطباً فكسرت منه خلالاً تخللت به فأنا مطالبٌ به منذ متُّ.

(فصـــل)

ولايتمّ الورع إلا أن يرى عشرة أشياء فريضة على نفسه:

أوّلها: حفظ اللسان من الغيبة لقوله تعالى: ﴿ولايغتبْ بعضُكم بعضاً﴾ [الحجرات: ١٢].

والثاني: الاجتناب عن سوء الظنّ لقوله تعالى: ﴿اجتَنِبُوا كثيراً من الظنِّ إنّ بعضَ الظنِّ إثمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] ولقوله ﷺ: «إياكم والظنّ فإنه أكذب الحديث»[1].

والثالث: الاجتناب عن السخرية لقوله تعالى: ﴿لايسخرْ قومٌ من قوم﴾ [الحجرات: ١١].

والرابع: غض البصر عن المحارم لقوله تعالى: ﴿قلْ للمؤمنينَ يَغُضُّوا من أبصارِهم﴾ [النور: ٣٠].

والخامس: صدق اللسان لقوله تعالى: ﴿وإذا قُلتمْ فاعدِلوا﴾ [الأنعام: ١٥٢] يعني فاصدقوا.

والسادس: أن يعرف منة الله تعالى عليه لكيلا يعجب بنفسه لقوله تعالى ﴿بل الله يمنُّ عليكم أنْ هَداكُم للإيمانِ﴾. [الحجرات:١٧]

والسابع: أن ينفق ماله في الحق ولاينفقه في الباطل لقوله تعالى: ﴿والذينَ إذا أنفَقُوا لم يُسْرِفوا ولم يَقْتُروا﴾ [الفرقان: ٦٧] يعني لم ينفقوا في المعصية ولم يمنعوا من الطاعة.

والثامن: أن لايطلب لنفسه العلوّ والكبر لقوله تعالى: ﴿ تلك الدارُ الآخرةُ نجعَلُها للذين لا يُريدونَ عُلُوّاً في الأرضِ ولا فَساداً﴾ [القصص: ٨٣].

والتاسع: المحافظة على الصلوات الخمس في مواقيتها بركوعها وسجودها لقوله تعالى: ﴿حافِظُوا على الصلواتِ والصلاةِ الوسطى وقُومُوا لِلّهِ قانِتينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

والعاشر: الاستقامة على السنة والجماعة لقوله تعالى: ﴿وأنَّ هذا صِراطي مستقيماً فاتَّبِعوه ولا تتبعوا السُّبُلَ فتفرّقَ بكم عن سَبيلِه﴾ [الأنعام: ١٥٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٤)؛ ومسلم (٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة.

(فصـــل)

ويجوز أن يتوب عن بعض الذنوب دون بعض إذا لم يمكنه التوبة عن جميعها في حالة واحدة، مثل أن يتوب عن الكبائر دون الصغائر، لعلمه أن الكبائر أعظم عند الله وأجلب لسخطه ومقته، والصغائر دونها، في الرتبة، إذ هي أقرب إلى تطرّق العفو إليها، فلا يستحيل أن يتوب عن الأعظم؛ ثم إذا قوي الإيمان واليقين في قلبه، وظهرت أنوار الهداية وانشرح صدره للإنابة إلى الله تعالى، حينئذ تاب عن جميع الصغائر ودقائق الزلات والشرك الخفي وذنوب القلوب أجمع، ومعاصي الحالات والمقامات بعد ذلك كلما رفع إلى حالة ومقام كان هناك ما يأتي وما يذر، أمر ونهي يعرفه كل ذائق لهذا الأمر، وسالك لهذه الطريقة، ومخالط لأهلها، فلايأخذ الناس في أوّل وهلة بما هو منتهى الأمر: «إنما بُعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين ولامنفرين»[1]، «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، فإن المُنْبَتَّ - أي المنقطع - لاطريقاً سلك ولاظهراً أبقى»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٠) و(٦١٢٨) من حديث أبي هريرة.

(٢) حديث ضعيف. أخرجه البزار (٧٤)، وأبو الشيخ (٢٢٩)، والقضاعي (١١٤٧)، والحاكم في «معرفة علوم الحديث» ص ٩٥ - ٩٦ والبيهقي ٣/١٩ من طريق أبي عقيل يحيى بن المتوكل، عن محمد بن سوقة، عن ابن المنكدر، عن جابر. وهذا الإسناد ضعيف جداً، قال الهيثمي في «المجمع» ١/٤٤: وفيه يحيى بن المتوكل أبو عقيل، وهو كذاب.

والصوابُ أنه مرسلٌ ليس فيه جابر كما رواه الحسين المروزي في زوائد «الزهد» (١١٧٨) عن مروان بن معاوية الفزاري، عن محمد بن سوقة، عن محمد بن المنكدر مرسلاً. =

ومثل من يتوب عن بعض الكبائر دون بعضٍ لعلمه أن بعضها أشدّ من البعض عند الله وأغلظ عقوبة وأبلغ، كالذي يتوب عن القتل والنهب والظلم للعباد، لعلمه أن ديون العباد لا تترك، وما بينه وما بين الله تعالى يتسارع العفو إليه، ومثل أن يتوب عن شرب الخمر دون الزنا، لعلمه أن الخمر مفتاح الشرّ، فإنه إذا زال عقله ارتكب جميع المعاصي وهو لايشعر بها من القذف والسبّ والكفر بالله والزنا والقتل والغصب، لأن الخمر مجمع المعاصي وأمها وأصلها.

وكمن يتوب عن صغيرة أو صغائر وهو مصرّ على كبيرة، مثل أن يتوب عن الغيبة أو عن النظر إلى المحرّم، وهو مصرّ على شرب الخمر لشدة ضراوته بالخمر ولَهَجِهِ بها وتعوّده لها وتسويلِ نفسه بأنه مداوٍ مَرَضَهُ بها، وقد أمرنا باستعمال الدواء، وتزيين الشيطان له ذلك وتحسينه وقوّة شهوته فيها لما في شربها من السرور والفرح وذهاب الهموم وصحة الجسم على زعمهم، وذهول عن بوائقها وعاقبتها، والغفلة عن عقوبة الله له لأجلها، وفساد الدين والدنيا بها، لأنها سبب زوال العقل الذي به انتظام أمر الدين والدنيا.

وإنما قلنا إنه تصحّ التوبة عن بعض هذه الذنوب دون بعض لأنه لايخلو كل مسلم من جمعٍ بين طاعة الله ومعصيته في الأحوال كلها، وإنما يتفاوتون في الحالات وعظم الذنوب وصغرها على قرب أحوالهم من الله وبعدها، فإذا قال الفاسق إن قهرني الشيطان بواسطة غلبة الشهوة في بعض المعاصي، فلا ينبغي لي أن أرخي العنان وأخلع العذار بالكلية، فأتمرج في المعاصي، بل

= وفيه خلافٌ آخر. ذاك أنه رواه عبيدالله بن عمرو، عن محمد بن سوقة، عن محمد ابن المنكدر، عن عائشة. قال البزار: وابن المنكدر لم يسمع من عائشة.

وأخرجه البيهقي ١٩/٣ من حديث عبدالله بن عمرو بإسنادٍ ضعيف.

وأخرجه أحمد ١٩٩/٣ أدله من حديث أنس وفيه عمرو بن حمزة قال البخاري: لا يتابع في حديثه، وقال ابن عدي: مقدار ما يرويه غير محفوظ، وقال الدارقطني: ضعيف. انظر تعجيل المنفعة» ص٣٠٩.

أجاهد فيما يخفّ عليّ من ترك بعض المعاصي فاتركها فيكون قهري لبعض ذلك كفارة لبعض الباقي، ولعل الله يراني أخافه في بعض معاصيه، وأتركها لأجله، وأجاهد نفسي وشيطانى في تركها، فيعينني ويوفقني، ويحول بيني وبين بقية المعاصي برحمته.

ولو لم يكن الأمر على ما قلنا لما صحت صلاة كل فاسق ولا صومه ولا زكاته ولا حجة ولا شيء من الطاعات، بأن يقال له: أنت فاسقٌ خارجٌ من طاعة الله بفسقك، مخالف لأمره، فعبادتك هذه لغير الله تعالى، فإن زعمت أنها لله عزّ وجل فاترك الفسق، فإن أمر الله فيه واحد لايتصور أن تقصد بصلاتك التقرّب إلى الله ما لم تتقرّب بترك الفسق، وهذا محال لايقال، فما هذا إلا بمثابة من عليه ديناران لرجلين وهو قادر على الأداء إليهما، فأدّى أحد الدينارين إلى أحدهما وجحد الآخر، وحلف عليه مع علمه ذلك وتحققه له، فلا شك أن ذمته بريئة مما قد أدّى ومشتغلة بما جحد وأبى.

فكذلك من أطاع الله تعالى في بعض أوامره مطيع له بطاعته، وإذا عصاه في بعض نواهيه عاص له بمعصية فهو مؤمن مليء ناقص الإيمان طائع بطاعته عاص مخالف له بمخالفته، وهذا هو دأب كل مخلّط في أمر دينه إلى أن يبلغ إلى حالة يزول هواه، فتنقطع عنه جميع المعاصي إلا من شاء الله أن يقضي عليه بها، إذ لا عصمة لنا، ويتوب الله على من تاب، ويتفضل بالرحمة على مَنْ أناب.

(فصـــل)

في ذكر الأخبار والآثار الواردة في التوبة

قال جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: «خطبنا رسول الله ﷺ يوم الجمعة فقال: أيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشْغَلُوا، وصِلُوا الذي بينكم وبين ربكم تَسْعَدُوا، وأكثروا الصدقة تُرْزَقُوا،

وأْمُرُوا بالمعروف تحصنوا، وانهوا عن المنكر تُنْصَرُوا[1]».

وكان النبيّ ﷺ كثيراً مايقول: «اللهم اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم»[2].

وقال ﷺ: «إن إبليس حين أهبط إلى الأرض قال: وعزّتك وجلالك لا أزال أغوي ابن آدم مادام الروح في جسده، فقال الربّ: وعزّتي وجلالي لا أمنعه التوبة ما لم يتغرغر بنفسه»[3]

وعن محمد بن عبدالله السلمي رحمه الله أنه قال: جلست إلى نفر من أصحاب رسول الله ﷺ بالمدينة فقال رجل منهم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تاب قبل موته بنصف يوم تاب الله عليه»[4].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٠٨١) وفي إسناده علي بن زيد، وهو ضعفيف.

(٢) رُوي في أحاديث. منها حديث ابن عمر عند أبي داود (١٥١٦)، والترمذي (٣٤٣٤)، وابن ماجه (٣٨١٤)، ورجالُه ثقات.

(٣) ضعيف أخرجه عبد بن حميد (٩٣٢)، وأحمد ٣/٧٦، والحاكم ٤/٢٦١ من طريق دراج عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري.

ورُوي من وجه آخر: ليث، عن يزيد بن الهاد، عن عمرو بن أبي عمرو، عن أبي سعيد. ولم يُذكر لعمرو سماع من أبي سعيد. فهو منقطع. عند أحمد ٣/٢٩ و٤١.

والحديث عندهم بلفظ: «... فقال الرب تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي لاأزالُ أغفرُ لهم مااستغفروني». كذا آخره.

(٤) حديث منكر. أخرجه أحمد ٥/٣٦٢، والحاكم ٤/٢٥٧ ـ ٢٥٩ من حديث بعض الصحابة. وفيه عبدالرحمن بن البيلماني، وهو منكر الحديث. وراوه بألفاظٍ عن نفرٍ من الصحابة: «من تاب إلى الله قبل أن يموت بنصف يوم ..»، و«قبل أن يموتَ بضحوة»، و«قبل أن يغرغر»، و«قبل موته بسنة»، و«قبل موته بشهر»، و«قبل موته بيوم»، و«قبل موته بساعة»...

وأخرجه أحمد ٢/٢٠٦ من حديث عبدالله بن عمرو، وفيه من لم يُسَمَّ. =

وقال آخر: سمعت رسول الله ﷺ يقول «من تاب قبل الغرغرة تاب الله عليه»[1].

وعن محمد بن مطرف رحمه الله أنه قال: يقول الله تعالى: ويح ابن آدم يذنب الذنب فيستغفرني فأغفر له، ويحه ثم يعود فيستغفرني فأغفر له، وَيْحَهُ لا هو يترك ذنبه ولا هو ييأس من رحمتي، أُشْهِدكُمْ أني قد غفرت له.

وقال أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ وصحابته بعدما أنزلت: ﴿وأن استغفِرُوا ربَّكم ثم توبُوا إليه﴾ [هود: ٣]. يستغفرون. كل يوم مائة مرة ويقولون: نستغفر الله ونتوب إليه قال: «وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني أذنبت ذنباً قال ﷺ: استغفر الله، فقال إني أتوب ثم أعود، قال ﷺ كلما أذنبتَ فتب حتى يكون الشيطان هو الحسير، قال: يا نبيّ الله إذا تكثرُ ذنوبي، فقال ﷺ: عفوُ الله أكبر من ذنوبك»[2].

وقال الحسن رحمه الله: لاتتمنَّ المغفرة بغير التوبة، ولا الثواب بغير العمل، لأن الغرة بالله أن تتمادى في سخطه، وتترك العمل بما يرضيه، وتتمنى عليه المغفـرة، فتغـرّك الأمـاني، حتى يحـلّ بك أمـره، أمـا سمعته يقول: ﴿وغرَّتْكمُ الأمانيُّ حتى جاءَ أمرُ اللهِ وغرَّكمْ باللهِ الغَرورُ﴾ [الحديد: ١٤].

وقال الله تعالى: ﴿وإنّي لغفَّارٌ لمن تابَ وآمنَ وعَمِلَ صالحاً ثم اهْتَدى﴾

= وأخـرجـه الخطيب في «تاريخه» ٣١٧/٨ من حديث عبادة بن الصامت، وفيه ضعف وانقطاع. وانظر «مجمع الزوائد» ١٩٧/١٠.

(١) انظر التعليق السابق.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» ١٩/٢ من حديث عائشة. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٢٠٠/١٠ وقال: رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه نوح بن ذكوان، وهو ضعيف.

وذكر ٢٠١/١٠ من حديث أنس نحوه، وقال: رواه البزار، وفيه بشار بن الحكم الضبي، ضعفه غير واحد ... ولنظر «كشف الخفاء» ٦١/٢.

[طـه: ٨٢]، وقال عزّ وجل: ﴿ورَحْمتي وَسِعَتْ كلَّ شيءٍ، فسأكتُبها للذينَ يتَّقونَ ويؤتون الزكاةَ، والذين هم بآياتنا يُؤمِنون﴾ [الأعراف: ١٥٦] فالطمع في الرحمة والجنة من غير توبة وغير تقوى حُمْقٌ وجهل وغرور لأنهما مقيدتان بهاتين الآيتين.

وقال ﷺ: «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه بأصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه، فقال به هكذا فطار»[1].

قال ﷺ: «إن العبـد ليذنب الـذنب فيدخله الجنة، فقالوا: يا نبي الله وكيف يدخله الجنة؟ قال: يكون الذنب نصب عينه يستغفر منه ويندم عليه حتى يدخله الجنة»[2].

وقال ﷺ: «لم أر شيئاً أحسن طلباً ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثة لذنب قديم: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾[3] [هود: ١١٤]».

وقال ﷺ: «إذا أذنب العبد ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه، فإذا تابَ وفزع واستغفر صفا قلبه منها، وإذا لم يتب ولم ينزع ولم يستغفر كان الذنب

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ضعيف. أخرجه ابنُ المبارك في «الزهد» (١٦٢) عن الحسن البصري مرسلاً. وأخرج ابن المبارك أيضاً (١٦٤) وأحمد في «الزهد» ص ٣٢٩ نحوه عن الحسن من قوله.

وذكر الهيثمي في «المجمع» ١٠/١٩٩ من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «إنَّ العبدَ ليذنبُ ذنباً، فإذا ذكره أحزنه ماصنعَ، فإذا نظَرَ الله إليه أحزنه ماصنع، غفرَ له». ونسبه إلى الطبراني في «الأوسط»، وفيه داود بن المحبر، وهو متروك متهم بالكذب والوضع.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٧٩٨) من حديث ابن عباس. قال الهيثمي في «المجمع» ٧/٣٩، وفيه مالك بن يحيى بن عمرو النكري، وهو ضعيف، وكذلك أبوه.

وهو في «زوائد الزهد» من نسخة نعيم بن حماد ص ١٨ (٧٥)، ذكره من قولِ الفضيل الرقاشي.

على الذنب والسواد على السواد حتى يعمى القلبُ فيموت، فذلك قوله عز وجل: ﴿كلّا بلْ رانَ على قلوبِهم ما كانوا يكسِبُون﴾ [المطففين: ١٤]»[١].

وقال ﷺ: «ترك الخطيئة أهون من طلب التوبة فاغتنم غفلةالمنية»[٢].

قال: وكـان آدم بن زياد رحمه الله يقول: لينزلن أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت؛ فاستقال ربه فأقاله، فليعمل بطاعة الله.

قيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: اتق أنْ آخذكَ على غِرّة فتلقاني بلا حجة.

ودخـل بعض الصالحين على عبدالملك بن مروان، فقال له عظني، فقال: هل أنت على استعداد لحلول الموت إن أتاك؟ قال لا، قال: فهل أنت مجمع على التحوّل عن هذه الحالة إلى حالة ترضاها؟ قال لا، قال: فهل بعد الموت دار فيها مستعتب؟ قال لا، قال فهل تأمن الموت أن يأتيك على غرّة؟ قال لا قال: ما رأيت مثل هذه الخصال يرضى بها عاقل.

وقال النبيّ ﷺ: «الندم توبة»[٣].

وقال ﷺ: «من أذنب ذنباً ثم ندم عليه فهو كفارته»[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٣٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤١٨)، وابن ماجه (٤٢٤٤)، والطبري ٩٨/٣٠، وابن حبان (٩٣٠)، والحاكم ٥١٧/٢ من حديث أبي هريرة بإسنادٍ حسن.

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٨٥٠) عن أبي جناب الكلبي قال: قال حذيفة: إنَّ الحقَّ ثقيل، وهو مع ثقله مريء، وإن الباطل خفيف، وهو مع خفته وبيء، وتركُ الخطيئة أيسر ـ أو قال: خير ـ من طلب التوبة، ورب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً.
قلت: وأبو جناب الكلبي ضعيف مدلس، ولم يدرك حذيفة.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه ابن عدي ١٣٢٩/٤، والطبراني (١٠٥٣٧) من طريق أبي سعد البقال، عن عبدالله بن معقل، عن ابن مسعود مرفوعاً. وهذا الإسناد لايصحُّ. لأنّ أبا سعد لم يسمعه من ابن معقل، وإنما بينهما ثلاثة رواةٍ، بيَّنَ ذلك ابن عدي.

وقال الحسن رحمه الله: التوبة على أربع: دعاء، ثم استغفار باللسان، وندم بالقلب، وترك بالجوارح، وإضمار أن لايعود. وقال: التوبة النصوح: أن يتوب ثم لايرجع فيما تاب منه.

وقال ﷺ: «التائب من الذنب كمن لاذنب له، والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه، كالمستهزئ بربه، وإن الرجل إذا قال: أستغفرك وأتوبُ إليك، ثم عاد ثم قالها ثم عاد ثلاث مرات كتب في الرابعة من الكبائر»[1].

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: كن وصيَّ نفسك ولا تجعل الرجال أوصياءك، كيف تلومهم أن يضيعوا وصيتك وقد ضيَّعتها في حياتكَ؟ وأنشد بعضهم يقول:

تمتع إنّما الدنيا متاع
وإنّ دوامها لا يستطاع
وقدّم ما ملكت وأنت حيّ
أمير فيه متبع مطاع
ولايغررك مَنْ تُوصي إليه
فقصر وصية المرء الضياع

وقال آخر:

إذا ما كنتَ مُتَّخِذاً وصياً
فكن فيما ملكت وصيَّ نفسِكْ
ستحصد ما زرعتَ غداً وتجني
إذا وُضِعَ الحسابُ ثِمارَ غرسكْ

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧١٧٨) من حديث ابن عباس دونَ آخره، وزاد: «ومن آذى مسلماً كان عليه من الإثم كذا وكذا، ذكر شيئاً». وإسنادُه ضعيف من أجل سلم بن سالم (في إسناده) وغيره. وقال المنذري في «الترغيب» ٤/٩٧: وقد رُوِيَ موقوفاً، ولعلَّه أشبه.

(فصل آخر)

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: إن النبيّ ﷺ قال: «إن الرجل موكل به ملكان أحدهما عن يمينه، والثاني عن شماله، صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال، فإذا عمل العبد حسنة كتب له صاحب اليمين عشراً، فإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال صاحب اليمين أمسك عنه فيمسك عنه ست ساعات من النهار أو سبعاً، فإن استغفر الله تعالى منها لم يكتب عليه شيئاً، وإن لم يستغفر كتب عليه سيئة واحدة»[1].

وفي لفظ آخر: «إن العبد إذا أذنب لم يكتب عليه حتى يذنب ذنباً آخر فإذا اجتمعت عليه خمسة من الذنوب فإذا عمل حسنة واحدة كتب له خمس حسنات وجعل الخمس بإزاء خمس سيئات، فيصيح عند ذلك إبليس لعنه الله ويقول: كيف لي أن أستطيعَ على ابنِ آدمَ، فإني وإن اجتهدتُ عليه يُبْطِلُ بحسنةٍ واحدة جميعَ جهدي»[2].

وروى يونس عن الحسن رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «ليس من عبد إلا عليه ملكان، وصاحب اليمين أمير على صاحب الشمال، فإذا عمل العبد السيئة قال له صاحب الشمال: اكتبها؟ فيقول له صاحبَ اليمين: دعه حتى يعمل خمس سيئات، فإذا عمل خمس سيئات قال صاحب الشمال اكتبها، فيقول صاحب اليمين دعه حتى يعمل حسنة، فإذا عمل حسنة قال له صاحب اليمين: قد أخبرنا بان الحسنة بعشر أمثالها، فتعال حتى نمحو خمساً بخمسٍ ونثبت له خمساً من الحسنات، قال: فيصيح الشيطان عند ذلك

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٧٦٥) و(٧٩٧١) بأسانيد ضعيفة. وانظر «المجمع» ٢٠٨/١٠، و«الدر المنثور» ١٠٤/٦.

(٢) انظر «الدر المنثور» ١٠٣/٦ ـ ١٠٤.

فيقول: متى أدرك ابن آدم»[1].

وهـذه الأحـاديث موافقة لقوله عز وجل: ﴿وإنّي لغفارٌ لمن تابَ وآمنَ وعَمِلَ صالحاً ثم اهتدى﴾ [طه: ٨٢].

قال علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه: «مكتوب حول العرش قبل آدم بأربعةِ آلاف عام ﴿وإنّي لَغَفّارٌ لمن تابَ وآمنَ وعَملَ صالحا ثم اهتدى﴾ [طه: ٨٢].

ومـوافقـه لقـولـه تعـالى: ﴿إنّ الحسنـاتِ يُذهِبْنَ السيئاتِ ذلكَ ذكرى للذاكِرينَ﴾ [هود: ١١٤].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «إذا تاب العبد وتاب الله عليه أنسى الله تعالى حَفَظَتَهُ ما كان قد عمل من مساوئ عمله، وأنسى جوارحـه ماعملت من الخـطايا، وأنسى مقامه من الأرض، وأنسى مقامه من السماء فيجيء يوم القيامة وليس عليه شيء شهيد عليه»[2].

وروي عن النبيّ ﷺ أنه قال «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»[3]. وفي لفظ: «ولو عاد في اليوم سبعين مرة»[4].

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «مَنْ قال أستغفر الله العظيم الذي

---

(١) حديث مرسل.

(٢) أخرجـه الأصبهـاني في «الترغيب والترهيب» من حديث أنس. كما في «ترغيب المُنذري» ٤/٩٤ ـ ٩٥. ونسبه السيوطي إلى ابن عساكر. انظر «كنز العمال» (١٠١٧٩).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢٥٠) من حديث ابن مسعود، وفيه انقطاع. ولايصحُّ في هذا الباب إسناد.

(٤) أخرجـه أبـو داود (١٥١٤)، والترمذي (٣٥٥٩)، وابن السني (٣٦١)، والبغوي (١٢٩٧) من حديث أبي بكر مرفوعاً بلفظ: «ماأصَرَّ من استغفر، وإن عاد في اليوم سبعين مرة». وإسناده صعيف.

لا إله إلا هو الحيّ القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات، غفر له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر»[1] وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «ينظر الإنسان في كتابه يوم القيامة فيرى في أوله المعاصي وفي آخره الحسنات، فإذا رجع إلى أول الكتاب رأى كل ذلك حسنات، وذلك قوله تعالى: ﴿فأولئكَ يُبَدِّلُ الله سيئاتِهم حسناتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠].

وهذا هو في حق التائب الذي ختم الله له بالتوبة والإنابة وقال بعض السلف: إن العبد إذا تاب من الذنوب صارت الذنوب الماضية كلها حسنات. ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه: وليتمنين أناسٌ يوم القيامة أن تكثر سيئاتهم، وإنما قال ذلك لما ذكر الله تعالى تبديل السيئات بالحسنات لمن يشاء من عباده.

وروي عن الحسن رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: «لو أخطأ أحدكم حتى يملأ ما بين السماء والأرض ثم تاب تاب الله عليه»[2] ولهذا جاء في الخبر: «يا ابن آدم لو لقيتني بقراب الأرض ذنوباً لقيتك بقرابها مغفرة»[3].

---

(١) أخرجه الحاكم ١/٥١١ بلفظ: «..غفرت ذنوبه وإن كان فارّاً من الزحف».
وأخرجه أبو داود (١٥١٧)، والترمذي (٣٥٧٧) عن حديث زيد وإسناده ضعيف فيه جهالة. وفي الباب أحاديث ضعيفة عن أبي هريرة، وأنس، ... انظر «العلل المتناهية» (١٣٩٥ ـ ١٣٩٧)، و«الكامل» لابن عدي ٥/٢٠١٤ و٧/٢٥٣٢.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢٤٨) من حديث أبي هريرة. وفيه يعقوب بن حميد بن كاسب، وهو ضعيف يستنكر ويستغرب.
وأخرجه أحمد ٣/٢٣٨ من حديث أنس. وإسنادُه ضعيف لجهالة أخشم السدوسي.
ولكن يشهد له حديث أنس عند الترمذي (٣٥٤٠) وفي إسناده ضعف أيضاً. وأرجو أن يكون الحديث حسناً.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٨٧) من حديث أبي ذر.

(فصل آخر في ذلك)

وروي أن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه مرّ ذات يوم في موضع من نواحي الكوفة، وإذا الفساق قد اجتمعوا في دار رجل منهم وهم يشربون الخمر، ومعهم مغنّ يقال له زاذان كان يضرب بالعود ويغني بصوت حسن؛ فلما سمع ذلك عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: ماأحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله تعالى كان أحسن وجعل رداءه على رأسه ومضى، فسمع ذلك الصوت زاذان، فقال من هذا؟ قالوا: كان عبدالله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ، قال: وأيش قال؟ قالوا: قال ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة القرآن كان أحسن، فدخلت الهيبةُ قلبه، فقام فضرب بالعود على الأرض فكسره، ثم أسرع حتى أدركه وجعل المنديل في عنق نفسه وجعل يبكي بين يدي عبدالله فاعتنقه عبدالله وجعل يبكي كلٌّ واحد منهما، ثم قال عبدالله رضي الله عنه: كيف لا أحبّ من قد أحبه الله؟ فتاب من ضربه بالعود وجعل يلازم عبدالله حتى تعلم القرآن وأخذ الحظّ الوافر من العلم حتى صار إماماً في العلم. وقد جاء في كثير من الأخبار. روى زاذان عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وروى زاذان عن سلمان الفارسي رضي الله عنه.

وفي الإسرائيليات يروى أنه كانت امراة بغية مغنية مفتنة للناس بجمالها، وكان باب دارها أبداً مفتوحاً وهي قاعدة على السرير بحذاء الباب فكل من مرّ بها ونظر إليها افتتن بها واحتاج إلى إحضار عشرة دنانير أو أكثر من ذلك حتى تأذن له بالدخول عليها، فمرّ على بابها ذات يوم عابد من عبّاد بني إسرائيل فوقع بصره عليها في الدار وهي قاعدة على السرير فافتتن بها وجعل يجادلُ نفسه حتى إنه يدعو الله تعالى أن يزول ذلك عن قلبه، فلم يزل ذلك عن نفسه، ولم يملك نفسه حتى باع قماشاً كان له، فجمع من الدنانير مايحتاج

إليه، فجاء إلى بابها فأمرته أن يسلم الذهب إلى وكيلٍ لها وواعدته لمجيئه، فجاء إليها لذلك الوعد وقد تزينت وجلست في بيتها على سريرها، فدخل عليها العابد وجلس معها على السرير، فلما مدّ يديه إليها وانبسط معها، تداركه الله برحمته ببركة عبادته المتقدمة، فوقع في قلبه أن الله تعالى يراني في هذه الحالة من فوق عرشه، وأنا في الحرام وقد حبط عملي كله، فوقعت الهيبة في قلبه، فارتعد في نفسه وتغير لونه، فنظرت إليه المرأة فرأته متغير اللون، فقالت له: إيش أصابك يارجل؟ فقال: إني أخاف الله ربي، فَأْذَنِي لي بالخروج، فقالت له: ويحك إن كثيراً من الناس يتمنون الذي وجدته فإيش هذا الذي أنتَ فيه؟ فقال: إني أخاف الله جلّ ثناؤه وإن المال الذي دفعته إلى وكيلك هو لك حلالٌ، فأذني لي بالخروج، فقالت له: كأنك لم تعملْ هذا العملَ قَطُّ؟ قال: لا، فقالت له: من أين أنت وما اسمك؟ فأخبرها أنه من قرية كذا واسمه كذا، فأذنت له بالخروج من عندها، فخرج وهو يدعو بالويل والثبور ويبكي على نفسه، فوقعت الهيبةُ في قلب المرأة ببركةِ ذلك العابد، فقالت في نفسها: إن هذا الرجل أوّل ذنب أذنب فدخل عليه من الخوف ما دخل، وإني قد أذنبتُ منذ كذا وكذا سنة، وإن ربه الذي خاف منه هو ربي، فينبغي أن يكون خوفي أشدّ من خوفه، فتابت إلى الله تعالى وغلقت الباب على الناس ولبست ثيابا خلقاً وأقبلت على العبادة، فكانت في عبادتها ما شاء الله تعالى، فقالت في نفسها: إني لو انتهيت إلى ذلك الرجل لعله يتزوّجني، فأكون عنده وأتعلم منه أمر ديني ويكون عوناً لي على عبادة ربي، فتجهزت وحملت معها من الأموال والخدم ما شاء الله، وانتهت إلى تلك القرية وسألت عنه، فأخبروا العابد أنه قدمت امرأة تسأل عنك، فخرج العابد إليها، فلما رأته المرأة كشفت عن وجهها كي يعرفها؛ فلما رآها العابد وعرف وجهها وتذكر الأمر الذي كان بينه وبينها صاح صيحة فخرجت روحه، فبقيت المرأة حزينة وقالت في نفسها: إني خرجت لأجله وقد مات فهل له أحد من أقربائه يحتاج إلى امرأة، فقالوا لها: له أخ صالح لكنه معسر لا مالَ له، فقالت: لا بأس به، فإن لي مالاً يكفينا؛

فجاء أخوه فتزوج بها، فولدت له سبعاً من البنين (كلهم صاروا أنبياء في بني إسرائيل) .

فانظر إلى بركة الصدق والطاعة وحُسْنِ النية كيف هدى الله زاذان بعبدالله ابن مسعود لما كان صادقاً حسن السريرة فلا يَصْلُحُ بك الفاسدُ حتى تكون أنت صالحاً في ذات نفسك، خائفاً لربك إذا خلوت، مخلصاً له إذا خالطت غير مُرَاءٍ للخَلْقِ في حركاتك وسكناتك مُوَحِّداً لله عزّ وجل في ذلك كله، فحينئذ يُزَادُ في توفيقك وتسديدك وتحفظ عن الهوى والإغواء من شياطين الجنّ والإنس والمنكرات كلها والفُسَّاق والبدع والضلالات أجمع، فزال بك المنكر من غير تكلف، ومن غير أن يصير المعروف منكراً، كما هو في زماننا، ينكر أحدهم منكراً واحداً فيتفرع منه منكراتٌ جَمَّة وفسادُ عظيم من السبّ والقذف والضرب والكسر وتخريق الثياب وإفساد الأموال، وكل ذلك لقلة صدقهم ونقصان إيمانهم ويقينهم وغلبة أهويتهم عليهم. فالمُنْكَرُ فيهم بَعْدُ فَرْضٌ إزالته متوجه عليهم وبأنفسهم شغل طويل وهم ينكرون على الغير فيتركون الفرض العين ويتعلقون بالفرض على الكفاية، ويتركون ما يعنيهم ويشتغلون بما لا يعنيهم، قال النبيّ ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[1].

من أراد أن يزول به المنكر بسرعة، فعليه بالإنكار على نفسه والوعظ لها، ومنعها وفطمها عن المعاصي ما ظهر منها وما بطن، فإذا تطهر من ذلك كله حينئذ اشتغل بغيره، فزال به المنكر بأحسن ما يكون من الوجوه، كما زال في حقّ عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

وانظر إلى بركة العبادة والصدق أيضا في حق العابد كيف نجّاهُ الله من البغية وارتكاب الكبيرة: ﴿كذلك لِنَصْرِفَ عنه السُّوءَ والفحشاء إنه من عبادنا المُخْلِصِين﴾ [يوسف: ٢٤].

---

(١) تقدم تخريجه.

فالله تعـالى حال بينه وبين تلك الفاحشة لما تقدم له من الصدق في الخلوات وحسن الطاعة. فيما مضى من الأيام والساعات، ثم انظر كيف نجى الله تعالى تلك البغية ببركة العابد، ثم كيف نالت بركته أخاه، فأزال الله فقره وجهده، وزوّجه بأحسن النساء، فأغناه ورزقه من حيث لايحتسب، وجعله أبا الأنبياء السبعة، وجعلها أمهم عليهم السلام، فالخير كله في الطاعة والشرّ كله في المعصية؛ فلا كانت المعصية ولا كُنَّا إذا كنا من أهلها.

(فصـــــل)

وإنما تعرف توبة التائب في أربعة أشياء:

احدها: أن يملك لسانه من الفضول والغيبة والنميمة والكذب.

والثاني: أن لايرى لأحدٍ في قلبه حسداً ولا عداوة.

والثالث: أن يفارق إخوان السوء، فإنهم هم الذين يحملونه على ردّ هذا القصـد ويشوّشون عليه صحة هذا العزم، ولايتم له ذلك إلا بالمواظبة على المشاهدة التي تزيد بها رغبته في التوبة، وتوفر دواعيه على إتمام ما عزم عليه مما يقوّي خوفه ورجاءه، فعند ذلك تنحلُّ من قلبه عقد الإصرار على ما هي عليه من قبيح الأفعال، فيقف عن تعاطي المحظورات، ويكبح لجام نفسه عن متابعة الشهوات فيفارق الزلة في الحال، ويبرم العزيمة على أن لايعود إلى مثلها في الاستقبال.

والـرابـع: أن يكون مستعداً للموت نادماً مستغفراً لما سلف من ذنوبه مجتهداً في طاعة ربه.

وقيل: علامةُ أنه مقبولُ التوبةِ أربعةُ أشياء: أولها أن ينقطع عن أصحاب الفسق ويريهم هيبته من نفسه، ويخالط الصالحين. والثاني: أن يكون منقطعاً عن كل ذنب مقبلاً على جميع الطاعات. والثالث: أن يذهب فرح الدنيا من

قلبه، ويرى حزن الآخرة دائماً في قلبه. والرابع: أن يرى نفسه فارغاً عما ضمن الله له، يعني الرزق، مشتغلاً بما أمر الله به.

فإذا وجدت فيه هذه العلامات كان من الذين قال الله تعالى في حقهم: ﴿إنّ اللهَ يُحبُّ التوَّابينَ ويُحبُّ المُتَطَهِّرين﴾، [البقرة: ٢٢٢]، ووجب له على الناس أربعة أشياء:

أولها: أنْ يُحِبُّوه لأن الله تعالى قد أحبه.

والثاني: أن يحفظوه بالدعاء على أن يثبته الله تعالى على التوبة.

والثالث: أن لايُعَيِّروه بما سلفَ من ذنوبه لما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من عَيَّرَ مؤمناً بفاحشةٍ فهو كفارة لها، وكان حقاً على الله تعالى أن يوقعه فيها؛ ومن عير مؤمناً بجريرة لم يخرج من الدنيا حتى يرتكبها ويفتضح بها»[1].

ولأن المؤمن لايقصد الوقوع في الذنب ولايتعمده ولايعتقده ديناً يتدين به، وإنما يكون ذلك بتزيينِ الشيطان وفرط ضراوةِ الشهوة وشدّة الشبق وتراكم الغفلة والغـرّة؛ قال الله تعـالى: ﴿وكـرَّهَ إليكم الكُفْـرَ والفسـوقَ والعصيانَ﴾ [الحجرات: ٧] فقد أخبر أنه بغَّض إلى المؤمنين المعصية، فلا يجوز أن يُعَيَّر بها إذا تاب وأناب، بل يدعى له بالثبات على التوبة والتوفيق والحفظ.

والرابع: أن يجالسوه ويذاكروه ويعينوه.

ويكرمه الله تعالى أيضاً بأربع كرامات: إحداها: أن يخرجه من الذنوب كأنـه لم يذنب قط. والثـانية: يحبـه الله تعـالى. والثالثة: أن لايسلط عليه

---

(١) آخره أخرجه الترمذي (٢٥٠٥)، وابن عدي ٢١٨١/٦، والخطيب ٣٣٩/٢ - ٣٤٠، من طريق محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معـدان، عن معـاذ بن جبل. وهذا حديث موضوع. محمد بن الحسن متهم بالكذب، وفيه انقطاع، خالد لم يسمع معاذاً. وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» ٨٢/٣. وانظر «المقاصد الحسنة» ص ٤٢١ - ٤٢٢.

الشيطان ويحفظه منه. والرابعة: أن يؤمنه من الخوف قبل أن يخرجه من الدنيا لأنه عز وجل قال: ﴿تَتَنَزَّلُ عليهمُ الملائكةُ ألّاتخافوا ولاتحزنوا، وأبشِرُوا بالجنة التي كنتم تُوعدون﴾ [فصلت: ٣٠].

(فصـــل)
في ذكر أقاويل شيوخ الطريقة في التوبة

قال أبو عليّ الدقاق رحمه الله: التوبة على ثلاثة أقسام: أولها: التوبة، وأوسطها الإنابة، وآخرها الأوبة: فالتوبة بداية، والإنابة واسطة، والأوبة نهاية. فإن مَنْ تاب لخوف العقوبة كان صاحبَ توبة، ومن تاب طمعاً في الثواب أو رهبةً من العقاب كان صاحبَ إنابة، ومن تاب مراعاةً للأمر لا لرغبةٍ في الثواب أو رهبة من العقاب كان صاحبَ أوبة.

وقيل: التوبة: صفة المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وتوبُوا إلى اللهِ جميعاً أيُّها المؤمِنونَ لعلكم تُفلِحونَ﴾ [النور: ٣١].

والإنابة: صفة الأولياء المقرّبين، قال الله تعالى: ﴿ وجاءَ بقلبٍ مُنيبٍ﴾ [ق: ٣٣].

والأوبة: صفة الأنبياء والمرسلين، قال الله عزّ وجل: ﴿نِعمَ العبدُ إنَّه أوّابٌ﴾ [ص: ٣٠، ٤٤].

وقال الجنيد رحمه الله تعالى: التوبة على ثلاثة معان: الأول: يندم، والثاني: يعزم على ترك المعاودة لما نهى الله عنه، والثالث: يسعى في أداء المظالم.

وقال سهل بن عبدالله رحمه الله: التوبةُ ترك التسويف.

وقـال الجنيد: سمعت الحـارث يقـول: ماقلت قطّ اللهمّ إني أسألك التوبة، ولكني أقول: أسألك شهوة التوبة. وقال الجنيد: دخلت على السريّ

رحمه الله يوماً فرأيته متغيراً، فقلت له: مالك؟ فقال: دخل عليَّ شاب فسألني عن التوبة، فقلت له: أنْ لا تنسى ذنبك، فعارضني وقال: بل التوبة أن تنسى ذنوبك، فقلت: إن الأمر عندي على ما قاله الشاب، فقال: لِمَ؟ قلت: لأني إذا كنت في حال الجفاء فنقلني إلى حال الوفاء، فذكر الجفاء في حال الصفاء جفاء، فسكت.

وقال سهل بن عبدالله رحمه الله: التوبة: أن لا تنسى ذنبك.

وقال الجنيد رحمه الله حين سئل عن التوبة: هي أن تنسى ذنبك.

وتكلم أبو نصر السرّاج رحمه الله في المقالتين فقال: أشار سهل إلى أحوال المريدين والمتعرّضين تارة لهم وتارة عليهم، فأما الجنيد فإنه أشار إلى توبة المحققين، فلا يذكرون ذنوبهم مما غلب على قلوبهم من عظمةِ الله تعالى ودوامِ ذكره. وقال: وهو مثل ما سئل رويم عن التوبة فقال: التوبة من التوبة.

وقال ذو النون المصري رحمه الله: توبة العوام من الذنوب، وتوبة الخواص من الغفلة. وقال أبو الحسن النوري رحمه الله: التوبة أن تتوب من كل شيء سوى الله عزّ وجل.

قال عبدالله بن علي بن محمد التميمي رحمهم الله: شَتَّانَ بين تائبٍ يتوب من الزلات، وتائب يتوب من الغفلات، وتائب يتوب من رؤية الحسنات.

قال أبو بكر الواسطي رحمه الله التوبة النصوح أن لايبقى على صاحبها أثرٌ من المعصية سرّاً ولاجهراً، ومن كانت توبته نصوحاً لا يبالي كيف أمسى وأصبح.

قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله في مناجاته: إلهي لا أقولُ تبتُ ولا أعود لما أعرف من خلقي، ولا أضمنُ تركَ الذنوب لما أعرف من ضعفي، ثم إني أقول لا أعود لعلي أموت قبل أن أعود.

قال ذو النون رحمه الله: الاستغفار من غير إقلاع توبة الكذّابين. وقال أيضاً رحمه الله: حقيقة التوبة أن تضيقَ عليك الأرضُ بما رَحُبَتْ حتى لايكون لك قرار، ثم تضيقَ عليك نَفْسُكَ كما أخبر الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ضاقت عليهم الأرض بما رَحُبَتْ، وضاقت عليهم أنفسهم، وظنّوا أن لاملجأ من الله إلا إليه، ثم تابَ عليهم ليتوبوا﴾ [التوبة: ١١٨].

وقال ابن عطاء رحمه الله: التوبة توبتان: توبة الإنابة، وتوبة الاستجابة، فتوبة الإنابة: أن يتوب العبد خوفاً من عقوبته؛ وتوبة الاستجابة: أن يتوب حياءً من كرمه.

وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله: زَلَّةٌ واحدةٌ بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها. وقال أبو عمرو الأنماطي رحمه الله: ركب عليّ بن عيسى الوزير في موكب عظيم، فجعل الغرباء يقولون مَنْ هذا؟ فقالت امرأة قائمة على الطريق: إلى متى تقولون من هذا؟ هذا عبدٌ سقط من عين الله فأبلاه الله بما ترون، فسمع عليّ بن عيسى ذلك، فرجع إلى منزله واستعفى من الوزارة، وذهب إلى مكة وجاور بها إلى أن مات.

مجلس في قوله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣]

اختلف العلماء رحمهم الله في معنى التقوى وحقيقة المتقي.

فالمنقول عن النبيّ ﷺ أنه قال جماع التقوى في قوله عزّ وجل ﴿إنَّ الله يأمُرُ بالعدل والإحسانِ وإيتاءِ ذي القُربى، وينهىَ عن الفحشاءِ والمنكرِ والبغي يَعِظُكم لعلكم تَذَكّرون﴾[1] [النحل: ٩٠].

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري ١٤/١٦٣ من قول ابن مسعود. ورجالُ إسناده ثقات. وزاد السيوطي في «الدر المنثور» ٥/١٦٠ نسبته إلى البخاري في «الأدب المفرد»، وسعيد ابن منصور، ومحمد بن نصر في «الصلاة»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم، والبيهقي في «الشعب».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: المتقي الذي يتقي الشرك والكبائر والفواحش.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: التقوى أن لا ترى نفسك خيراً من أحد. وقال الحسن رحمه الله: المتقي الذي يقول لكل من رآه هذا خير مني.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكعب الأحبار: حدثني عن التقوى، قال: هل أخذت طريقاً ذا شوك؟ قال نعم، قال: فما عملتَ فيه؟ فقال: حذرت وشمَّرت، قال كعب: كذلك التقوى، فنظمه الشاعر:

خلِّ الذنوبَ صغيرها وكبيرها فهو التقى
واصنع كماشٍ فوق أر ضِ الشوكِ يَحْذَرُ مايرى
لاتحقرنَّ صغيرة إنَّ الجبالَ من الحصى

وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى: ليس التقى صيامُ النهار وقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك، ولكن التقوى ترك ماحَرَّمَ الله وأداءماافترض الله، فما رزق الله بعد ذلك فهو خير إلى خير.

وقيل لطلق بن حبيب: أجْمِلْ لنا التقوى، فقال: التقوى عملٌ بطاعة الله على نور من الله رجاءً لثوابِ الله حياءً من الله. وقيل: التقوى: ترك معصية الله على نور من الله مخافة عقاب الله.

وقال بكر بن عبدالله رحمه الله: لا يكون الرجل تقياً حتى يكون نقيَّ المطعم وتقيّ الغضب.

وقال عمر بن عبدالعزيز أيضاً رحمه الله: المتقي مُلْجَمٌ كالمُحْرِمِ في الحرم. وقال شهر بن حوشب رحمه الله: المتقي الذي يترك ما لا بأسَ به حذر الوقوع فيما فيه بأس. وقال سفيان الثوري وفضيل رحمهما الله: هو الذي يحبّ للناس ما يحبّ لنفسه.

وقال الجنيد بن محمد: ليس المتقي الذي يحب للناس ما يحبّ لنفسه،

إنما المتقي الذي يحبّ للناس أكثر مما يحبّ لنفسه، أتدرون ما وقع لأستاذي سريّ السقطي رحمه الله؟ سَلَّمَ عليه ذاتَ يوم صديقٌ له، فَرَدَّ عليه السلامَ وهو عابسٌ لم يتبشش له، فقلت له في ذلك، فقال: بلغني أن المرء المسلم إذا سلمّ على أخيه وردّ عليه أخوه قُسِمَتْ بينهما مائة رحمة تسعون منها لأَبْشِّهما وعشرة للآخر، فأحببتُ أن يكون له التسعون.

وقال محمد بن عليّ الترمذي رحمه الله: هو الذي لا خصم له. وقال سريّ السقطي رحمه الله: هو الذي يبغض نفسه. وقال الشبلي رحمه الله: هو الذي لا يتقي ما دون الله.

قال الناطق الصادق: ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطل.

وقال محمد بن خفيف رحمه الله: التقوى مجانبة كل شيء يُبْعِدُكَ عن الله. وقال القاسم بن القاسم رحمه الله: هو المحافظة على آداب الشريعة. وقال الثوري رحمه الله: هو الذي يتقي الدنيا وآفاتها.

وقال أبو يزيد رحمه الله: هو التورّع عن جميع الشبهات. وقال أيضاً: المتقي من إذا قال قال لله، وإذا سكت سكت لله، وإذا ذكر ذكر لله.

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: لا يكون العبد من المتقين حتى يأمنه عدوّه كما يأمنه صديقه.

وقال سهل رحمه الله: المتقي من تَبرَّأ من حوله وقوّته. وقيل: التقوى أنْ لا يراك الله حيثُ نهاك، ولايفقدك حيث أمرك. وقيل: هو الاقتداء بالنبيّ ﷺ. وقيل: أن تتقي بقلبـك من الغفلات، وبنفسك من الشهوات، وبحلقك من اللذات، وبجوارحك من السيئات، فحينئذ يُرْجَى لك الوصولُ إلى ربّ الأرض والسموات.

وقال أبو القاسم رحمه الله: هي حسن الخلق. وقال بعضهم: يستدلّ على تقوى الرجل بثلاث: حُسْنُ التوكل فيما لم ينل، وحسن الرضا فيما قد

نال، وحسن الصبر على ما فات. وقيل: المتقي الذي يتقي متابعة هواه.

وقـال مالك رحمه الله: حدثني وهب بن كيسان أن بعض فقهاء أهل المدينة كتب إلى عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما: إن لأهل التقوى علاماتٍ يُعْرَفُون بها: الصبر عند البلاء، والرضا بالقضاء، والشكر عند النعماء، والتذلل لأحكام القرآن.

وقال ميمون بن مهران رحمه الله: لايكون الرجل تقياً حتى يكون أشدّ محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر.

وقال أبو تراب رحمه الله: بين يدي التقوى خمس عقبات مَنْ لايجاوزها لا ينالها وهي: اختيار الشدّة على النعمة، واختيار القوّة على الفضول، واختيار الذلّ على العزّ، واختيار الجدّ على الراحة، واختيار الموت على الحياة.

وقال بعضهم: لا يبلغ الرجل سنام التقوى إلا إذا كان بحيثُ لو جعل ما في قلبه على طبق فطاف به في السوق لم يستح من شيء مما عليه.

وقيل: التقوى أن تزين سرّك للحقّ كما تزين علانيتك للخلق. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه:

يريد العبد أنْ يُعْطى مناه ... ويأبـى الله إلا مـا أرادا
يقول المـرء فائدتـي ومالـي ... وتقوى الله أفضل ما استفادا

عن مجاهد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا نبيّ الله أوصني، فقال ﷺ: عليك بتقوى الله فإنه جماع كل خير، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله فإنه نور لك»[1].

(١) ضعيف أخرجه الطبراني في «الصغير» ٢/٦٦ - ٦٧، من طريق ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن أبي سعيد الخدري. وليث هذا ضعيف. وأخرجه ابن الفريس (٦٨) =

وعن أبي هرمز نافع بن هرمز رحمه الله قال: سمعت أنساً رضي الله عنه يقول: «قيل يا محمد من آل محمد؟ قال: كل تقيّ»[1]. فالتقوى جماع الخيرات.

وحقيقة الاتقاء: التحرّز بطاعة الله عزّ وجل عن عقوبته. يقال: اتقى فلان بترسه، وأصل التقوى: اتقاء الشرك، ثم بعده اتقاء المعاصي والسيئات، ثم بعده اتقاء الشبهات، ثم يدع بعده الفضلات.

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿اتّقوا الله حَقَّ تُقاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] هو أنْ يُطاع فلا يُعْصَى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر.

وقال سهل بن عبدالله رحمه الله: لا معين إلا الله، ولا دليل إلا رسول الله، ولا زاد إلا التقوى، ولا عمل إلا الصبر عليه.

وقال الكتاني رحمه الله: قسمت الدنيا على البلوى، وقسمت الجنة على التقوى، ومن لم يحكم بينه وبين الله التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة.

وقال النصر أباذي رحمه الله: التقوى أن يتقي العبد ما سواه تعالى. وقال سهل رحمه الله: من أراد أن تصحّ له التقوى فليترك الذنوب كلها.

وقال النصر أباذي أيضاً: من لزم التقوى اشتاق إلى مفارقة الدنيا، لأن الله تعالى يقول: ﴿ولَلدّارُ الآخرةُ خيرٌ للذينَ يتّقون﴾ [الأنعام: ٣٢]. وقال

= من هذه الطريق، لكنه سقط عنده «مجاهد».

وأخرجه أحمد ٨٢/٣ من طريق إسماعيل بن عياش، عن الحجاج بن مروان الكلاعي، وعقيل بن مدرك السلمي، عن أبي سعيد. وهذا إسنادٌ ضعيف من أجل إسماعيل ومن قبله. كما أنَّ فيه انقطاعاً بين أبي سعيد ومن رَوَى عنه.

(١) ضعيف. أخرجه الطبراني في «الصغير» ١١٥/١ وفيه ضعيفان. وانظر «المجمع» ٢٦٩/١٠.

بعضهم: من تحقق في التقوى هوّن الله على قلبه الإعراض عن الدنيا، وقال أبو عبدالله الروذباري: التقوى: مجانبةُ ما يُبْعِدُكَ عن الله تعالى.

وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالى: التقيّ من لا يدنس ظاهره بالمعارضات، ولا باطنه بالغلالات، ويكون واقفاً مع الله تعالى موقف الاتفاق.

وقال ابن عطية رحمه الله تعالى: للمتقي ظاهر وباطن، فظاهره محافظة الحدود، وباطنه النية والإخلاص. وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالى: لا عيش إلا مع رجال تحنُّ قلوبهم للتقوى وترتاح بالذكر. وقال أبو حفص رحمه الله تعالى: التقوى في الحلال المحض لا غير. وقال أبو الحسين الزنجاني رحمه الله تعالى: من كان رأس ماله التقوى كَلَّتِ الألسنُ عن وصف ربحه. وقال الواسطي رحمه الله تعالى: التقوى أن يتقي من تقواه، يعني من رؤية تقواه.

وروي أن ابن سيرين رحمه الله تعالى اشترى أربعين جباً سمناً، فأخرج غلامه فأرة من جب، فسأله من أيّ جبّ من الجباب أخرجتها؟ فقال: لا أدري، فصبها كلها.

وروي عن بعض الأئمة أنه كان لايجلس في ظلّ شجرة غريمه ويقول: جاء في الخبر: «كلُّ قرضٍ جرَّ نفعاً فهو ربا»[1].

وقيل: إن أبا يزيد رحمه الله تعالى غسل ثوباً في الصحراء مع صاحب له، فقال صاحبه: نعلق الثياب على جدرانّ الكروم، فقال: لا نغرز الوتد في جدار الناس، فقال: نعلقه على الشجر، فقال: لا إنه يكسر الأغصان، فقال: تبسطه على الإذخر، فقال: لا إنه علف الدّوابّ لا نستره عنها؛ قيل: فولى

---

(١) هو بهذا اللفظ عند البيهقي ٥/ ٣٥٠ من قول فضالة بن عبيد، وإسناده ضعيف. ورُوي بإسنادٍ ضعيف جداً من حديث علي بن أبي طالب مرفوعاً كما في «الإرواء» (١٣٩٨).

ظهره إلى الشمس وحمل القميص على ظهره ووقف حتى جفّ جانبه، ثم قلبه حتى جف الجانب الآخر.

وعن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أنه قال: بتُّ ليلةً تحت صخرة بيت المقدس، فلما كان بعض الليل نزل ملكان، فقال أحدهما لصاحبه: مَنْ هاهنا؟ فقال الآخر: إبراهيم بن أدهم، فقال: ذاك الذي حَطَّ الله درجةً من درجاته، فقال: لِمَ؟ قال: لأنه اشترى بالبصرة التمر، فوقعت تمرة من تمر البقال على تمره، فقال إبراهيم: فمضيتُ إلى البصرة واشتريت التمر من ذلك الرجل وأوقعت تمرة على تمره ورجعت إلى بيت المقدس ونمت تحت الصخرة؛ فلما كان بعض الليل إذا أنا بملكين نزلا من السماء، فقال أحدهما لصاحبه: من هاهنا؟ قال الآخر: إبراهيم بن أدهم، فقال ذاك الذي ردّ الشيء إلى مكانه ورفعت درجته.

وقيل: التقوى على وجوه:

تقوى العامة: ترك الشرك بالخالق؛

وتقوى الخاصة: ترك الهوى بترك المعاصي ومخالفة النفس في سائر الأحوال؛

وتقوى خاصّ الخاصّ من الأولياء: ترك الإرادة في الأشياء والتجرّد في النوافل من العبادات والتعلق بالأسباب، والركون إلى ما سوى المولى، ولزوم الحال والمقام، وامتثال الأمر في جميع ذلك مع أحكام الفرائض؛

وتقوى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يتجاوزهم غيبٌ في غيب، فهو من الله وإلى الله، يأمرهم وينهاهم، ويوفقهم ويؤدبهم ويهذبهم، ويطيبهم ويطبهم، ويكلمهم ويحدثهم، ويرشدهم ويهديهم، ويعطيهم ويهنيهم، ويطلعهم ويبصرهم، لا مجال للعقل في ذلك، فهم في معزل عن البشر بل عن الملائكة أجمع، إلا فيما يتعلق بالحكم الظاهر والأمر المبين الموضوع للأمة وعوامّ المؤمنين، فإنهم يشاركون الخلق في ذلك، وينفردون عنهم فيما سوى ذلك.

وقد يعطى بعض ذلك الكرام من الأبدال والخُلَّص من الأولياء، فتقصر عباراتهم عن ذكر ذلك، فلا تظهر إلى الوجود ولا تدرك بالسمع والحس إلا ما يغلب على اللسان، فتبدر من ذلك كلمة أو كلمات، ثم يتداركه الله بالسكينة والتثبيت وإسبال الستر عليه، فيستيقظ لأمره ويحفظ لسانه ويستغفر الله تعالى مما جرى، ويغير العبارة ويحسن اللفظ على وجه يعقل ويفهم، على ما هو المعهود عند الناس.

(فصـــل)

وطـــريق التقـوى أولاً: التخلص من مظالم العبـاد وحقـوقهم، ثم من المعـاصي الكبـائر منها والصغائر، ثم الاشتغال بترك ذنوب القلب التي هي أمهات الذنوب وأصولها، فمنها يتفرّع ذنوب الجوارح من الرياء والنفاق والعُجْبِ والكِبْرِ والحرص والطمع والخوف من الخلق والرجاء لهم وطلب الجاه والرياسة والتقدم على أبناء جنسه، وغير ذلك مما يطول شرحه.

وإنما يقوى على جميع ذلك بمخالفة الهوى، ثم الاشتغال بترك الإرادة، فلا يختار مع الله شيئاً، ولا يدبر مع تدبيره ولايتخير عليه ولاينصّ على جهة وسبب في رزقه، ولايعترض عليه عزّ وجل في حكمه في خلقه، بل يُسَلِّمُ الكلَّ إليه، ويستسلم بين يديه، ويطرح نفسه لديه، فيصير في يد قدرته كالطفل الرضيع في يد ظئره ودايته، والميت في يد غاسله، مسلوب اختياره، منزوع إرادته، فالنجاة كل النجاة في ذلك. فإن قال قائل: كيف الطريق إلى ذلك؟ قيل له: الطريق إلى ذلك بصدق اللجأ إلى الله عزّ وجل، والانقطاع إليه، ولزوم طاعته بامتثال أوامره وانتهاء نواهيه، والتسليم في قدره، وحفظ الحال وصيانة حدودها أبداً.

واختلفتْ أقاويل الشيوخ في النجاة.

فقال الجنيد رحمه الله تعالى: ما نجا مَنْ نجا إلا بصدق اللجأ إلى الله

عز وجل، قال الله عزّ وجل: ﴿وعلى الثلاثة الذين خُلِّفُوا حتى إذا ضاقَتْ عليهمُ الأرضُ بما رَحُبَتْ وضاقَتْ عليهمْ أنفسهُم وظنّوا أنْ لا ملجأ من اللهِ إلّا إليه﴾ [التوبة: ١١٨].

وقال رويم رحمه الله تعالى: ما نجا من نجا إلا بالصدق والتقوى، قال الله عزّ وجل: ﴿ويُنَجِّي اللهُ الذين اتقوا بِمَفازَتِهِم﴾ [الزمر: ٦١].

وقال الجريري رحمه الله: ما نجا من نجا إلا بمراعاة الوفاء، قال الله تعالى: ﴿الذين يوفون بعهدِ اللهِ ولاينقُضُونَ الميثاقَ﴾ [الرعد: ١٤].

وقال عطاء رحمه الله تعالى: ما نجا من نجا إلا بتحقيق الحياء، قال الله تعالى: ﴿ألم يعلمْ بأنَّ اللهَ يرَىٰ﴾ [العلق: ١٤].

وقال بعضهم: ما نجا من نجا إلا بالحكم والقضاء السابق في علم الله عزّ وجل، قال الله تعالى: ﴿إنَّ الذينَ سَبَقَتْ لهم منّا الحسنى﴾ [الأنبياء: ١٠١]. وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: ما نجا من نجا إلا بالإعراض عن الدنيا وأهلها، قال الله تعالى ﴿إنما الحياةُ الدنيا لَعِبٌ ولهوٌ﴾ [محمد: ٣٦].

وقد ذكر النبيّ ﷺ: «إن حبَّ الدنيا رأسُ كل خطيئة، وماتقرّب المتقرّبون إلى الله بشيء أفضل من أداء ما افترض الله»[1]. وقال: «منذ خلقها الله تعالى ما نظر إليها»[2].

وقال الحسن رحمه الله تعالى: معناه ما نظر إليها بعينِ رحمته من مقتها فهي الحجاب العظيم، وبها يتبين الخالص من المعيب ولايصحّ لمن بقي عليه

---

(١) أخرج البيهقي في «الشعب» (١٠٥٠١) أولَه عن الحسن البصري مرسلاً. وقال السيوطي في «الدرر المنتثرة» (١٨٥): وقد عُدَّ الحديث في الموضوعات. وانظر لزاماً «الأسرار المرفوعة» (١٦٣)، و«المقاصد» ص ١٨٢.

وشطره الآخر في أحاديث منها حديث أبي هريرة عند البخاري (٦٥٠٢)!

(٢) أخرجه البيهقي في «الشعب» (١٠٥٠٠) من طريق موسى بن يسار أنه بلغه أنَّ النبي ﷺ قال . . . فذكره.

منها شيء، الوصول إلى حلاوة مناجاته سبحانه لأنها ضدّ الله وضدّ ما يحب الله .

(فصـــل)

وقد دعا الله عزّ وجل خلقه إلى توحيده وطاعته بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب، فحذر وأنذر وخوّف وزجر إعذاراً إليهم وتأكيداً للحجة عليهم، فقال عزّ وجـل ﴿رُسُلاً مُبَشِّـرينَ ومُنـذِرين لئلا يكونَ للناسِ على اللهِ حُجَّةٌ بعدَ الرُّسُل﴾ [النساء: ١٦٥]. وقال عزّ من قائل: ﴿ولو أنّا أهلكْناهم بعذابٍ من قبلِه لقالوا ربَّنا لـولا أرسلْتَ إلينا رسولاً فَنتبعَ آياتِك من قبل أنْ نَذِلَّ ونَخزى﴾ [طه : ١٣٤]، وقال تعالى في آية أخرى:﴿وما كنا مُعَذِّبين حتى نبعثَ رسولاً﴾ [الإسـراء: ١٥]، وقـال تعالى: ﴿يا أيها الناسُ قد جاءتْكم موعظةٌ من ربِّكم وشفاءٌ لِمَا في الصدور وهدى ورحمةٌ للمؤمنين﴾ [يونس: ٥٧]، وقال جلَّ وعلا في الـتخـويف والتحـذير: ﴿ويُحَـذِّركُمُ اللهُ نَفْسَـهُ واللهُرؤوفٌ بالعبـادِ﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقال تبارك وتعالى: ﴿واعلموا أنَّ اللهَ يعلمُ ما في أنفسِكم فاحْذَروه﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وقال جلت عظمته: ﴿واعلمُوا أنَّ اللهَ بكلِ شيءٍ عليم﴾ [البقـرة: ٢٣١]، وقـال جلت قدرتـه: ﴿واتقـونِ يا أُولي الألبـاب﴾ [البقـرة: ١٩٧]، وقـال سبحـانه وتعالى: ﴿واتقوا اللهَ واعلمُوا أنكم مُلاقُوه﴾ [البقرة:٢٢٣]، وقال تعالى: ﴿واتقوا يوماً تُرجَعونَ فيه إلى اللهِ ثم تُوفىَّ كلُّ نفسٍ ماكَسَبَتْ وهم لايُظلَمـون﴾ [البقـرة:٢٨١]. وقال تعالى: ﴿واتقوا يوماً لا تَجْزي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً ولا يُقبَلُ منها عَدْلٌ ولا تنفَعُها شفاعةٌ﴾ [البقرة:١٢٣]

وقال جل جلاله: ﴿يا أيُّها الناسُ اتَّقوا ربَّكم واخْشَوْا يوماًلا يَجْزي والدٌ عن ولدِه، ولا مولودٌ هو جازٍ عن والدهِ شيئاً، إنَّ وَعْدَ اللهِ حقٌّ فلا تَغُرنَّكمُ الحياةُ الدنيا ولا يَغُرّنَّكم باللهِ الغَرورُ﴾ [لقمان:٣٣]، وقال تعالى: ﴿يا أيُّهاالناسُ اتقوا ربَّكم إنَّ زلـزلـةَ الساعةِ شيءٌ عظيم﴾ [الحج: ١]، وقال عزّ وجل: ﴿ياأيها

الناسُ اتقوا ربكم الذي خَلَقَكم من نفسٍ واحدةٍ وخَلَقَ منها زوجَها، وبَثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً، واتقوا الله الذي تَساءَلونَ بهِ والأرحامَ، إنّ اللهَ كان عليكم رَقيباً﴾ [النساء: ١].

وقال تعالى: ﴿يا أيُّها الذينَ آمنوا اتّقوا اللهَ وقولوا قولاً سديداً﴾ [الأحزاب: ٧٠]، وقال عزّ وجل: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتّقوا اللهَ ولْتَنْظُرْ نفسٌ ما قدّمت لِغَدٍ، واتقوا اللهَ إنّ اللهَ خبيرٌ بما تعملون﴾ [الحشر: ١٨]، وقال تعالى: ﴿واتقوا اللهَ إنّ اللهَ شديدُ العقابِ﴾ [المائدة: ٢]، وقال تعالى: ﴿قُوا أنفسَكُمْ وأهليكم ناراً وَقُودُهَا الناسُ والحِجارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، وقال عزّ وجل: ﴿أفحسِبتم أنما خَلَقْناكمْ عبثاً وأنكم إلينا لا تُرْجَعُون﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وقال جل وعلا: ﴿أيحسَبُ الإنسانُ أن يُتْرَكَ سُدى﴾ [القيامة: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿أفأَمِنَ أهلُ القُرى أنْ يأتِيَهم بأسُنا بَياتاً وهم نائِمون* أو أَمِنَ أهلُ القُرى أنْ يأتِيَهم بأسُنا ضُحىً وهم يلعبون﴾ [الأعراف: ٩٧، ٩٨].

فما جوابك يامسكين عن هذه الآيات وماعملك بها؟ فهل انتهيتَ بها عن اتباع شهواتك الخبيثة المردية لك في الدنيا والآخرة، المُحِلَّةِ لك في دار الشقاء والمهانة التي تحرقك نارها وتنهشك حَيَّاتُها وتلسعك وتلسنك عقاربها وهوامها، وتأكلك ديدانها، وتضربك زبانيتها وخزانها، ويجدد عليك في كل يوم أنواع عذابها وأنتَ فيها مع فرعونَ وهامان ونمرود وقارون والشياطين سواء.

وقال في الترغيب: ﴿ومَنْ يتَّقِ اللهَ يجعلْ له مخرجاً ويرزُقْهُ من حيثُ لايحتسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] وقال تعالى: ﴿ومن يتَّقِ اللهَ يكفرْ عنه سيئاتِه ويُعْظِمْ له أجراً﴾ [الطلاق: ٥] وقال تعالى: ﴿يا أيُّها الإنسانُ ما غرَّكَ بربِّكِ الكريم* الذي خَلَقَكَ فَسَوّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٦، ٧] وقال عزّ وجل: ﴿ألَمْ يأنِ للذينَ آمنوا أنْ تخشعَ قلوبُهم لذكرِ اللهِ﴾ [الحديد: ١٦] فقد رغبك فيما عنده وطلب فضله وسعة رحمته وطيب رزقه والاستراحة إليه والطمأنينة لديه، بسلوك طريق التقوى وملازمته والمواظبة عليه، فبين لك بذلك الطريقَ وأضاء لك المَحجَّة، وضمن لك بعد ذلك غفران الذنوب وتكفير السيئات وعظم

الأجر والجزاء، بقوله عز وجل: ﴿ومَنْ يتَّقِ اللهَ يكفرْ عنه سيئاته ويُعْظِمْ له أجراً﴾ [الطلاق: ٥].

ثم نبهك عن غرّتك به ورقدتك عنه، وتعاميك عن طريقه وتصاملك عن سماع آياته، ومواعظه وزواجره، فقال تعالى: ﴿ماغَرّكَ بربِّكَ الكريمِ ، الذي خَلَقَكَ فَسَوّاكَ فَعَدلَكَ﴾ [الانفطار: ٦، ٧].

فوصف نفسه بالكريم لئلا تزهد في معاملته وتنفر عن مقاربته وتشتغل عنه بخليقته، ثم ذكرك بأنه خلقك وأوجدك من عدمك، وأحياك بعد أن لم تكن شيئاً، وأغناك بعد فقرك، وقواك بعد ضعفك، وبصّرك في مصالحك بعد عماك، وعلّمك بعد جهلك، وهداك بعد ضلالتك.

فما قعودك يا غافل عن طلب فضله الواسع، وما تثبطك عن ملازمة طاعته التي تشرفك في الدنيا وتسعدك في العقبى، وترفعك في الدرجات العلى.

أرضيتَ بالحياة الدنيا، واستبدلتَ الذي هو أدنى بالذي هو خير، وآثرت الدنيا وأبناءها، وما ظهر لك من زينتها التي لا بقاء لها على الفردوس الأعلى، والمرافقة مع الأنبياء والصديقين والشهداء.

أما سمعتَ قوله عزّ وجل: ﴿أرضِيتُم بالحياةِ الدنيا من الآخرةِ، فما متاعُ الحياةِ الدنيا في الآخرةِ إلا قليلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿بل تُؤْثِرُونَ الحياةَ الدنيا* والآخرةُ خيرٌ وأبقى﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧]، وقوله تعالى: ﴿فأما من طغى* وآثرَ الحياةَ الدنيا* فإنَّ الجحيمَ هي المأوى﴾ [النازعات: ٣٧ـ٣٩].

(فصــــل)

واعلم أن دخول النار بالكفر وتضاعفَ العذاب وقسمة الدركات بالأعمال السيئـة والأخـلاق السيئـة، ودخـول الجنـة بالإيمـان وتضاعف النعيم وقسمة الدرجات بالأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة، وأن الله عزّ وجل خلق الجنة

فحشاها بالنعيم ثواباً لأهلها، وخلق النار فحشاها بالعذاب عقاباً لأهلها، وخلق الدنيا فحشاها بالآفات والنعيم محنة وابتلاء، ثم خلق الخلق والجنة والنار في غيب منهم لم يعاينوهما.

فالنعيم والآفات التي في الدنيا هي أنموذج الآخرة ومذاقة ما فيها، وخلق في الأرض من عبيده ملوكــاً، أعـطاهم سلطانـاً أرعب به القلوب وملك به النفوس، فهو أنموذج ومثال لتدبيره وملكه ونفاذ أمره ومعاملته، فجعل خبر ذلك كله تنزيلاً، ووصف الدارين ووصف ملكه وقدرته وتدبيره ومنته وصنائعه وضرب الأمثال على ذلك، ثم قال تعالى: ﴿وتلك الأمثالُ نضربها للناس ومايعقلها إلا العالمون﴾ [العنكبوت: ٤٣].

فالعلماء بالله يفهمون عن الله أمثاله، لأن المثل إنما هو صفة شيء قد شاهدته يريك صفة ماغاب عنك، ويبصرك بما تبصره بعينك لينفذ بصر قلبك إلى ما لا نبصره عينك، فيعقل قلبك ما خُوطبتَ به من خبر الملكوت وخبر الدارين وخبر معاملة ملك الملوك، فليس في الدنيا نعمة ولاشهوة إلا وهي أنموذج الجنة وذوقها، ثم من وراء ذلك فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر، فلو سمي للعباد منها شيء لم ينتفعوا بتلك الأسماء، لأنهم لم يعقلوه هاهنا ولارأوه وليس له أنموذج في الدنيا.

والجنـة مائـة درجـة، وإنما وصف منها ثلاث درجات الذهب والفضة والنور، ثم من وراء ذلك شيء غير معقول ولا تحمله العقول، وكذلك ما في الـدنيا من الشدّة والعذاب فهو أنموذج دار العقاب، ثم من وراء ذلك شيء لا تحمله العقول من ألوان العذاب، كل ذلك يخرج لهم من غضبه ولأهل الجنة من رحمته.

فكل من تناول من عبيده من دنياه ما أبيح له وشكره عليها أبدل له من الجنة ما يدقّ هذا في جنبه، ومن تناول ما لم يبح له فقد حرم نفسه حظها من الدرجات، ومن كذّب بها حرم الجنة بما فيها أجمع.

فلأهل الجنة عرائس وولائم وضيافات، فالعرائس للدعوة وذلك أن ربّ العزة سبحانه دعاهم إلى دار السلام ليجدّد لهم أبداناً طريةً وأعماراً أبدية، والولائم للأزواج والضيافات للزيارة ولأهل الجنة تلاق، وزيارات فيما بينهم، ومتحدث في مواطن الألفة، ومجتمع في ظل طوبى يلقون الرسل هناك ويزورونهم ومجالس الملائكة فيما بينهم سلام الله عليهم أجمعين، وأسواق يأتونها يتخيرون فيها الصور، وهدايا من الرحمن في أوقات الصلوات، يُغْدى ويراح عليهم من ألوان الأطعمة والأشربة والفواكه بكرة وعشياً، أرزاقهم دارة لامقطوعة ولاممنوعة، ومزيد من الله يوماً بيوم، فإذا أتاهم المزيد نسوا ما قبله، ثم لهم مُتَنَزَّهٌ يخرجون إليه في رياض على شاطئ نهر الكوثر، عليه خيام الدرّ مضروبة، والخيمة ستون ميلاً في عرض مثله، من لؤلؤة واحدة ليس لها باب، فيه جوارٍ عبقات، لم ينظر إليهنّ ملك ولا أحد من أهل الجنة من الخدام والحور، وهو قوله عزّ وجل: ﴿فيهنّ خيراتٌ حِسان﴾ [الرحمن: ٧٠] وإذا قال الله لهنّ حسان فمن يقدر أنْ يَصِفَ حُسْنَهنَّ، ثم قال تعالى: ﴿حُورٌ مقصوراتٌ في الخيام﴾ [الرحمن: ٧٢] فتلك خيرة الرحمن اختار صورهنّ الحسان من بين الصور أبدعن من سحائب الرحمة، فإذا أمطرت أمطرت جواري حساناً على مشيئة الكريم، نور وجوههن من نور العرش، ضربت عليهن خيام الدرّ فلم يَرَهُنَّ أحدٌ منذ خلقن، فهنّ مقصورات في الخيام قد قُصِرْنَ: أي حُبِسْنَ على أزواجهن من جميع الخلق، فأهلُ الجنة يتنعمون في القصور مع الأزواج، ويلبثون في النعمة ما شاء الله، حتى إذا كان اليوم الذي يريد الله عزّ وجل أن يُجَدِّدَ لهم نعمةً ونزهة، نُودوا في درجات الجنان يا أهل الجنان، هذا يوم نزهة وسرور وتَفَسُّحٍ وحبور، فاخرجوا إلى مُتَنَزَّهِكُمْ، فيخرجون على خيول الدرّ والياقوت من أبواب مدائنهم إلى تلك الميادين، ثم يسيرون من الميادين إلى تلك الرياض على شاطئ نهر الكوثر، فيهديهم الله إلى منازلهم، فينزل كل رجل منهم عند خيمته ولا باب لها، فتصدع الخيمة عن باب، وذلك بعين وليّ الله تعالى، ليعلمَ أنَّ اِلتي فيها لم يَطَّلِعْ عليها أحد،

وفاءً لما قدَّمَ الله من الوعدِ في دار الدنيا حيث قال: ﴿فيهنّ خيرات حسان﴾ ثم قال تعالى: ﴿حور مقصورات في الخيام﴾ ثم قال عزّ وجل ﴿لم يطمِثْهنّ إنْس قبلهمْ ولاجانٌ﴾ [الرحمن: ٥٦].

فيستوي معها على سرير النزهة في تلك الحجال، فيمال عليهم من وليمتها، فإذا طَعِمُوا الولائمَ سقاهم الله شراباً طهوراً، وتَفكَّهُوا بطرف الفواكه التي جدد الله لهم من تلك الهدايا في ذلك اليوم والحُليِّ والحُلَل، فخلع عليهم كسوة الرحمن، واشتغلوا بالخيرات الحسان، يقضون منهم الأوطار والنهمات، ثم يتحولون إلى مجالس العبقريات الموشّاة بألوان النقوش على شواطئ الأنهار في تلك الرياض، يركبون الرفارف الخضر ويتكئون عليها وهو قوله تعالى: ﴿متَّكِئينَ على رفرفٍ خُضـرٍ وعبقريٍّ حِسَان﴾ [الرحمن: ٧٦] فإذا قال الله لشيء حسان، فماذا بقي، فالرفرف: هو شيء إذا استُويَ عليه رفرف به وأهوى كالأرجوحة يميناً وشمالاً ورفعاً وخفضاً، يتلذذ مع أنيسه، فإذا ركبوا الرفارف أخذ إسرافيل عليه السلام في السماع.

وروي في الخبر: «أنه ليس أحدٌ من خلق الله تعالى أحسن صوتاً من إسرافيل عليه السلام».

فإذا أخذ في السماع قطع على أهل سبع سماوات صلاتهم وتسبيحهم، فاذا ركبوا الرفارف وأخذ إسرافيل في السماع بألوان الأغاني تسبيحاً وتقديساً للملك القدوس، لم يبق في الجنة شجرة إلا وردت، ولم يبق ستر ولا باب إلا ارتجّ وانفتح، ولم يبق حلقة باب إلا طنت بألوان طنينها، ولم يبق أجمة من آجام الذهب والفضة إلا وقع هبوب الصوت في مقاصبها، فزمرت تلك المقاصب بفنون الزمر، ولم تبق جارية من جواري الحور العين إلا غنت بأغانيها والطير بألحانها، فيوحي الله عزّ وجل إلى الملائكة أن جاوبوهم، وأسمعوا عبادي الذين نزّهوا سماعهم عن مزامير الشيطان فيجاوبون بألحان وأصوات روحانية، فتختلط هذه الأصوات فتصير رجة واحدة، ثم يقول الله تعالى: قم يا داود عند ساق عرشي فَمَجِّدْني، فيندفع داود في تمجيد ربه بصوت

يغمر الأصوات ويحليها، وتتضاعف اللذة وأهل الخيام على تلك الرفارف تهوي بهم، وقد حفت بهم أفانين اللذّات والأغاني، فذلك قوله عز وجل: ﴿فهم في روضةٍ يُحبَرونَ﴾ [الروم: ١٥].

قال يحيى بن كثير رحمه الله: الروضة: اللذة والسماع، فبينما هم على لذاتهم وسرورهم إذ انفتح لهم باب الملك القدوس من جنة عدن، فارتجت أصوات صفوف الروحانيين من باب جنة عدن بتماجيد الماجد الكريم إلى درجات الجنان، وثارت ريح عدنية بألوان الطيب والروح والنسيم وهو نسيم القربة، وسطع على أثر ذلك نور فأشرقت منه رياضهم وخيامهم وشواطئ أنهارهم، وامتلأ كل شيء منهم نوراً، ثم ناداهم الجليل جل جلاله من فوق رؤوسهم: السلام عليكم أحبائي وأوليائي وأصفيائي، يا أهل الجنة كيف وجدتم متنزهكم؟ هذا يومكم بدل نيروز أعدائي، طلبوا يوماً من الدنيا ليجددوا على أنفسهم النعمة التي قد كدروها على أنفسهم لخبثهم وشقائهم، فلم ينالوا ما طلبوا من اللذّة، وخسروا في جنب ما طلبوا في العاجل، ولم يتصبروا حتى ينالوا هذا الذي أعددت في الآجل لأهل طاعتي، فأعرضتم عما إليه أقبلوا، وامتنعتم مما فيه تنافس أهل الدنيا، فاليوم يذوقون وبال ما تنافسوا فيه وشيكاً ما انقطع به ما طلبوا من اللذّة والنهمة في دار الفناء، وصاروا إلى الذلّ والهوان، وجزيتم بما صبرتم جنة وحريراً، ومتنزهاً وسلاماً، وهذا يوم نيروزكم ومتنزهكم، وهذا يوم زيارتكم في داري في جنة عدن، وطالما رأيتكم في أيام الدنيا في مثل ذلك اليوم مشتغلين بعبادتي وطاعتي، والمترفون في لهوهم ولعبهم سكارى حيارى عصاة متمرّدين، يتنعمون بحطام الدنيا، ويفرحون بتداولها بينهم، وأنتم تراقبون جلالي وتحفظون حدودي وترعون عهدي وتشفقون على حقوقي، ويفتح لهم باب من أبواب النيران فيفور لهبها ودخانها وصراخ أهلها وعويلهم، لينظر أهل الجنان من هذه المجالس إلى ما منّ الله به عليهم، فيزدادون غبطة وسروراً.

وينظر أهل النار من تلك السجون والمحابس في تلك الأغلال والقيود

فيتحسـرون على ما فاتهم، فيستغيثون بوجوه أهل الجنان إلى الله، وينادونهم بأسمـائهم، فيقـول الله تبـارك اسمـه: ﴿إنَّ أصحابَ الجنةِ اليوم في شُغُلٍ فاكهون* هم وأزواجهم في ظلالٍ على الأرائك متكئون* لهم فيها فاكهةٌ ولهم ما يدَّعون* سلامٌ قولاً من ربٍّ رحيمٍ* وامتازوا اليوم أيها المجرمون* ألم أعْهَدْ إليكم يابني آدمَ ألاّ تعبدُوا الشيطانَ إنه لكم عَدوٌّ مبينٌ، وأنِ اعبدُوني هذا صراطٌ مستقيم﴾ [يّس: ٥٥ ـ ٦١] فتجيش لهم النار فتفرّق جمعهم وينقطع نداؤهم، فترمي بهم إلى جزائر في النار، فإذا أخرجوا إليها دبت إليهم عقاربُ لها أنيابٌ كأمثال النخل، ثم يقبل عليهم سيل من نار من تحت العرش حَشْوُه غضبُ الجبار، فيحملهم فيغرقهم في بحار النيران، وينادي مناد من قبل الله تعالى: هذا يومكم الـذي كنتم تبـارزونني فيه بالعـظائم، وتتمـرّدون عليّ بنعمتي، وتفرحون في دار الأحزان والعبودية بما تضاهون به ما أُعددت لأهل طاعتي، فقد انقطعت عنكم تلك اللذات، فذوقوا وبالَ ما آثرتموه، فإن أهل الجنة قد شُغِلُوا عنكم بالتنعم بالولائم وألوان الفواكه وطرف الهدايا وافْتِضَاضِ العذارى وركوب الرفارف، والتلذذ بالأغاني وألوان السماع وسلامي عليهم وإقبالي بالبرّ واللطف إليهم، والمـزيد ما يستفرغ نعمهم ليتهنوا بنعيمهم ويزدادوا لذّة على لذّتهم، فيا أهل الجنة هذا لكم بدل يوم أعدائي الذين تباشروا وأهدوا إلى ملوكهم وقبلوا هداياهم وأنتم الفائزون.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «قال رجلٌ لرسولِ الله ﷺ: إني رجل قد حُبِّبَ إليَّ الصوت الحسن فهل في الجنة صوتٌ حسن؟ قال ﷺ: إي والذي نفسي بيده، إن الله عزّ وجل ليوحي إلى شجرةٍ في الجنة أن أسمعي عبادي الذين اشتغلوا بعبادتي وذكري عن عزف البرابط والمزامير، فترفع بصوت لم تسمع الخلائقُ بمثله من تسبيح الربِّ وتقديسه»[1].

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» ١٥٣/٥ ونسبه إلى الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول».

وعن أبي قلابة رحمه الله قال: قال رجل لرسول الله ﷺ: «هل في الجنة من ليل؟ قال ﷺ: وماهيَّجكَ على هذا؟ قال: سمعتُ الله عزّ وجل يذكر في الكتاب: ﴿ولهم رزقُهم فيهـا بُكْرَةً وعَشِيّاً﴾ [مريم: ٦٢] فقلت: الليل بين البكرة والعشي، فقال رسول الله ﷺ: ليس هناك ليل إنما هو ضوء ونور، يردُّ الغدوَّ على الرواح والرواح على الغدوّ، ويأتيهم طرف الهدايا من الله لمواقيت الصلوات التي كانوا يصلونها في الدنيا، وتسلم عليهم الملائكة»[1].

فمن أراد أن يكون له حظّ في هذا العيش اللذيذ الدائم، فعليه بحفظ حدود وشروط التقوى، وهي مذكورة في قوله عزّ وجل: ﴿ليس البرّ أنْ تُوَلُّوا وجوهَكُمْ قِبَلَ المشرق والمغرب، ولكن البرَّ مَنْ آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين، وآتى المالَ على حُبِّهِ ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، وأقامَ الصلاةَ، وآتى الزكاة، والمُوفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضرّاء وحين البأس، أولئكَ الذينَ صَدَقُوا وأولئكَ هم المتَّقون﴾ [البقرة: ١٧٧] وعليه بالإتيان بحدود الإسلام وأجزائه.

وروي عن حذيفـة بن اليمان رضي الله عنهما أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ياأيّها الذينَ آمنوا ادخُلوا في السِّلْمِ كافّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨].

الإسلام ثمانية أسهم: الصلاة سهم والزكاة سهم، والصيام سهم، والحج سهم، والعمـرة سهم، والجهـاد سهم، والأمر بالمعروف سهم، والنهي عن المنكر سهم، وقد خاب مَنْ لا سهم له.

وعن عاصم، يعني الأحـول، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ أنه قال: «مَثَلُ الإسلام كمثل الشجرةِ الثابتة، الإيمانُ بالله أصلها، والصلوات الخمس فروعهـا، وصيام رمضـان لحـاؤهـا والحـجّ والعمرة جَنَاها والوضوء والغسل من الجنابة شربها، وبرّ الوالدين وصلة الرحم غصونها، والكفّ

---

(١) حديث مرسـل. ذكـره السيوطي في «الـدر المنثـور» ٢٧٨/٤، ونسبه إلى الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول».

عن محارم الله ورقها، والأعمال الصالحة ثمرها، وذِكْرُ الله عروقها، ثم قال ﷺ: كما لاتَحْسُنُ الشجرةُ ولاتصلح إلا بالورق الأخضر، كذلك لايصلح الإسلام إلا بالكفّ عن المحارم والأعمال الصالحة.»[1].

(فصل: في صفة النار وما أعدّ الله لأهلها فيها، وصفة الجنة وما أعدّ الله لأهلها فيها)

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة واجتمع الخلائق ليوم لاريب فيه في صعيد واحد، غشيتهم ظلمة سوداء لا ينظر بعضهم بعضاً من شدة الظلمة، والخلائق قيام على صدور أقدامهم، وبينهم وبين ربهم عزّ وجل مسيرة سبعين عاماً؛ قال: فبينما هم كذلك إذ تجلى الخالق تبارك وتعالى للملائكة، فأشرقت الأرض بنور ربها، وانجلت الظلمة، فغشي الخلائق كلهم نور ربهم، والملائكة حافون من حول العرش يسبحون بحمد ربهم ويقدّسون له.

قال: فبينما الخلائق قيام كلهم صفوفاً، كل أمة قائمة في ناحية، إذ أُتِيَ بالصحف والميزان، ووضعت الصحف وعُلِّقَ الميزانُ بيد ملك من الملائكة، يرفعه مرة ويخفضه مرة أخرى؛ قال: فبينماهم كذلك إذ كشف الغطاء عن الجنة فأزلفت، فهبت منها ريح، فوجد المسلمون عرفها كالمسك وبينهم وبينها مسيرة خمسمائة عام؛ ثم كشف الغطاء عن جهنم فهبت منها ريح مع دخان شديد، فوجد المجرمون عرفها وبينهم وبينها مسيرة خمسمائة عام ثم جيء بها تقاد موثقة بسلسلة عظيمة عليها تسعة عشر خازناً من الملائكة، مع كل خازن منهم سبعون ألف ملك أعوان له، فيقودها كل خازن منهم مع أعوانه، وسائر الخزان مع أعوانهم يمشون عن يمينها وشمالها وورائها، بيد كل ملك منهم مقمعةٌ من

---

(١) لم أجده.

حديد يصيحون بها، فتمشي ولها زفير وشهيق وَوَغْثٌ وظُلمة ودخان وتَقَعْقُعُ ولهب عالٍ من شدة غضبها على أهلها، فينصبونها بين الجنة والموقف، فترفع طرفهـا، فتنـظر إلى الخـلائق ثم تجمـح إليهم لتـأكلهم، فيحبسهـا خزنتها بسلاسلها، فلو تركت لأتت على كل مؤمن وكافر.

فلما رأت أنها قد حبست عن الخلائق فارت فوراً شديداً ﴿تَكادُ تَمَيَّزُ من الغيظِ﴾[الملك: ٨] ثم شهقت الثانية فتسمع الخلائقُ صوتَ صريفِ أسنانها، فارتعدت حينئذ الأفئدة، وانخلعت القلوب وطارت الأفئدة وشخصت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر؛ قال قائل: يا نبيَّ الله صفها لنا، قال ﷺ: نعم هي مثل هذه الأرض عظماً سبعون جزاء من بعد، سوداء مظلمة لها سبعةرؤوس، لكل رأس منها ثلاثون باباً، طول كل باب منها مسيرة ثلاث ليال، وشفتها العليا تضـرب منخـرها، والشفة السفلى تسحبها، وفي كل منخر من مناخرها وثاق وسلسلة عظيمة، يمسكها سبعون ألف ملك غلاظ شداد كالحة أنيابهم أعينهم كالجمر وألوانهم كلهب النار، يفور من مناخرهم لهب ودخانٌ عالٍ، مستعدين لأمر الجبار تبارك وتعالى.

قال: فحينئذ تستأذن جهنم ربها عزّ وجل في السجود، فيأذن لها في السجود، فتسجد ما شاء الله؛ قال: ثم يقول لها الجبار عزّ وجلّ ارفعي رأسك، قال: فترفع رأسها فتقول: الحمد لله الذي جعلني ينتقم بي ممن عصاه، ولم يجعل شيئاً ممن خلق ينتقم به مني، قال: ثم تقول بلسان طلق ذلق سلق: الحمد لله ما شاء الله من ذلك الحمد بصوت لها جهير، ثم تزفر زفرة فلايبقى ملك مقرَّبٌ ولانبي مرسل ولا أحد ممن شهد الموقف إلا جثا على ركبتيه، ثم تزفر الثانية فلا تبقى قطرة في عين أحد إلا بدرت، ثم تزفر الثالثة فلو كان لكل آدميّ أو جنيّ عمل اثنين وسبعين نبياً لواقعوها، ثم تزفر الرابعة فلا يبقى شيء إلا انقطع كلامه، غير أن جبريل وميكائيل وخليل الرحمن عزّ وجل متعلقون بالعرش، يقول كل واحد منهم: نفسي نفسي لا أسألك غيرها.

قال: ثم ترمي بشـرر كعدد نجوم السماء عظمُ كل شرارةٍ كالسحابة

العظيمة، الطالعة من المغرب، فيقع ذلك الشرر على رؤس الخلائق؛ قال: ثم يُنْصَبُ الصـراطُ عليها، فيهيأ له سبعمائة قنطرة، ما بين كل قنطرتين منها سبعون عاماً؛ وقيل: سبع قناطر، وعرض الصراط من الطبقة الأولى إلى الطبقة الثانية مسيرة خمسمائة عام ومن الثانية إلى الثالثة مسيرة خمسمائة عام، ومن الثالثة إلى الرابعة مثلها، ومن الرابعة إلى الخامسة مثلها، ومن الخامسة إلى السادسة مثلها، ومن السادسة الى السابعة مسيرة خمسمائة عام، وهي أعرضهن وأشدّهنّ حرّاً وأبعدهن قعراً وأكبرهن جمراً وأكثرهن ألواناً بسبعين مرة وأما الطبقة الدنيا فقد جاز لهبها الصراط يميناً وشمالاً في السماء مسيرة ثلاثة أميال، وكل طبقة أشد حرّاً وأكبر جمراً وأكثر في ألوان العذاب من التي فوقها بسبعين جزءاً، في كل طبقة بحر وأنهار وجبال وشجر، طول كل جبل منها في السماء مسيرة سبعين ألف عام، وفي كل طبقة منها سبعون جبلاً، وفي كل جبل منها سبعون ألف شعبة، في كل شعبة منها سبعون ألف شجرة ضريع، لكل شجرة منها سبعون شعبة، على كل شعبة منها سبعون حية وسبعون عقرباً، طول كل حية منها مسيرة ثلاثة أميال، فأما العقارب فكالبخاتي العظام، على كل شجرة منها سبعون ألف ثمرة في كل ثمرة رأس شيطان، في جوف كل ثمرة منها سبعون دودة، طول كل دودة منها مسيرة غلوة، ومنها ثمر ليس فيه دود ولكن فيه شوك.

وكان ﷺ يقول: «إن لجهنم سبعة أبواب، لكل باب منها سبعون وادياً، قعرُ كلٍّ وادٍ منها مسيرة سبعين عاماً، ولكل وادٍ منها سبعون ألف شعبة، في كل شعبة منها سبعون ألف مغارة، وفي كل مغارة سبعون ألف شق، كل شق منها مسيرة سبعين عاماً، في جوف كل شق منها سبعون ألف ثعبان، في شدق كل ثعبان منها سبعون ألف عقرب، لكل عقرب منها سبعون ألف فقارة، في كل فقارة قُلَّةُ سُمٍّ لاينتهي الكافر ولاالمنافق حتى يوافي ذلك كله»[1].

---

(١) قال العراقي في «تخريج الإحياء» ٤/٥١٤: لم أجده هكذا بجملته. وأول جملة منه رُوي عن ابن عمر بإسنادٍ لايصحُّ. ذكره ابن حبان في «المجروحين» ١/٢١١.

قال: فبينما الخلائق جاثون على ركبهم وجهنم تخطّر كما يخطر الجمل المغتلم، قال: فينادي منادٍ بصوت عال، فيقوم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، ثم عرضوا عرضة ردّت فيها المظالم؛ ثم عرضوا الثانية، فتجادلت الأرواح والأجساد وظهرت الأجساد على الأرواح؛ ثم عرضوا على الله الثالثةَ، فطارت الصحف فوقعت في أيدي الخلق، فمنهم من أوتي كتابه بيمينه، ومنهم من أوتي كتابه بشماله، ومنهم من أوتي كتابه وراء ظهره، فأما الذين أوتوا كتابهم بأيمانهم فأُعطوا نوراً من نور ربهم، وهَنَّتهم الملائكةُ بكرامتهم، فجازوا الصراط برحمة ربهم، ودخلوا جنانهم فلقيتهم خُزَّانهم عند أبواب جنانهم بكسوتهم ومراكبهم وبالحلية التي تنبغي لهم، فافترقوا إلى منازلهم وانقلبوا مسرورين إلى قصورهم، فدخلوا على أزواجهم فنظروا إلى ما لاعين رأت وتصف ألسنتهم، ولم تبصر أبصارهم، ولم يخطر على قلوبهم؛ فأكلوا وشربوا ولبسوا حليتهم ثم اعتنقوا أزواجهم ما قدر لهم، ثم حمدوا خالقهم الذي أذهب عنهم حزنهم، وآمنهم من فزعهم، ويَسَّرَ لهم حسابهم، ثم شكروا ما أعطاهم ربهم، فقالوا: ﴿الحمدُ لله الذي هَدانا لهذا وما كنّا لِنهتديَ لولا أنْ هَدانا الله﴾ [الأعراف: ٤٣] فقرّت أعينهم بما تزوّدوا من دنياهم كانوا موقنين مؤمنين مصدقين خائفين راجين راغبين، فعند ذلك نجا الناجون وهلك الكافرون.

وأما الذين أوتوا كتابهم بشمالهم ومن وراء ظهورهم فاسودّت وجوههم وانقلبت زرقاً عيونهم، وَوُسِمُوا على خراطيمهم وعظمت أجسادهم، وغلظت جلودهم وهتفوا بويلهم حين نظروا إلى كتابهم، وعاينوا ذنوبهم، لم يغادروا صغيرةً ولا كبيرة إلا وجدوها مثبتة في كتبهم، فهم كاسِفٌ بَالُهُمْ سيِّئ ظَنُّهُمْ، شديدٌ رعبهم كثير همهم، منكسة رؤوسهم خاشعة أبصارهم خاضعة رقابهم، يسارقون النظر إلى نارهم، لايرتدُّ إليهم طَرْفُهم، لأنهم عاينوا أمراً عظيماً كبيراً مفظعاً جليلاً طاماً مكرباً مفزعاً مرعباً محزناً مخسئاً مهماً للقلوب وللعيون مبكياً، فأقرّوا بالعبودية لربهم واعترفوا بذنوبهم وكان اعترافهم عليهم ناراً وعاراً وتحزناً وشقاء وإلزاماً وسخطاً؛

قال: فبينما القوم بين يدي ربهم عز وجل جاثون على ركبهم بذنوبهم معترفون، زرقاً أعينهم لايبصرون، هاوية قلوبهم فلا يعقلون مرجفة أوصالهم فلايتكلمون، منقطعة أرحامهم فلايتواصلون، ﴿فلا أنسابَ بينهم يومَئذٍ ولا يَتَساءَلون﴾ [المؤمنون: ١٠١].

أصيبوا في أنفسهم فلا ينجبرون، ويسألون الرجعة فلا يجابون، قد أيقنوا بما كانوا يكذبون، فهم عطاش لايروون، وجياع لايشبعون، وعراة لا يكتسون، مغلوبون لا ينصرون، محزونون مسلوبون، مخسورون أنفسهم وأهليهم وأموالهم ومكاسبهم.

قال: فبينما القوم كذلك إذ أمر الله تعالى خزنة جهنم أن يخرجوا منها ومعهم أعوانهم، وأن يحملوا أداتهم من السلاسل والأغلال والمقامع؛ قال: فخرجوا منها على ناحية ينتظرون بماذا يؤمرون، قال: فلما نظر إليهم الأشقياء وعاينوا وثاقهم وثيابهم عضوا أيديهم، فأكلوا أناملهم وهتفوا بويلهم وفاضت دموعهم وزلزلت أقدامهم ويئسوا من كل خير، فيقول: خذوهم فغلوهم ثم الجحيم صلوهم ثم في سلسلة فأوثقوهم، قال: فمن شاء الله أن يلقيه في تلك الأطباق دعا خُزَّانها، فقال لهم: خذوهم فابتدر إلى كل إنسان منهم سبعون ملكاً، فشدّوا وثاقهم وجعلوا الأغلال الثقال في أعناقهم. والسلاسل في مناخرهم، فخنقوا وجمعوا بين نواصيهم وأقدامهم من وراء ظهورهم، فتكسرت أصلابهم.

قال: فلما فعل ذلك بهم شخصت أبصارهم وانتفخت أوداجهم، واحترقت لحوم رقابهم وسلخت عروقهم، واشتعل حَرُّ الأغلال في رؤوسهم، فغلت منها أدمغتهم، ففاضت على جلودهم حتى وقعت على أقدامهم، فتساقطت منها جلودهم واخضرّت منها لحومهم، فسال منها صديدهم؛ قال: فلما جعلت الأغلال في أعناقهم ملأت ما بين مناكبهم إلى آذانهم، فاحترقت لحومهم وتقطعت شفاههم وبدت أنيابهم وألسنتهم بصوت وصراخ، ووهج لها لهب عالٍ يجري حرّها مجرى الدم في عروقهم مجوّفة، ويجري خلالها لهب

النار فيبلغ حرّ تلك الأغلال قلوبهم، فتسلخت حتى بلغت حناجرهم، فاشتد خناقهم وانقطعت أصواتهم وفنيت جلودهم.

قال فبينما هم كذلك أمر الله تعالى خزنة جهنم أن يكسوهم ثياباً، قال: فألبسوهم ثياباً وسرابيل شديداً سوادُها ومنتناً ريحها وخشناً مَسُّها تلظّى من شدّة حرِّها، لو وضعت على جبال الأرض أذابتها، قال: ثم يقول الله عز وجل لخزنة جهنم: سوقوهم إلى منازلهم، قال: فيأتون بسلاسل أخر أطول وأغلظ من اللاتي أُوثقوا فيها، قال: فيأخذ كل ملك سلسلة من تلك السلاسل فيقرن فيها أمة من الأمم، ثم يضع طرفها على عاتقه فيوليهم ظهره، ثم ينطلق بهم مسحوبين على وجوههم، في دبر كل أمة منهم سبعون ألف ملك، يضربونهم بمقامع حتى يأتوا بهم جهنم فيوقفونهم عليها، قال: ثم تقول لهم الملائكة: ﴿هذه النارُ التي كنتم بها تُكَذِّبون* أفَسِحْرٌ هذا أم أنتم لا تُبصِرون* اصْلَوها فاصْبِرُوا أوْ لا تَصْبِرُوا سواءٌ عليكم، إنما تُجْزَوْنَ ماكنتم تعملون﴾ [الطور: ١٤ ـ ١٦].

قال: فلما أوقفوا عليها فتحت لهم أبوابها وكشف عنها غطاؤها، فتسعّرت وألهبت نارها؛ فخرج منها دخان شديد مع شرر كعدد نجوم السماء فطارت إلى السماء مقدار سبعين عاماً، ثم رجع ذلك فوقع على رؤوسهم، فاحترقت أشعارهم وانقلعت جماجمهم؛ قال: ثم صرخت جهنم بأعلى صوتها: إليّ يا أهل النار إليّ، أما وعزّة ربي لأنتقمنّ منكم، ثم قالت: الحمد لله الذي جعلني أغضبُ لغضبه وينتقم بي من أعدائه، ربِّ زدني حَرّاً إلى حَرّي وقوّة إلى قوّتي، قال: فتخرج منها ملائكة أخر، فيستقبل كل أحد منهم أمة من الأمم، فيرفعهم براحته فيكبّهم في جهنم على وجوههم، فيهوون على رؤوسهم مقدار سبعين عاماً من قبل أن يبلغوا رؤوس جبالها؛

قال: وإذا بلغوا رؤوس جبالها لم يتقارّوا عليها حتى يبدل لكل إنسان منهم سبعون جلداً، قال: فأول أكلة يأكلون على رؤوس تلك الجبال أكلة من الزقوم، ظاهرة حرارتها شديدة مرارتها كثير شوكها قال فبينماهم يمضغون أكلتهم تلك،

إذ أتتهم الملائكةُ يضربونهم بمقامعهم فتكسرت عظامهم ثم أخذوا بأرجلهم فألقوهم في جهنم فهووا على رؤوسهم مقدار سبعين عاماً من قبل أن يتقاروا في شعابها، قال: فما تقاروا في شعابها حتى يبدل لكل إنسان منهم سبعون جلداً، قال: وأكلتهم تلك في أفواههم لايستطيعون أن يسيغوها، قال: فتجتمع الأكلة والقلب عند الحلق فيغصّ بها، فيستغيث كل إنسان منهم بالشراب، فإذا في تلك الشعاب أودية تنصبّ إلى جهنّم، قال فينطلقون يمشون حتى يَرِدُوها، فينكبون عليها يشربون منها، قال: فتتقطَّعُ جلود وجوههم فتقع فيها، قال: فلا يستطيعون أن يشربوا منها، قال: فيعرضون عنها إعراضة فتدركهم الملائكة وهم منكبُّون على تلك العيون، فيضربونهم فتكسر عظامهم، ثم يأخذون بارجلهم فيلقونهم في جهنم، فيهوون على رؤوسهم مقدار أربعين ومائة عام في لهب ودخان شديد من قبل أن يتقاروا في أوديتها.

قال: فلا يتقارون في أوديتها حتى يبدل لكل إنسان منهم سبعون جلداً قال: ومنتهى تلك العيون في تلك الأودية، قال: فيشربون منها فإذا هي ماء حميم، فلا يتقار في بطونهم حتى يبدل الله لكل إنسان منهم سبعة جلود، قال: فإذا تقار في بطونهم قطَّعَ أمعاءهم، فخرجت من مقاعدهم وجرى باقيهِ في عروقهم، فذابت لحومهم وتصدعت عظامهم وأدركتهم الملائكة فضربت وجوههم وأدبارهم ورؤوسهم بمقامعهم، لكل مقمع منها ثلاثمائة وستون حرفاً، فإذا ضربت بها رؤوسهم انقلعت جماجمهم وتكسرت أصلابهم، وسحبوا في النار على وجوههم حتى توسطوا جحيمها، فاشتعلت النار في جلودهم وتشعبت في آذانهم، فخرج لهبها من مناخرهم وأضلاعهم، وتفجَّرَ الصديدُ من أجسادهم، وخرجت أعينهم فتعلقت على خدودهم، ثم قرنوا مع شياطينهم الذين كانوا يطيعونهم، وآلهتهم التي كانت مستغاثهم، فألقوا في أماكن ضيقة مقرّنين، فهتفوا بويلهم حتى جيء بأموالهم فأحميت في نارهم، فكويت بها جباههم وجنوبهم ووضعت على ظهورهم فخرجت من بطونهم، فهم أولياء جهنم وقرناء الشياطين والحجارة، وعلقوا بخطاياهم كالجبال ليشتد عليهم

العـذاب، فطولُ أحدهم مسيرة شهر وعرضه مسيرة خمسة أيام وغلظه مسيرة ثلاث ليال ورأسه مثل الأقرع وهو جبل بأقصى الشام، في فيه اثنان وثلاثون نابـاً، قد خرج بعضهـا من رأسـه وبعضها من أسفل لحيته وأنفه مثل الرابية العظيمة، طول شعر رأسه وغلظه مثل شجرة الأرز وكثرته كآجام الدنيا، وشفته العليا قالصة، والسفلىٰ تسعون ذراعاً، وطول يده مسيرة عشرة أيام وغلظها مسيرة يوم، وفخـذه مثـل ورقـان وغلظ جلده أربعـون ذراعـاً بذراعـه، وطول ساقه مسيرة خمس ليال وغلظها مسيرة يوم، كل حدقة له مثل حراء، وهو جبل بمكة، إذا صبّ فوق رأسه القطران اشتعلت فيه النار، فلم تزدد إلا التهابا.

قال: وكان النبي ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده لو أن رجلاً خرج من النار يجرّ سلسلة مغلولة يداه إلى عنقه، في عنقه الأغلال وفي رجليه الكبول، ثم رآه الخلائق لانهزموا عنه وفرّوا منه كل مفرّ، قال: فمن شدة حرّها وغمها وألوان عذابهـا وضيق منازلها، اخضرّت لحومهم وتصدعت عظامهم وغلت أدمغتهم ففـارت على جلودهم، واحتـرقت جلودهم فقـطعت أوصـالهم، فسـال منهـا صديدهم، فتدودت أجسادهم وسمنت ديدانهم وصارت مثل حُمُرِ الوحش، لها أظـافير مثل أظافير النسور والعقبان، تشتد مابين جلدهم ولحمهم وتنهشهم، وتزفر زفرة، وتتردد كما يتردد الوحش المذعور، يأكلن لحمهم ويشربن **دمهم**، ليس لها مأكل ولا مشرب غيرها، ثم تأخذهم الملائكة فتسحبهم على وجوههم على الجمـر والحجارة كأنها أسنة، مستعدين منطلقين بهم إلى بحر جهنم، مسيرة سبعين عاماً، فلا يبلغونه حتى تنقطع أوصـالهم وتبدّل جلودهم كل يوم سبعين ألف مرة، فاذا انتهـوا بهم إلى خزنتها أُخذوا بأرجلهم فدفعوهم فيه، فلا يعلم أحد قعر ذلك البحر إلا الذي حلقه».

وقد قيل: إنه مكتوب في بعض أسفار التوراة: أن بحر الدنيا عند بحر جهنم كعين صغيرة في ساحل بحر الدنيا، قال: فإذا قذفوا فيه ووجدوا مسَّ العذاب قال بعضهم لبعض: كأنما الذي عذّبنا به قبل هذا حلم.

قال: فيغمسون مرة ويرتفعون ويغلي، فتقذفهم سبعين باعاً، بُعْدُ كل

باعٍ كبعد المشرق من المغرب ثم تسوقهم الملائكة بمقامعهم، فيضربونهم بها ويردونهم إلى قعرها مسيرة سبعين عاماً، منها طعامهم وشرابهم فيرتفعون من قعرهـا مقدار أربعين ومائة عام فيريد أحدهم أن يتنفس، فتستقبله الملائكة بمقامعهم متبادرين إليه لضربه، غير أنه يذكر أنه إذا رفع رأسه وقع على رأسه سبعون ألف مقمع لايخطئه شيء منها، فترده سبعين باعاً في قعرها، كل باع كبعد المشرق من المغرب.

قال: فهم فيها ما شاء الله من ذلك، حتى تأكل لحومهم وعظامهم، فتبقى أرواحهم، فيضربهم مَوْجُه سبعينَ عاماً، ثم تنبذهم إلى ساحل من سواحله فيه سبعون ألف مغارة، في جوف كل مغارة سبعون ألف شق، كل شق منها مسيرة سبعين عاماً، في جوف كل شِق منها سبعون ألف ثعبان، طول كل ثعبان منها سبعون ذراعاً، لكل ثعبان منها سبعون ناباً، في كل ناب منها قلة سم، في شدق كل ثعبان منها ألف عقرب، لكل عقرب منها سبعون فقارة، في كل فقارة منها قلة من سم.

قال: فتخـرج أرواحهم من ذلك البحر إلى تلك المغارة، فتجدد لهم أجسـاد وجلود، ويغلون في الحـديد، فتخرج عليهم تلك الحيات والعقارب فتعلق في كل إنسان منهم سبعون ألف حية وسبعون ألف عقرب، فيصبرون، ثم ترتفع إلى ركبهم فيصبرون، ثم ترتفع إلى صدورهم فيصبرون، ثم ترتفع إلى تراقيهم فيصبرون، ثم ترتفع فتعلق بمناخرهم وشفاههم وألسنتهم وآذانهم فيجزعون، وليس لهم مستغاث إلا أن يهربوا إلى جهنم، فيقعوا فيها.

فأما الحيات فتمضغ لحومهم وتنشف دماءهم، وأما العقارب فتلدغهم فتتساقط لحومهم وتقطع أوصالهم، فإذا وقعوا في النار مكثت النار سبعين عاماً لا تحرقهم من سمّ الحيات والعقارب قال: ثم تحرقهم النار سبعين عاماً، ثم تجدد لهم جلود غير جلودهم، ثم يستغيثون بالطعام، فتأتيهم الملائكة بطعام يقال له الوليمة، وهو أشد يبساً من الحديد فيمضغونه فلايستطيعون أن يأكلوا منـه شيئـاً، فيلقونه من أفواههم ويبدءون بأيديهم من شدة الجوع، فيأكلون

أناملهم وأكفهم، فإذا أكلوها بدأوا بسواعدهم فأكلوها أيضا إلى مرافقهم، ثم بدأوا بمرافقهم فأكلوها إلى مناكبهم، فتبقى رؤوس المناكب، ولو نالوا بعدها شيئا من أجسادهم بأفواههم لأكلوه فإذا فعلوا ذلك بأجسادهم أخذوا فنوطوا بعراقيبهم بكلاليب من حديد على شجرة الزقوم.

قال: فنوط منهم سبعون ألفاً في شعبة واحدة فما تنحني مصوّبين على رؤوسهم، فيوقد تحتهم الحميم، فيستقبلُ حرُّ النار وجوههم مقدار سبعين عاماً حتى تذوب أجسادهم وتبقى أرواحهم، ثم تجدد لهم جلود وأجساد، ثم يُناطون بأناملهم ولهب النار من تحتهم، تدخل من مقاعدهم وتأكل من أفئدتهم حتى تخرج من مناخرهم وافواههم ومسامعهم مقدار سبعين عاماً، حتى تذوب عظامهم ولحومهم وتبقى أرواحهم، ثم يتركون ويجدد لهم جلود وأجساد، ثم يناطون بأبصارهم مثلها، فلايزالون يعذبون كذلك حتى لايبقى مفصل في أجسادهم إلا نُوطوا به مقدار سبعين عاما، ولاتبقى شعرة في رؤوسهم إلا نوطوا بها، فيأتيهم الموت من مكان كل مفصل منهم، وما هم بميتين ومن ورائهم عذاب غليظ، فإذا فعل ذلك بهم كله أنزلوهم فانطلقوا بكل إنسان منهم إلى منزله مغلولاً بسلسلة مسحوباً على وجهه.

قال: ولهم منازل فيها كقدر أعمالهم، فمنهم من يُعْطى منزلة مسيرة شهر طولها وعرضها مثل ذلك نار تتوقد لا ينزلها غيره؛ ومنهم من يعطى منزلة مسيرة تسع وعشرين ليلة طولاً وعرضاً، ثم كذلك تنقص منازلهم وتضيق، حتى إنَّ أحدهم ليعطى منزلة مسيرة يوم طولاً وعرضاً ومن نحو سعة منزلهم يعذبون.

فمنهم مَنْ يُعَذَّبُ على القفا، ومنهم من يعذب جالساً، ومنهم من يعذب جاثياً على ركبتيه، ومنهم من يعذب قائماً على رجليه، ومنهم من يعذب منبطحاً على بطنه، فهذه المنازل كلها أضيق على أهلها من زج الرمح، ومنهم من تكون ناره إلى كعبه، ومنهم من تكون ناره إلى ركبته، ومنهم من تكون ناره إلى حقويه، ومنهم من تكون ناره إلى سرّته، ومنهم من تكون ناره إلى ترقوته، ومنهم من تكون ناره غرقاً، فمرّة تعلو به ومرّة تديره فتبلغه مسيرة شهر في قعرها،

فإذا وقعوا في منازلهم قرن كل منهم مع قرنائهم، فبكوا حتى تنزف دموعهم، ثم يبكون الدمَ بعد الدموع، حتى لو أن السفن أرسلت إذا بكوا في دموعهم لجرت.

قال: ولهم يوم يجتمعون فيه في أصل الجحيم، ثم لا تكون جماعة أبداً.

قال: فإذا أذن الله في ذلك اليوم نادى منادٍ في أصل الجحيم يسمع صوته أعلاهم وأسفلهم وأدناهم وأقصاهم يقال له حشر، يقول: يا أهل النار اجتمعوا، فيجتمعون أجمعون في أصل الجحيم، ومعهم الزبانية. قال: فيأتمرون بينهم فيقول الذين استضعفوا للذين استكبروا ﴿إنّا كنّا لكم تَبَعاً﴾ [إبراهيم: ٢١] في الدنيا ﴿فهل أنتم مُغْنُونَ عنّا من عذاب الله من شيء﴾ [إبراهيم: ٢١] قال الذين استكبروا: ﴿إنا كلٌّ فيها إنَّ اللهَ قد حَكَمَ بينَ العبادِ﴾ [غافر: ٤٨] وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا: ﴿لا مَرْحباًبكم﴾ [ص : ٦٠] إيانا تستغيثون؛ قال الذين استضعفوا للذين استكبروا: ﴿بل أنتم لا مَرْحباً بكم، أنتم قدمْتُموه لنا فبئسَ القَرارُ﴾ [ص: ٦٠].

وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا: ﴿ربَّنا مَنْ قدّم لنا هذا فزِدْهُ عذاباً ضِعْفاً في النار﴾ [ص: ٦١] فقال الذين استكبروا للذين استضعفوا: ﴿لو هَدانا اللهُ لهديناكم﴾ [إبراهيم: ٢١] ﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا: بل مَكْرُ الليلِ والنهارِ إذ تأمرُونَنا أنْ نكفرَ باللهِ ونجعلَ له أَنداداً﴾ [سبأ: ٣٣]، فنتبرأ منكم وما كنتم تدعوننا إليه في الدنيا.

قال: ثم أقبلوا أجمعون على قرنائهم من الشياطين، فقالوا: أغويناكم كما غوينا، قال الشيطان عند آخر مقالتهم بصوت له عالٍ: يا أهل النار ﴿إنَّ اللهَ وَعَدَكم وعدَ الحق﴾ [إبراهيم: ٢٢] ودعاكم الله فلم تجيبوه ولم تصدقوا، (و) إني ﴿وَعَدْتكم﴾ وعداً ﴿فأخلَفْتُكم، وماكان لي عليكمْ من سُلطانٍ إلّا أنْ دعوْتُكم فاستَجَبْتُم لي فلا تَلومُوني ولومُوا أنفسَكم، ما أنا بِمُصْرِخِكُمْ وما أنتم بِمُصْرِخِيَّ﴾ [إبراهيم:٢٢] فأنا أكفر اليوم بما عبدتموني من دون الله. قال: ﴿فأذَّنَ مؤذنٌ بينهم: أنْ لعنةُ اللهِ على الظالمين﴾ [الأعراف: ٤٤].

قال: فلعن عند ذلك الذين استضعفوا الذين استكبروا، ولعن الذين استكبروا الذين استضعفوا، ولعنهم قرناؤهم، ثم قالوا لقرنائهم: ياليت بيننا وبينكم بُعْدَ المشرقين، فبئس القرناء أنتم لنا اليوم وبئس الوزراء كنتم لنا في الدنيا، فلما نظروا إلى جماعتهم قال بعضهم لبعض هلموا: فلنطلب الخزنة، فلعلهم يشفعون لنا عند ربهم، فـ﴿يُخَفِّفْ عنّا يوماً من العذاب﴾ [غافر: ٤٩].

قالوا: نعم فنادوا بأجمعهم الخزنة: ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب. قال: وهم على ذلك يعذبون. قال: وبين مراجعة الخزنة إياهم مقدار سبعين عاماً ثم يراجعونهم، فيقولون: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تأتيكُم رُسُلُكم بالبيناتِ قالوا﴾ [غافر: ٥٠] بأجمعهم ﴿بلى﴾ قال الخزنةُ: ﴿فادعوا ومادعاءُ الكافرينَ إلّا في ضَلالٍ﴾ [غافر: ٥٠] قال: فلما رأوا أن الخزنة لاتردّ عليهم خيراً استغاثوا بمالك، فقالوا: يامالك ادع لنا ربك فليقض علينا بالموت، فيمكث مالكٌ مقدار الدنيا لا يجيبهم ولا يردّ عليهم قولاً، ثم يراجعهم فيقول: ﴿إنكم ماكِثونَ﴾ [الزخرف: ٧٧] أحقاباً من قبل أن يقضى عليكم بالموت، فلما رأوا مالكاً لا يردّ عليهم خيراً استغاثوا بربهم، فقالوا: ﴿ربَّنا أخرجْنا منها فإنْ عُدْنَا فإنَّا ظالمون﴾ [المؤمنون: ١٠٧] يعني إن عدنا في معصيتك، قال: فمكث الجبار سبحانه وتعالى مقدار سبعين عاماً لا يراجعهم بقولهم ولايردّ عليهم خيراً، ثم أجابهم بقوله وأنزلهم منزلة الكلاب: ﴿اخسَئُوا فيهاولاتُكَلِّمون﴾ [المؤمنون: ١٠٨] قال فلما رأوا ربهم لا يرحمهم ولايرد عليهم خيراً، قال بعضهم لبعض: ﴿سواءٌ علينا أجَزِعْنا﴾ من العذاب ﴿أم صبرْنا ما لنا من مَحيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١] ﴿فما لنا من شافِعين ولاصديقٍ حميم﴾ [الشعراء: ١٠٠ ـ ١٠١] ﴿فلو أنَّ لنا كرَّةً فنكونَ من المؤمنين﴾ [الشعراء: ١٠٢].

قال: ثم تنصرف بهم الملائكة إلى مساكنهم، فزلت عند ذلك أقدامهم ودحضت حجتهم ونظروا ما عند ربهم عزّ وجل، ويئسوا من رحمة ربهم وتلقَّاهُمُ الكربُ الشديد ونزل بهم الخزي والهوان الطويل، فهتفوا بحسرتهم على ما فرطوا

في دنياهم، وحملوا أوزارهم على رقابهم وأوزار أتباعهم، من غير أن ينقص شيء من أوزارهم وعذابهم أكثر من تراب أرضهم وقطر بحورهم مع زبانية سريع أمرهم غليظ كلامهم عظيمة أجسادهم، كالبرق وجوههم، كالجمر أعينهم كاللهب ألوانهم، كالحة أنيابهم كصياصي البقر أظفارهم، يعني القرون والمقامع الطوال الثقال المحرقة بأيديهم لو ضربوا بها الجبال انصدعت، وكانت رميماً يضربون بها عصاة ربهم فيحقّ لهم أن تسيل أعينهم الدم بعد الدموع، لأنهم إن دعوهم لم يجيبوهم، وإن بكوا لم يرحموهم وإن استغاثوا بماء بارد لم يغيثوهم إلا بماء كالمهل يشوي الوجوه.

وكان النبيّ ﷺ يقول: «إنه لتأتي أهلَ النار سحابة عظيمة كل يوم فتبسط عليهم لها صواعق تخطف أبصارهم، ورعد يقصف ظهورهم، وظلمة لايبصرون معها زبانيتهم، فتنادي السحابة بصوت له جهر: يا أهل النار أما تريدون أن أمطركم؟ فيقولون بأجمعهم: أمطرينا الماء البارد، فتمطرهم ساعة حجارة تقع على رؤوسهم فتقطع جماجمهم، ثم تمطرهم ساعة أخرى أنهاراً من حميمٍ وجمراً كثيراً وشواظاً وخطاطيف من الحديد، ثم تمطرهم ساعة أخرى حياتٍ وعقارب ودوداً وغسلين[1].

قال: فإذا أمطرت في جهنم سجر بحرها فماجت لججها وغضبت، فلم تترك في جهنم سهلاً ولا جبلاً إلا ارتفعت عليه، فتغرق أهل النار أجمعين من غير أن يموتوا.

قال: فتزداد جهنم على من فيها من العصاة غيظاً وحرّاً وزفيراً وشهيقاً ولهباً ودخاناً وظلمة ووعثاً وسموماً وحميماً وجحيماً وسعيراً وشدة على من فيها لنقمة ربها». فنعوذ بالله منها ومن أعمالها ومقارنة أهلها، اللهمّ ربنا وربها لا توردنا حياضها، ولا تجعل في أعناقنا أغلالها، ولا تكسنا من ثيابها، ولا تطعمنا

(١) لم أجده. وهو يشبه الأحاديث الموضوعة.

من زقومهاولا تسقنا من حميمها، ولاتسلط علينا خزنتها، ولاتجعلنا مأكلة لنارها، ولكن جوّزنا برحمتك صراطها واصرف عنا شررها ولهبها حتى تنجينا برحمتك منها ومن دخانها ومن كربها وعذابها، آمين يارب العالمين.

وكان ﷺ يقول: «ولو أن أدنى باب من أبواب جهنم فتح بالمغرب لذابت منه جبال المشرق كما يذوب القطر، ولو أن شرارة من شرر جهنم طارت فوقعت بالمغرب ورجل بالمشرق لغلى دماغه حتى يفور على جسده، وإن أدنى أهل النار عذاباً رجال تحذى لهم نعال من نار فتخرج من مسامعهم ومناخرهم وتغلي منها أدمغتهم، والذين يلونهم يلقون على صخرة من صخور جهنم فينتفضون فيها كما ينتفض الحب من المقلي الحار، وكلما سقطوا من صخرة وقعوا على أخرى»[1].

فأهل النار كلهم يعذّبون على قدر أعمالهم، فنعوذ بالله من أعمالهم ومصيرهم.

قال ﷺ: «وأما عذابُ الذين لايحفظون فروجهم، فَيُنَاطون بفروجهم بقدر ما كانت في الدنيا حتى تذوبَ أجسادهم وتبقى أرواحهم، ثم يُتْركون فَتُجَدَّدُ لهم أجسادُ وجلود، ثم يُعَذَّبُونَ، فيجلد كل إنسان منهم سبعون ألف ملك قدر ما كانت الدنيا حتى تذوب أجسادهم وتبقى أرواحهم، فذلك عذابهم»[2].

وأما عذاب السارق فيقطع عضواً عضواً ثم يجدد، فذلك عذابه غير أنه يتبادر إلى كل إنسان منهم سبعون ألف ملك معهم الشفار.

وأما عذاب الذين يشهدون الزور، فيناطون بألسنتهم، ثم يجلد كل إنسان منهم سبعون ألف ملك حتى تذوب أجسادهم وتبقى أرواحهم.

---

(١) كسابقه.

(٢) كسابقه.

وأما عذاب المشركين، فيجعلون في مغار جهنم ثم يغلق عليهم وفيها حيات وعقارب وجمر كثير ولهب ودخان شديد، يجدّد لكل إنسان منهم كل ساعة سبعون ألف جلد فذلك عذابهم.

وأما عذاب الجبارين المتكبرين، فيجعلون في توابيت من نار ثم يقفل عليهم فتوضع في الدرك الأسفل من النار، قال: فيعذبُ كل إنسان منهم كل ساعة تسعة وتسعين لوناً من العذاب، يجدّد لهم في كل يوم ألف جلد، فذلك عذابهم.

قال: وأما الذين يغلّون فيأتون بغلولهم ثم يلقى بهم في بحر جهنم ثم يقال لهم غُوصوا حتى تخرجوا غلولكم لينتهوا إلى قعره، ولايعلم قعره إلا الذي خلقه؛ قال: فيغوصون ما شاء الله، ثم يخرجون رؤوسهم يتنفسون فيبتدر إلى كل إنسان منهم سبعون ألف ملك، مع كل ملك مقمع من الحديد فيهوي بها إلى رأسه، فذلك عذابهم أبداً.

قال: وكان النبي ﷺ يقول: «إن الله قضى على أهل النار أنهم لابثون فيها أحقاباً، فلا أدري كم من حقب، غير أن الحقب الواحد ثمانون سنة، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً، واليوم ألف سنة مما تعدون»[1].

فالويل لأهل النار، والويل لتلك الوجوه التى كانت لا تصبر على حرّ الشمس حين تلفحها النار، وويل لتلك الرؤوس التي كانت لا تصبر على الصداع حين يصبّ فوقها الحميم، وويلٌ لتلك الأعين التي كانت لا تصبر على الرمد حين تزرق وتشخص في النار، وويل لتلك الآذان التي كانت تسمع الأحاديث تتلذّذها حين يفور منها لهب النار، وويل لتلك المناخر التي كانت

(١) حديث موضوع. أخرجه ابن عدي ١١٣٤/٣، وابن الجوزي في «الموضوعات» ٢٦٧/٣ من حديث ابن عمر. وقال ابن عدي: هذا حديث منكر جداً. وانظر «تنزيه الشريعة» ٣٨٦/٢، ونسبه إلى البزار أيضاً.

تجـزع من ريح الجيف حين تنشقت بالنار، وويل لتلك الأعناق التي كانت لا تصبر على الوجع حين يجعل فيها الأغلال، وويل لتلك الجلود التي كانت لا تصبر على اللباس الخشن حين يجعل عليها ثياب من نار خشن مَسّها، منتن ريحها تتلظى ناراً، وويل لتلك البطون التي كانت لاتصبر على الأذى حين يدخلها الزقوم مع ماء حميم يقطع أمعاءهم، وويل لتلك الأقدام التي كانت لاتصبـر على الحفـا حين تحذى لها نعال من نار، فويلٌ لأهل النار من أصناف العذاب، اللهمّ بحقّ هذا العلم العظيم وفضلك العميم لا تجعلنا من أهلها.

(فصـــل)

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ كان يقول: «إن لجسر جهنم سبع قناطر، بين كل قنطرتين سبعون عاماً، وعرضُ الجسر كحدِّ السيف، فيجـوز عليه أول زمرة من الناس سراعاً كطرف العين، والزمرة الثانية كالبرق الخـاطف، والـزمـرة الثالثة كالريح العاصف، والزمرة الرابعة كالطير، والزمرة الخـامسة كالخيل، والزمرة السادسة كالرجل المسرع، والزمرة السابعة يمرّون عليه مشاة، ثم يبقى رجل واحد فهو آخر من يمرّ على ذلك الجسر، فيقال له: مُرَّ فيضعُ عليه قدميه فتزلُّ إحداهما، ثم يركبه فيحبو على ركبته، فتصيب النار من شعره وجلده؛ قال: فلا يزال يترجرج على بطنه فتزلّ قدمه الأخرى وتثبت يده وتتعلق الأخرى، وهو على ذلك تصيبه النار، وهو يظن أنه لا ينجو منها، فلايزال يترجرج على بطنه حتى يخرج منها؛ فإذا خرج منها نظر إليها فقال: تبارك الذي أنجاني منك، ما أظنّ أن ربي أعطى أحداً من الأولين والآخرين مثل ما أعطاني، إنه نجاني منكِ، بعد إذ رأيت ولقيت.

قال: فيأتيه ملك من الملائكة فيأخذ بيده فينطلق به إلى غدير بين يدي باب الجنـة، فيقـول له الملك: اغتسـل في هذا الغدير واشرب منه، قال: فيغتسل ويشرب منه، فيعود له ريح أهل الجنة وألوانهم، ثم ينطلق به فيوقفه

على باب جهنم ويقول له: قف هاهنا حتى يأتيك إذنك من ربك عزّ وجلّ؛ قال: فينظر إلى أهل النار ويسمع عواءهم كعواء الكلاب، قال: فيبكي فيقول: يا ربّ اصرف وجهي عن أهل النار، لا أسألك يا ربّ غيره، قال: فيأتيه ذلك الملك من عند ربّ العالمين عزّ وجلّ، فيحوِّل وجهه عن النار إلى الجنة؛ قال: وبين مقامه إلى باب الجنة خطوة، فينظر إلى باب الجنة وعرضه، وإن ما بين عضادتي باب الجنة مسيرة أربعين عاماً للطير المسرع.

قال: فيسأل ذلك الرجلُ ربَّهُ عزوجل فيقول: ياربّ إنك قد أحسنت إليّ الإحسان كله أنجيتني من النار وصرفت وجهي عن أهل النار إلى الجنة، إنما بيني وبين باب الجنة خطوة فأسألك ياربّ بعزّتك أن تدخلني الباب، ولا أسألك غيره، ولكن اجعل بيني بين أهل النار حجاباً، فلا أسمع حسيسها، ولا أرى أهلها؛ قال: فيأتيه ذلك الملك من عند ربّ العالمين، فيقول: يا ابن آدم ما أكذبك ألستَ زعمتَ أنك لا تسأل غيره.

قال عليه السلام فيقول: ويحلف لا وعزّة الربّ لا أسأل غيره، فيأخذه بيده فيدخله الباب، ثم ينطلق الملك إلى ربّ العالمين عزّ وجل؛ قال: فينظر ذلك الرجل في الجنة عن يمينه وشماله وبين يديه مسيرة سنة، فلا يرى أحداً غير الشجر والثمر وبين مقامه إلى أدنى شجرة خطوة، قال فينظر إليها فإذا أصلها ذهب وغصنها فضة بيضاء، وورقها كأحسن حلل رآها آدمي، وثمارها ألين من الزبد وأحلى من العسل وأطيب ريحاً من المسك، قال: فتحير ذلك الرجل مما رأى، قال: فيقول يا ربّ نجيتني من جهنم وأدخلتني باب الجنة فأحسنت إليَّ الإحسان كله، وإنما بيني وبين هذه الشجرة خطوة لا أسألك غيرها، قال: فيأتيه ذلك الملك فيقول: ما أكذبكَ يا ابن آدم ألست زعمت أنك لا تسأل غيرها زيادة، فما لك تسأل، وأين ما أقسمت ألا تستحي؟ قال: فيأخذ بيده فينطلق به إلى أدنى مَنازِلـه فإذا هو بقصر من لؤلؤ بين يديه على مسيرة سنة، قال: فإذا أتاه نظر إلى ما بين يديه فرأى منزلاً كأنما كان ذلك القصر وما وراءه معه حلماً، فلا يملك نفسه حين ينظر إليه فيقول: يا ربّ أسألك هذا المنزل ولا

أسألك غيره؛ قال: فيأتيه ملك من الملائكة فيقول: يا ابن آدم أما أقسمت بربك عليك أن لا تسأل غيره ما أكذبك يا ابن آدم هو لك فإذا أتاه نظر إلى منزل آخر بين يديه كأنما كان منزله معه حلماً، قال فيقول: يا رب أسألك هذا المنزل؛ قال فيأتيه ذلك الملك فيقول له: يا ابن آدم ما لك لا توفي بالعهد، ألست زعمتَ أنك لا تسأل غيره؟ ولا يلومه لأنه يرى ما تكاد نفسه تخرج منه من العجائب، قال: فيقول: هو لك، قال فإذا بين يديه منزل آخر: كأنما كانت معه تلك المنازل حلماً، فيبقى مبهوتاً لا يستطيع أن يتكلم.

قال: عليه الصلاة والسلام: فيقول له رسول الله ﷺ: ما الك لا تسأل ربك فيقول: ياسيدي صلى الله عليك، والله لقد حلفتُ لربّ العزة حتى خشيت منه وسألته حتى استحييتُ؛ قال: فيقول له ربّ العزة جلّ جلاله: أيرضيك أن أجمع لك الدنيا منذ يوم خلقتها إلى يوم أفنيتها ثم أضعفها لك عشرة أضعاف؟ قال: فيقول ذلك الرجل: يا ربّ أتهزأ بي وأنت ربّ العالمين؟ قال: فيقول له ربّ العزّة جلّ وعلا: إني لقادر أن أفعله فاسألني ما شئت، قال: فيقول الرجل يا ربّ ألحقني بالناس، قال: فيأتيه ملك فيأخذ بيده، فينطلق به يمشي في الجنة حتى يبدو له شيء كأنه لم يكن رأى معه شيئاً فيخرّ ساجداً، ويقول في سجوده: إن ربي عزّ وجل تجلى لي، فيقول له الملك: ارفع رأسك إن هذا منزلك وهو أدنى منازلك، قال: فيقول: لولا أن الله عزّ وجل حبس بصري لحار من نور هذا القصر؛ قال، فينزل في ذلك القصر فيلقاه رجل إذا رأى وجهه وثيابه يبقى مبهوتاً يظن أنه مَلَك، فيأتيه ذلك الرجل فيقول: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، لقد آن لك أن تجيء، فيردّ عليه السلام ثم يقول له: من أنت ياعبدالله؟ فيقول: أنا قهرمان لك وأنا على هذا المنزل ولك مثلي ألف قهرمان، كل واحد منهم على قصر من قصورك، ولك ألف قصر في كل قصر ألف خادم وزوجة من الحور العين.

قال: فيدخل في قصره ذلك فإذا هو بقبة من لؤلؤة بيضاء وفي جوفها سبعون بيتاً، في كل بيت سبعون غرفة، لكل غرفة سبعون باباً، لكل باب منها

قبة من لؤلؤ فيدخل تلك القباب فيفتحها ولم يفتحها أحد من خلق الله قبله، فإذا هو في جوف تلك القبة بقبة من جوهرة حمراء طولها سبعون ذراعاً، لها سبعون باباً، كل باب منها يفضي إلى جوهرة حمراء على مثل طولها لها سبعون باباً، ليس منها جوهرة على لون صاحبتها، في كل جوهرة أزواج ومناصّ وأسرّة؛ قال: فإذا دخل وجد فيها زوجة من الحور العين، فتسلم عليه فيرد عليها السلام ثم يقوم مبهوتاً، فتقول له: قد آن لك أن تزورنا وأنا زوجتك، قال: فينظر في وجهها فيرى وجهه في وجهها كما يرى أحدكم وجهه في المرآة من الحسن والجمال والصفوة، فإذا عليها سبعون حلة في كل حلة سبعون لوناً ليس فيها لون على لون صاحبتها يرى مخ ساقها من ورائها، لا يعرض عنها إعراضة إلا ازدادت حسناً في عينه سبعين ضعفاً، فهي له مرآة وهو لها مرآة.

قال: وإن لكل قصر منها ثلثمائة وستين باباً، على كل باب ثلثمائة وستون قبة من لؤلؤة وياقوتة وجوهرة ليس منها قبة على لون صاحبتها، فإذا أشرف على ظهر القصر أشرف على ملكه مسيرة من الأرض ما ينفذ بصره، فيها، إذا سار فيه سار في ملكه مائة سنة لا ينتهي إلى شيء فيه إلا نظر فيه أجمع ، وإن الملائكة تدخل عليه في كل قصوره من كل باب بالسلام والهدايا من عند ربّ العالمين؛ ليس منهم ملك إلا ومعه من الهدايا ما ليس مع الآخر كل يوم في النهار تسلم عليه الملائكة معها الهدايا. وتصديق ذلك في كتاب الله عزّ وجل يقول: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب* سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤] وقال تعالى: ﴿ولهم رِزقُهم فيها بكرةً وَعشِياً﴾ [مريم: ٦٢].

وكان ﷺ يقول: «إن هذا الرجل يسميه أهل الجنة المسكين لفضل منازلهم على منزله وإن لهذا المسكين ثمانين ألف خادم في طعامه إذا اشتهى الطعام نصبوا له مائدة من موائدها من ياقوتة حمراء ممنطقة من ياقوتة صفراء محفوفة بالدر والياقوت والزبرجد وقوائمها من لؤلؤ حافتها عشرون ميلاً. قال: فيوضع له عليها من الطعام سبعون لوناً، ويقوم بين يديه ثمانون خادماً مع كل

خادم منهم صحفة فيها طعام وكأس فيه شراب، في كل صحفة من الطعام ما ليس في الأخرى، وفي كل كأس شربة ما ليس في الأخرى، يجد طعم أوّلها كطعم آخرها، ويجد لذّة آخرها كلذّة أوّلها، يشبه بعضه بعضاً، وليس منها لون إلا وهو يصيب منه، وليس خادم إلا ويعطى حظه من ذلك الطعام والشراب إذا رفع من بين يديه»[1].

وكان النبيّ ﷺ يقول: «وإن أهل الدرجة العليا يزورونه ولا يزورهم، وإن أهل الدرجة العليا ليسعى على كل رجل منهم ثمانمائة ألف خادم، وبيد كل خادم منهم صحفة فيها طعام ليس في الأخرى، وليس منها لون إلا وهو يصيب منه، وليس منهم خادم إلا ويعطى حظه من ذلك الطعام والشراب إذا رفع من بين يديه، وما منهم من أحد إلا وله اثنتان وسبعون زوجة من الحور العين وآدميتان، لكل زوجة منهنّ قصر من ياقوتة خضراء ممنطقة بحمراء، فيها سبعون ألف مصراع، لكل مصراع قبة من لؤلؤة، وليس منها زوجة إلا وعليها سبعون ألف حلة في كل حلة سبعون ألف لون، ليس منها حلة تشبه الأخرى، وليس منهنّ زوجة إلا بين يديها ألف جارية قيام لحوائجها، وسبعون ألف جارية لمجلسها، وما منهنّ جارية إلا وقد أشغلتها في حاجتها، ، إذا قرب إليها الطعام قام بين يديها سبعون ألف جارية، كل جارية منهنّ بيدها صحفة فيها من الطعام، وكأس فيها من الشراب ما ليس في الأخرى»[2].

وكان ﷺ يقول: «يشتاق الرجلُ إلى أخٍ له كان يحبه في الله عزّ وجلّ في الدنيا، فيقول: يا ليت شعري ما فعل أخي فلان شفقةً عليه أن يكون قد هلك، فيطلع الله عزّ وجلّ على ما في قلبه، فيوحي إلى الملائكة أن سيروا بعبدي هذا إلى أخيه، فيأتيه الملك بنجيبة عليها رَحْلُها من مياثر النور، قال:

---

(١) لايصحُّ بطوله. ولكن وَرَدَ بعضُ أولِهِ عندَ البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة...

(٢) أخرجه أحمد ٢/٤٣٠ ـ ٤٣١، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٤٥٠) من حديث أبي هريرة قريباً منه. وإسناده ضعيف.

فيسلم عليه، فيردّ عليه السلام ويقول له: قم فاركب وانطلق إلى أخيك، قال: فيركب عليها، فيسير في الجنة مسيرة ألف عام أسرع من أحدكم إذا ركب بنجيبة فسار عليها فرسخاً، قال: فلا يكون شيء أسرع حتى يبلغ منزل أخيه، قال: فيسلم عليه، فيردّ عليه السلام ويرحب به؛ قال: فيقول: أين كنت يا أخي لقد كنت أشفقت عليك؟ قال: فيعتنق كل واحد منهما صاحبه ثم يقولان: الحمد لله الذي جمع بيننا، فيحمدان الله عزّ وجلّ بأحسن أصوات سمعها أحد من الناس؛ قال: فيقول الله عزّ وجل لهما عند ذلك: ياعبديَّ ليس هذا حين عمل، ولكن هذا حِينُ تحيةٍ ومسألة، فاسألاني أعطيكما ما شئتما، فيقولان: يا ربّ اجمع بيننا في هذه الدرجة، قال: فيجعل الله عزّ وجلّ تلك الدرجة مجلسهما في خيمة محفوفة بالدرّ والياقوت، ولأزواجهما منزل سوى ذلك؛ قال: فيشربون ويأكلون ويتمتعون»[1].

وكان ﷺ يقول: «إن الرجل منهم ليأخذ لقمة فيجعلها في فيه، ثم يخطر بباله طعام آخر، فتتحوّل تلك اللقمة إلى الذي تمنّى، قيل: يا رسول الله ما أرض الجنة؟ قال: أرضها رخامة من فضة ملساء، وترابها مسك، وتلالها زعفران، وحيطانها درّ وياقوت وذهب وفضة، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، وليس في الجنة قصر إلا يرى ظاهره من باطنه، وباطنه من ظاهره، وليس في الجنة رجل إلا وهو يلبس إزاراً ورداء وحللاً غير مقطعة وغير مخيطة، وليس منهم رجل إلا وهو يلبس تاجاً من لؤلؤ مجوّفاً بالدرّ والياقوت والزبرجد له ضفيرتان من الذهب، في عنقه طوق من ذهب محفوف بالدر والياقوت الأخضر، وفي يد كل رجل منهم ثلاث أسورة: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ، تحت تيجانهم أكاليل من در وياقوت، وعلى حللهم تلك يلبسون السندس، وعلى السندس الإستبرق والحرير الأخضر، متكئين على فرش بطائنها من إستبرق، وظواهرها العبقريّ الحسان، أسرتها من ياقوت أحمر وقوائمها اللؤلؤ

---

(١) نقله العجلوني في «كشف الخفاء» ١/٨١ بطوله عن المؤلف.

على كل سرير منها ألف مثال، لكل مثال سبعون لوناً، ليس منها مثال يشبه الآخر، بين يدي كل سرير منها سبعون ألف زربية لكل زربية سبعون لوناً، ليس منها زربية تشبه صاحبتها، عن يمين كل سرير منها سبعون ألف كرسي، وعن شمالها مثل ذلك، ليس منها كرسي يشبه الآخر».

وكان ﷺ يقول: «إن أهل الجنة أجمعين أعلاهم وأسفلهم على طول آدم، وطول آدم عليه السلام ستون ذراعاً شباباً جُرْداً مُرْداً مكحّلين محممين هم ونساؤهم على قدر واحد[1].

قال: فلما فعل ذلك بهم، نادى منادٍ في الجنة، فيسمع صوته أعلاهم وأدناهم وأقصاهم، فيقول: ياأهل الجنة أرضيتم منازلكم؟ فيقولون بأجمعهم: نعم والله، لقد أنزلَنا ربنا منزل الكرامة، لا نبغي عنها حِوَلاً ولا بها بدلاً، رضينا بربنا جاراً؛ اللهم ربنا فإنا سمعنا مناديك فأجبناه القول الصادق، اللهم ربنا فإنا اشتهينا النظر إلى وجهك فأرناه، فإنه أفضل ثوابنا عندك؛ قال: فأمر الله عزّ وجلّ عند ذلك الجنة فيها منزله ومجلسه، واسمها دار السلام، خذي زينتك، وتزيني واستعدّي لزيارة عبادي فاستمعت لربها وأطاعته قبل أن تنقضي الكلمة، وأخذت زينتها واستعدّت لزوّار الله تعالى، فيأمر الله تعالى ملكاً من الملائكة أن ادعُ عبادي إلى زيارتي؛ قال: فيخرج ذلك الملك من عند الرحمن، فينادي بأعلى صوته، بصوتٍ له لذيذ ممدود يقول: يا أهل الجنة، يا أولياء الله زوروا ربكم.

قال: فيسمع صوته أعلاهم وأسفلهم، فيركبون على النوق والبراذين بأجمعهم، فيسيرون في ظلّ إلى جنب تلال من مسك أبيض وزعفران أصفر،

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٢٩٥ و٣٤٣، وابن عدي ٥/١٨٤٢، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٥٥) من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «يدخُلُ أهلُ الجنة جرداً مرداً بيضاً جعاداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم ستون ذراعاً في عرض سبع أذرع». وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف.

فيسلمون عند الباب، وتسليمهم أن يقولوا: السلامُ علينا من ربنا، فيستأذنون فَيُؤْذَنُ لهم، فيعمدون فيدخلون الباب، فتهبّ ريح من تحت العرش اسمها المثيرة، فتنسف تلال المسك والزعفران، فتغبر جيوبهم ورؤوسهم وثيابهم، فيدخلون وينظرون إلى عرش ربهم وكرسيه نوراً يتلألأ عليهم من غير أن يتجلى لهم، فيقولون: سبحانك ربنا قدّوس، ربّ الملائكة والروح، تباركت وتعاليت، أرنا ننظر إلى وجهك، قال: فيأمر الله عزّ وجلّ الحجب التي من نور: أن اعتزلي، فلا يزال يرتفع حجاب وراء حجاب حتى يرتفع سبعون حجاباً، كُلُّ حجاب هو أشدّ نوراً من الذي يليه سبعين ضعفاً، فيتجلى لهم ربّ العزّة عزّ وجلّ، فيخرّون له سُجّداً ما شاء الله، يقولون وهم ساجدون: سبحانك لك الحمدُ والتسبيح أبداً، أنجيتنا من النار، وأدخلتنا الجنة، فنعم الدار رضينا عنك الرضا كله، فارض عنا، فيقول تبارك وتعالى: إني قد رضيتُ عنكم الرضا كله، وليس هذا أوان عمل، ولكن هذا حينُ نضرة ونعيم، فاسألوني أعطكم، وتمنوا عليّ أزدكم.

قال: فيتمنون من غير أن يتكلموا، فيتمنون أن يديم لهم ما أعطاهم، فيقول تعالى: إني معطيكم الذي تمنيتم ومثل الذي أعطيتكم.

قال: فيرفعون رؤوسهم بالتكبير، ولا يستطيعون أن يرفعوا أبصارهم إلى ربهم عزّ وجلّ من شدّة نور ربّ العزّة، وذلك المجلس يسمى شرقي قبة عرش ربِّ العالمين، فيقول لهم ربُّ العزّة مرحباً يا عبادي وجيراني وأصفيائي وأحبائي وأوليائي وخِيرتي من خلقي وأهل طاعتي، قال: فإذا بين يدي عرش رب العزّة منابر من نور، من دون تلك المنابر كراسي من نور، من دون تلك الكراسي الفرش، ودون الفرش النمارق، ودون النمارق الزرابي؛ قال: فيقول لهم ربّ العزّة: هلمَ اجلسوا على كرامتكم، فيتقدم الرسل فيجلسون على تلك المنابر، ويتقدم الأنبياء فيجلسون على تلك الكراسي، ويتقدم الصالحون فيجلسون على تلك الزرابي.

قال: فتوضع لهم موائد من نور، على كل مائدة سبعون لونا مكللة باللؤلؤ

والياقوت، قال: فيقول ربّ العزّة لحفدته أطعموهم، قال: فيوضع لهم على كل مائـدة سبعون ألف صحفة من درّ وياقوت، وفي كل صحفة سبعون لوناً من الـطعام، قال: فيقول عزّ وجلّ: كلوا يا عبادي، قال: فيأكلون ما شاء الله من ذلك؛ قال: فيقول بعضهم لبعض: إن طعامنا اليوم الذي عند أهلنا عند هذا حلم؛ قال: فيقـول ربّ العـزّة لحفدته اسقوا عبادي؛ قال: فيأتونهم بشراب فيشربون منه، فيقول بعضهم لبعض: إن شرابنا عند هذا الشراب حلم؛ قال: فيقول ربّ العزّة لحفدته: أطعمتموهم وسقيتموهم ففكهوهم الآن، قال: فيأتون بفاكهة فيأكلون منها، فيقول بعضهم لبعض: إن فاكهتنا عند هذه حلم؛ قال: فيقول ربّ العزّة سبحانه أطعمتموهم وفكهتموكم وسقيتموهم اكسوهم وحَلُّوهم، قال: فيأتونهم بكسوة وحلية يُكسَوْنَها، فيقول بعضهم لبعض: إن كسوتنا وحليتنا عند هذه حلم

قال: فبينما هم جلوس على كراسيهم بعث الله عزّ وجلّ عليهم ريحاً من تحت العرش تسمى المثيرة، فتأتيهم بمسك وزعفران وكافور من تحت العرش أشدّ بياضاً من الثلج، فتغبر ثيابهم ورؤوسهم وجيوبهم فتطيبهم، ثم تُرفع عنهم الموائد مع ما عليها من الطعام؛ قال عليه الصلاة والسلام: فيقول لهم ربّ العزة سلوني الآن أعطكم وتمنوا عليّ أزِدْكُمْ، قال: فيقولون بأجمعهم: اللهمّ ربنا فإنا نَسألك رِضاكَ عنا، فيقول عزّ وجلّ: إني قد رضيت يا عبادي عنكم، قال فيخـرّون له سجداً بالتسبيح والتكبير، فيقول ربّ العزة: يا عبادي ارفعوا رؤوسكم ليس هذا حين عمـــل هذا حينُ نضرة ونعيم، قال فيرفعـون رؤوسهم ووجوههم مشرقة من نور ربهم، قال: فيقول ربّ العزّة عزّ وجلّ: انصرفوا إلى منازلكم.

قال: فيخـرجـون من عند ربهم، ثم تلقاهم غلمانهم بدوابهم، قال: فيركب كل واحد منهم على ناقته أو برذونه، ويركب معه سبعون ألف غلام على مثل الذي يركب، فيسير من شاء منهم بالسواء إلى داره، ثم يسير معه سائرهم حتى يقدم القصر الذي يريد؛ قال: فإذا جاء قصره فدخل على زوجته قامت

إليه فرحبت به وقالت له: جئتني ياحبيبي، جئتني بحسن ونور وجمال وكسوة وريح وحلية لم أفارقك عليها؛ قال: فينادي ملَك من عند الرحمن عزّ وجلّ بصوت عال فيقول: يا أهل الجنة كذلك أنتم أبداً، يُجدَّدُ لكم النعيم قال: ﴿والملائكةُ يدخُلونَ عليهم منْ كُلِ بابٍ سلامٌ عليكم بما صَبَرْتُم فَنِعْمَ عُقْبَى الدارِ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤] إن ربكم يقرأ عليكم السلام ومعهم من الأطعمة والأشربة والكسوة والحلية».

وكان ﷺ يقول: «إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين أمير يرون له الفضيلة والسؤدد، فيها جبال من مسك أبيض وزعفران أصفر، إذا أكلوا طعامهم تجشّوا أطيبَ من المسك، فإذا شربوا شرابهم رشحت جلودهم المسك لا يتغوّطون ولا يهريقون الماء ولا يبصقون ولا يمتخطون ولا يمرضون ولا يصّدَّعون»(١).

وكان ﷺ يقول: «أهل الجنة أعلاهم وأسفلهم يتغدون متكئين ساعتين، ويتفاضلون ساعتين، ويمجِّدون خالقهم أربع ساعات، ويتزاورون ساعتين، وفيها ليل ونهار وظلمة، ليلها أشدّ بياضاً من النهار، اليوم سبعين جزءًا».

وكان ﷺ يقول: «إن أدنى أهل الجنة عطية مَنْ لو نزل عليه الإنسُ والجن لكان عنده من الكراسي والفرش والنمارق والزرابي ما يجلسون ويتكئون عليه، ويفضل عليهم من الموائد والصحائف والخدم والطعام والشراب إلا كقدر

---

(١) لم أجده بطوله. ولكن أخرجه البخاري (٧٤٢٣) من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «إن في الجنةِ مئةً درجة أعدَّها الله للمجاهدين في سبيله».

وأخرجه البخاري ب (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤) من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «إنَّ أولَ زمرةٍ يدخلون الجنةَ على صورةِ القمرِ ليلةَ البدر، والذين يلونَهم على أشَدِّ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماءِ إضاءَةً، لايبولونَ، ولايتغوَّطون، ولايمتخطون، ولايتفلون، أمشاطُهم الذهبُ، ورشحُهم المِسْك، ومجامرُهم الألُوَّةِ، وأزواجُهم الحورُ العينُ، أخلاقُهم على خُلُق رجلٍ واحدٍ على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعاً في السماء».

ما أصاب رجلاً واحداً».

وكان ﷺ يقول: «إن جذوع الشجر ذهب ومنها فضة ومنها ياقوت ومنها زبرجد، وسعفها مثل ذلك، وورقها كأحسن حلل رآها أحد، وثمرها ألين من الزبد وأحلى من العسل، طول كل شجرة منها خمسمائة سنة، وغلظ أصلها مسيرة سبعين عاماً، وعرض أصلها مسيرة خمسمائة عام إذا رفع الرجل منهم بصره نظر إلى أقصى فرع من الشجرة وما فيها من الثمار، وإن على كل بطن كل شجرة سبعين ألف لون من الثمار، وليس منها لون على طعم الآخر، إذا اشتهى شيئاً من تلك الأنواع انحنت له تلك الشعبةالتي فيها تلك الثمرة التي اشتهى من مسيرة خمسمائة عام أو مسيرة خمسين عاماًأودونذلك،حتى يأخذها بيده إن شاء، فإن عجز أن يأخذها بيده فتح فاه فدخلت فيه، فإذا قطف منها شيئاً أحدث الله مكانها أحسن منها وأطيب، فإذا أصاب منـها حاجته واكتفى رجعت الشعبة حيث كانت؛ ومنها شجرة لا تثمر ولكن فيها أكمام فيها حرير وحلل وسندس وزخرف وعبقريّ؛ ومنها شجرة لها أكمام فيها المسك والكافور».

وكان ﷺ يقول: «أهل الجنة يرون ربهم كل يوم جمعة»[1]

وكان ﷺ يقول: «لو أن إكليلاً من الجنة دلي من السماء لذهب بضوء الشمس»[2]

وكان ﷺ يقول: «إن في الجنة قصوراً في كل قصر مها أربعة أنهار: ماء معين، ولبن معين، وخمر معين، وعسل معين، إذا شرب منه شيئاً صار ختامه

---

(١) بمعناه رواه البزار (٣٥١٩)، والطبراني في الأوسط» من حديث أنس، ولايصحُّ. وانظر «المجمع» ١٠/٤٢١. وأخرجه البزار (٣٥١٨) من حديث حذيفة، وفيه متروك.
وذكره ابن كثير في «النهاية» ٢/٣٥٤ من حديث علي، وفيه عمرو بن خالد، وهو كذّاب.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٤/٢٢١، ونسبه إلى ابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في «العظمة» عن كعب الأحبار.

مسكاً، ولا يشربون مِنها شيئاً حتى يمزج من عيون في الجنة اسم أحدها الزنجبيل، والأخرى تسنيم، والأخرى كافور، وإن المقربين يشربون منها صرفاً»[1].

وكان ﷺ يقول: «لولا أنَّ الله قضى بينهم أنهم يتنازعون الكأس بينهم ما رفعوها من أفواههم أبداً».

وكان ﷺ يقول: «إن أهل الجنة يتزاورون على مسيرة مائة ألف عام أو فوق ذلك أو دون ذلك، فإذا رجعوا من عند إخوانهم فَلَهُمْ أهدى إلى منازلهم من أحدكم إلى منزله».

وكان ﷺ يقول: «إن أهل الجنة إذا رأوا ربهم عزّ وجلّ وأرادوا الانصراف، يُعطى كل رجل منهم رمانة خضراء فيها سبعون حُلَّة، لكل حُلَّة سبعون لوناً ليس منها حلة على لون الأخرى، فإذا انصرفوا من عند ربهم عزّ وجلّ مرّوا في أسواق الجنة، ليس فيها بيع ولا شراء، وفيها من الحلل والسندس والإستبرق والحرير والزخرف والعبقري من درّ وياقوت وأكاليل معلقة، فيأخذون من تلك الأسواق من هذه الأصناف ما يطيقون حمله، ولا ينقص من أسواقها شيء، وفيها صور كصور الناس من أحسن ما يكون، مكتوب في نحر كل صورة منها: من تمنى أن يكون حُسْنُهُ على حُسْنِ صورتي جعل الله حسنه على صورتي، فمن تمنى أن يكون حسن وجهه على تلك الصورة جعله الله على تلك الصورة، قال: ثم ينصرفون إلى منازلهم فيلقاهم غلمانهم صفوفاً قياماً بالترحيب والتسليم، فيبشر كل واحدٍ منهم صاحبه الذي يليه حتى تبلغ البشرى زوجته، ثم يستخفها الفرح حتى تقوم إليه فتستقبله عند بابه بالترحيب والتسليم، فتعانقه ويعانقها فيدخلان جميعاً معتنقين».

وكان ﷺ يقول: «لو أن امرأة من نساء أهل الجنة برزت لم يرها ملك

---

(١) أخرج الحكيم الترمذي قريباً من آخره عن الحسن مرسلاً. «الدر المنثور» ٦/٣٠١.

مقرّب ولانبيّ مرسل إلا افتتن بحسنها»[1]

وكـان ﷺ يقول: «إن آخر شرابٍ يشربه أهل الجنة على أثر طعامهم شرابٌ يقال له طهور دهاق، فإذا شرب منه شربة هضم طعامهم وشرابهم فجعله كالمسك وجشأه المسك، ولا يكون في بطونهم أذى، فإذا شربوا اشتهوا الطعام فهذا دأبهم أبداً».

وكان ﷺ يقول: «إن دواب أهل الجنة خُلقن من ياقوتٍ أبيض».

وكان ﷺ يقول: «هن ثلاث جنات: الجنة، وعدن ، ودار السلام، الجنة أصغر من جنة عدن بتسعمائة ألف ألف جزء، وإن قصور الجنة ظاهرها من ذهب وباطنها من زبرجد وأبرجتها من ياقوت أحمر وشرفاتها نظام اللؤلؤ».

وكـان ﷺ يقول: «إن الرجل من أهل الجنة ليتمتع عند زوجته التكأة الواحدة مقدار سبع مئة عام ما يتحول، ثم تناديه زوجته الأخرى من القصر أحسن منها: يا أخي قد آن لك أن تكون لنا منك دولة، فيقول الرجل: من أنت؟ فتقول: أنا من التي يقول الله عزّوجلّ: ﴿فلا تَعلمُ نفسٌ ما أُخْفِيَ لهم من قُرَّةِ أعينٍ﴾ [السجدة: ١٧] فيتحول إليها فيمكث عندها مقدار سبعمائة عام يأكل ويشرب ويباضعها.»[2]

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا عن ابن عباس من قولِهِ بلفظ: لو أنَّ حوراء أخرجت كفها بين السماء والأرض لافتتنَ الخلائقُ بحسنها، ولو أخرجت نصيفهَا لكانت الشمس عند حسنه مثل الفتيلة في الشمس لا ضوء لها، ولو أخرجت وجهها لأضاءَ حسنها ما بين السمـاء والأرض». «الـدر المنثـور» ٦/٣٣-٣٤. وهـو في «حـادي الأرواح» ص ٢١٧ - ٢١٨ وفيه سعيد بن زرني، وهو منكر الحديث جداً.

وأخرجه البخاري (٦٥٦٨) من حديث أنس مرفوعاً: «لو أن امرأةً من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءَت ما بينهما، ولملأتْ ما بينهما ريحاً، ولَنصيفُها - يعني الخمار - خيرٌ من الدنيا وما فيها».

(٢) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٥/١٧٦، ونسبه إلى ابن أبي حاتم. من حديث عامر بن عبدالواحد قال: بلغني أنَّ الرجل ... فذكره ولم يرفعه.

وكان ﷺ يقول: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكبُ في ظلها سبعمائة عام ما يقطعها تجري من تحتها الانهار وإن على كل غصن من غصونها مدائن مبنية، طول كل مدينة منها عشرة آلاف ميل، وإن ما بين كل مدينة إلى الأخرى كما بين المشرق والمغرب، وإن عيون السلسبيل لتجري من تلك القصور إلى تلك المدائن، وإن الورقة منها لتُظِل الأمة العظيمة».

وكان ﷺ يقول : «إن الرجل من أهل الجنة إذا دخل على زوجته قالت: والذي هو أكرمني بكَ ما في الجنة شيء هو أحبّ إليَّ منك، قال: فيقول لها أيضاً مثل ذلك».

قال: وكان ﷺ يقول: «إن في الجنة ما لا يصفه الواصفون، ولا يخطر على قلوب العالمين، ولا تسمع به آذان الواعين، وفيها ما لم تره عيون المخلوقين»[1].

وكان ﷺ يقول: «إن الله عزّ وجلّ ينزل المتحابين فيه في جنة عدن على عمود من ياقوتة حمراء، غلظها مسيرة سبعين ألف عام على سبعين ألف بيت، لكل أهل بيت قصر مشرفين على أهل الجنة، مكتوب على جباههم كتاب من نور: هؤلاء المتحابون في الله، إذا اطلع أحدهم من قصره إلى أهل الجنة ملأ نور وجهه قصور أهل الجنة كما تملأ الشمس بيوت أهل الأرض، فينظر أهل الجنة وجهه فيقول بعضهم لبعض هذا من المتحابين في الله عزّ وجلّ، فإذا وجهه مثل القمر ليلة البدر».

وكان ﷺ يقول: «إن فضل حُسْنِ الرجل عل حسن الخادم من أهل الجنة

---

(١) لم أره بهذا اللفظ. وأخرج البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة مرفوعاً: « قال الله: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خَطَرَ على قلب بَشَرٍ، فاقرؤوا إن شئتم **﴿فلا تعلمُ نفسٌ ما أُخفيَ لهم من قرةِ أعينٍ﴾**.

كمثل القمر ليلة البدر على النجوم»[1].

وكان ﷺ يقول: «إن نساء أهل الجنة يتغنين عند آخر طعامهم بأصوات لذيذة ممدودة يقلن: نحن الخالداتُ فلا نموت أبداً، ونحن الآمنات فلا نخاف أبداً، ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً، ونحن الشابات فلا نهرم أبداً. ونحن الكاسيات فلا نعرى أبداً، ونحن الخيرات الحسان أزواجُ قومٍ كرام»[2].

وكان ﷺ يقول: «إن طير الجنة له سبعون ألف ريشة، لكلِّ ريشة منها لون ليس يشبه الآخر، عظم كلّ طير منها ميل في ميل، إذا اشتهى المؤمن شيئاً منها أُتي به فوضع في جوف الصحفة، فانتفض فوقع منه سبعون لوناً من الطعام من نحو طبيخ وشواء وألوان شتى، طعمها أطيب من المنّ، ولينها ألين من الزبد، وبياضها أشد بياضاً من المخيض، فإذا أكل منها انتفض وطار ولم تنقص منها ريشة، فطيورهم ومراكبهم ترعى في رياض الجنة حول قصورهم»[3].

وكان ﷺ يقول: «إن أهل الجنة يعطيهم الله تعالى خواتيم من ذهب يلبسونها وهي خواتيم الخلد، ثم يعطيهم خواتيم من درّ وياقوت ولؤلؤ، وذلك إذا زاروه في دار السلام».

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢٧/٢٩ من حديث قتادة مرسلاً. ورجالُه ثقات. وزاد السيوطي في «الدر المنثور» ٦/١١٩ نسبته إلى عبدالرزاق، وابن المنذر.

(٢) أخرج أبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٧٨) من حديث عبدالله بن أبي أوفى مرفوعاً: «يزوج إلى كل رجل من أهل الجنة أربعةُ آلاف بكر، وثمانية آلاف أيِّمٍ، ومئةُ جوارٍ، فيجتمعن في كل سبعة أيام، فيقلن بأصواتٍ حسانٍ لم يسمع الخلائقُ مثلهن: نحن الخالداتُ فلا نبيدُ، ونحنُ الناعماتُ فلا نبؤسُ، ونحن الراضيات فلا نسخط، ونحن المقيماتُ فلانظعن، طوبى لمن كان لنا وكُنّا له». وإسنادُه ضعيف.

(٣) أخرجه هناد في «الزهد» (١١٩)، في «صفة الجنة» (٣٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري بأخصر منه. وإسنادُه ضعيف.

وكـان ﷺ يقول: «إن أهل الجنةإذا زاروا ربهم أكلوا وشربوا وتمتعوا، قال: يقول ربّ العزّة عزّ وجلّ: ياداود مجدني بصوتك الحسن، فيمجده ما شاء الله تعالى من ذلك فلا يبقى شيء في الجنة إلا أنصت لحسن صوته ولذاذته، قال: فيمجده ما شاء الله ثم يحبوهم ربّ العزّة عزّ وجلّ بالكسوة والحلية، ثم ينصرفون إلى أهليهم»[1].

وكان ﷺ يقول: «إن لكل رجل من أهل الجنة شجرة يقال لها طوبى، فإذا أراد أحدهم أن يلبس الكسوة المرتفعة انطلق إلى طوبى ففتحت له أكمامها، وهي ستة ألوان في كل واحد منها سبعون لوناً، ليس منها ثوب لونه على لون الآخر ولا على وشيه، فيأخذ من أي ذلك شاء أرقّ من النعمان»[2].

وكان ﷺ يقول: «إن أزواج أهل الجنة مكتوب في نحر كل امرأة منهن أنت حبيبي وأنا حبيبتك، ليس عنك معدل ولا عنك مقصر، وليس لكَ في قلبي غِلٌّ ولا غش، فينظر الرجل إلى نحر زوجته فيرى سواد كبدها من وراء عظمها ولحمها، فكبده لها مرآة وكبدها له مرآة، ولا يعيبها ذلك إلا كما يعيب الياقوت السلك فيه، بياضهنّ كبياض المرجان وصفاؤهن كصفاء الياقوت، قال الله عزّ وجلّ ﴿كأنّهنّ الياقوتُ والمَرْجانُ﴾ [الرحمن: ٥٨].

وكان ﷺ يقول: «إن أهل الجنة على النوق والبراذين يقع خفّ إحداهن عند أقصى طرفها: وموضع حافر ذلك البرذون عند أقصى طرفه خلقت من درّ وياقوت، عظم كل دابة منهن سبعون ميلاً، أزمة النوق والبراذين حلق اللؤلؤ والزبرجد».

---

(١) أخرجه بنحوه أحمد في «الزهد»، والحكيم الترمذي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مالك بن دينار من قوله.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ. ولكن بعضه أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٤١١)، وهو عن محمد بن علي بن الحسين مرسلاً.

فصل: في قوله عزّ وجل: ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا﴾ [الإنسان: ١١] إلى آخر صفة أهل الجنة

أما قوله: ﴿فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم﴾ يعني يوم القيامة يقيهم شدة الحساب وهول جهنم، إذا جيء بها في عرصات القيامة يقودها تسعة عشر خازناً من الملائكة، مع كل خازن منهم سبعون ألف ملك أعوان له غلاظ شداد كالحة أنيابهم، أعينهم كالجمر وألوانهم كلهب النار، يفور من مناخرهم لهب ودخان عال مستعدين لأمر الجبّار تبارك وتعالى، فيقودها كل خازن وأعوانه بوثاق وسلسلة عظيمة، فتارة يمشون عن يمينها وأخرى عن شمالها، ومرّة من ورائها بيد كل ملك منهم مقمع من حديد، يصيحون بها فتمشي، ولها زفير وشهيق ووعث وظلمة ودخان وقعقعة ولهب عالٍ من شدة غضبها على أهلها، فينصبونها بين الجنة والموقف، فترفع طرفها فتنظر إلى الخلائق، ثم تجمح إليهم لتأكلهم، فتحبسها الخزنة بسلاسلها ولو تركت لأتت على كل مؤمن وكافر، فإذا رأت أنها قد حبست عن الخلائق فارت فورة شديدة كادت تميز من الغيظ، ثم شهقت الثانية فسمعت الخلائق صوت صريف أسنانها، فارتعدت عند ذلك الأفئدة، وانخلعت القلوب، وطارت الأفئدة؛ وشخصت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر.

ثم تزفر زفرة فلا يبقى لملك مقرّب ولا نبيّ مرسل ولا أحد ممن شهد الموقف إلا جثا على ركبتيه؛ ثم تزفر أخرى فلا تبقى قطرة في عين أحد إلا بدرت ؛ ثم تزفر الثالثة فلو كان لكل آدميّ أو جنيّ عمل اثنين وسبعين نبياً لواقعوها وظنوا أنهم لم ينجوا منها، ثم تزفر الرابعة فلا يبقى شيء إلا انقطع كلامه ويتعلق جبريل وميكائيل وخليل الرحمن عزّ وجلّ بالعرش يقول كل واحد منهم نفسي نفسي لا أسألك غيرها، ثم ترمي بشرر كعدد نجوم السماء عظم كل شرارة منها كالسحابة العظيمة الطالعة من المغرب، فيقع ذلك الشرر على

رؤوس الخلائق.

فهـذا هو الشـرر الذي وعد الله المؤمنين الذين يوفون بالنذر ويخافون عذابه أن يقيهم، فالله تعالى يكفي أهلَ التوحيد والإيمان وأهل السنة شرّ ذلك اليوم، ويلقاهم برحمته وييسر حسابهم ويدخلهم جنته ويخلدهم فيها أبد الآباد بمنّه، ويزيد الكافرين وأهل الشرك والأوثان شراً إلى شرّ وخوفاً إلى خوف وعذاباً إلى عذاب، فيدخلهم جهنم ويخلدهم فيهـا أبـد الآبـاد؛ ثم قال عزّوجلّ: ﴿ولقَّاهم نضرةً وسروراً﴾ فالنضرة في الوجوه والسرور في القلوب، وذلك أن المؤمن إذا خرج من قبره يوم القيَامة نظر أمامه فإذا هو بإنسان وجهه مثل الشمس يضحك طيب النفس، وعليه ثيابٌ بيض وعلى رأسه تاج، فينظر إليه حتى يدنو منه، فيقول: سلام عليك ياوليّ الله، فيقول: وعليك السلام مَنْ أنت ياعبدَالله هل أنت ملك من المـلائكة؟ فيقول لاوالله، فيقول: أنت نبيّ من الأنبياء؟ فيقـول: لا والله، فيقول: أنت من المقرّبين؟ فيقول: لا والله، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملكَ الصالحُ جئتُ أبشرك بالجنة والنجاة من النار، فيقول له: ياعبدالله أبعلمٍ تبشرني؟ فيقول: نعم، فيقول: ما تريد مني؟ فيقول له اركبني، فيقول له: سبحان اللهماينبغي لمثلك أن يُركب عليه، فيقول: بلى فإني طالما ركبتك في دار الدنيا، فإني أسألك بوجه الله إلا ما ركبتني، فيركبه، فيقول له: لا تخف أنا دليلك إلى الجنة، فيفرح فيتبين ذلك الفرح في وجهه حتى يتلألأ، ويرى فيه النور والسرور في قلبه، فذلك قوله عزّوجلّ: ﴿ولقّاهم نضرةً وسُرورا﴾ [الإنسان: ١١].

وأما الكافر فإذا خرج من قبره نظر أمامه، فإذا هو برجل قبيح الوجه أزرق العينين أسود أشد سواداً من القبر في ليلة مظلمة، وثيابه سود، يجرّ أنيابه في الأرض بدهـدهة مثل دهدهة الرعد وريحه أنتن من الجيفة فيقول: من أنت ياعبدالله؟؛ ويريد أن يعرض عنه بوجهه، فيقول: ياعدوّ الله إليّ إليّ أنت لي وأنا لك اليوم، فقال: ويحك أشيطان أنت؟ فيقول: لا والله، ولكنّي عملك الطالح، فيقول: ويحك؟ ما تريد مني؟ فيقول: أريد أن أركبك، فيقول له:

أنشدك بالله مهلاً، فإنك تفضحني على رؤوس الخلائق، فيقول: والله ما منه بد فطالما ركبتني فأنا اليوم أركبك، قال: فيركبه، فذلك قوله عز وجل ﴿وهم يحمِلون أوزارهم على ظهورِهم أَلَا ساءَ ما يَزِرُونَ﴾ [الأنعام: ٣١]

ثم ذكر عزّ وجل أولياءه فقال: ﴿وجزاهم﴾ بعد البشارة ﴿بما صَبَرُوا﴾ على البلاء وأداء الأوامر، وانتهاء المناهي والتسليم في القدر: ﴿جنةً وحَريراً﴾ [الإنسان: ١٢].

أما الجنة فيتنعمون فيها، وأما الحرير فيلبسون، قال: ﴿متكئين فيها﴾ يعني في الجنة ﴿على الأرائك﴾ يعني السرر عليها الحجال يعني الستر ﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾ يعني ولا يصيبهم حرّ الشمس ولا برد الزمهرير، لأنه ليس فيها شتاء ولا صيف. [الإنسان: ١٣].

ثم قال عزّ وجل ﴿ودانية عليهم ظلالها وذُلِّلَتْ قُطُوفها تذليلا﴾ [الإنسان: ١٤] يعني ظلال الشجر، وذلك أن أهل الجنة يأكلون من الفواكه إن شاؤوا قياماً وإن شاؤوا قعوداً وإن شاؤوا نياماً، وإذا أرادوها دنت منهم حتى يأخذوا منها ثم يقوم أحدهم قائماً، وذلك قوله عز وجل: ﴿وذُلِّلَتْ قُطوفُها تذليلا﴾ يعني أغصانها ثم قال عزّ وجل: ﴿ويُطافُ عليهم بآنيةٍ من فضة وأكواب﴾ فهي الأكواب يعني الكيزان مدورة الرؤوس التي ليست لها عرا، وقال عزّ وجل: ﴿قوارير﴾ يعني هي قوارير ولكنها من فضة، وذلك أن قوارير الدنيا من ترابها، وقوارير الجنة من فضة ﴿قدَّروها تقديراً﴾ يعني قدرت الأكواب على الإناء وقدر الإناء على كفّ الخادم على ريّ القوم إذا سقوها لم يبق فيها شيء، ولم يزد عليه فكانت قدراً على الإناء وكفّ الخادم وري القوم، فذلك قوله تعالى: ﴿قَدَّرُوها تقديراً﴾ [الإنسان: ١٦].

وقال تعالى: ﴿ويُسْقَوْنَ فيها كأساً﴾ يعني خمراً، وكل شراب في الإناء ليس بخمر فليس هو بكأس، وقال تعالى ﴿كان مِزاجُها زَنْجَبيلاً﴾ يعني كلها قد مزج فيها الزنجبيل، ثم قال عز وجل: ﴿عيناً فيها تسمىّ سَلسَبيلا﴾

[الإنسان: ١٨] . يعني نهراً فيها تسمى سلسبيلاً يسيل عليهم من جنة عدن، فتمرّ على كل جنة ثم ترجع تعم الجنة كلها، قال تعالى ﴿ويَطوفُ عليهم وِلدانٌ مُخَلَّدون﴾ فالولدان: هم الغلمان الذين لايشيبون أبداً فهم مخلدون، يعني لا يحتلمون ولا يكبرون أبداً، غلمان ﴿إذا رأيتَهم حَسِبْتَهم لؤلؤاً﴾ في الحسن والبياض ﴿مَنثوراً﴾ [الإنسان: ١٩] في الكثرة، يعني مثل اللؤلؤ المنثور الذي لا يدري ما عدده.

ثم قال عزّ وجل ﴿وإذا رأيْتَ ثَمَّ﴾ يعني هنالك من الجنة ﴿رأيتَ نعيماً ومُلكاً كبيراً﴾ [الإنسان: ٢٠]، وذلك أن رجلاً من أهل الجنة له قصر، في ذلك القصر سبعون قصراً، في كل قصر سبعون بيتاً، كل بيت من لؤلؤة مجوّفة طولها في السماء فرسخ وعرضها فرسخ في فرسخ، عليها أربعة آلاف مصراع من ذهب، في ذلك البيت سرير منسوج بقضبان الدرّ والياقوت عن يمين السرير، وعن يساره أربعة آلاف كرسي من ذهب قوائمها من ياقوت أحمر، على ذلك السرير سبعون فراشاً، كل فراش على لون، وهو متكئ على يساره، عليه سبعون حلة من ديباج، الذي يلي جسده حريرة بيضاء، وعلى جبهته إكليل مكلل بالزبرجد والياقوت وألوان الجواهر، كل جوهرة على لون، وعلى رأسه تاج من ذهب فيه سبعون زاوية، في كل زاوية درّة تساوي مال المشرق والمغرب، وفي يده ثلاثة أسورة: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ، وفي أصابع يديه ورجليه خواتم من ذهب وفضة فيه ألوان الفصوص، وبين يديه عشرة آلاف غلام لا يكبرون ولا يشيبون أبداً، وتوضع بين يديه مائدة من ياقوتة حمراء طولها ميل في ميل، ويوضع على المائدة سبعون ألف إناء من ذهب وفضة، وفي كل إناء سبعون لوناً من الطعام، فيأخذ اللقمة بيده، فما يخطر على باله غيرها حتى تتحوّل اللقمة عن حالها إلى الحالة التي يشتهيها، وبين يديه غلمان بأيديهم أكواب من فضة وأوان من فضة، ومعهم الخمر والماء، فيأكل على قدر أربعين رجلاً من الألوان كلها، فإذا شبع من لون من الطعام سقوه شربة مما يشتهي من الأشربة فيتجشى، فيفتح الله عزّ وجل عليه ألف باب من الشهوة، ويشرب حتى يعرق، فإذا عرق ألقى الله عليه ألف باب من الشهوة إلى الطعام

والشراب، ويدخل عليه الطير من الأبواب كأمثال النجائب العظام، فيقومون بين يديه صفاً فينعت كل طير نفسه بصوت مطرب لذيذ ألذّ من كل غناء في الدنيا، يقول يا وليّ الله كلني فإنني كنت أرعى في كذا وكذا في رياض الجنة، وأشرب من عين كذا وكذا فيجملون إليه أصواتهم، فيرفع بصره فينظر إلى أعلاها صوتاً وأجودها نعتاً فيشتهيها، فيعلم الله عزّ وجل ما قد استقرّ في قلبه من حبه، فيجيء ذلك الطير فيقع على المائدة بعضه قديد وبعضه شويّ، أشدّ بياضاً من الثلج وأحلى من العسل، فيأكل حتى إذا شبع منها واكتفى صار طيراً كما كان، فيخرج من الباب الذي كان دخل منه، فهو على الأرائك وزوجته مستقبلته، يبصر وجهه في وجهها من الصفاء والبياض، كلما أراد أن يجامعها نظر إليها فيستحي منها أن يدعوها، فتعلم ما يريد منها زوجها، فتدنو إليه فتقول: بأبي أنت وأمي ارفع رأسك وانظر إليّ فإنك اليوم لي وأنا لك، فيجامعها على قوّة مائة رجل من الأولين، وعلى شهوة أربعين رجلاً؛ كلما أتاها وجدها عذراء لايغفل عنها مقدار أربعين يوماً، فإذا فرغ وجد ريح المسك منها فيزداد حباً لها وفيها أربعة آلاف وثمانمائة زوجة مثلها، لكل زوجة سبعون خادماً وجارية».

وروي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: «لو أن جارية أو خادماً أُخرجت إلى الدنيا لاقتتل عليها أهلُ الدنيا كلهم حتى يتفانوا، ولو أن أمرأة من الحور العين أخرجت ذوائبها في الأرض لأطفأت نور الشمس من نورها، قيل يا رسول الله: وكم بين الخادم والمخدوم؟ قال: والذي نفسي بيده، إن بين الخادم والمخدوم كالكوكب المظلم إلى جنب القمر في النصف، قال: فبينما هو جالس على سريره إذ بعث الله عزّ وجل إليه ملكاً معه سبعون حلة، كل حلة على لون، قد غابت بين أصبعي الملك ومعه التسليم والرضا، فيجيء حتى يقوم على بابه فيقول لحاجبه: ائذن لي على وليِّ الله فإني رسولُ ربِّ العالمين إليه، فيقول الحاجب: والله ما أملك منه المناجاة، ولكن سأذكرك إلى مَنْ يليني من الحجبة، فلا يزالون يذكرون أمره بعضهم إلى بعض حتى يأتيه الخبر بعد سبعين باباً، فيقول: يا وليّ الله إن رسولَ ربِّ العزّة

على الباب، فيأذن له بالدخول عليه، فيدخل الملك فيقول: السلام عليك يا وليّ الله إن ربّ العزّة عزّ وجل يقرئك السلام وهو عنك راضٍ فلولا أن الله عزّ وجل لم يقض عليه الموت لمات من الفرح، فذلك قوله عزّ وجل: ﴿ورِضْوانٌ من اللهِ أكبرُ، ذلك هوَ الفوزُ العظيمُ﴾ [التوبة: ٧٢] وذلك قوله تعالى: ﴿وإذا رأيْتَ﴾ يعني يا محمد ﴿ثَم رأيْتَ نعيماً﴾ يعني هنالك النعيم الذي هو فيه ﴿ومُلْكاً كبيراً﴾ [الإنسان: ٢٠] حين لا يدخل عليه رسول الله ربّ العالمين إلا بإذن.

ثم قال جل وعلا: ﴿عالِيهَم ثيابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وإسْتَبْرقٌ﴾ [الإنسان: ٢١] يعني الديباج، وإنما قال عاليهم لأن الذي يلي جسده حريرة بيضاء، ثم قال ﴿وحُلُّوا أساورَ من فضة﴾ [الإنسان: ٢١] وفي آية أخرى: ﴿يُحلَّونَ فيها من أساورَ من ذهبٍ واؤلؤا﴾ [الحج: ٢٣، وفاطر: ٣٣] فهي ثلاث أسورة، ثم قال عزّ وجل: ﴿وسَقاهم ربُّهم شراباً طَهوراً﴾ [الإنسان: ٢١] وذلك أن على باب الجنة شجرة ينبع من ساقها عينان، فإذا جاز الرجل الصراط إلى العينين يدخل في عين منها فيغتسل فيها، فيخرج وريحه أطيب من المسك، طوله سبعون ذراعاً في السماء على طول آدم عليه السلام وميلاد عيسى عليه السلام أبناء ثلاث وثلاثين سنة، فأهل الجنة كلهم رجالهم ونساؤهم على قدر واحد يكبر الصغير حتى يصير ابن ثلاث وثلاثين سنة وينحطّ الشيخ عن حاله إلى ثلاث وثلاثين سنة، كلهم رجالهم ونساؤهم على قدر واحد في حسن يوسف بن يعقوب عليهما السلام، ويشرب من العين الأخرى، فينفي ما في صدره من غلّ أو هم أو حسد أو حزن، فيطهر الله عزّ وجل قلبَهُ بذلك الماء، فيخرج وقلبهُ على قلب أيوب عليه السلام، ولسانه على لسان محمد ﷺ عربي، ثم ينطلقون حتى يأتوا الباب، فتقول لهم الخزنة: طبتم، فيقولون نعم، فيقولون: ادخلوها خالدين، يبشرونهم بالخلود قبل الدخول بأنهم لايخرجون أبداً، فأول ما يدخل من باب الجنة ومعه الملكان اللذان كانا معه في دار الدنيا من الكرام الكاتبين، فإذا هو بملك معه نجيبة من ياقوتة حمراء زمامها من ياقوتة

خضراء، فإذا كانت النجيبة من ياقوتة حمراء كان زمامها من ياقوتة خضراء فإذا كانت النجيبة من ياقوتة خضراء كان زمامها ياقوتة حمراء عليها راحلة مقدمها ومؤخرها درّ وياقوت، وصفحتاها الذهب والفضة، ومعه سبعون حلة، فيلبسها ويضع على رأسه التاج، ومعه عشرة الآف غلام كاللؤلؤ المكنون، فيقول: يا وليّ الله اركب فإن هذا لك، ولك مثله، فيركبها ولها جناحان خطوها منتهى البصر، فيسير على نجيبة وبين يديه عشرة آلاف غلام، ومعه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا حتى يأتي إلى قصوره، فينزلها، ثم قال عزّ وجل: إنّ هذا الذي وصفتُ لكم في هذه الصورة كان لكم جزاء لأعمالكم من حسن الثواب ﴿وكان سعيُكم﴾ أي عملكم ﴿مشكوراً﴾ [الإنسان: ٢٢] يعني شكر الله عز وجل أعمالكم، فأثابكم الجنة»[1].

---

(١) حديث ظاهر الوضع.

الفهرس